التفسير المبارك

المسمى

تفسير القرآن الكريم "بِلُغَةِ تَمَاجَقْ"

الجزء الأول

المحتوى ستة أحزاب

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر حزب "قل أؤنبئكم"

وهو عبارة عن ما جمعه وكتبه الفقير المضطر لرحمة الله جعفر بن محمد الحنفي من تفسير والده للقرآن رحمه الله تعالى بالحكاية

المتوفى يوم الأحد - الثاني - من ربيع الثاني سنة ١٤٣٨ من هجرة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم الموافق -١- يناير - ٢٠١٧- ميلادية

وأنا أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله مقصودا به وجهه الكريم ليكون لنا حجة يوم الدين

إنه الكريم الوهاب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ "اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلا وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْت سهلا". الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد النبي الأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سلكوا وساروا على منهاجهم إلى يوم الدين

وبعد.. فإني قد طلبت من المولى الكريم أن يعينني على ما أردت من تبيين معاني القرآن الكريم (بلغة تماجق) بتفسير والدي وشيخي إلاّ مَا قَلّ إن شاء الله جوابا لمن حسّنَ بي الظن وطلبه مني شيخي ومعلمي في القرآن عبد الله بن عثمان الملقب بابْنُ جزاه الله عني أحسن الجزاء وقد ثقل عليّ ألا أجيبه وإن كنت لست أهلا لذلك لعدم ضبطي وحفظي وقصر باعي في العلم وتجرأت على ذلك لإرادتي أن أراجع وأسأل والدي وشيخي عن كل ما أشكل عليّ إن شاء الله متعنا الله بطول حياته إنه سميع قريب مجيب وعلى كل شيء قدير وبالإجابة جدير وهذا أوان الابتداء أعاننا الله ووفقنا للصواب فأقول وبالله التوفيق وعليه التكلان

(سورة الفاتحة)

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة

ومائة وأربعون حرفا قاله الخازن

واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء. وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

واتفقت المصاحف على افتتاحها ب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ واختلف الأئمة فيها فقال مالك ليست آية لا من الفاتحة ولا من غيرها إلا من النمل خاصة وقال الشافعي هى آية من الفاتحة فقط وقال ابن عباس هي آية من كل سورة. وحذفت ألف "بسم الله" لكثرة الاستعمال وطوّلت الباء قال القتيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه طوّلوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما ودوّروا الميم تعظيما لكتاب الله تعالى

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات

فالآية الأولى عند من يعدها من الفاتحة "بسم الله الرحمن الرحيم" وابتداء الآية الأخيرة "صراط الذين" ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها "الحمد لله رب العالمين" وابتداء الآية الأخيرة "غير المغضوب عليهم" وقال بعضهم يقدّر في أولها قبل البسملة عند من يقول بأنها آية من الفاتحة وبعدها عند من يقول بأنها ليست بآية منها "قولوا" وهو أمر من الله سبحانه وتعالى بأن نقول الحمد لله رب العالمين ليكون ما قبل إياك نعبد مناسباً له بكونها من مقول العباد فالعباد هم الذين يقولون الحمد لله رب العالمين امتثالاً للأمر المقدر أي لتكون السورة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله الحمد لله رب العالمين

إلى آخر الآيات الأربع ثناء من الله سبحانه وتعالى على نفسه فيكون من مقوله فيكون بعض السورة من مقول الله وبعضها من مقول العباد وهو صحيح في حد ذاته لكن التناسب أبلغ

قوله عز وجل (بسم الله الرحمن الرحيم) تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها تبركا به ومعناه أبدأ "بسم الله" (الله) علم عربي مرتجل جامد عند الأكثر خاص لذات الواجب الوجود تفرد به الباري سبحانه لِم يطلق على غيره ولا يشركه فيه أحد (الرحمن) من الصفات الغالبة لم يستعمل في غير الله عز وجل وقال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، حذف ألف "الرحمن" كيف جاءت (الرحيم) إنما هو في جهة المؤمنين قال تعالى "وكان بالمؤمنين رحيماً" (١) (الْحَمْدُ) أَنَّطْ سَنَّمَالْ سَوَيْهُوصَّيَنْ مبتدأ (لِلَّه) اللَهُ أَتِّسَتَّحَقَّنْ خبر (رَبِّ الْعَالَمِينَ) دِنَّمَلِ أَنْتَخَلَّاكْ و"رب" نعت "لله" (٢) (الرَّحْمَنِ) دِنَّمَاكَايْ نَمَاكُ ضَغْ الرَّحْمَةْ (الرَّحِيمِ) دِنَّمِيكِّتْ نَرَّحْمَةْ هو اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة والرحمن أشد مبالغة من الرحيم (٣) (مَلِكِ) دِنَّمَنُوكَالْ نعت لما قبله قراءةُ الجماعة بغير ألف من المُلك بالضم وقرأ عاصم والكسائي بالألف من المِلك بالكسر (يَوْمِ الدِّينِ) نَزَلْ وَانْتَرَيْزِنْ إسْكَاطَنْ سَطَّصْرِفْ ضَغَسْ يوم الجزاء وهو يوم القيامة فلا شفيع إلا بإذنه ولا عقاب إلا بأمره ولا ثواب إلا بفضله (٤) (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) يَا وَيْتَوَوصَّفَنْ سَوَدِّتَّمَلَنْدَ كَيْ غَاسْ آنَعْبَدْ "إياك" مفعول "نعبد" وقُدِّم للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس نعبُدك ولا نعبد معك غيرَك (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) كَيْ غَاسْ أَسْنَكِّمَّيْ تَادْهَلْتْ فَلْ اَلْعِبَادَ دَاوَرِمُوصْ أي ومنك نطلب المعونة على عبادتك وعلى

جميع أمورنا (٥) (اهْدِنَا) تَصِّنَرغَانَ اهدنا دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب والمعنى دلّنا على (الصِّرَاطَ) سَبَرَقَّ (الْمُسْتَقِيمَ) وَنَّمَظَّليلَغْ أي أرشدنا وقيل ثبتنا على المنهاج الواضح (٦) ثم فسرّ الطريق المستقيم فقال (صِرَاطَ الَّذِينَ) أَتِّمُو صَنْ أَبَرَقَّ أَنْوِنْدِ (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) أَسْتَنْعَمَ فَلَّاسَّنْ أَسْتَنُورَيْ انتصب صراط على أنه بدل من الأول وفائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير ويجوز أن يكون عطف بيان وفائدته الإيضاح والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما" وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وَرْكِي وِنَسِتَوَكْيَضْ فَلَاَّسَّنْ أَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ بدل من الذين أنعمت عليهم بدل كل من كل أي غير صراط الذين غضبت عليهم وهم اليهود لقوله تعالى فيهم "ومن لعنه الله وغضب عليه" على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال (وَلَا الضَّالِّينَ) وَلَاَدَ وِنَمُوصَنْينْ إِمَاخْرَاكَنْ أَتَنِمُوصَنْ اَلنَّصَارَى لا زائدة قاله الطبري والزمخشري وقيل هي تأكيد حكاه مكي والمهدوي وقيل بمعنى غير قاله الكوفيون والمحلي أي وغير الضالين عن الهدى وهم النصارى لقوله عز وجل "قد ضلوا من قبل" الآية (٧) واعلم أن السنة الصحيحة الصريحة الثابتة تواتراً قد دلت على مشروعية التأمين بعد قراءة الفاتحة وآمين اسم فعل بمعنى اللهم اسمع واستجب لنا وتقبل عند أكثر أهل العلم قاله القرطبي وقد اختلف أهل العلم في الجهر بها وفي أن الإمام يقولها أم لا وذلك مبين في مواطنه وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق وصلّى الله على

سيدنا ومولانا محمد عين الحق والتحقيق وعلى آله وصحبه المطهرين بعده أعلام الطريق وسلّم تسليما

رب يسر وأعن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

قال القرطبي مدنية نزلت في مدد شتى وقيل هي أول سورة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله" فإنها آخر آية نزلت من السماء ونزلت يوم النحر في يوم حجة الوداع بمنى قاله ابن عباس وآيات الربا أيضاً من أواخر ما نزل من القرآن وهي مائتان وست وقيل وسبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف كما في الخازن قال ابن العربي فيها ألف أمر. وألف نهي وألف حكم وألف خبر أخذها بركة وتركها حسرة لا تستطيعها البطلة وهم السحرة وقد ورد في فضلها أحاديث وآثار كثيرة في الصحاح والسنن وغيرها ومن فضائلها ما هو خاص بآية الكرسي وما هو خاص بخواتيم هذه السورة وما هو في فضلها وفضل آل عمران وما هو في فضل السبع الطوال وليطلب ذلك من مواطنه

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم) اللهُ غَاسْ أَيْصَّنَنْ أَوُوطَصْ ضَغْسَنْ وِنْدَ الْحَرَفَنْ هذه من الحروف المقطعة تكتب الم وتقرأ هكذا ألف لام ميم والسور المفتتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها البقرة هذه وآخرها القلم "ن" ومنها الأحادية مثل "ص" و"ق" و"ن" ومنها الثنائية مثل "طه" و"يس" و"حم" ومنها الثلاثية والرباعية والخماسية ولم يثبت في تفسيرها عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء كونها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه أقرب إلى الصواب ولذا يقال فيها ألمْ الله أعلم بمراده بذلك (١) قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ) وَدِيدَ اَلْكَتَّابْ إِغَارٌ مُحَمَّدْ أَتّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ قيل المعنى هذا الكتاب و"ذلك" قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر وإن كان موضوعا للإشارة إلى غائب كما قال تعالى في الإخبار عن نفسه جل وعز "ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم" ف" ذلك" إشارة إلى القرآن موضوع موضع هذا تلخيصه الم هذا الكتاب لا ريب فيه وهذا قول أبي عبيدة وعكرمة وغيرهما وقيل هو على بابه إشارة إلى غائب واختلف في ذلك الغائب على أقوال عشرة (لَا رَيْبَ فِيهِ) وَرْتِلَّ اَلشَّكْ ضَغَاسْ اَللهُ أَدِّ فَلْ أي لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق (هُدًى) تَانُورَيْ أَيْمُوصْ أي رشاد وبيان ودلالة على الطريق الموصل إلى السعادة والكمال في الدارين (لِلْمُتَّقِينَ) إِوِينَكِّنينْ ءَاغَرْ كِريسَّنْ أَتَّمْسَيْ المتقين أي عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه أي من ثبتت لهم التقوى (٢) (الَّذِينَ) وِنْدِي (يُؤْمِنُونَ) سَدَّتَّتْنينْ (بِالْغَيْبِ) سَوَيْكَّنْتَلَنْ فَلاَّسَّنْ ضَغْ تَنَكْرَ دَ اَلْجَنَّةْ أَتَّمْسَيْ هو وصف للمتقين

كاشف والغيب في كلام العرب كل ما غاب عنك أي يصدقون تصديقا جازماً بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس كالرب تبارك وتعالى ذاتاً وصفاتٍ والملائكة والبعث والجنة ونعيمها والنار وعذابها (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) زِزَلُولُوغَنْ ءَامُودْ هَاكَّنْتُو سَلْحَقَتِّيتْ يُديمون أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع مراعاة شرائطها وأركانها وسننها ونوافلها الراتبة وغيرها قال ابن عباس المراد به الصلوات الخمس (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) نَافَقَّنْ ضَغْ اَوَتَنَكْفى ضَغْ تَلِيلْتْ نَ اَللهُ أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وفي سبيله (٣) (وَالَّذِينَ) أَدْوِنْدِي (يُؤْمِنُونَ) أَزَّكِزَنِّينْ أي يصدقون (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) سَوَدِّتَوَزَزَبِّينْ سَرَكْ أَتِّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ المراد به ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن بأسره والشريعة عن آخرها (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) دَوَدِّ تَوَزَزَبِّينْ دَاتَكْ ضَغْ الْكَتَّابَنْ وهو الكتب السالفة المنزلة على الأنبياء من قبل كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وغيرها والإيمان بالكل جملة فرض عين وبالقرآن تفصيلاً فرض كفاية (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) أَنْتَنَيْ ضيغينْ سِلَاكَنَنْ ءَا سْ اَلاَخِرَةْ أَتِّكُو وَرْطَنِهَ اَشَّكْنيتْ "وبالآخرة" أي بالدار الآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول كما أن الدنيا تأنيث الأدنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى "تلك الدار الآخرة" وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها "هم يوقنون" الإيقان إيقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه قال في الكشاف فالمراد أنهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شك (٤) (أُولَئِكَ) وِنْدِزَ تَوَوَصَّفْنينْ سَوَدِّتَّمَلْنْدَ أي الذين هذه صفتهم وما فيه من البعد للإشعار بعلو درجتهم ورفعة مرتبتهم في الفضل وهو

مبتدأ وخبره (عَلَى هُدًى) أَنْتَنَيْ أَتَّلْنينْ فَلْ تَنُورَيْ (مِنْ رَبِّهِمْ) أَدُوتَفَالَتْ غُرْ أَمَلِنَّسَنْ أي على رشاد ونور وقيل على استقامة منحوها من عنده (وَأُولَئِكَ) وِينْدِي ضيغينْ في تكرير إسم الإشارة دلالة على أن كُلاً من الهداية الماضية والفلاح الآتي بحيث لو انفرد أحدهما لكفى مميزاً على حياله (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أَنْتَيْ إِمَاوَاتَنْ نَكْلاَفْ سَ اَلْجَنَّةْ ضَغَلَّسْ ضَغْ تَمْسَيْ أي المنجحون الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب وقد ورد في فضل هذه الآيات الشريفة أحاديث منها ما أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والحاكم والبيهقي عن أبي بن كعب قال «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال يا نبي الله إن لي أخا وبه وجع فقال وما وجعه قال به لمم قال فائتني به فوضعه بين يديه فعوذه النبي بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين وإلهكم إله واحد وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو وآية من الأعراف إن ربكم الله وآخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن وأنه تعالى جد ربنا وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد، والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشتك قط» وأخرج الطبراني والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة» وقد ورد في ذلك غير هذا (٥) ثم ذكر سبحانه فريق الشر بعد الفراغ من ذكر فريق الخير قاطعاً لهذا الكلام عن الكلام الأول فقال (إِنَّ الَّذِينَ) إِلِّكَّنَاسْ وِنْدِ التعريف للعهد أو للجنس والثاني أولى (كَفَرُوا)

أَكْفَرْنِينْ زُونْ أَبُو جَهْل دَبُو لَهَبْ أَتُّولاَتْ نَسَنْ أي جحدوا وأنكروا(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) أُولَ غُرْسَنْ أي متساو لديهم وسواء اسم مصدر بمعنى الاستواء وارتفاعه على أنه خبر لإنّ (أَأَنْذَرْتَهُمْ) أَدَاسَنْتَوَاتَ أَكُورَيْ أي خوفتهم وحذرتهم والإنذار الإبلاغ والإعلام مع التخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً قرئ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً (أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ) دَدَاسَنْ تُوَرْتَويتَ (لَا يُؤْمِنُونَ) وَرْزَزَّكِظَنَنْ فَلْ مَصْنَطْ نَ اَللهُ ضَغْسَنْ ءَادِي أي لا يصدقون قال القرطبي واختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقيل هي عامة ومعناها الخصوص فيمن سبقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله أنه يموت على كفره أراد الله تعالى أن يعلم الناس أن فيهم من هذا حاله دون أن يعين أحدا وقال ابن عباس والكلبي نزلت في رؤساء اليهود حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظرائهماوقوله لا يؤمنون خبر مبتدأ محذوف أي هم لا يؤمنون وهي جملة مستأنفة لأنها جواب سؤال مقدر كأنه قيل هؤلاء الذين استوى حالهم مع الإنذار وعدمه ماذا يكون منهم فقيل لا يؤمنون أي هم لا يؤمنون وقال في الكشاف إنها جملة مؤكدة للجملة الأولى أو خبر لأنّ والجملة قبلها اعتراض انتهى (٦) (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) إهَارْ اَللهُ فَلْ وَلَّنَسَنْ وَرْتَنْزِكِّزْ اَلْخيرْ أي طبع الله عليها واستوثق فلا تعي خيراً ولا تفهمه (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) أَدْفَلْ تَسَلْنَسَنْ وَرْزَسَتَّنْفَعَنْ سَوَسَّالَّنْ ضَغْ اَلْحَقّْ أي مواضعه وإنما وحد السمع مع جمع القلوب والابصار لإنه مصدر يقع على القليل والكثير أو لوحدة المسموع وهو الصوت وإنما خص هذه الأعضاء بالذكر لأنها طرق العلم فالقلب محله وطريقه إما السماع وإما الرؤية وقد اختلف في قوله تعالى وعلى سمعهم هل هو داخل في حكم الختم فيكون معطوفا على القلوب أو في

حكم التغشية فقيل إن الوقف على قوله وعلى سمعهم تام وما بعده كلام مستقل فيكون الطبع على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار كما قاله جماعة (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) إِلَّيْ فَلْ سَوَاضَنَّسَنْ أَكِيلْمِيسْ وَرْهَنِّينْ اَلْحَقّْ الغشاوة الغطاء (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) إِلأَسَانْتُو اَلْعَذَابْ زُوَّرَنْ إِغْلاَلَنْ يعني في الآخرة وقيل الأسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب هو كل ما يؤلم الانسان (٧) (وَمِنَ النَّاسِ) إِلَّيْ ضَغَيْتِيدَنْ جمع إنسان أو اسم جمع لإنسان قاله سيبويه والجمهور (مَنْ يَقُولُ) وِنْكَاتَّنِينْ (آمَنَّا بِاللَّهِ) نَزِّكْظَنْ سَ اَللهُ (وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) نَزِّكْظَنْدَ سَزَلْ أَيْلْكَمَنْ أَتَمُوصَنْ أَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخلص ثم ذكر بعدهم الكفرة الخلص ثم ذكر ثالثاً المنافقين في الآيات الثلاث عشرة وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية ولذا نزل فيهم "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار" وهم شر من الكافرين البالغين في الكفر أشده (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين) سِكَادِ أَنْتَنَيْ بَاهُ ءَاكَنْ وَرَزَّكْظَنَنْ نفى عنهم الإيمان بالكلية في جميع الأزمنة كما تفيده الجملة الاسمية ففيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وغاية الإيمان أن يؤمن الإنسان بقلبه ب الله فيتقيه وباليوم الآخر وما فيه أما إذا كان الإيمان لا يجاوز اللسان فهو خداع ونفاق (٨) (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) تَاكَّرَّصَنْ اَللهُ أَغِيلَنْ بزعمهم (وَالَّذِينَ آمَنُوا) أَدْوِنْدِ أَزَّكْظَنّينْ بما يُظهرون من الإيمان (وَمَا يُخادعُونَ) أَنْتَ وَرْتَكَرِّيصَنْ في الحقيقة (إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) ءَارْ إِمَانَّصَنْ لأن وبال خداعهم راجع إليهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) (٩) وَرَصّينَنْ ضَغَادِ أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)

إِلَّيْ ضَغْ وَلَّنَّسَنْ تَوَرْنَ تَانَّشَّكْ دَ اَلنِّفَاقْ ابتداء وخبر والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم وذلك إما أن يكون شكا ونفاقا وإما جحدا وتكذيبا (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) إِشَاتَاسَنْ اَللهُ طَوَرْنَ سَوَادِّ زَازَبَّاتْ ضَغْ اَلْقُرَانْ فَلْ اَلْكَفَرْ نَسَنْ سَرَسْ وهذا اللفظ يحتمل معنين يحتمل الخبر عن الماضي ويحتمل الدعاء فإن كان المراد به الخبر فمعناه في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً إلى مرضهم كما قال في آية أخرى "فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ" لأن كل سورة نزلت يشكون فيها فكان ذلك المرض لهم وللمؤمنين زيادة اليقين وإن كان المراد به الدعاء فمعناه فزادهم الله مرضاً على مرضهم على وجه الذم والطرد لهم كما قال في آية أخرى قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أو لعنهم الله فإن قيل كيف يجوز أن يحمل على وجه الدعاء وإنما يحتاج إلى الدعاء عند العجز قيل له هذا تعليم من الله تعالى أَنَّهُ يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لأنهم شر خلق الله تعالى لأنه وعد لهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار (وَلَهُمْ عَذَابٌ) أي نكال إِلَاَّسَنْتُو اَلْعَذَابْ (أَلِيمٌ) نَمَصَّيصَنَنْ يعني مؤلم أي عذاب وجيع الذي يخلص وجعه إلى قلوبهم (بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ) سَسَّبَابْ نَسَبَّهُنَّسَنْ اَلنَّبِي صلى الله عليه وسلم أي مجازاة لهم بتكذيبهم قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي يَكْذِبُونَ بتخفيف الذال وقرأ الباقون بالتشديد فمن قرأ بالتخفيف فمعناه بما كانوا يكذبون بقولهم أنهم مؤمنون وجحدوا في السر لأنهم كفروا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم في السر ومن قرأ بالتشديد فمعناه بما كانوا يكذبون يعني ينسبون محمداً إلى الكذب ويجحدون نبوته (١٠) ثم ذكر أقوالهم الشنيعة وأحوالهم الفظيعة فقال (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) ءَامَرَاسَنِطَوَنَّ «إذا» ظرف خافض لشرطه منصوب بجوابه أي قالوا نحن

مصلحون وقت قول القائل لهم لا تفسدوا والجملة بيان وتقرير لخداعهم أو معطوفة على "من يقول آمنا" أي ومن الناس فرقة إذا قيلَ لهم لا تفسدوا قالوا إنما نحن مصلحون (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) أَيَّتْ اَلْفَسَادْ ضَغْ اَمَضَالْ سَ اَلْكَفَرْ دَويغْ نَيْتيدَنْ فَلْ اَزَكْظَانْ والقائل لهم هو الله أو الرسول أو المؤمنون والعنى لا تفسدوا بالنفاق وموالاة الكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما في الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار وبطلان الذرائع وخراب العالم كما هو مشاهد عند ثوران الفتن وهيج الحروب والتنازع (قَالُوا) أَدَنِّينْ (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) إِلِّكَّنَاسْ نَكَّنَيْ أَمَكْنَوْ ءَانَتَاكْ يعني يقولونه كذباً "وإنما" من أدوات القصر كما هو مبين في علم المعاني والصلاح ضد الفساد (١١) إِنَّاَللهُ ضَغْ اَصُوغَلْ فَلاَّسَّنْ (أَلَا) أَيْكَنَاسْ (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) إِلِّكَّنَّاسْ أَنْتَنَيْ ءَامُوصْنينْ اَلْمُفْسِدَنْ وِنْتِيدَتْ في الأرض بالكفر وهو أشد الفساد و"ألا" حرف تنبيه ينبه بها المخاطب وهي النبهة على تحقيق ما بعدها قال ابن مسعود الفساد هنا الكفر والعمل بالمعصية (وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) مِشَانْ وَرَصّينَنْ ضَغَادِ وذلك لأنهم يظنون أن ما هم عليه من النفاق وإبطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب والأول أولى (١٢) (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) ءَامَرَاصَنِطَوَنَّ (آمِنُوا) زَ كْظَنَتْ أي للمنافقين (كَمَا آمَنَ النَّاسُ) أَمَّكْ أَسَزّكْظَنَنْ أَيْتِيدَنْ يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وقيل الناس عبد الله بن سلام وأصحابه و"ما" مصدرية أو كافة واللام للعهد أو للجنس (قَالُوا) أَضَنِّينْ أي أجابوا بأحمق جواب وأبعده عن الحق والصواب (أَنُؤْمِنُ) ءَادِيسْ أَنَّزَّكْظَنْ (كَمَا آمَنَ

السُّفَهَاءُ) أَمَّكْ أَسَزَّكْظَنَنْ اَلسُّفَهَا أي الجهال الهمزة للإنكار واللام مشار بها إلى الناس أو للجنس بأسره وهم مندرجون فيه نسبوا إلى المؤمنين السفه استهزاء واستخفافاً قال تعالى (أَلَا) أَيْكِنَاسْ (إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) إِلِّكَّنَاسْ أَنْتَنَيْ ءَامُوصْنينْ اَلسُّفَهَا وِنْتِيدَتْ أي الجهال (وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) مِشَانْ وَرَصّينَنْ ضَغَادِ أنهم كذلك إما حقيقة أو مجازاً تنزيلاً لإصرارهم على السفه منزلة عدم العلم (١٣) (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا) ءَامَرْ أَمَّنَيَنْ أَدْونْدِ أَزَّكْظَنّينْ أي المهاجرين والأنصار (قَالُوا) أَدَاسنَنّينْ (آمَنَّا) نَظِّيكْظَنْ كإيمانكم (وَإِذَا خَلَوْا) ءَامَرْ أَصُّوفَنْ ضَغْسَنْ أَقَّلَنْ (إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) أَسْزَوَّارَنَسَنْ أي رجعوا إليهم قيل هو من الخلوة وقيل "إلى" بمعنى الباء وقيل بمعنى مع وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه والمراد بالشياطين رؤساؤهم وكهنتهم (قَالُوا) أَدَاسنَنّينْ (إِنَّا مَعَكُمْ) إِلِّكَّنَاسْ نَكَّنَيْ نَلَّيْ دَرْوَنْ ضَغْ اَلدِّينْ في الدين والاعتقاد أي إنا مصاحبوكم في دينكم وموافقوكم عليه (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) إِلِّكَّنَاسْ نَكَّنَيْ أَشَكُّلُوكَشْ ءَانَتَاكْ سَرْسَنْ أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بما نظهر لهم من الإسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم تأكيد لما قبله أو بدل منه أو استئناف قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه (١٤) (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) اَللهُ دَاسنِرَزْ فَلْ شَكَّلَيْكَاشْ نَسَنْ أي ينزل بهم الهوان والحقارة وينتقم منهم ويستخف بهم انتصافاً منهم لعباده المؤمنين وجزاء لاستهزائهم بهم فسمى الجزاء باسمه لأنه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم وردوا إلى النار (وَيَمُدُّهُمْ) أَسَّكْلِينْ أي يتركهم ويمهلهم ويطيل لهم المدة كما قال "إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً" والمد الزيادة (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضَغْ

اَسَسّيكِنَّسَنْ أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يَعْمَهُونَ) اَلْحَالْ أَنَّميلْنَسَنْ كِينَوّينْ أي يترددون في الضلالة متحيرين والعامه الحائر المتردد والعمه في القلب كالعمى في العين (١٥) (أُولَئِك الَّذِينَ) وِنْدِي أَنْتَنَيْ وِنْدِي (اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ) أَدُوسَمَّسْكَلْنينْ ءَاخْرُوكْ (بِالْهُدَى) ضَغْ أَدَك أَنْتَنُورَيْ يعني المنافقين استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبييل الاستعارة فالشراء ههنا مستعار للاستبدال كقوله تعالى "فاستحبوا العمى على الهدى" (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) وَرْتَلّينْ أَرْبَاحَنْ ضَغْ تَتيكِرْتْ نَسَنْ بَاتَّارْ أَقّسَّرَنْ أي ما ربحوا في تجارتهم (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) وَرْتَلّينْ أَنَارَنْ ضَغْ اَوَامّوزَلَنْ أي مصيبين في تجارتهم لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل في سابق علم الله (١٦) {مَثَلُهُمْ} نص الْمِتَالْ نَسَنْ {كَمَثَلِ الذِي} زُنْ الْمِتَالْ اَنْوِدِ {اسْتَوْقَدَ نَارًا} اِصَّرْغَنْ تَيمْسَيْ ضَغْ شِيَّايْ المثل قول يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله الأمثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، ولأن المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الإيضاح وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه فمثلهم رفع بالابتداء والخبر في الكاف فهي اسم كما هي في قول الأعشى أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل [1] أراد مثل الطعن ويجوز أن يكون الخبر محذوفا تقديره

[1] المعنى: لا ينهى أصحاب الجور مثل طعن جائف، أي نافذ إلى الجوف، يغيب فيه الزيت والفتل. (عن خزانة الأدب)

مثلهم مستقر كمثل فالكاف على هذا حرف قوله "نارا" النار مؤنثة وهي من النور وهو أيضا الإشراق وهي من الواو لأنك تقول في التصغير نويرة وفي الجمع نور وأنوار ونيران انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها {فَلَمَّآ أَضَآءَتْ} أَسْتَسَمَّلَوْلَوْ وضاءت وأضاءت لغتان يقال ضاء القمر يضوء ضوءا وأضاء يضئ يكون لازما ومتعديا (مَا حَوْلَهُ} أَوَيْلَّنْ دَكِّمَاتّيتْ اِصْوَضْ اِصّوكَصْ اِفْلَسْ ضَغْ اَوَيْكْصُوضْ "ما" زائدة مؤكدة وقيل مفعول بأضاءت و"حوله" ظرف مكان والهاء في موضع خفض بإضافته إليها {ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} اِكْلَ اللهُ دَ النُّورْنَسَنَ إِكَّصْطُو و "ذهب" وأذهب لغتان من الذهاب وهو زوال الشيء {وَتَرَكَهُمْ} أُويّينْ أي أبقاهم {فِي ظُلُمَتٍ} ضَغْ شِيَّايْ جمع ظلمة والظلمة عدم النور {لَا يُبْصِرُنَ} وَرْهَنِيَنْ وَلَا كِلَاكِلَنْ فعل مستقبل في موضع الحال كأنه قال غير مبصرين فلا يجوز الوقف على هذا على" ظلمات" والمعنى المراد بالآية ضرب مثل للمنافقين وذلك أن ما يظهرونه من الإيمان الذي تثبت لهم به أحكام المسلمين من المناكح والتوارث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بمثابة من أوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضاء بها ورأى ما ينبغي أن يتقيه وأمن منه، فإذا طفئت عنه أو ذهبت وصل إليه الأذى وبقي متحيرا فكذلك المنافقون لما آمنوا اغتروا بكلمة الإسلام ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم كما أخبر التنزيل "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار" ويذهب نورهم ولهذا يقولون "انظرونا نقتبس من نوركم" (١٧) {صُمٌّ} اِمْظَاكِّن أي عن استماع الحق لأنهم لا يقبلونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه والصمم الانسداد "صم" وما بعده خبر مبتدأ محذوف أي همْ {بُكْمٌ} اِمَكِّنَّاوْ أي خرس عن النطق بالخير فهم لا

يقولونه والأبكم الذي لا ينطق ولا يفهم، فإذا فهم فهو الأخرس وقيل الأبكم والأخرس واحد {عُمْيٌ} اِمَضَّرْغَالْ أي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى والعمى ذهاب البصر كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب إدراكه {فهُمْ} فَلَادِ آسَ اَنْتَتَيْ {لَا يَرْجِعُونَ} وَرُوتَقَّلَنْ فَلْ اَخْرُوكْ أي عن ضلالتهم ونفاقهم (١٨) ثم ضرب لهم مثلا آخر فقال {أَوْ كَصَيِّبٍ} مَدي الْمِتَالْنَسَنْ دَمَصَّاوَصْ نَكُونَاكْ أو حرف الشك لقصد التخيير بين المثلين {مِّنَ السَّمَآءِ} اَدِّفَّايَنْ ضَغْ تَكْنَاوينْ والسماء في الأصل كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء والسماء أيضاً المطر سمي بها لنزوله منها وإطلاق السماء على المطر واقع كثيراً في كلام العرب {فِيهِ} اِلَّيْ ضَغْ اَكُونَاكْ دِي {ظُلُمَاتٌ} شِيَّايْ أي في الصيب وقيل "في" بمعنى مع وإنما جمع الظلمات إشارة إلى أنه انضم إلى ظلمة الليل ظلمة الغيم والمطر {وَرَعْدٌ} ديكَّاكَنْ اسم لصوت الملك الذي يزجر السحاب {وَبَرْقٌ} ديصْمَانْ {يَجْعَلُونَ) تَاكِّنْ أي أصحاب الصيب (أَصَبِعَهُمْ} اِضَضْوَانَّسَنْ {فِي آذانِهِم} ضَغْ تَمَظُّوكِينْ نَسَنْ جملة مستأنفة لا محل لها كأن قائلا قال فكيف حالهم عند ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم {مِنَ الصَّوَاعِقِ} فَلْ تَدَميلْتْ اَنْبَرَغْرَغَنْ وإطلاق الأصبع على بعضها مجاز مشهور والعلاقة الجزئية والكلية لأن الذي يجعل في الأذن إنما هو رأس الأصبع لا كلها وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال "اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك" أخرجه الترمذي وقال حديث

غريب {حَذَرَ الْمَوْتِ} فَلْ تَكْصَدَ انْتَمَطَّانْتْ اَسْدَاسَنَسْلَنْ أي مخافة الهلاك والموت ضد الحياة ونصب حذر الموت على أنه مفعول لأجله وقال الفراء منصوب على التمييز {وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ} اللهُ تَسِيفَرَكْ مَصْنَطْنيتْ اَتَّرْنَاتّيتْ بِكُوفَارْ وَرَضغَظَّطَرَكِّينْ أي عالم بحالهم والإحاطة الأخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت المحاط به بوجه من الوجوه (١٩) {يَكَادُ الْبَرْقُ} اِهُوظَنِينْ ايصْمَانْدِ أي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل {يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} اَدبَتَنْ اِصَوَاضَنَّسَنْ أي يختلسها {كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم} اَكُلُّ نِدَاسَنِسَمَّلَوْلَوْ ايصأَمْ اَمَضَالْ يعني البرق {مَّشَوْا فِيهِ} اَدْجَوَنْكينْ ضَغَ النَّورْ نيتْ {وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ} آمَرْاِكَنَاكَنْ فَلَّاسَّنْ {قَامُوا} اَدبْدَدَنْ أي وقفوا متحيرين {وَلَوْ شَآءَ اللهُ} اَنَّارْ اِرَ اللهُ آدِي {لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ} اَدِكْلَا اَتَّسَلْنَسَنْ أي بصوت الرعد {وَأَبْصارِهِم} اَدْ صَوَاضَنَّسَنْ بوميض البرق {إِنَّ اللهَ} اِلّكَّنَاسْ اللهُ {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} اَمَرْنِ اَيْمُوصْ فَلَ اَكُلُّ نَرَطْ أي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه والآية على عمومها بلا استثناء فهذه عشرون آية على عدد الكوفيين أربع آيات في وصف المؤمنين ثم تليها آيتان في ذكر الكافرين وبقيتها في المنافقين وقد تقدمت الرواية فيها عن ابن جريج وقاله مجاهد أيضا (٢٠) {يَأَ أَيُّهَا النَّاسُ} يَاوِنْدَ اَيْتيدَنْ لما قدّم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف المؤمنين والكافرين والمنافقين أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الناس لم يقع النداء في القرآن بغير "يا" من الأدوات والنداء في الأصل طلب الإقبال والمراد به هنا التنبيه وأي مبني على الضم في محل نصب والناس نعت لأي على اللفظ وحركته إعرابية وحركة أيّ بنائية قال ابن

عباس "يا أيها الناس" خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين والحق أن ما قاله ابن عباس أكثري لا كُلّي فإن البقرة والنساء والحجرات مدنيات وفاقاً وقد قال في كل منها يا أيها الناس {اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} سَوَّحَّدَتْ اَمَلِ نَّوَنْ {الَّذِي خَلَقَكُمْ} دِي اَكَوَنْدِخْلَكَنْ وَرْتُوتَلّيمْ أي أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا {وَالَّذِينَ} اِخْلَكْدُ ونْدِي {مِن قَبْلِكُمْ} دَاتْوَنْ أي وخلق الذين من قبلكم بالذات أو الزمان {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} اِهَامِجَ آسْ كَوَنيْ اَسْتَكِّمْ آدِي اَتَّكِمْ آغَرْ كِريوَّنْ دَلْعَذابْ نيتْ "لعل" متصلة باعبدوا لا بخلقكم لأن من ذرأه الله لجهنم لم يخلقه ليتقي (٢١) {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ} دِي اَدَاوَنْدِخْلَكَنْ اَمَضَالْ {فِرَاشًا} اِكَّاوَنْتُو تَصَّوطْ أي خلق لكم الأرض بساطاً ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الأرض "وجعل" هنا بمعنى صير وجاء بمعنى صار وطفق وأوجد والفراش وطاء يستقرون عليها واستدل به أكثر المفسرين على أن شكل الأرض بسيط ليس بكروي {وَالسَّمَآءَ} اِخْلَكْدُ اِجَنَّاوَنْ {بِنَآءً} اِكِينْ ايفيلْ اِلَّانْ دَنَّكِّوَنْ أي سقفاً مرفوعاً قيل إذا تأمل المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله تعالى عليها والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد ثم امتن عليهم بإنزال الماء من السماء فقال {وَأَنزَلَ} اِرَزَّبَّدُّ {مِنَ السَّمَآءِ} ضَغْ جَنَّاوَنْ يعني السحاب {مَآءً} آمَانْ يعني المطر وأصل ماء موه قلبت الواو لتحركها وانفتاح ما قبلها ألفا فصار

ماه فاجتمع حرفان خفيفان فقلبت الهاء همزة لأنها أجلد وهي بالألف أشبه {فَأَخْرَجَ} اِسَّكِمَصْو {بِهِ} سَرْسَنْ أي بذلك الماء {مِنَ الثَّمَرَاتِ} ضَغْ اَنُّوعَنْ اَنْتِنَاوِينْ جمع ثمرة {رِزْقًا لَّكُمْ} اَرَّظَغْ يَاوَنْ والمعنى أخرجنا لكم ألواناً من الثمرات وأنواعاً من النبات ليكون ذلك متاعاً لكم وعلفاً لدوابكم إلى حين وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد ولكن له في الإنشاء مدرجاً من حال إلى حال صنائع وحكماً يجدد فيها لأولي الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إيجادها دفعة {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا} زَمَ تَصَّانَمْ ضَغَ اَدِي آدِزَ اَدْوَرْتَكِمْ يَاللهُ اِمَادْرَاوَنْ ضَغَ الْعِبَادَ جمع ند وهو المثل والنظير وفي جعله جمع نديد نظر النحاس "أندادا" مفعول أول و"لله" في موضع الثاني {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} كَوَنَيْ تَصَّانَمْ آسْ اَنْتَ اَدِّخَالَّكَنْ اَصَّنْمَنْ نَوَنْ وَرَاَفْرِيكَنْ آخْلُكْ اَنْوَلَا ابتداء وخبر والجملة في موضع الحال والخطاب للكافرين والمنافقين أي تعلمون بعقولكم أن هذه الأشياء والأمثال لا يصح جعلها أنداداً لله وأنه واحد خالق لجميع الأشياء وأنه لا مثل له ولا ند ولا ضد (٢٢) {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ} كُتُوتَلَّامْ ضَغَ الشَّكْ أي شك لأن الله عليم بأنهم شاكون {مِّمَّا نَزَّلْنَا} ضَغْ اَوَدُوزَزَّبِي {عَلَى عَبْدِنَا} فَلَ اَكْلِينِينْ مُحَمَّدْ صَلَى الله عليه وسلم ضَغَاسْ اللهُ اَدِفَلْ أن القرآن أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم للتفخيم لأن قبله اعبدوا ربكم فكان حق المقام أن يقول مما نزل على عبده والعبد مأخوذ من التعبد وهو التذلل وعبدنا إضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم والتنزيل التدريج والتنجيم {فَأْتُوا} آدِزَ تَاصِمْصُو {بِسُورَةٍ} اَتَّصَارْنَاتْ اِيَّ أي من سوره والسورة الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص سميت

بذلك لأنها مشتملة على كلماتها كاشتمال سور البلدة عليها وأقل ما تتألف منه السورة ثلاث آيات {مِّن مِّثْلِهِ} تَمُوصَتْ ثُلَاتْنِيتْ الضمير عائد على القرآن عند جمهور أهل العلم وقيل على التوراة والإنجيل لأن المعنى إنها تصدق ما فيه وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى من بشر مثل محمد صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب ولا يقرأ والأول أوجه وأولى ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل لا في المنزل عليه {وَادْعُوا} تَغْرِيمْ {شُهَدَآءَكُم} إِمَلَانْ نَوَنْ وِنْتَعْبَدَمْ جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو المعاون والمراد هنا الآلهة أي استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها {مِّن دُونِ اللهِ} وَرْنَمُوصْ اللهُ يَكَوَنَدْ هَلَنْ متعلق بادعوا {إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ} كُتُوتَّلَامْ تَدِّيتِّيمْ ضَغَاسْ مُحَمَّدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكْلَظْ اَتِيدِكَ فيما قلتم إنكم تقدرون على المعارضة وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم أو أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه والأول أولى والصدق خلاف الكذب وهو مطابقة الخبر للواقع أو الإعتقاد أو لهما على الخلاف المعروف في علم المعاني (٢٣) {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا} كُدْ وَرْتَكِيمْ آدِي يعني فيما مضى «لم» تستعمل للماضي {وَلَن تَفْعَلُوا} وَرَاوَنِلْكِيمْ اَتُوتَكَامْ أَبَدًا «ولن» تستعمل للمستقبل أي لن تطيقوا ذلك فيما يأتي وتبين لكم عجزكم عن المعارضة وذلك أن النفوس الأبيَّة إذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لأتوا به فحيث لم يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصاً على إطفاء نوره وإبطال أمره ثم مع هذا الحرص

الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي الذراري وأخذ الأموال والقتل وإذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك وجب ترك العناد وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها لأنها لم تقع المعارضة من أحد من الكفرة في أيام النبوة وفيما بعدها وإلى الأن وقد كرر الله سبحانه تحدي الكفار لهذا في مواضع من القرآن منها هذا ومنها قوله تعالى في سورة القصص "قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين" وقال في سورة سبحان "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" {فَاتَّقُوا النَّارَ} آدِزَاكِوَتْ آغَرْ كَرِيوَّنْ أَتِيمْسَيْ سَتَّظَّكِّظَنَمْ سَ اللهُ بالإيمان بالله وكتبه ورسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه وقيل المعنى فاحترزوا من إنكار كونه منزلاً من عند الله فإنه مستوجب للعقاب بالنار {الَّتِي} تيمْسَيْ تَدِي {وَقُودُهَا النَّاسُ} اَسْ صُّوكَانّيتْ اَيْتِيدَنْ {وَالْحِجَارَةُ} اَتُّهُونْ أي حطبها والوقود بالفتح الحطب وبالضم التوقد وقيل كل من الفتح والضم يجري في الآلة والمصدر والمراد بالحجارة الأصنام التي كانوا يعبدونها لأنهم قرنوا أنفسهم بها في الدنيا فجعلت وقوداً للنار معهم {أُعِدَّتْ} تَتِيوَسَمكِّنيتْ {لِلْكافِرِينَ} يِكُوفَارْ أي لمن كان مثل ما أنتم عليه من الكفر قاله ابن عباس والمعنى جعلت عدة لعذابهم وهيئت لذلك (٢٤) {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} بَشَّرْ اِونْدِي اَظَّكِّظَنّينْ سَاللهُ {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} اَمُّوزَلَنْ اِمَازَالَنْ وِنْهُوصَّيْنينْ لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين {أَنَّ لَهُمْ} أَسْ اِلَّاَسَنْتُو أي بأن لهم موضع أن نصب بنزع الخافض {جَنَّاتٍ} اَلْجَنّتينْ جمع جنة وهي البساتين

دانجي

{تَجْرِي) اَسُنْ كَايَنْ أي على ظهر الأرض من غير حفيرة بل هي متماسكة بقدرة الله (مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} إغْزَرَانْ دَوْكَرُوسَنْ نَسْنَتْ أي من تحت قصورها وهي أنهار من ماء وأنهار من عسل وأنهار من لبن وأنهار من خمر لذة للشاربين {كُلَّمَا رُزِقُوا} اَكُلّ نِتَوَشَتْشَنْ {مِنْهَا} ضَغْ الْجَنَّتِينْدِ {رِزْقًا} اَتَوَشَتْشَ أي أطعموا من الجنة طعاماً {قَالُوا} اَدَنِّينْ {هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا} وَادَ اَرَطْ اَنْتَ وَدِ نَتَوَشَتْشَ {مِن قَبْلُ} دَاتْوَ في الدنيا {وَأُتُوا بِهِ} تَاوَاصِنْدُو دَرَسْ {مُتَشَابِهًا} أُولَا ضَغَ اَلَمْ اِمَزْرَيْ ضَغْ طِينْبَيْ وصف آخر للجنات أو جملة مستأنفة والمراد أنه شبيهه ونظيره {وَلَهُمْ} اِلَّاسَنْتُو {فِيهَا} ضَغَسْنَتْ {أَزْوَاجٌ} شِنَرَاكِينْ {مُّطَهَّرَةٌ} تِوَزَزْدَكِنِينْ ضَغَ اَكُلّ نَرَطْ وَيْسَنَّكْلَفَنْ أي في الجنات من الحور العين المطهرة من البول والغائط والحيض والولد وسائر الأقذار{وَهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ} اَنْتَنَيْ اَدَغْلَلَنْ ضَغَسْنَتْ أي ماكثون أبداً والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع(٢٥) {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {لَا يَسْتَحْيِ} وَرْدَرْوَنُولَا وَرِتَوَوَصِّيفْ أَسْتَكَرَاكِتْ {أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا} ضَغْ اَدكُو الْمَثَلْ أَيْقَلْ اَرَطْ {بَعُوضَةً} اِمُوصَنْ تَدَاسْتْ قال ابن عباس في رواية أبي صالح لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا" وقوله "أو كصيب من السماء" قالوا الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآيةقوله "أن يضرب مثلا ما" "يضرب" معناه يبين و"أنْ" مع الفعل في موضع نصب بتقدير حذف مِنْ "مثلا" منصوب ب يضرب "بعوضة" في نصبها أربعة أوجه الأول تكون" ما" زائدة و"بعوضة" بدلا من "مثلا" {فَمَا فَوْقَهَا} مَدي اَتَتُوكَرَنْ مَدي تَكَا مَا الزَّايِدْ طَنَّا ضَغْ اَدَكُ الْمَثَلْ تَدَاسْتْ مَدي اَتَتُوكَرَنْ يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في

ربع

الجثة قال الكسائي والفراء الفاء هنا بمعنى إلى وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} أَمَّازَ وِنْدِي أَظَّكْظَنِّينْ بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {فَيَعْلَمُونَ} وِنْدِزَ أَصَّانَنْ {أَنَّهُ) آسْ اَنْتَ اَلْمَثَلْدِي يعني ضرب المثل (الْحَقُّ} الْحَقْ أَيْمُوصْ أي الثابت الواقع موقعه وهو المقابل للباطل{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ} أَمَّا وِنْدِي أَكْفَرْنِينْ {فَيَقُولُونَ} وِنْدِي أَدْكَّاتَّنْ {مَا ذَآ أَرَادَ اللهُ} مُوتَصْ اللهُ {بِهَذَا} أَسْوَادَ أَرَطْ {مَثَلًا} أَسْتِتَاكْ اَلْمَثَلْ أي بهذا المثلوقد اختلف النحويون في"ماذا" فقيل هي بمنزلة اسم واحد بمعنى أي شي أراد الله فيكون في موضع نصب ب"أراد" قال ابن كيسان وهو الجيد وقيل "ما" اسم تام في موضع رفع بالابتداء و"ذا" بمعنى الذي وهو خبر الابتداء ويكون التقدير ما الذي أراده الله بهذا مثلا {يُضِلُّ بِهِ} إِسَاخْرَاكْ سَرَسْ {كَثِيرًا} آكِّينْ ضَغْ كُوفَارْ أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالاً {وَيَهْدِي بِهِ} إِصَانَارْ سَرَسَ {كَثِيرًا} آكِّينْ ضَغْ مُومَنَنْ يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق وحكى القرطبي عن أهل الحق من المفسرين أن المراد بقوله يضل يخذل {وَمَا يُضِلُّ بِهِ} وَرِسَخْرِيكْ سَرَسْ {إِلَّا الْفَسِقِينَ} آرْ إِنَاكْمَاضَنْ فَلْ تَلِيلْتْ يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود ولا خلاف في أن هذا من كلام الله سبحانه(٢٦) {الَّذِينَ} أَتَنِمُوصَنْ وِنْدِي "الذين" في موضع نصب على النعت للفاسقين وإن شئت جعلته في موضع رفع على أنه خبر ابتدا محذوف أي هم الذين {يَنقُضُونَ} تَاطَرْطَارْنِينْ {عَهْدَ اللهِ} أَرْكَوَالْ نَاللهُ وَتَنِيزَّلْزَمْ النقض إفساد ما أبرم من بناء أو حبل أو عهد {مِن بَعْدِ مِيثَقِهِ} دَفَّرْ أَزَظَّوِينِّيتْ فَلَّاسَّنْ الضمير للعهد أو لله تعالى

دعيه إيفالهو غير قيليستمع لعجوزيتماره

قاله السمين وعلى الأول مصدر مضاف إلى المفعول وعلى الثاني مضاف للفاعل "ومن" لابتداء الغاية فإن ابتداء النقض بعد الميثاق والميثاق العهد المؤكد باليمين{وَيَقْطَعُونَ} غَاتَّسَنْ {مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ} أَوَسُومَرْاللهُ سَرَسْ {أَن يُّوصَلَ} آسْ أَدِتَوِصَغْ القطع معروف والمصدر في الرحم القطيعة واختلفوا ما هو الشيء الذي أمر الله بوصله فقيل الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل {وَيُفْسِدُونَ} فَاسَّدَنْ {فِي الأرْضِ} ضَغْ اَمَضَالْ يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه فالمراد بالفساد في الأرض الأفعال والأقوال المخالفة لما أمر الله به كعبادة غيره والإضرار بعباده وتغيير ما أمر بحفظه وبالجملة فكل ما خالف الصلاح شرعاً أو عقلاً فهو فساد {أُولَئِكَ} وِنْدِزَ تَوَوَصَّفْنينْ سَوِدِّتَمَلَنْ اَدِّ إشارة إلى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصّل من الصفات القبيحة {هُمُ الْخَسِرُونَ} أَنْتَنَيْ آكْمَلْنينْ ضَغْ تَغَاسِّرْتْ ابتداء وخبر و"هم" زائدة ويجوز أن تكون "هم" ابتداء ثان "الخاسرون" خبره والثاني وخبره خبر الأول أي المغبونون بإهمال العقل عن النظر (٢٧) {كَيْفَ} مَانَمَّكْ "كيف" سؤال عن الحال وهي اسم في موضع نصب ب"تكفرون" وهي مبنية على الفتح (تَكْفُرُونَ} نَسْتَكَافَّرَمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ {بِاللهِ} سَ اللهُ بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته والخطاب على طريقة الإلتفات أي هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة{وَقَدْ كُنتُم) سِكَّادِ إِكَّاسْ تُوتَلَّامْ هذه الواو واو الحال وقد مضمرة قال الزجاج التقدير وقد كنتم ثم حذفت قد (أَمْوَاتًا} تَمُوصَمْ إِنَمَّطَّانْ يعني نطفاً في أصلاب آبائكم وعلقاً ومضغاً {فَأَحْيَاكُمْ} إِسَّودَرْ

كَوَنْدُو يعني في الأرحام بنفخ الروح وفي الدنيا {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} دَفَّرَادِ اِنْغِوَنْ أي عند انقضاء آجالكم {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} دَفَّرَادِ إِسَّودَرْكَوَنْدُو بالنشور يوم نفخ الصور {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} دَفَّرَادِ اَنْتَ ازَّتَتَوَسُوغَلَمْ أي تردون في الآخرة إلى الله سبحانه فيجازيكم بأعمالكم (٢٨) {هُوَ} اَنْتَ اللهُ {الَّذِي} اَنْتَدِّ {خَلَقَ لَكُمْ} اَدَاوَنْدِخْلَكَنْ {مَافِي الارْضِ} اَوَتِّلَنْ ضَغْ اَمَضَالْ قال ابن كيسان أي خلق من أجلكم ما فيها من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا {جَمِيعًا} كيتْنيتْ قال القرطبي الصحيح في معنى قوله تعالى "خلق لكم ما في الأرض" الاعتبار يدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر الإحياء والإماتة والخلق والاستواء إلى السماء وتسويتها {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ} دَفَّرَادِ أُوطَصْ آخْلُوكْ اَنْجَنَّاونْ أي قصد وأقبل على خلقها وقال القرطبي "ثم" لترتيب الإخبار لا لترتيب الأمر في نفسه وهذه الآية من المشكلات والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه قال بعضهم نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها وذهب إليه كثير من الأئمة وهذا كما روي عن مالك رحمه الله أن رجلا سأله عن قوله تعالى "الرحمن على العرش استوى" قال مالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأراك رجل سوء أخرجوه وعبارة السمرقندي وما أراك إلا ضالا فأخرجوه فطردوه فإذا هو جهم بن صفوان وقال بعضهم نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهذا قول المشبهة وقال بعضهم نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها {فَسَوّيهُنَّ} إِخْلَكَّنْدُو إِزَظَّلَالَقَّنْ إِكِينْ أي أتقن خلقهن كقوله "فسواك فعدلك" أي عدل خلقهن فلا اعوجاج فيه ولا فطور وقيل جعلهن سواء {سَبْعَ سَمَوتٍ} اَصًا جَنَّاوَنْ

مستويات لا صدع فيها ولا فطور وفي هذا التصريح بأن السموات سبع وأما الأرض فلم يأت في ذكر عددها إلا قوله تعالى "ومن الأرض مثلهن" فقيل في العدد وقيل في غلظهن وما بينهن {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} اَنْتَ اَمُوصَنْ اَيْمُوصْ ضَغْ اَكُّلّ نَرَطْ أي يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات (٢٩) {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ} تَكْتَ تَمَلَ اَدِّ اَدِنَّ اَمَلِنَّكْ إذ وإذا حَرْفَا توْقِيت فإذ للماضي وإذا للمستقبل وقد توضع إحداهما موضع الأخرى {لِلْمَلَائِكَةِ} يَنْكَلُوسَنْ جمع ملك بوزن فَعَلٍ قاله ابن كيسان وقيل جَمْعُ مَلْأَكٍ بِوَزْنِ مَفْعَلٍ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ {إِنِّي جَاعِلٌ} إِلّكَنَاسْ نَكْ اَدَكِّ {فِي الأَرْضِ} ضَغْ اَمَضَالْ {خَلِيفَةً} اَلْخَلِيفَةْ إِهَانْ ايدَكِّينْ ضَغْ اَسَكِّتَكِّي نَلْحَكُومَنِينْ "جاعل" هنا بمعنى خالق ذكره الطبري {قَالُوا} اَنَّنَاصْ أي استكشافاً عما خفي عليهم من الحكمة الباهرة وليس باعتراض على الله {أَتَجْعَلُ فِيهَا} آدِسْ آطَرِي اَتَّكِ ضَغْ اَمَضَالْ {مَن يُفْسِدُ فِيهَا} إِزِفْاسَدَنْ ضَغَسْ بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية والفساد ضد الصلاح {وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ} إِسَانْغَالْ إِزْنِتَنْ بغير حق بمقتضى القوة الغضبية كما فعل الجن {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ} نَكَّنَيْ نَسِينَمَكِّيكَّيْ دَوَدَرْ وَرْطَهُّورَ سَتَّسْبِحْ أي نقول سبحان الله وبحمده {بِحَمْدِكَ} نَمِيسَلْسَ دَتَّحْمِدْنَكْ أي حامدين لك أو متلبسين بحمدك فإنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك {وَنُقَدِّسُ لَكَ} نَسِينَمَكِّيكَّيْ دَوَدَرْ وَرْطَهُورَ نَكَنَيْ نُوكَرْ آرَّايْ سَسَتَّخْلَفْ والجملة حال أي فنحن أحق بالاستخلاف {قَالَ} إِنَّاصَنْ {إِنِّي} إِلّكَنَاسِ نَكْ {أَعْلَمُ} اَصَّانَ {مَا لَا تَعْلَمُونَ} آوَرْ تَصّينَمْ وفي هذا الإجمال ما يغني عن التفصيل لأن من علم ما لا يعلم الخاطب له كان حقيقاً بأن يسلم له ما يصدر عنه (٣٠) {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ} إِصَّوصَنْ اللهُ آدَمْ إِصْمَاوَنْ نَرَطَنْ شروع في تفصيل ما

جرى بعد الجواب الإجمالي والتأكيد بقوله {كُلَّهَا} كيتْنَسَنْ يفيد أنه علمه جميع الأسماء ولم يخرج عن هذا شيء منها كائناً ما كان قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة {ثُمَّ عَرَضَهُمْ} دَقَّرَادِ إِزَّزْكِرْتَنْ {عَلَى الْمَلَائِكَةِ} فَلْ اَنكِلُوسَنْ يعني تلك الأشخاص وإنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لتغليب العقلاء عليهم واختلف أهل العلم هل عرض على الملائكة المسميات أو الأسماء والظاهر الأول لأن عرض نفس الأسماء غير واضح {فَقَالَ} إِنَّاصَنْ {أَنبِئُونِي} مَكِّرَدَتِي أي أخبروني أمر تعجيز {بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ} سَصْمَاوَنَ أَنوِنَدَ أَرطَنْ {إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ} كُتُوتَلَّامْ تِكَامْ تِيدَتْ ضَغَاسْ نَكْ وَرُوزَخْلَّكَ إِكَوَنَوُكِّرَنْ مَصْنَطْ أني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منهم وأعلم (٣١) {قَالُوا} اَنَّنَاصْ يعني الملائكة {سُبْحَانَكَ} تَنِمَكِّكَ دَوَدَرْوَرْطَهُورَ تنزيهاً لك وذلك لما ظهر عجزهم {لَا عِلْمَ لَنَا} وَرَانَقُو تَلَّ مَصْنَطْ نَاتِّلَانْ {إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} آرْ اَوَدَانَاتَصَّوصَنَ أي إنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا {إِنَّكَ} إِلّكَنَاسْ كَيْ {أَنتَ العَلِيمُ} كَيْ اَمُوصَنْ ضَغْ اَكُلَّ نَرَطْ أي بخلقك {الحَكِيمُ} تَمُوصَ اَمَطّلِيلَغْ ضَغْ اَوَاتَتَاكِّ كيتْنيتْ أي في أمرك (٣٢) {قَالَ} إِنَّاصْ اللهُ دِيتْكَلَنْ يعني الله تعالى {يَا آدَمُ} يَا اَدَمْ استدل به على أن آدم نبي متكلم {أَنبِئْهُمْ} مَكِّرَدَاسَنْ {بِأَسْمَآئِهِمْ} سَصْمَاوَنَّصَنْ إِمَلَاسَنْتَنْ كيتْنَسَنْ وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لأجلها بأن قال لهم هذا الجرم يسمى القصعة وحكمته وضع الطعام فيه وهكذا {فَلَمَّآ أَنبَأَهُمْ} اَسْ دَاسَنِمكِّرَدْ {بِأَسْمَآئِهِمْ} سَصْمَاوَنَّصَنْ فيه دليل على مزية العلم وأنه شرط في الخلافة وفضل آدم على الملائكة {قَالَ} إِنَّاصَنْ اللهُ دِيتْكَلَنْ يعني الله تعالى {أَلَمْ أَقُل لَّكُم} أَوَاكْ وَرْكِي أَنَّيغَاوَنْ {إِنِّيَ أَعْلَمُ} إِلّكَنَاسْ نَكْ

اَصَّانَ يا ملائكتي {غَيْبَ السَّمَوَاتِ} اَوَيْكَّنْتَلَنْ ضَغْ جَنَّاوَنْ {وَالأَرْضِ} دَمَضَالْ يعني ما كان وما سيكون {وَأَعْلَمُ} أَصَّانَ {مَا تُبْدُونَ} أَوَاتَسِينَفِيلِلَمْ {وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} دَوَسْتُوتَلَّمْ تَغَابَرَّمْتُو أي ما تظهرون وما تسرون (٣٣) {وَإِذْ قُلْنَا} تَكْطَ تَمَلَ أَدِّي اَضَنّي أي واذكر {لِلْمَلاَئِكَةِ} يَنْكَلُوسَنْ نمس والملائكة جمع ملك وقد تقدم {اسْجُدُوا} سَجَدَتْ {لِآدَمَ} يَادَمْ قيل هذا خطاب مع ملائكة الأرض والأصح أنه خطاب مع جميع الملائكة وهو الظاهر من قوله "فسجد الملائكة كلهم أجمعون" {فَسَجَدُوا} اَسَّجَدَنْ كيتْنَسَنْ وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر قيل أول من سجد لآدم جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون والله أعلم {إِلَّا إِبْلِيسَ} آرْ إِبْلِيسْ استثناء متصل لأنه كان من الملائكة على ما قاله الجمهور {أَبي} اَنْتَ أُوكِيْ امتنع من فعل ما أمر به من السجود فلم يسجد فيه رد على الجبرية إذ لا يوصف بالإباء إلا من هو قادر على المطلوب {وَاسْتَكْبَرَ} إِزّْوَرْ إِمَانّتْ فَلْ اَسَّجُودْ يَادَمْ أي تعظم عن السجود لآدم {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} إِلَّيْ ضَغْ وِنَمُوصَنينْ إِكُوفَارْ ضَغْ مَصْنَطْ نَ اللهُ ضَغْ اَلزَلْ أي من جنسهم في علم الله تعالى وإنما وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (٣٤) {وَقُلْنَا} أَنيغَاصْ هو من خطاب الأكابر والعظماء أخبر سبحانه عن نفسه بصيغة الجمع لأنه ملك الملوك {يَا آدَمُ} يَاأَدَمْ {اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ} أَظْضَغْ كَيْ أَتَّنَرَاكْنَكْ {الْجَنَّةَ} الْجَنَّةْ أي اتخذ الجنة مأوى ومنزلاً ومسكناً وهو محل السكون {وَكُلَا مِنْهَا} تَتْشِيمْ ضَغَسْ أي اجمعا بين الإستقرار والأكل من رزق الجنة {رَغَدًا} طيطَّيْ تيلْوَاتْ رغد العيش اتسع ولان أي رزقاً واسعاً ليناً {حُيْثُ شِئْتُمَا} ضَغَ أَدَكِ أَسْطَرَامْ أي في أي مكان من الجنة شئتما {وَلَا

تَقْرَبَا} مِشَانْ أَدْوَرْتِيهَاظَمْ {هَذِهِ الشَّجَرَةَ} وَادَ اَتَّبَاتْ تَادَ تَاشَكْ يعني للأكل والقرب الدنوواختلف أهل العلم في تعيين هذه الشجرة فقيل هي الكرم وقيل هي السنبلة قاله ابن عباس وله عنه طريق صحيحة وقيل التين وقيل الحنطة وقيل اللوز وقيل النخلة {فَتَكُونَا} تَمَلَمْتُو عطف على "تقربا" فلذلك حذفت النون أو نصب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي وزعم الجرمي أن الفاء هي الناصبة وكلاهما جائز {مِنَ الظَّالِمِينَ} ضَغْ وِنَضْلَمْنِينْ إِمَاتَّصَنْ يعني إن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما (٣٥) {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ} إِسَرَّابَتَنْ الشَّيْطَانْ إِكَّسْتَنْدُو أي استزل آدم وحواء {عَنْهَا} فَلْ الْجَنَّةْ أي الجنة ودعاهما إلى الزلة وهي الخطيئة {فَأَخْرَجَهُمَا} إِصَكِّمَضْطَنْدُو {مِمَّا كَانَا فِيهِ} ضَغْ أَوَسْتَلَّنْ ضَغَسْ ضَغْ تَنَافُلِتْ أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية وقيل الضمير للجنة {وَقُلْنَا} أَنّيغَاسَنْ {اهْبِطُوا} زَبَّتَتْ سَمَضَالْ حذفت الألف من "اهبطوا" في اللفظ لأنها ألف وصل وحذفت الألف من "قلنا" في اللفظ لسكونها وسكون الهاء بعدها أي انزلوا إلى الأرض خطاب لآدم وحواء وخوطبا بما يخاطب به الجمع لأن الاثنين أقل الجمع عند البعض من أئمة العربية وقيل إنه خطاب لهما ولإبليس وللحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حواء بجدة وإبليس بالأبلة من أعمال البصرة والحية بأصبهان وقيل خطاب لهما ولذريتهما لأنهما لما كانا أصل هذا النوع الإنساني جعلا بمنزلته ويدل على ذلك قوله {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} أيديسْنَوَنْ أَزَنْكُو نَديسْ {وَلَكُمْ} إِلَّاوَنْتُو {فِي الأَرْضِ} ضَغْ اَمَضَالْ {مُسْتَقَرٌّ} أَهَنْسَادْرَرْ المراد بالمستقر موضع الاستقرار {وَمَتَاعٌ} أَدْسَتَّمْتَاعْ المتاع ما يستمتع به من المأكول والمشروب والملبوس

ونحوها

ونحوها أي بلغة ومستمتع {إِلَى حِينٍ} هَارْ اَلْوَقْ وَنَّريزْ أَنْتَمَاصْطَانينْ نَوَنْ أي إلى وقت انقضاء آجالكم واختلف المفسرون في قوله "حين" فقيل إلى الموت وقيل إلى قيام الساعة (٣٦) {فَتَلَقَّي آدَمُ} أوبَطْدُ آدَمْ {مِن رَّبِّهِ} غُرْ أَمَلِينّيتْ {كَلِمَاتٍ} تَاوَلِينْ أَدَاسِلْهَامْ إِطَّرْ سَرَسْنَتْ ومعنى التلقي أخذه لها وقبوله لما فيها وعمله بها واختلف السلف في تعيين هذه الكلمات فعن ابن عباس قال هي قوله "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" وعنه قال علم شأن الحج وهي الكلمات وعن عبد الله بن زيد قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين {فَتَابَ عَلَيْهِ} إِقْبَلْ تَتُوبْنيتْ أي فتجاوز عنه وغفر له وكان ذلك في يوم عاشوراء في يوم جمعة {إِنَّهُ} إِلّكَنَاسْ أَنْتَ اللهُ {هُوَ التَّوَّابُ} أَنْتَ أَمِيكَتْ نَلْقَبُولْ أَنْتَتُوبْتْ أي الرجاع على عبادة بقبول التوبة {الرَّحِيمُ} نَمِيكَتْ أَنْتَهَانِينْتْ بخلقه (٣٧) {قُلْنَا} أَنّيغَاسَنْ {اهْبِطُوا} زَبّتَتْ {مِنْهَا} ضَغْ الْجَنَّةْ {جَمِيعًا} كيتْنَوَنْ حال مؤكدة أي اهبطوا أنتم أجمعون {فَإِمَّا يَاتِيَنَّكُم} دَفَّرَادِ كُدِ إِقَّلْ آسْ أُوصِيوَنِينْ "إن" شرط و"ما" زيدت لتقوية الشرط ولذلك دخلت نون التوكيد وعبر بإن دون "إذا" مع تحقق مجيئ الهدى لأنه غير واجب عقلاً وجملة الشرط الثاني وجوابه، جواب الشرط الأول {مِّنّي} غُورِي {هُدًى} طَانُورَيْ تَمُوصَتْ الْكَتَّابْ مَدَيْ أَنَمَّازُولْ أي رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول {فَمَن تَبِعَ هُدَايَ} آدِزَ وَيْلّيلَنْ طَا نُورَيْنِينْ إِطَّكِّطَنْ سَرِي {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} وِنْدِيزَ وَلَا طَص فَلَّاسَّنْ فيما يستقبلهم وقيل عند الفزع الأكبر {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وَرْتَلّينْ أَدْ مَغَلْشينْ ضَغْ الاَخِرَةْ أي على ما خلفوا وفاتهم من الدنيا وقال ابن جبير لا خوف عليهم في الآخرة ولا

يحزنون للموت (٣٨) {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وِنْدِي أَكْفَرْنينْ أي جحدوا عطف على "فمن تبع" قسيم له {وَكَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا} سَبَّهَوَنْ أَلَايتينِينْ أي بالقرآن {أُولَئِكَ} وِنْدِي {أَصْحَبُ النَّارِ} أَنْتَنَيْ مَصَّاوَصْ أَنْتَمْسَيْ أي يوم القيامة {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} أَنْتَنَيْ أَدَغْلَلَنْ ضَغَسْ أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها، وبقي قسم ثالث وهو من آمن ولم يعمل الطاعات فليس داخلاً في الآيتين (٣٩) لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصا وهم اليهود وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم وتارة بالتخويف وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وسلم بتوبيخات أخر فقال تعالى {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} يَا مَدَّانَسْ أَنْيَعْقُوبْ نداء مضاف علامة النصب فيه الياء وحذفت منه النون للإضافة اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم عليهم السلام ومعناه عبد الله {اذْكُرُوا} أَكْتَطْ {نِعْمَتِي} أَنَّعْمَتِينَ {التِي} تَدِي {أَنْعَمْتُ} أَنْعَمَ {عَلَيْكُمْ} فَلْ مَرْوَنَوَنْ سَتَتَّكُّوضِيَمْ أَسْتَلِيلْتِينْ أي اشكروا وإنما عبر عنه بالذكر لأن من ذكر النعمة فقد شكرها {وَأَوْفُوا} تَسَنْدِمْ {بِعَهْدِي} سَرْكَوَالِنْ وَكَوَنَزَلْزَمَ أَتِّمُوصَنْ أَظَكْظَانْ أَسْ مُحَمَّدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أي امتثلوا أمري يقال أوفى ووفى مشدداً ووفى مخففاً ثلاث لغات بمعنى واحد واختلف أهل العلم في العهد المذكور في هذه الآية ما هو فقيل هو المذكور في قوله

تعالى

تعالى "خذوا ما آتيناكم بقوة" وقيل إن المراد من هذا العهد ما أثبته في الكتب المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيبعثه على ما صرح بذلك في سورة المائدة بقوله "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل" إلى قوله "لأكفرن عنكم سيآتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار" {أُوفِ} أَدَسَنْدَ {بِعَهْدِكُمْ} سَرْكَوَالْ وَدَاوَنَتْكَلَ أَتِمُوصَنْ الْجَنَّةْ أي بما ضمنت لكم من الجزاء {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} تِكْصَاضَمِ نَكْ غَاسْ أي فخافون في نقضكم العهد وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص والفاء جواب أمر مقدر أي تنبهوا فارهبون أو زائدة وسقطت الياء من قوله فارهبون لأنه رأس آية (٤٠) {وَآمِنُوا} تَظَّكِّظَنْمْ {بِمَا أَنزَلْتُ} سَوَدُوزَزَّبِّي يعني القرآن {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} اَلْحَالْ أَنَّميلْنيتْ إِسَيدَتَّتْ أَوَتِلَّنْ دَرْوَنْ أي لما في التوراة من التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم {وَلَا تَكُونُوا} أَتُووَرْتَمَلَمْ {أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} تَمُوصَمْ تِزَارَتْ نِيكْفَارَنْ سَرَسْ المراد أهل الكتاب لأنهم العارفون بما يجب للأنبياء وما يلزم من التصديق أي لا تكونوا يا معشر اليهود أول كافر بهذا النبي صلى الله عليه وسلم مع كونكم قد وجدتموه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، مبشراً به في الكتب المنزلة عليكم {وَلَا تَشْتَرُوا} أَدُو وَرْتَسَمَّسْكَلَمْ {بِئَايَاتِي} ضَغْ أَدَكِْ نَلَايَتِينِنْ سَتَنَتَّغَابَّرَمْ {ثَمَنًا قَلِيلًا} اَتَّمَنْ دَرُوسَنْ أَتِمُوصَنْ أَرِيصْ نَدَّنيتْ أي لا تستبدلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة عوضاً يسيراً من الدنيا لأن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له وهذه الآية وإن كانت خطاباً لبني اسرائيل ونهياً لهم فهي متناولة لهذه الأمة بفحوى الخطاب أو بلحنه فمن أخذ من المسلمين رشوة على إبطال حق أمر الله

به أو إثبات باطل نهى الله عنه أو امتنع من تعليم ما علمه الله وكتم البيان الذي أخذ الله عليه ميثاقه به فقد اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} تِكْصَادَمِي نَكْ غَاسْ بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن حطام الدنيا (٤١) {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ} أَدْ وَرْ تَسِيمَسَلْسِمْ اَلْحَقْ وَدُو زَزَّبّي {بِالْبَاطِلِ} أَدْ بَاطِّيلْ وَدُو تَكَالَّظَمْ أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} أَدْوَرْ تَغَابَّرَمْ اَلْحَقْ لما فيه من الضرر والفساد يجوز أن يكون معطوفا على "تلبسوا" فيكون مجزوما ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أن التقدير لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه أي وأن تكتموه {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} سِكَّادِ كَوَنَيْ تَصَّانَمْ آسْ اَلْحَقْ جملة في موضع الحال فيه أن كفرهم كفر عناد لا كفر جهل وذلك أغلظ للذنب وأوجب للعقوبة (٤٢) {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أَتَّظِيظَلُولُغَمْ آمُودْ {وَآتُوا الزَّكَاةَ} تَهَاكَّمْ تَمَصَّضَكْ المراد هنا الصلاة المعهودة وهي صلاة المسلمين يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} أَتَّتِيمُودِمْ دَرْ وِنْتِمُودْنِينْ أي صلوا مع المصلين يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم (٤٣) {أَتَامُرُونَ النَّاسَ} آدِيسْ آطَرَمْ أَتَّتَامَرَمْ أَيْتِيدَنْ {بِالْبِرِّ} أَسْتَلِيلْتْ الهمزة للاستفهام مع التوبيخ للمخاطبين {وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ} تُويَّامْ إِمَانَّوَنْ وَرْتَنتَتِيمَرَمْ تتركونها فلا تأمرونها به {وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ} سِكَّادِ كَوَنَيْ تَغَارَّمْ اَلْكَتَّابْ أَنَّتَوْرِيةْ أَسْتِلَّاضَغَسْ أَدُومِيمْ فَلْ أَمْزِرِي نَمَازَالْ نويدَنْ طَنَّاتِّيتْ جملة حالية مشتملة على أعظم تقريع وأشد توبيخ وأبلغ تبكيت أي كيف تتركون البر الذي تأمرون الناس به وأنتم من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل وشدة الوعيد عليه {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أَوَاكْ وَرِنْزَتَكِّرِيمْ

نصف الحزب

تزاك يتقمت

تَلَّابَسْتْ نَمَازَالْ نَوَنْدِي تَقَّلَمْدُو ضَغَسْ استفهام للإنكار عليهم والتقريع لهم وهو أشد من الأول (٤٤) {وَاسْتَعِينُوا} أَكِمِيَتْ تَادْهَلْتْ {بِالصَّبْرِ} أَسْتَظَيْضَارْتْ {وَالصَّلَاةِ} دَمُودْ قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون وقيل اليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر وأفرد الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات تعظيماً لشأنها واختلف المفسرون في مرجع للضمير في قوله {وَإِنَّهَا} إِلّكنَاسْ أَنْتَ آمُودْ {لَكَبِيرَةٌ} إِشَقَّا فقيل إنه راجع إلى الصلاة وإن كان المتقدم هو الصبر والصلاة فقد يجوز إرجاع الضمير إلى أحد الأمرين المتقدم ذكرهما كما قال تعالى "والله ورسوله أحق أن يرضوه" إذا كان أحدهما داخلاً تحت الآخر بوجه من الوجوه {إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} آرْ فَلْ وِنَزَّنَزْنينْ يَ اللهُ أَرْضَانْ أَسْتَلِيلْتْنيتْ "إلا" استثناء مفرغ وشرطه أن يسبق بنفي فيؤول الكلام هنا بالنفي أي إنها لا تخف ولا تسهل إلا "على الخاشعين" يعني المؤمنين (٤٥) {الَّذِينَ} أَنْتَنَيْ اَدِّي في موضع خفض على النعت للخاشعين ويجوز الرفع على القطع {يَظُنُّونَ} سَلَّاكَنّينْ أي يستيقنون وقيل يعلمون والظن هنا عند الجمهور بمعنى اليقين {أَنَّهُم} آسْ أَنْتَنَيْ {مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ} أَدَمَّنَيَنْ دَمَلِ نَّسَنْ في الآخرة بعد البعث للحساب {وَأَنَّهُم إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} دَاسْ أَنْتَنَيْ أَدَقَّلَنْ سَرَسْ إقرار بالبعث وما وعد الله به في اليوم الآخر (٤٦) {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} يَا مَدَّانَسْ أَنْ يَعْقُوبْ {اذْكُرُوا} أَكْطَطْ {نِعْمَتِي} اَنِّعْمَتِينْ {الَّتِي} تَدِي {أَنْعَمْتُ} أَنْعَمَا {عَلَيْكُمْ} فَلْ مَرْوَنْ نَوَنْ سَتَتَّكُوضِيَمْ إنما كرر ذلك سبحانه توكيداً للحجة عليهم وتحذيراً لهم من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرنه بالوعيد وهو قوله

"واتقوا يوماً" {وَأَنِّي} دَاسْ نَكْ {فَضَّلْتُكُمْ} صَصَّافَ إِمَرْوَن نَّوَنْ {عَلَى العَالَمِينَ} فَلْ تَخَلَّاكْ نَزَّمَانْ نَسَنْ يعني على عالمي زمانكم فلا يتناول من مضى ولا من يوجد بعدهم (٤٧) {وَاتَّقُوا يَوْمًا} تِكْصَاضَمْ أَزَلْ أي واخشوا عذاب يوم أمر معناه الوعيد والمراد باليوم يوم القيامة {لَا تَجْزِي نَفْسٌ} أَضَغْ وَرْزَاطَرْغَمْ طَمِينْتْ لا تكفي ولا تقضي {عَن نَّفْسٍ} فَلْ إِيَّتْ طيمينْتْ {شَيْئًا} آتِّلَانْ ضَغْ الْعَذَابْ يعني حقاً لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئاً مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ} وَرْ تَوَقْبِلْنَتْ ضَغَسْ طنَاغِينْ أي في ذلك اليوم وذلك أن اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك {وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} وَرِتَتَرْمِيصْ ضَغَسْ اَلْفِدَ أي فدية {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} وَرْتَلِّينْ أَتَوَكْدَلَنْ ضَغْ اَلْعَذَابْ أي لا يمنعون من العذاب (٤٨) {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم } تَكْطِيمْ ضَغِينْ أَدِّي أَدْ سَغَّلَّسَ إِمَرْوَنْ نَوَنْ "إذ" في موضع نصب عطف على "اذكروا نعمتي" {مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ} ضَغْ فِرْعَوْنَ دَغْلَاكْنيتْ أي واذكروا إذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتده نعمة ومنة عليهم لأنهم نجوا بنجاة أسلافهم وهذا شروع في تفصيل نعم الله عليهم وفصلت بعشرة أمور تنتهي بقوله "وإذ استسقى موسى" {يَسُومُونَكُمْ} زِكَظَنْكِيظِينْكَوَنْ أي يكلفونكم ويولونكم قاله أبو عبيدة وقيل يذوقونكم ويلزمونكم إياه {سُوءَ الْعَذَابِ} أَمِيسَصْ نَ الْعَذَابْ أي أشده وأسوأه وأفظعه وإن كان كله سيئاً {يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ} أَتِّمُوصَنْ آسْ كَّازَّمَنْ مَدَّانَوَنْ ونْيَيَّنْ قرأ الجمهور "يذبحون" بالتشديد على المبالغة {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ} تَايَّنْدُو أَشْيَكَّوَنْ شِنْتَنْتَاوِينْ والمراد يتركون نساءكم أحياء ليستخدموهن ويمتهنوهن وإنما أمر بذبح الأبناء واستحياء النساء

لأن الكهنة أخبروه بأنه يولد مولود يكون هلاكه على يده {وَفِي ذَلِكُم} إِلَّيْ ضَغْ الْعَذَابْ دِي أَدِتَمَلَنْ أَدِّي {بَلَاَءٌ} اَلْبَلَا {مِّن رَّبِّكُمْ} أَدِفَالَنْ غُرْ أَمَلِ نَوَنْ {عَظِيمٌ} مَقَّرَنْ مَدي إِلَّيْ ضَغْ اَسَغَّلَسْ دِي النِّعْمَةْ أَدُّوتَفَالَتْ أَمَلِ نَوَنْ زَوَّرَتْ أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق تارة على الخير وتارة على الشر فإن أريد به هنا الشر كانت الإشارة إلى ما حل بهم من النقمة بالذبح ونحوه وإن أريد به الخير كانت الإشارة إلى النعمة التي أنعم الله عليهم بالإنجاء وما هو مذكور قبله من تفضيلهم على العالمين (٤٩) ثم ذكَّرهم الحق تعالى نعمة أخرى وهي فلق البحر وإغراق العدو فقال {وَإِذْ فَرَقْنَا} طَكْطِيمْ ضَغينْ أَدِّي أَدظُونَ {بِكُمُ} سَسَّبَابْ نَوَنْ {اَلْبَحْرَ} أَكِّرَوْ "إذ" في موضع نصب واذكروا أيضاً حين فلقنا {فَأَنْجَيْنَاكُمْ} سَغَّلَسقَّوَنْ ضَغْ أَطَلْمَظْ أي أخرجناكم منه {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ } أَظَّلْمَظَ فِرْعَوْنَ دَغَلَاكْنيتْ آمَانْ فيه، ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكراً لله عز وجل، والمراد بآل فرعون هنا هو وقومه وأتباعه {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} كَوَنيْ تَصْوَاضَمْ سَمَقَّسْ نَكِّرَوْ فَلَّاسَّنْ يعني إلى إهلاكهم وقيل إلى مصارعهم أي حال كونكم ناظرين إليهم بأبصاركم (٥٠) {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسي} طَكْطِيمْ ضيغينْ أَدِّي أَدرْكَوَلَ إِمُوسَى آسْ أَدَكُّو أيدَكٍّ وَنَّ اَلْمِيقَاتْ قرأ أبو عمرو "وعدنا" بغير ألف واختاره أبو عبيد ورجحه {أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} اَزْدَغسِيكٍ أَكُّوظَطْ طَمَرْوينْ أَنْتَهَضْتْ أَتَّكْفَ غُرْ أَرِيزْ نَسْنَتْ التَّوْرِيةْ أربعين نصب على المفعول الثاني وفي الكلام حذف قال الأخفش والزجاج التقدير وإذ واعدنا موسى تمام أربعين ليلة كما قال "وسئل القرية" والأربعون كلها داخلة في الميعاد وهي عند أكثر المفسرين ثلاثون من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وبه قال أبو العالية وكان ذلك بعد أن

جاوز البحر وسأل قومه أن يأتيهم بكتاب من عند الله فخرج إلى الطور في سبعين من خيار بني إسرائيل وصعدوا الجبل وواعدهم إلى تمام أربعين ليلة وقال بعضهم ثلاثين كانت من ذي الحجة وعشرا من المحرم وكانت مناجاته يوم عاشوراء {ثُمَّ اتَّخَذتُّمُ الْعِجْلَ} دقَّرادِ تَكِمْ أَبَرْكُو أَمَلِي أي جعلتم العجل إلهاً {مِن بَعْدِهِ} دَقَّرْ تيكْلينّيتْ أي بعد مضي موسى إلى الطور {وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ كَوَني تَضْلَامَمْ إِمَانّوَنْ سَادِي أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها (٥١) {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم} دَقَّرَادِ أَصّورَفَ فَلَّاوَّنْ أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم {مِن بَعْدِ ذَلِكَ} دَقَّرْ اَلْعِبَادَ نَوَنْ أَبَرْكُوْدِي أي من بعد عبادتكم العجل {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أَنْكِمَاكْ كَوَنَيْ أَتَّكُوضِيَمْ اَنِّعْمَتِينْ فَلَّاوَّنْ ما أنعم الله به عليكم من العفو عن ذنبكم العظيم الذي وقعتم فيه وتستمرون بعد ذلك على الطاعة (٥٢) {وَإِذْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} طَكْطِيمْ ضيغينْ أَدِّي أَدَكْفي مُوسَى اَلْكَتَّابْ أَنَّ التَّوْرِيةْ {وَالْفُرْقَانَ} دِيمُوصَنْ أَنَزَمّيزِّي كِرْ اَلْحَقْ أَدْ بَاطِّيلْ الكتاب التوراة بالإجماع من المفسرين واختلفوا في الفرقان فقال الزجاج إن الفرقان هو الكتاب أعيد ذكره تأكيداً وقيل إن الواو صلة وهي قد تزاد في النعوت {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أَنْكِمَاكْ كَوَني أَطَّنَرَمْ سَرَسْ يعني بالتوراة أي لكي تهتدوا للتدبر والتفكر فيه والعمل والاعتقاد بما يحويه (٥٣) ثم ذكر الحق تعالى كيفية توبة من عبد العجل منهم فقال {وَإِذْ قَالَ مُوسَى} طَكْطِيمْ ضيغينْ اَدِّي أَضِنَّ مُوسَى {لِقَوْمِهِ} إيميدَّنّيتْ تمو يعني الذين عبدوا العجل {يَاقَوْمِ} يَا ميدَّنِينْ منادى مضاف وحذفت الياء في "يا قوم" لأنه موضع حذف والكسرة تدل عليها {إِنَّكُمْ} إِلّكَنَاسْ كَوَنَيْ {ظَلَمْتُم أَنفُسَكُم} تَضْلَامَمْ إِمَانّوَنْ {بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ} سِيكِّينَوَنْ أَبَرْكَوْ أَمَلِي

يعني إلهاً تعبدونه فكأنهم قالوا ما نصنع فقال {فَتُوبُوا} أُتَابَتْ {إِلَى بَارِئِكُمْ} سَمَلِنَّوَنْ أي ارجعوا إلى خالقكم واعزموا وصمموا بالتوبة {فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} تَنْغِمْ إِمَانَّوَنْ سَدَنْغِينْ وِنَبَّرَنينْ وِنْتَعْبَدْنينْ أي اجعلوا القتل متعقباً للتوبة تماماً لها قال القرطبي وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده قيل قاموا صفين وقتل بعضهم بعضاً {ذَلِكُمْ} وَدِدَ أَرَطْ يعني هذا القتل وتحمل هذه الشدة {خَيْرٌ لَّكُمْ} أَنْتَ أُوفَنْ يَاوَنْ لأن الموت لابد منه {عِندَ بَارِئِكُمْ } غُرْ أَمَاخْلَاكْ نَوَنْ من حيث أنه طهرة من الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية {فَتَابَ عَلَيْكُم} إِقْبَلْ اللهُ تَتُوبْتْ نَوَنْ أي فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم وهذه الفاء فاء التفسير وفاء التفصيل وهذا من كلام الله تعالى خاطبهم به على طريق الإلتفات من التكلم الذي يقتضيه السياق إلى الغيبة وقيل إنه من جملة كلام موسى لقومه والأول أولى {إِنَّهُ} إِلّكَنَاسْ أَنْتَ اللهُ {هُوَ التَّوَّابُ} أَنْتَ أَمِيكَتْ نَلْقَبُولْ أَنْ تَتُوبْتْ أي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة البالغ في قبولها منهم {الرَّحِيمُ} نَمِيكَتْ أَنْتَهَانِينْتْ بخلقه (٥٤) {وَإِذْ قُلْتُم يَمُوسى} طَكْطِيمْ ضيغينْ أَدِّي أَطَّنَّمْ أَصَّغَ أَتَدّيوَمْ أَدْ مُوسَي فَل أَتِّكِيمْ الْعَدَرْ ضَغْ أَتَوَعْبَادْ نَبَرْكُو معطوف "يا موسى" نداء مفرد {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ} وَرْسَرَكْزَنَظَّكْظَنْ أي لا نصدقك بأن ما نسمعه كلام الله {حَتَّى نَرَي اللهَ جَهْرَةً} هَارْ نَنِي اللهُ نَعَيَّنْتُو أي عياناً ظاهر السياق أن القائلين بهذه المقالة هم قوم موسى قيل هم السبعون الذين اختارهم ممن لم يعبدوا العجل وذلك أن الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا ذلك

فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه فلما بلغوا هنالك أمرهم موسى بالمكث في أسفل الجبل وصعد هو فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام الله فوقع على الجبل غمام أبيض فغشاه كله وكان موسى عليه السلام إذا ناجى ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فأسمعهم الله تعالى "إنني أنا الله لا إله إلا أنا" أخرجتكم من مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام وأقبل إليهم قالوا "لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة" {فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ} تَبَظْكَوَنْ تَزَرَيَّاتْ طَمّيمْ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل قيل هي الموت وفيه ضعف وقيل سبب الموت {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} كَوَني تَصْوَاضَمْ سَويزَّبينْ ضَغْوَنْ فإنها لو كانت الصاعقة عبارة عن الموت لم يكن لهذه الجملة كثير معنى بل قد يقال إنه لا يصح أن ينظروا الموت النازل بهم إلا أن يكون المراد نظر الأسباب المؤثرة للموت قيل إنهم نظروا أوائل الصاعقة النازلة بهم الواقعة عليهم لا آخرها الذي ماتوا عنده والمعنى ينظر بعضكم إلى بعض كيف يأخذه الموت وكيف يحيا وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم لأنهم طلبوا ما لم يأذن به الله من رؤيته في الدنيا (٥٥) {ثُمَّ بَعَثْنَاكُم} دَقَّرَادِي أَسَنكَرَقَّوَنْدُو {مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ} دَقَّرْ طَمَطَّانْتْ نَوْنْ {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أَنْكِمَاكْ كَوَنَيْ أَتَكُّوضِيَمْ أَنِعْمَتِينْ (٥٦) {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ} أَكِي فَلَّاوَّنْ تيلي أَسْتَكِّنَاوينْ ضَغْ اَلْوَقْ وَطَّهَمْ التِّيهْ أي جعلناه كالظلة والغمام جمع غمامة قاله الأخفش قال الفراء ويجوز غمائم {وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ} زَزَّبّيدُو فَلَّاوَّنْ تَضَمْصَنَطْ {وَالسَّلْوى} أَدْ كَضَاضْ أُلَانينْ أَدْجُوغيرَنْ يعني في

/ التيه

التيه قال قتادة أطعمهم ذلك حين برزوا إلى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلتهم طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سقوط الثلج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك فإن تعدى ذلك فسد ما يبقى عنده حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه فبقي عنده لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر المعيشة ولا لطلبة شيء وهذا كله في البرية وقد ذكر المفسرون أن هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقالوا لموسى "اذهب أنت وربك فقاتلا" وسيأتي بسطه في سورة المائدة إن شاء الله {كُلُوا} أَنّغَاوَنْ أَتْشَتْ فيه حذف تقديره وقلنا لهم كلوا فحذف اختصار الدلالة الظاهرة عليه {مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ} ضَغْ مِيظَضَنْ نَوَكَوَنَكْفي أَدْ وَرْتَغْبَرَمْ أَمَّزْرَيَنْ آدِي أَغْبَرَنْ ولا تدخروا لغد استدل به على أن الضيف لا يملك ما قدم له وأنه لا يتصرف إلا بإذن {وَمَاظَلَمُونَا} وَرِيِيضْلِيمَنْ سَادِي أي وما بخسوا حقنا {وَلَكِن كَانُوا} مِشَانْ أَلَّانْتُو {أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} إِمَانَّسَنْ آضْلَمَنْ بأخذهم أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر وتقديم الأنفس يفيد الاختصاص (٥٧) ثم وبّخهم على ما وقع منهم من المخالفة فقال {وَإِذْ قُلْنَا} طَكْطِيمْ ضَغينْ أَدِّى أَضَنِّي يِمَرْونْ نَوَنْ دَقَّرْ أَكِمَاضْ نَسَنْ ضَغْ التِّيهْ {ادْخُلُوا} اَكِّزَتْ {هَذِهِ الْقَرْيَةَ} تَادَ تَاغْرَمْتْ بَيْتَ المَقْدسْ مَدي أَرِيحَا سميت قرية لاجتماع الناس فيها مجاهد وقال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين {فَكُلُوا مِنْهَا} تَتْشِيمْ ضَغَسْ {حَيْثُ شِئْتُمْ} أيدَكْ أَسْطَرَمْ {رَغَدًا} طيطَّيْ تيلْوَاتْ أمر إباحة ورغداً كثيراً واسعاً

أي أكلاً رغداً {وَادْخُلُوا الْبَابَ} تَكِّزَمْ إِيمِي أَنْتَغْرَمْتْ دِي الذي أمرتم بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة وقيل هو باب القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو اسرائيل ومن قال إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب {سُجَّدًا} تَسِّيجَدَمْ يَ اللهُ مَدي تَزِّينَزَمْ أي منحنين كالراكعين أو خضعاً متواضعين والسجود قيل هو هنا الانحناء وقيل التواضع والخضوع واستدلوا على ذلك بأنه لو كان المراد السجود الحقيقي الذي هو وضع الجبهة على الأرض لامتنع الدخول المأمور به لأنه لا يمكن الدخول حال السجود {وَقُولُوا} طَنِّيمْ عطف على ادخلوا {حِطَّةٌ} أَرَطْ وَانَرَ أَدَانَاتَصُّورَفَ اَطَّصَرْطَكَ فَلَّانَا إِبَكَّاضَنْ نَنَا حطة بالرفع في قراءة الجمهور على إضمار مبتدأ {يُغْفَرْ لَكُمْ} دَاوَنْ تَوَصُورَفَنْ قراءة نافع بالياء مع ضمها وابن عامر بالتاء مع ضمها وهي قراءة مجاهد وقرأها الباقون بالنون مع نصبها وهي أبينها لأن قبلها "وإذ قلنا ادخلوا" فجرى "نغفر" على الإخبار عن الله تعالى والتقدير وقلنا ادخلوا الباب سجدا نغفر ولأن بعده "وسنزيد" بالنون {خطاياكم} بَكَّاضَنْ نَوَنْ أي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لأن المغفرة تستر الذنوب وخطايا جمع خطيئة {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} أَشِّيتَا إِيونْ سَهَّاصَيِّنِينْ سَتَنَكْفَا أُوكَِرَنْ أَوَاستَّحَقَّنْ أي نزيدهم ثواباً أو إحساناً إلى إحسانهم المتقدم وهو اسم فاعل من أحسن (٥٨) {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} سَمَّسْكَلَنْ وِنْدِي أَضْلَمْ نينْ إِمَاتَّسَنْ والأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه بآخر {قَوْلًا} أَكِنْ طَنَّ {غَيْرَ الَّذِي} وَرْنَمُوصْ تَدِي {قِيلَ لَهُمْ} أَدَا سَنْطَطَوَنَّطْ أَنَّنْ أَرَطْ وَانَرَا أَلْكَمَا إِهَانْ بَهُوتَنْ وِنَّا نْظَاضَنْ تُولَسْ أَكِّزَنِينْ تَاغْرَمْتْ

جِيمَتُومُوجَنْ فَلْ أَدَّبُورَنْ نَسَنْ "الذين" في موضع رفع أي فبدل الظالمون منهم قولا غير الذي قيل لهم وذلك أنه قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة على ما تقدم فزادوا حرفا في الكلام فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفا أن الزيادة في الدين والابتداع في الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة أوجبت كل ذلك من العذاب فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود {فَأَنزَلْنَا} زَزَّبّيدُو {عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} فَلْ وِنْدِي أَضْلَمْنينْ هو من وضع الظاهر موضع المضمر لنكتة تقدر في كل محل بما يناسبه تعظيماً كقوله "أولئك حزب الله ألا إن حزب الله" وتحقيراً كقوله "أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان" أو إزالة لبس أو غير ذلك وهي مبسوطة في الإتقان للجلال السيوطي وكما تقرر في علم البيان وهي هنا تعظيم الأمر عليهم ومبالغة في تقبيح فعلهم وشأنهم {رِجْزًا} اَلْعَذَابْ {مِنَ السَّمَآءِ} أَدِكِمَاضَنْ ضَغْ جَنَّاوَنْ يعني عذاباً والرجز العذاب "بالزاي" و"بالسين" النتن والقذر ومنه قوله تعالى "فزادتهم رجسا إلى رجسهم" أي نتنا إلى نتنهم {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} سَسَّبَابْ أَنْتَلْفَسُوقِيَ نَسَنْ أي يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى وفي الأعراف "يظلمون" تنبيهاً على أنهم جامعون بين هذين الوصفين (٥٩)

ربع ثم ذكَّرهم بنعمة الماء الذي سقاهم في التيه فقال {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى} طَكْطِيمْ ضيغينْ أَدّي أَدِكِمَيْ مُوسَى طيصَّيْ {لِقَوْمِهِ} إيميدَّنّيتْ أَصَّغَا وَتَنكِّزْ فَادْ ضَغْ تَنيرَيْ {فَقُلْنَا} أَنّيغَاسْ {اضْرِبْ} أَوَتْ {بِعَصَاكَ} أَسْ طَالَّاقْنَكْ {الْحَجَرَ} تَهُونْتْ تَاتَضَرَّكَطْ دَسَلْسَوْنَّكْ اَلْوَقْ وَتَّشَارَادَا إِوَتَّتْ وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً واسمها عليق وقيل نبغة حملها آدم معه من الجنة

فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى كذا قيل والله أعلم العصا معروف وهو اسم مقصور مؤنث وألفه منقلبة عن واو والجمع عُصيّ وعِصيّ {فَانفَجَرَتْ مِنْهُ} أَنْكِيَنْدُو ضَغَسْ في الكلام حذف تقديره فضرب فانفجرت وقد كان تعالى قادرا على تفجير الماء وفلق الحجر من غير ضرب لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد {اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} مَرَاوَتْ شِطَّاوِينْ أَدْ صَنَاطَتْ أَمَاضِينْ أَنْ تَوْشيتينْ نَسَنْ "اثنتا" في موضع رفع ب"فانفجرت" وعلامة الرفع فيها الألف وأعربت دون نظائرها لأن التثنية معربة أبدا لصحة معناها "عينا" نصب على البيان {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ} إِكَّاسْ أَصَّانَنْ أَكَّلّ نَيْتيدَنْ {مَشْرَبَهُمْ} أيدَكٍّ أَنطَصَّيْ نَسَنْ المشرب موضع الشرب وقيل هو المشروب نفسه وفيه دليل على أنه يشرب من كل عين قوم منهم لا يشاركهم غيرهم قيل كان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها إلى غيرها والأسباط ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب وكل عين تسيل في قناة إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا {كُلُوا} أنيغَاسَنْ أَتْشَتْ في الكلام حذف تقديره وقلنا لهم كلوا المن والسلوى (وَاشْرَبُوا) تَشْوِيمْ أي الماء المتفجر من الحجر {مِن رِّزْقِ اللهِ} ضَغْ اَرَّظَغْ نَ اللهُ فهذا كله من رزقه كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة {وَلَا تَعْثَوْا} أَدْ وَرْتَفَاسَّدَمْ {فِي الأَرْضِ} ضَغْ أَمَضَالْ {مُفْسِدِينَ} أَلْحَالْ أَنَّميلْ نَوَنْ تَغَاشَّدَمْتُو حال مؤكدة قال في الكشاف العثى أشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه انتهى وفي هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع

والكثير ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أعظم منه لأنه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجم الغفير لأن انفجار الماء من بين الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر (٦٠) ولما سئموا من المن والسلوى استبدلوا غيرهما كما أشار إلى ذلك الحق تعالى فقال {وَإِذْ قُلْتُمْ} طَكْطِيمْ ضيغينْ اَدِّي أَطَّنَّمْ ضَغْ التِّيهْ اَلْمَعْنَى إِمَرْوَنْ نَّوَنْ أي اذكروا يا بني إسرائيل إذ قال أسلافكم، وهذا تذكير لجناية أخرى صدرت منهم وإسناد الفعل إلى فروعهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما بينهم وبين أصولهم من الاتحاد {يَا مُوسى} يَا مُوسَى {لَن نَّصْبِرَ} نَكَّنَيْ وَرْنَفْرِيكْ طَظَيْضَارْتْ {عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ} فَلْ أَشَتْشَوْ إِيَّنْدَا {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ} أَغْرَانَا أَمَلِينَّكْ {يَخْرُجُ لَنَا} أَدَانَادِكَّصْ {مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ} ضَغْ أَوَدِيصَكِمَاضْ أَمَضَالْ و"من" في قوله "مما" زائدة في قول الأخفش وغير زائدة في قول سيبويه لأن الكلام موجب {مِن بَقْلِهَا} إِمُوصَنْ أَلْبَقُولَنِّيتْ بدل من "ما" بإعادة الحرف {وَقِثَّائِهَا} دَلْقِسَّاتَنِّيتْ أَرَطَنْ وِنَّابَلْنِينْ ضَغْ فَرْكَانْ عطف عليه وكذا ما بعده فاعلمه {وَفُومِهَا} دَلْكَمَانِّيتْ {وَعَدَسِهَا} أَدْ تَانْزَانْتْ نيتْ {وَبَصَلِهَا} دَلْبَصَلْنِّيتْ هذا تضجر منهم بما صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب والعيش المستلذ {قَالَ} إِنَّاصَنْ يعني موسى عليه السلام لهم وقيل القائل هو الله والأول أولى {أَتَسْتَبْدِلُونَ} آدِيسْ أَدُوتَسَمَّسْكَلَمْ {الَّذِي هُوَ أَدْنَى} أَرَطْ وَدِي سَنْتَ أَيْرَصَنْ أي أخس وأردأ وهو الذي طلبوه والاستبدال وضع الشيء موضع الآخر{بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} ضَغْ أَدَكِّ أَنْوَدِي سَنْتَا أُوفَنْ أُوكِّينْ سَدَّقَّلَنْ إِغْرَسَنْ مُوسَى اللهُ إِطَوَنَّ إِمُوسَى أَنَّاصَنْ أي أشرف وأفضل وهو ما هم فيه {اهْبِطُوا مِصْرًا} زَبَّتَتْ آغْرَمْ إِيَّنْ أي انزلوا مصراً وانتقلوا من هذا المكان إلى مكان آخروظاهر هذا أن الله أذن لهم بدخول

مصر وقيل إن الأمر للتعجيز والإهانة لأنهم كانوا في التيه لا يمكنهم هبوط مصر لانسداد الطرق عليهم إذ لو عرفوا طريق مصر لما أقاموا أربعين سنة متحيرين لا يهتدون إلى طريق من الطرق فهو مثل قوله تعالى "كونوا حجارة أو حديداً" قال الخليل وسيبويه أراد مصراً من الأمصار ولم يرد المدينة المعروفة وهو خلاف الظاهر بل يجوز صرفه مع حصول العلمية والتأنيث لأنه ثلاثي ساكن الأوسط وبه قال الأخفش والكسائي {فَإِنَّ لَكُم} إِلّكَنَاسْ إِلَّاوَنْتُو ضَغَسْ {مَاسَأَلْتُمْ} أَوَاتكِّمَيمْ وَرِيهَا طينيرَيْ إِطَّوَنَّاسَنْ أَوَا فَلُودَمْ وَانْ تَكِّنَا يعني من نبات الأرض "ما" نصب بإنّ {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ} إِتَّوَتْ فَلَّاسَّنْ الذُّلَّا أي على فروعهم وأخلافهم "الذلة" أي الهوان وقيل الجزية وزي اليهودية وفيه بعد والأول أولى والمعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم وألزموا الذل والهوان بسبب قتلهم عيسى في زعمهم والذلة بالكسر الصغار والحقارة والذلة بالضم ضد العجز {وَالْمَسْكَنَةُ} دَلَّقُّو أي الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة {وَبَآءُو} أَكُورَنْ رجعوا يقال باء بكذا أي رجع والمراد أنهم رجعوا {بِغَضَبٍ} مِيسَلْسَنْ دُوكْيَاضْ {مِنَ اللهِ} أَدِّكْمَاضَنْ ضَغْ اللهُ{ذَلِكَ} أَزُّولَّا دِيزَ إِكْرَوْتَنْ {بِأَنَّهُمْ} سَسَّبَابْ نَاسْ أَنْتَنَيْ {كَانُوا} اَلَّانْتُو {يَكْفُرُونَ} أَكْفَارَنْ {بِئَايَاتِ اللهِ} سَلَايَتينْ نَ اللهُ {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِئِينَ} نَاقَّنْ النَّبِيتَنْ معطوف على" يكفرون" وقرأ نافع "النبيئين" بالهمز حيث وقع في القرآن إلا في موضعين في سورة الأحزاب "إن وهبت نفسها للنبي إن أراد" و"لا تدخلوا بيوت النبي إلا" فإنه قرأ بلا مد ولا همز وإنما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين وترك الهمز في جميع ذلك الباقون فأما من همز فهو عنده

صوأتيأ

من أنبأ إذا أخبر واسم فاعله منبئ ويجمع نبئ أنبياء وقد جاء في جمع نبي نبآء{بِغَيْرِ الْحَقِّ} طينَغَيْ أَسَصَّانَنْ آسْ وَرْتَمْوصْ الْحَقْ أي بسبب كفرهم بالله وقتلهم الأنبياء بغير حق يحق عليهم اتباعه والعمل به {ذَلِكَ} آدِيزَ إِكِّ أي ما تقدم من ضرب الذلة وما بعده تكرير الإشارة لقصد التأكيد وتعظيم الأمر عليهم وتهويله {بِمَا عَصَوا} سَسَّبَابْ أَنْتَمَازْرِيتْ نَسَنْ أمري {وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} دَميلْنَسَنْ أُوكَايَنْ تَسَابْدَتْ ضَغْ تَمَازْرِيتْ الاعتداء تجاوز الحد في كل شيء أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي (٦١) {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} إِلّكَنَاسْ وِنْدِي أَظَّكْظَنّينْ سَنَّبِيتَنْ وِنَزَّارْنينْ قيل إن المراد بهم المنافقون بدلالة جعلهم مقترنين باليهود والنصارى والصابئين أي آمنوا في الظاهر والأولى أن يقال إن المراد الذين صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم وصاروا من جملة أتباعه وكأنه سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الملة الإسلامية وحال من قبلها من سائر الملل يرجع إلى شيء واحد وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً استحق ما ذكره الله من الأجر ومن فاته ذلك فاته الخير كله والأجر دقه وجله {وَالَّذِينَ هَادُوا} أَدْ وِنْدِي أَمُوصْنينْ الْيَهُودَنْ معناه صاروا يهوداً قيل هو نسبة لهم إلى يهوذا بن يعقوب بالذال المعجمة فقلبتها العرب دالا مهملة وقيل معنى هادوا تابوا لتوبتهم عن عبادة العجل ومنه قوله تعالى "إنا هدنا إليك" أي تبنا {وَالنَّصَارِي} دَالنَّصَارَي قال سيبويه مفرده نصران ونصرانة كندمان وندمانة ولكن لا يستعمل إلا بياء النسب فيقال رجل نصراني وامرأة نصرانية وقال الخليل واحد النصارى نصري {وَالصَّابِينَ} دَ الصَّابِئَنْ جمع صابيء وقيل صاب، والصابيء في اللغة من خرج ومال من دين إلى دين، ولهذا كانت

العرب تقول لمن أسلم قد صبأ سموا هذه الفرقة صابئة لأنها خرجت من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة وقيل عبدوا الكواكب {مَنَ آمَنَ باللهِ} إِظَّكْظَنَنْ سَ اللهُ في زمن نبينا {وَالْيَوْمِ الآخِرِ} دَزَلْ أَيْلْكَمَنْ {وَعَمِلَ صَالِحًا} إِمُوزَلْ أَمَازَالْ وَيْهُوصَّيَنْ سَشَّرِيعَ وَانْ مُحَمَّدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم بشريعته {فَلَهُم أَجْرُهُمْ} وِنْدِ إِلَّاَسَنْتُو أَرُوزْ نَسَنْ أي ثواب أعمالهموالأجر في الاصل مصدر يقال أجره الله يأجره أجراً وقد يعبر به عن نفس الشيء المجازى به، والآية الكريمة تحتمل المعنيين {عِندَ رَبِّهِمْ} غُرْ أَمَلِي نَسَنْ {وَلاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ} وَلَا طَص فَلَّاسَّنْ {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وَرْتَلِّينْ أَدْمَغَلْشِينْ ضَغْ الاَخِرَةْ و"مَنْ" في قوله "من آمن" في موضع نصب بدل من "الذين" (٦٢) {وَإِذَ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} طَكْطِيمْ ضيغينْ أَدِّي أَضَبَظَ فَلَاوَّنْ أَرْكَوَالْ إِظِيظَوينْ سَمَازَالْ سَوَتِيلَّنْ ضَغْ التَّوْرِيةْ أي عهدكم يا معشر اليهود والمراد أنه أخذ سبحانه عليهم الميثاق أن يعملوا بما شرعه لهم في التوراة أو بما هو أعم من ذلك أو أخص {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ إِكَاسْ صِيهَاكي دَنَّكْوَنْ آضْغَاغْ يعني الجبل العظيم والطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة فيه قال ابن عباس وكان بنو إسرائيل أسفل منه وقيل هو اسم لكل جبل بالسريانية وفي القاموس يطلق على أي جبل كان {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ} أَنِيغَاوَنْ أَبَظَتْ أَوَكَوَنَكْفي أي قلنا لهم خذوا ما أعطيناكم {بِقُوَّةٍ} أَسْكَلِّيِيتْ القوة الجد والاجتهاد {وَاذْكُرُوا} طَكْطِيمْ {مَافِيهِ} أَوَتِّلَّنْ ضَغَسْ تَمَّازَلَمْ سَرْسْ أي ادرسوا ولا تنسوه والمراد بذكر ما فيه أن يكون محفوظاً عندهم ليعملوا به {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أَنْكَمَاكْ كَونيْ أَتَّكِيمْ آغَرْ كَرِيوَّنْ أَتَّمْسَىْ أي لكي تنجو من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى (٦٣) {ثُمَّ

لو ليتم

تَوَلَّيْتُم} دَفَّرَادِي تَسَكَّامَيَمْ فَلْ تَلِيلْتْ نَ اللهُ أصل التولي الإدبار عن الشيء والإعراض بالجسم ثم استعمل في الإعراض عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعاً ومجازاً {مِن بَعْدِ ذَلِكَ} دَفَّرْ وَدِيدَ اَلْمِيثَاقْ أي الميثاق أو رفع الطور أو إيتاء التوراة {فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ} أَنْدَبَ مَكَّتْ نَ اللهُ "فلولا" حرف امتناع لوجود تختص بالجمل الإسمية {عَلَيْكُمْ} فَلَّاوَّنْ بأن تدارككم بلطفه {وَرَحْمَتُهُ} دَرَّحْمَتْنيتْ يَاوَنْ عطف على"فضل" أي لطفه وإمهاله حتى تظهروا التوبة {لَكُنتُمْ} أَتُوتَمَلَمْ جواب "فلولا" {مِنَ الْخَاسِرِينَ} ضَغْ ونَقَّسَّرْنينْ أي المغبونين بذهاب الدنيا والهالكين بالعذاب في العقبى (٦٤) {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ} طَاهُوضَيْ آرْ إِكَّاسْ طَصَّانَمْ أي عرفتم فيتعدى لواحد فقط والفرق بينهما أن العلم يستدعي معرفة الذات وما هي عليه من الاحوال والمعرفة تستدعي معرفة الذات أو الفرق أن المعرفة يسبقها جهل بخلاف العلم ولذلك لا يجوز إطلاقها عليه سبحانه {الَّذِينَ اعْتَدَوْا} وِنْدِي أُوكينينْ تَسَابْدَتْ {مِنكُمْ} ضَغْوَنْ أي جاوزوا الحد {فِي السَّبْتِ} ضَغْ اَزَلْ نَسَّبَتْ أَكِمَرَنْ ضَغَسْ أَنْتَنَيْ تِيوَرْغَمَنْ فَلْ تَكِمَرْتْ ضَغَسْ يقال سبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم {فَقُلْنَا لَهُمْ} أَنّيغَاسَنْ {كُونُوا} أَقَّلَتْ {قِرَدَةً} كَيَاتَنْ {خَاسِئِينَ} أَزَلَّنينْ أَقَلَنْتَنْ أمر تحويل وتسخير وتكوين وهو عبارة عن تعلق القدرة بنقلهم عن الحقيقة البشرية إلى حقيقة القردة أي كونوا مبعدين عن الرحمة مطرودين عن الشرف وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات والخاسيء المبعد ومنه قوله تعالى "ينقلب إليك البصر خاسئاً" أي مبعداً {فَجَعَلْنَاهَا} أَكِيقَّتْ تَدِيدَ تَمَازَالْتْ فقيل المسخة والعقوبة {نَكَالًا} تَسَكْرَتْ تَكْدَالَتْ ضَغْ أَمَازَالْ أَنْتُولَاتْ أَنْوَدِي نصب على المفعول الثاني أي

عقوبة وعبرة والنكال الزجر والعقابوالنكل والأنكال القيود وسميت القيود أنكالا لأنها ينكل بها أي يمنع {لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا} يوَيْهَنْ أَزَّمَانّيتْ ضَغْ تَمَاتِّيوينْ قال ابن عباس والسدي لما بين يدي المسخة ما قبلها من ذنوب القوم {وَمَا خَلْفَهَا} دوَدُوظَاصِينْ دَفَّرَسْ ضَغْ تَمَاتِّيوينْ لمن يعمل مثل تلك الذنوب قال الفراء جعلت المسخة نكالا لما مضى من الذنوب ولما يعمل بعدها ليخافوا المسخ بذنوبهم قال ابن عطية وهذا قول جيد والضميران للعقوبة وروى الحكم عن مجاهد عن ابن عباس لمن حضر معهم ولمن يأتي بعدهم واختاره النحاس قال وهو أشبه بالمعنى والله أعلم {وَمَوْعِظَةً} أَكِيقَّتْ أَلْمَاعِظَ {لِلْمُتَّقِينَ} يِيمِيكْصَضَنْ نَ اللهُ من قومهم أو لكل متق سمعها (٦٦) {وَإِذْ قَالَ مُوسَى} تَكْطِيمْ ضيغينْ أَدّي أَضِينَّ مُوسَى {لِقَوْمِهِ} إيميدَّنّيتْ أَصَّغَا وَدِيتَوَنْغَا ضَغْسَنْ إِيَّنْ وَرَصّينَنْ وَتِّينْغَنْ أَنَّنَاصْ أَكِّمِينَ ضَغْ أَمَلِينَّكْ أَدَانيمَلْ وَتِّنْغَنْ إِنَّاصَنْ مُوسَى توبيخ آخر لأخلاف بني إسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت من أسلافهم أي اذكروا وقت قول موسى لأصولكم وقد قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه والقتيل اسمه عاميل {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {يَأْمُرُكُم} أُومَارْكَوَنْ {أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} سَتَّكْزَمَمْ طَاصَتْ "أن تذبحوا" في موضع نصب ب"يأمركم" أي بأن تذبحوا "بقرة" نصب ب"تذبحوا" قيل إن قصة ذبح البقرة المذكورة هنا مقدم في التلاوة ومؤخر في المعنى على قوله تعالى "وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها" ويجوز أن يكون قوله "إذ قتلتم" مقدماً في النزول ويكون الأمر بالذبح مؤخراً قال الكرخي وإنما أخر أول القصة تقديماً لذكر مساويهم وتعديداً لها ليكون أبلغ في توبيخهم على القتل {قَالُوا} أَنَّنَاصْ {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} آديسْ أَدَانَتّتَاكّا أَرَطْ

أَسْتَتَادَّلَا أي نحن نسألك أمر القتيل وأنت تأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه {قَالَ} إِنَّاصَنْ يعني موسى {أَعُوذُ بِاللهِ} أَكِمَايَ طَاكَّاظْتْ سَ اللهُ أي أمتنع به {أَنَ أكُونَ} ضَغْ أَتَّلِي {مِنَ الْجَاهِلِينَ} ضَغْ وِنْتَادَّلْنين وَلَاوِنْ شِكَلُوكُوشْنينْ أي بالجواب لا على وفق السؤال أو من المستهزئين بالمؤمنين وهذا أبلغ من قولك أن أكون جاهلاً (٦٧) {قَالُوا} أَنَّنَاصْ أَصَّغَ وَدَصَّنَنْ آسْ إِكِّلَايْ {أُدْعُ لَنَا رَبَّكَ} أَغْرَانَا أَمَلِينَّكْ {يُبَيِّنْ لَنَا} أَدَانَيِسَنَّفِيلَلْ مجزوم على جواب الأمر {مَا هِيَ} أَوَاطَمُوصْ ضَغْ ايلَانْ مَنَكيتْ إيلَانّيتْ أي ما سنها ابتداء وخبر {قَالَ} إِنَّاصَنْ {إِنَّهُ} إِلّكَنَاسْ أَنْتَ اللهُ {يَقُولُ} إِنَّاوَنْ {إِنَّهَا } إِلّكَنَاسْ أَنْتَ {بَقَرَةٌ} طَاصَتْ {لَا فَارِضٌ} وَرْنَمُوصْ تَبَغُوتْ {وَلَا بِكْرٌ} وَرْتَمُوصْ تَبَرْكُوتْ أي لا هي كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الصغيرة الفتية التي لم تحمل ولم تلد ويطلق في إناث البهائم وبني آدم على ما لم يفتحله الفحل ويطلق أيضاً على الأول من الأولاد {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} تَمَكَّرِيكَّرِيتْ كِّرَادِي أي نصف بين سنين والعوان المتوسطة بين سني الفارض والبكر وهي التي قد ولدت بطناً أو بطنين ويقال هي التي ولدت مرة بعد مرة والجمع عون بالضم والإشارة إلى الفارض والبكر وهما وإن كانتا مؤنثتين فقد أشير إليهما بما هو للمذكر على تأويل المذكور كأنه قال ذلك المذكور وجاز دخول "بين" المقتضية لشيئين لأن المذكور متعدد {فَافْعَلُوا} أَكِّتْ {مَا تُؤْمَرُونَ} أَوَسْتَتَوَامَرَمْ به أي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (٦٨) {قَالُوا} أَنَّنَاصْ {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} أَغْرَانَا أَمَلِينَّكْ {يُبَيِّن لَّنَا} أَدَانيِسَنَّفِيلَلْ {مَا لَوْنُهَا} مَيْمُوصْ أيلَمْنيتْ "ما" استفهام مبتدأة و"لونها" الخبر ويجوز

نصب "لونها" ب"يبين" وتكون "ما" زائدة {قَالَ} إنَّاصَنْ {إِنَّهُ} إلّكَنَاسْ أَنْتَ اللهُ {يَقُولُ} إنَّاوَنْ {إِنَّهَا} إلّكَنَاسْ أَنْتَ {بَقَرَةٌ} طَاصْتْ {صَفْرَاءُ} أَرَغْتْ {فَاقِعٌ لَّوْنُهَا} تَكْنَاتْ طَرْوَقْ يريد خالصا لونها لا لون فيها سوى لون جلدها اللون واحد الألوان وجمهور المفسرين على أنها كانت جميعها صفراء قال بعضهم حتى قرنها وظلفها ومعنى {تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} تَسِيكُولُوفَتْ وِنَسْوَصْنينْ ضَغَسْ فَلْ تَهُوصَّايْنّيتْ تعجب أي تدخل عليهم السرور إذا نظروا إليها إعجاباً بها واستحساناً للونها (٦٩) {قَالُوا} أَنَّنَاصْ {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} أَغْرَانَا أَمَلِينَّكْ {يُبَيِّن لَّنَا} أَدَانَيِسَنَّفِيلَلْ {مَا هِيَ} أَوَاطَمُوصْ أَوَاكْ تَاتَضَّاتَتْ ضَغْ أَصُوفْ مي تَليكُوتْ أي سائمة أو عاملة {إِنَّ الْبَقَرَ} إلّكَنَاسْ شِيتَانْ {تَشَابَهَ عَلَيْنَا} مَسَلْسَنْتْ فَلَّانَا فَلِيكَتْ نَتَّوْصِيفَنْ نَسْنَتْ وَرْنَصّينْ طَاطَوَاطَصَتْ أي التبس واشتبه أمرها علينا أي إن جنس البقر متشابه عليهم لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة سألوا سؤالا رابعا ولم يمتثلوا الأمر بعد البيان وذكر البقر لأنه بمعنى الجمع ولذلك قال "إن البقر تشابه علينا" فذكره للفظ تذكير البقر {وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ} إلّكَنَاسْ نَكْنَيْ أَنَنَرْ سَرَسْ كُدِ إرَ اللهُ وعدوا من أنفسهم بالإهتداء إلى ما دلهم عليه والامتثال لما أمروا به قيل لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (٧٠) {قَالَ} إنَّاصَنْ {إِنَّهُ} إلّكَنَاسْ أَنْتَ اللهُ {يَقُولُ} إنَّاوَنْ {إِنَّهَا} إلّكَنَاسْ أَنْتَ {بَقَرَةٌ} طَاصْتْ {لَا ذَلُولٌ} أَرْمَاذْ طَوْنَانْ أي ليست مذللة والذلول التي يذللها العمل {تُثِيرُ الأَرْضَ} تَسِيهُكُوتْ أَمَضَالْ سَكِّيَاكْ أي تقلبها للزراعة وإثارة الأرض تحريكها وبحثها {وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ} وَرْتَشَشُو شِوَكَّاسْ أي ليست بسانية يعني من النواضح التي يسنى عليها ويسقى الزرع وحرف النفي الآخر توكيد للأول أي هذه بقرة

غير مذللة بالحرث ولا بالنضح {مُسَلَّمَةٌ} تَسْلَامْ ضَغْ اَلْعِيبْ وَرْتَطِهَا أَدِرِيزْ نَشَّغَلْ أي بريئة من العيوب والمسلمة هي التي لا عيب فيها {لَا شِيَةَ فِيهَا} وَرْ تَطِهَا أَلَمْ وَرْ نَمُوصْ وَانّيتْ أي لا لون فيها غير لونها {قَالُوا} أَنَّنَاصْ {الآنَ} أَمَرَدَّازَ {جِئْتَ بِالْحَقِّ} أَدَانَادُوطُوصي دَسَنَّفِيلَلْ وَيَنْدَنْ. أَكْمَيَنْتَتْ هَرْ تَتَنُوكَطَنْ غُرْ أَبَرَاضْ وَيَسَلَّيِّنْ مَاصْ أَزَّنْزَنْتَدُّو سِيَّتْ نَكَشِيكْنِيتْ ضَغُورَغْ أي أوضحت لنا الوصف وبينت لنا الحقيقة التي يجب الوقوف عندها فحصّلوا تلك البقرة الموصوفة بتلك {فَذَبَحُوهَا} أَكْزَمَنْتَتْ وامتثلوا الأمر الذي كان يسيراً فعسروه وكان واسعاً فضيقوه {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} وَرِينَهُوطَنْ أَدَكِينْ آدِي فَلْ أَظَّوِي نَتَّمَنّيتْ ما أمروا به لما وقع منهم من التثبط والتعنت وعدم المبادرة أي كادوا أن لا يذبحوها وقال بعضهم وما كادوا يفعلون لغلاء ثمن البقرة لأنهم كانوا لا يدركون بقرة بتلك الصفة وروي عن وهب بن منبه أنه قال لم توجد تلك البقرة إلا عند فتى من بني إسرائيل كان بارا بوالديه إلى آخر القصة (٧١) {وَإِذْ قَتَلْتُمْ} طَكْطِيمْ اَدِّي أَطَنْغَمْ {نَفْسًا} طيمينْتْ أي واذكروا يا بني إسرائيل وقت قتل هذه النفس وما وقع فيه من القصة والخطاب لليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وإسناد القتل والتدارىء إليهم لأن ما يصدر عن الأسلاف ينسب للأخلاف توبيخاً وتقريعاً {فَادَّارَأْتُمْ} طَنَّبْضَغَمْ طَمَّظَغَمْ {فِيهَا} ضَغْ وَتَتِينْغَنْ وَرْكَوَنِيهَا إِيرَانْ اَتِطّيهَاظْ اختلفتم وتنازعتم لأن المتنازعين يدرأ بعضهم بعضاً أي يدفعه وأصله تدارأتم ثم أدغمت التاء في الدال ولا يجوز الابتداء بالمدغم لأنه ساكن فزيد ألف الوصل {وَاللهُ} اللهُ {مُخْرِجٌ} أَدِّيسَنَّفِيلَلْ ابتداء وخبر {مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} أَوَسْتُوتَلَّمْ تَغَابَّرَمْتُو "ما كنتم" في موضع نصب ب"مخرج"ويجوز حذف التنوين

على الإضافة "تكتمون" جملة في موضع خبر كان والعائد محذوف التقدير تكتمونه أي ما كتمتم بينكم من أمر القتل فالله مظهره لعباده ومبينه لهم وهذا جملة معترضة بين المعطوف وهو فقلنا اضربوه الخ والمعطوف عليه وهو فذبحوها وهو أول القصة وإنما أخره ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها ببعض وأخرج البيهقي من حديث عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله عليه منها رداء يعرف به" (٧٢) {فَقُلْنَا} أَنّيغَاوَنْ {اضْرِبُوهُ} أَوَتَتُّو {بِبَعْضِهَا} صَرَطْ ضَغْ صَاتّيتْ أَوَتَنْتُو سِيلَسْنيتْ إِدَّرْدُو إِيمَلْ وِنْتَنْغَنينْ تَوَكْلَمَنْ ضَغْ تَكَاصِطْنيتْ يعني القتيل واختلف في تعيين البعض الذي أمروا بأن يضربوا به القتيل فقيل بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين ولا حاجة إلى ذلك مع ما فيه من القول بغير علم ويكفينا أن نقول أمرهم الله بأن يضربوه ببعضها {كَذَٰلِكَ} زُونْ وَادَ أَسُودَرْ {يُحْيِي اللهُ} أَسْدُوزِيسُّودَرْ اللهُ {الْمَوْتى} إِينَمَطَّانْ أي كما أحيا هذا بعد موته كذلك يحيي الله كل من مات يوم القيامة فالكاف في موضع نصب لأنه نعت لمصدر محذوف والغرض من هذا الرد عليهم في إنكار البعث وهذا يقتضي أن يكون الخطاب مع العرب لا مع اليهود لأنهم يقرون بالبعث والجزاء وعلى هذا الجملة اعتراض في خلال الكلام المسوق في شأن اليهود {وَيُرِيكُم} إِصَاكْنيوَنْ اللهُ {ءَايَاتِهِ} أَدَّلِيلَنْ أَنْطَرْنَاتّيتْ أي علاماته ودلائله الدالة على كمال قدرته وهذا يحتمل أن يكون خطاباً لمن حضر القصة ويحتمل أن يكون خطاباً للموجودين عند نزول القرآن والرؤية هنا بصرية {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أَنْكِمَاكْ كَوَني أَتَّصَمَّضْرَنَمْ ضَغْسَنْ أي تمنعون أنفسكم من المعاصي (٧٣) {ثُمَّ} دَفَّرَادِي موضوعة للتراخي في الزمان

ولا تراخي هنا فهي محمولة على الإستبعاد مجازاً { قَسَتْ قُلُوبُكُم} أَقُّورَنْ وَلَّنُّوَنْ يَا وِنْدَ الْيَهُودَنْ أي يبست وجفت وقيل غلظت واسودت وصلبت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه والإشارة بقوله {مِّن بَعْدِ ذَلِكَ} دَقُّرْ أَوَدِّتَمَلَنْدَ إلى ما تقدم من الأيات الموجبة للين القلب ورقته التي جاء بها موسى أو إحياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة روى الترمذي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي" {فَهِيَ} أَنْتَنَيْ إِوَلَّنْ نَوَنْ أي القلوب في الغلظة والشدة {كَالْحِجَارَةِ} أُولاَنْ أَتُّهُونْ ضَغْ تَغَارْتْ أي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه قيل "أو" في قوله {أَوَاَشَدُّ قَسْوَةً} مَدي أُوكَرَنْ تَغَارْتْ شِهُونْ بمعنى الواو كما في قوله تعالى "آثماً أو كفوراً" {وَإِنَّ مِن الْحِجَارَةِ} فَلَاسْ إِلّكَنَاسْ إِلَّيْ ضَغْ تَهُونْ {لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ} شِيَّاضْ أَسْدُونَاكَّيَنْ ضَغَسْنَتْ غَزْرَانْ قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الأسباط و"ما" في قوله " لما يتفجر" في موضع نصب لأنها اسم إنّ واللام للتأكيد"منه" على لفظ ما ويجوز منها على المعنى وكذلك "وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء" {وَإِنَّ مِنْهَا} إِلّكَنَاسْ إِلَّيْ ضَغَسْنَتْ {لَمَا يَشَّقَّقُ} شِيَّاضْ طَاصَرَّاطْنينْ ويشقق أصله يتشقق أدغمت التاء في الشين {فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ} أَكْمَضَنْضُو ضَغَسْنَتْ آمَانْ يعني العيون الصغار التي هي دون الأنهار التفجر التفتح والمراد أن الماء يخرج من الحجارة من مواضع الانفجار والانشقاق {وَإِنَّ مِنْهَا} إِلّكَنَاسْ إِلَّيْ ضَغَسْنَتْ شِيَّاضْ {لَمَا يَهْبِطُ} أَدُوتِيفَطَقَّتْنينْ ضَغْ أَفَلَّ سَرِيصْ {مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} فَلْ تَكْصَضَ نَ اللهُ كَوَنيَ إِوَلَّنْ نَوَنْ

وَرْدَغْسَنْ اِيزَدَرِيزْ أَيْقَّلْ أَرَطْ أي إن من الحجارة لما ينحط من المكان الذي هو فيه إلى أسفل منه من الخشية التي تداخله وتحل به وقيل إن الهبوط مجاز عن الخشوع منها والتواضع الكائن فيها انقياداً لله عز وجل فهو مثل قوله تعالى "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله" واختاره ابن عطية وفي قوله {وَمَا اللهُ} وَرْتِلَّ اللهُ {بِغَافِلٍ} إِزْلَالِينْ {عَمَّا تَعْمَلُونَ} فَلَ أَوَاتَتَامَازَالَمْ من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى "بغافل" في موضع نصب على لغة أهل الحجاز وعلى لغة تميم في موضع رفع والباء توكيد "عما تعملون" أي عن عملكم حتى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها عليكم "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" ولا تحتاج "ما" إلى عائد إلا أن يجعلها بمعنى الذي فيحذف العائد لطول الاسم أي عن الذي تعملونه (٧٤) {أَفَتَطْمَعُونَ} أَوَاكْ أَطَّمَا آتَيَمْ يَا إِمُومَنَنْ الهمزة للاستفهام {أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} صَغْ أَدَاوَنْ اَظَّكِّظَنَنْ الْيَهُودَنْ مع أنهم لم يؤمنوا بموسى هذا الاستفهام فيه معنى الإنكار كأنه آيَسَهُمْ من إيمان هذه الفرقة من اليهود والخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} سِكَّادِي إِكَّاسْ تَلَّانْ إِيَّاضْ ضَغْسَنْ {يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ} سَالَّنْ يَاوَالْ نَ اللهُ ضَغْ التَّوْرِيةْ أي التوراة وقيل إنهم سمعوا خطاب الله لموسى عليه السلام حين كلمه وعلى هذا فيكون الفريق هم السبعون الذين اختارهم موسى {ثُمَّ} دَفَّرَادِي {يُحَرِّفُونَهُ} أَتُوسِيمَلِّيَنْ صَامَطَّايَنْطُو أي يغيرونه ويبدلونه {مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} دَفَّرَ أَسْ تَكِّرَانْ أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أَنْتَنَيْ أَصَّانَنْ آسْ ءَاكْلَظْ أَدَّكَّنْ أَوَاكَّانِّينْ اَدِّي أي ذلك الذي فعلوه هو تحريف

مخالف لما أمرهم الله به من تبليغ شرائعه كما هي فهم وقعوا في
المعصية عالمين بها وذلك أشد لعقوبتهم وأبين لضلالتهم (٧٥) {وَإِذَا حزب
لَقُوا} آمَرْ أَمَنَيَنْ اَلْمُنَافِقَنْ نَلْيَهُودَنْ وأصل "لقوا" لقيوا {الَّذِينَ آمَنُوا} أَدْ
وِنْدِي أَظَّكِظَنِّينْ {قَالُوا} أَدَاسَنَنِّينْ {آمَنَّا} نَكَّنَيْ نَظِيكِظَنْ آسْ مُحَمَّدْ صلى
الله عليه وسلم أَنْتَ النَّبِي وَسِتَوَبَشَّرْ ضَغْ التَّوْرِيةْ نزلت في اليهود قال
ابن عباس إن منافقي اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق
وإنا نجد نعته وصفته في كتابنا {وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُم} آمَرْ إِقَّلْ أديسْ نَسَنْ
الْمَعْنَى اَلْمُنَافِقَنْ دِي آمَرْ أَقَّلَنْ {إِلَى بَعْضٍ} سَديسْ أَتِّمُوصَنْ إِزُوَّارَنْ نَسَنْ
يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب ابن يهودا رؤساء اليهود
لاموا منافقي اليهود على ذلك {قَالُوا} أَدَا صَنَنِّينْ زُوَّارَنْ نَسَنْ
{أَتُحَدِّثُونَهُم} آدِيسْ آطَرَمْ أَتَّامَكِّرَادَمْ يِمُومَنَنْ {بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم}
سَوَكَوَنِيصَّوصَنْ اللهُ ضَغْ التَّوْرِيةْ أَتِّمُوصَنْ أَصَّيْفَةْ أَنْ مُحَمُدْ صلى الله
عليه وسلم وذلك أن ناساً من اليهود أسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدثون
المؤمنين من العرب بما عذب به آباؤهم وقيل إن المراد ما فتح الله
عليهم في التوراة في صفة محمد صلى الله عليه وسلم {لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ}
فَلْ اَكَوَنْ ظَمَظَغَنْ سَرَسْ نصب بلام كي وإن شئت بإضمار أن وعلامة
النصب حذف النون أي ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ألا
تتبعونه {عِندَ رَبِّكُمْ} غُرْ أَمَلِي نَوَنْ أَزَلْ آنْتَبَدَّيْ أَسَّبْدَدَنْ فَلَّاوَّنْ اَلْهِيكَّا في
الدنيا والآخرة {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} آكْ وَرِنْزَتَكِّرِيمْ آدِي تَرَزَمْ ضَغْ أَميلْ يَاسَنْ ما
فيه الضرر عليكم من هذا التحديث الواقع منكم لهم وهذا من تمام مقولهم

(٧٦) ثم وبخهم الله سبحانه فقال {أَوَ لَا يَعْلَمُونَ} أَسْكَانْنْ آدِي أَوَاكْ مَصْنَطْ آوَرَكِينْ أي اليهود {أَنَّ اللهَ} آسْ اللهُ {يَعْلَمُ} إِصَّانْ {مَا يُسِرُّونَ} أَوَاسَاكَنْتَالَنْ {وَمَا يُعْلِنُونَ} دَوَاسِينَفِيلِيلَنْ ما يخفون وما يبدون ويظهرون من جميع أنواع الأسرار وأنواع الإعلان ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وتحريف الكلم عن مواضعه وقال أبو العالية ما يسرون من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم وما يعلنون حين قالوا للمؤمنين آمنا وقد قال بمثل هذا جماعة من السلف (٧٧) {وَمِنْهُم} إِلَّيْ ضَغْ اَلْيَهُودَنْ {أُمِّيُّونَ} إِيَّاضْ اَمُوصْنينْ أَيْتَّلُمُّو اَلْعَوَامْ أي ومن اليهود والأمي منسوب إلى الأمة الأميّة التي هي على أصل ولادتها من أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب ومنه حديث إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب {لَا يَعْلَمُونَ اَلْكِتَابَ} وَرْنَصّينْ اَلْكَتَّابْ آن نَّتَّوْرِيةَ {إِلَّا أَمَانِيَّ} وَرَطّيفَنْ آرْ بَاهُوتَنْ أَضَّبَظَنْ غُرْ زُوَّارَنْ نَسَنْ أي إنهم لا علم لهم به إلا ما هم عليه من الأماني التي يتمنونها ويعللون بها أنفسهم "إلا" ها هنا بمعنى لكن فهو استثناء منقطع كقوله تعالى "ما لهم به من علم إلا اتباع الظن" والأماني جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان لنفسه فهؤلاء لا علم لهم بالكتاب الذي هو التوراة لما هم عليه من كونهم لا يكتبون ولا يقرؤون المكتوب والاستثناء منقطع أي لكن الأماني ثابتة لهم من كونهم مغفوراً لهم بما يدعونه لأنفسهم من الأعمال الصالحة وقيل الأماني الأكاذيب المختلقة قاله ابن عباس أي ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليداً من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً وقيل الأماني التلاوة ومنه قوله تعالى "إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" أي إذا تلى ألقى الشيطان في

تلاوته أي لا علم لهم إلا مجرد التلاوة من دون تفهم وتدبر وقراءة عارية عن معرفة المعنى {وَإِنْ هُمْ} وَرْتَلّينْ أَنْتَنَيْ ضَغْ اَنْكَرَ نَسَنْ النبي صلى الله عليه وسلم "إن" بمعنى ما النافية كما قال تعالى "إن الكافرون إلا في غرور" {إِلَّا يَظُنُّونَ} آرْ تُورْدَ آيَنْ مَرْدَ غَاسْ أي ليسوا على يقين والظن هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم كذا في القاموس أي ما هم إلا يترددون بغير جزم ولا يقين لما ذكر الله سبحانه أهل العلم بأنهم غير عاملين بل يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ذكر أهل الجهل منهم بأنهم يتكلون على الأماني ويعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليدهم على غيره ولا يظفرون بسواه (٧٨) {فَوَيْلٌ} آكَّالْ {لِلَّذِينَ} إِلَّيْ إِيونْدِي {يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ} كَاتَّبْنِينْ اَلْكَتَّابْ وَدَّكْلَظَنْ {بِأَيْدِيهِمْ} أَسْ فَصَّنْ نَسَنْ الويل الهلاك وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والخريف السنة والمعنى أنهم يكتبون الكتاب المحرف ولا يبينون ولا ينكرونه على فاعله أو ما يكتبونه من التأويلات الزائفة وقوله "بأيديهم" تأكيد لأن الكتابة لا تكون إلا باليد فهو مثل قوله "ولا طائر يطير بجناحيه" وقوله "يقولون بأفواههم" {ثُمَّ} دَقَّرَادِي {يَقُولُونَ} أَدْكَانَّنْ {هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ} أَوَ اللهُ أَدّيفَلْ أي جميعاً على الأول وبخصوصه على الثاني {لِيَشْتَرُوا} فَلْ أَدُوسَمَسْكَلَنْ {بِهِ} ضَغْ أَدَكّنيتْ أي بما كتبوا {ثَمَنًا قَلِيلًا} أَتَّمَنْ دَرُوسَنْ وَاطَابَظَنْ ضَغْ السَّفَلَةْ نَسَنْ أي المآكل والرشاء والاشتراء الاستبدال ووصفه بالقلة لكونه فانياً لا ثواب فيه أو لكونه حراماً لا تحل به البركة فهؤلاء الكتبة لم يكتفوا بالتحريف ولا بالكتابة

لذلك المحرف حتى نادوا في المحافل بأنه من عند الله لينالوا بهذه المعاصي المتكررة هذا العرض النزير والعوض الحقير {فَوَيْلٌ لَّهُمَ} أَصُّوصْ نَ اَلْعَذَابْ إِلَّاسَنْتُو {مِّمَّا كَتَبَتَ اَيْدِيهِمْ} فَلْ تَدميلْتْ نَوَدَّكْتَبَنْ فَصَّنَّصَنْ تأكيد لقوله "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم" ومع ذلك فيه نوع مغايرة لأن هذا وقع تعليلاً فهو مقصود وذلك وقع صلة فهو غير مقصود والكلام في هذا كالذي فيما قبله من جهة أن التكرير للتأكيد {وَوَيْلٌ لَّهُم} آكّالْ إِلَّاسَنْتُو تُولَسْ {مِّمَّا يَكْسِبُونَ } فَلْ تَدميلْتْ نَوَدَّكْرَزَنْ قيل من الرشاء ونحوها وقيل من المعاصي وكرر الويل تغليظاً عليهم وتعظيماً لفعلهم وهتكاً لأستارهم وقال السعد التفتازاني إنما كرر ليفيد أن الهلاك مرتب على كل واحد من الفعلين على حدة لا على مجموع الأمرين (٧٩) ثم ذكر الحق تعالى بعض أمانيهم الفارغة فقال {وَقَالُوا} أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ أي اليهود {لَن تَمَسَّنَا النَّارُ} وَرَانَازَاتَضَصْ تَمْسَيْ أي لن تصيبنا {إِلَّآ أَيَّامًا} آرْ ضَغْ أَرَطْ أَنْجِلَانْ {مَّعْدُودَةً} دَرُوسْنينْ أَمَاضِينْ نَ اَلعِبَادَ أَنْ مَرْوَنْ نَنَ أَبَرْكَوْ استثناء مفرغ أي قدراً مقدراً يحصرها العد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب وعن عكرمة قال اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد يديه على رأسه كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله أبداً ففيهم نزلت هذه الآية والمراد بقوله {قُلَ} أَنَّاصَنْ {أَتَّخَذتُّمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا} أَوَاكْ إِيكِ آتَكِمْ غُرْ اللهُ أَرْكَوَانْ فَلَادِي الإنكار عليهم لما صدر منهم من هذه الدعوى الباطلة أنها لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة أي لم يتقدم

لكم مع الله عهد بهذا ولا أسلفتم من الأعمال الصالحة ما يصدق هذه الدعوى حتى يتعين الوفاء بذلك وعدم إخلاف العهد أي إن اتخذتم عهداً {فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ} أَنْتَ اللهُ وَرْزَمَّزْرَيْ اَرْكَوَالْ وَيْكِا هذا جواب الاستفهام المتقدم في قوله "أتخذتم" قال الرازي العهد في هذا الموضع يجري مجرى الوعد وإنما سمى خبره سبحانه عهداً لأن خبره أوكد من العهود المؤكدة {أَمْ تَقُولُونَ} كَلَا وَرِكَادِي بَاتَّارْ طَنَّ آتَتَاكَّمْ أم متصلة وحينئذ الاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت أو منقطعة والاستفهام لإنكار الاتخاذ ونفيه {عَلَى اللهِ} فَلْ اللهُ {مَا لَا تَعْلَمُونَ} أَضَغْ وَرْ تَصّينَمْ (٨٠) {بَلى} أَوَلَّا أَتَّكَّزَمْ تيمْسَيْ تَغْلَلَمْ ضَغَسْ إثبات لما بعد حرف النفي مختص به خبراً واستفهاماً أي بلى تمسكم النار أبداً لا على الوجه الذي ذكرتم من كونه أياماً معدودة "بلى" حرف جواب كنعم والفرق بينهما أن "بلى" لا يقع إلا في جواب النفي ويصير إثباتاً تقول ألم يأت زيد فتقول بلى أي أتى ومثله قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ فقال تعالى "بلى" أي تمسكم بخلاف نعم فإنها لتقرير ما قبلها نفياً أو إثباتاً فإذا قيل ألم يأت زيد فقلت نعم أي لم يأت وإذا قيل هل أتى زيد فقلت نعم أي أتى {مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} فَلَاسْ اِدِيكْرَزَنْ اَبَكَّاضْ اِمُصَنْ الْكَفَرْ المراد بها الجنس هنا ومثله قوله تعالى "وجزاء سيئة سيئة مثلها" "ومن يعمل سوءاً يجز به" ثم أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار بل لا بد أن يكون سببه محيطاً به فقال {وَأحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ} غَلَيْغَلَيَنْتُو بَكَّادَنّيتْ هَارْ إمّوطْ فَلْ اَلْكَفَرْ أي أحدقت به من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة وسدت عليه مسالك النجاة قيل هي الشرك قاله ابن عباس ومجاهد وقيل هي الكبيرة وقرأ نافع "خطيئاته" بالجمع الباقون بالإفراد وتفسيرها بالشرك

أولى لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عُصاة الموحدين من النار ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود وإن كان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعليه إجماع المفسرين وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج {فَأُولَئِكَ} ونْدِي {أَصْحَابُ النَّارِ} اَنْتَنَيْ مَصَّاوَصْ أَنْتَمْسَيْ {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} أَنْتَنَيْ أَدَغْلَلَنْ ضَغَسْ والخلود في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك (٨١) {وَالَّذِينَ آمَنُوا} ونْدِي أَظَّكْظَنّينْ {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أَمَّوزَلَنْ إمَازَالَنْ ونْهُوصَّيْنينْ أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ويدخل فيه جميع الأعمال الصالحة {أُولَئِكَ} ونْدِي {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} أَنْتَنَيْ مَصَّاوَصْ نَ اَلْجَنَّةْ {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} أَنْتَنَيْ أَدَغْلَلَنْ ضَغَسْ لا يخرجون منها ولا يموتون، وأتى بالفاء في الشق الأول دون الثاني إيذاناً بتسبب الخلود في النار على الشرك وعدم تسبب الخلود في الجنة عن الإيمان بل هو بمحض فضل الله تعالى (٨٢) {وَإِذْ أَخَذْنَا} طَكْطِيمْ ضيغينْ أَدِّي أَصَبَظَا الخطاب مع بني إسرائيل وهم اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم بما وقع من أسلافهم توبيخاً لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم وهذا شروع في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود {مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} أَرْكَوَالْ إِظِيظَوينْ فَلْ بَنِي إِسْرَائِيلْ الذين كانوا في زمن موسى وقد تقدم تفسير الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل وقال مكي إن الميثاق الذي أخذه الله عليهم هنا هو ما أخذه عليهم في حياتهم على ألسن أنبيائهم وهو قوله {لَا تَعْبُدُونَ} أَنّيغَاسَنْ أَدْوَرْتَعْبَدَمْ {إِلَّا اللهَ} آرْ اللهُ خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي {وَبِالْوَالِدَيْنِ} تَصَهُّوصِيَمْ يمَرْوَنْ نَوَنْ أي وأمرناهم بالوالدين {إِحْسَانًا}

أَصَهُّوصِ

أَصَهُوصِيّ أي معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما وسائر ما أوجبه الله على الولد لوالديه من الحقوق ومنه البر بهما والرحمة لهما والنزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه ولا يؤذيهما وإن كانا كافرين وأن يدعوهما إلى الإيمان بالرفق واللين وكذا إن كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف من غير عنف ولا يقول لهما أف {وَذِي الْقُرْبي} أَدمَصَّاوَصْ أَنْتَنِيهَصْتْ أي القرابة عطف على الوالدين لأن حقها تابع لحقهما والإحسان إليهم إنما هو بواسطة الوالدين والقربى مصدر كالرجعى والعقبى {وَالْيَتَامى} أَدْكُوكِيلَنْ جمع يتيم واليتيم في بني آدم من فقد أبوه وفي سائر الحيوانات من فقدت أمه فإذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته إذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه {وَالَمسَاكِينِ} أَطَّلَقَّاوِينْ جمع مسكين وهو من أسكنته الحاجة وذللته وهو أشد فقراً من الفقير عند أكثر أهل اللغة وكثير من أهل الفقه {وَقُولُوا} طَنّيمْ {لِلنَّاسِ} يَيْتِيدَنْ {حُسْنًا} طَنَّ تَهُوصَّيَتْ أَتَتِمُوصَنْ أَلَمَرْ سَلْمَعْرُوفْ أَتَّرَقّيمْتْ فَلْ الْمُنْكَرْ أي قولاً حسناً سماه حسناً مبالغة والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر وقيل الصدق وقيل الأمر بالمعروف وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق والنهي عن المنكر وقيل غير ذلك {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} تَظَظَّلُولَغَمْ آمُودْ {وَآتُوا الزَّكَاةَ} تَكْفِمْ طَمَصَّضَكْ تَقْبَلَمْ آدِي اَلْمَعْنَى إِمَرْوَنْ نَوَنْ وهو خطاب لبني إسرائيل فالمراد الصلاة التي كانوا يصلونها والزكاة التي كانوا يخرجونها قال ابن عطية وزكاتهم هي التي كانوا

يضعونها فتنزل النار على ما يقبل ولا تنزل على ما لا يقبل والخطاب في قوله {ثُمَّ} دَفَّرَادِي {تَوَلَّيْتُم} تَبَرَكْوَلَمْ فَلْ أَسَنْدِي سَرَسْ قيل للحاضرين منهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم مثل سلفهم في ذلك وفيها التفات من الغيبة إلى الخطاب أي أعرضتم عن العهد ومن فوائد الالتفات تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد كما هو مقرر في محله والإعراض والتولي بمعنى واحد وقيل التولي بالجسم والإعراض بالقلب {إِلَّا قَلِيلًا مِنكُمْ} أَنْدَبَ آدَرُوسَنْ ضَغْ وَنْ اَلْمَعْنَى ضَغْ مَرْوَنْ نَوَنْ منصوب على الإستثناء وهو من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه {وَأَنْتُم مُّعْرِضُونَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ كَوَني تَسِيكَامَيَمْ فَلَّاسْ زُونْ أَسَكُّومِي وَادَ أَنْ مَرْوَنْ نَوَنْ كإعراض آبائكم أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لها المنزلة عنده بما التزموا به ثم أخبر عنهم أنهم ما وفوا بذلك (٨٣) {وَإِذْ أَخَذْنَا} طَكْطِيمْ أَدِّي أَصْبَطَا {مِيثَاقَكُمْ} أَرْكَوَالْ فَلَّاوَّنْ إِطِظَوِينْ أَنِّيغَاوَنْ أي ميثاق ءابائكم في التوراة فإن هذا خطاب لقريظة وبني النضير الكائنين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والمراد أسلافهم المعاصرون لموسى على سنن التذكيرات السابقة وهذا شروع في بيان ما فعلوه بالعهد المتعلق بحقوق العباد بعد بيان ما فعلوا بالعهد المتعلق بحقوق الله وما يجري مجراها وقيل لآبائهم وفيه تقريع لهم وتوبيخ {لَا تَسْفِكُونَ} أَدْوَرْ تَصَانْقَالَمْ أي لا تريقون والسفك الصب وقد تقدم {دِمَآءَكُمْ} إِزْنِيتَنْ نَوَنْ أَدْوَرِينَاقُّو أَديسْ نَوَنْ أيديسْ أي لا يفعل ذلك

بعضكم ببعض أو لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم فهو من باب المجاز بأدق ملابسة {وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيارِكُمْ} أَدْوَرْ تَصَاكِمَاضَمْ إِمِيدَاوَنْ نَوَنْ ضَغْ نَانَّسَنْ أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره وقيل لا تفعلوا شيئاً فتخرجوا بسببه من دياركم {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ} دَقَّرَدِي تَرْضَمْ سَادِي تَقْبَلَمْتُو من الإقرار أي حصل منكم الاعتراف بهذا الميثاق المأخوذ عليكم أنه حق {وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} ضَغْ الْحَالَاسْ كَوَنَيْ تَكِّيِيمْ فَلَادِي يا معشر اليهود الشهادة هنا بالقلوب وقيل هي بمعنى الحضور أي إنكم الآن تشهدون على أسلافكم بذلك وعلى هذا إسناد الإقرار إليهم مجاز وكان الله سبحانه قد أخذ في التوراة على بني إسرائيل أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا ينفيه ولا يسترقه (٨٤) {ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ} دَقَّرَادِي كَوَنَيْدَا يَا وِنْضَغْدَا "أنتم" في موضع رفع بالابتداء ولا يعرب لأنه مضمر و«هؤلاء» خبر وضمت التاء من "أنتم" لأنها كانت مفتوحة إذا خاطبت واحدا مذكرا ومكسورة إذا خاطبت واحدة مؤنثة فلما ثنيت أو جمعت لم يبق إلا الضمة {تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ} تَنَاقَّمْ إِمَانْ نَّوَنْ أَسْتَنَغَيْ نَديسْ نَوَنْ أيديسْ {وَتُخْرِجُونَ} تَصَاكِمَاضَمْ {فَرِيقًا مِّنكُم} إِيَّاضْ ضَغْ وَنْ {مِّن دِيارِهِمْ} ضَغْ نَانَّسَنْ {تَظَّاهَرُونَ عَلَيْهِمْ} اَلْحَالْ نَميلْ نَوَنْ تَتِينَمَدْهِلَمْ فَلَّاسَّنْ {بِالإِثْمِ} سَرَطْ إِيمُوصَنْ تَمَازْرِيتْ {وَالْعُدْوَانِ} أَطَّضْلَمْتْ وهذه الآية خطاب للمواجهين لا يحتمل رده إلى الأسلاف. نزلت في بني قينقاع وقريظة والنضير من اليهود وكانت بنو قينقاع أعداء قريظة وكانت الأوس حلفاء بني قينقاع والخزرج حلفاء بني قريظة والنضير والأوس والخزرج إخوان وقريظة والنضير أيضا إخوان ثم افترقوا فكانوا يقتتلون ثم يرتفع الحرب فيفدون أساراهم فعيرهم الله بذلك فقال "وإن

يأتوكم أسارى تفادوهم" أي أنتم هؤلاء الحاضرون المشاهدون تخالفون ما أخذه الله عليكم في التوراة والمعنى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم والعدوان التجاوز في الظلم وهو مصدر كالكفران والغفران {وَإِنْ يَّأتُوكُم} كُوكَوَنْدُوصَنْ أَمَرَنْ أي الفريق الذي تخرجونه من دياره وقت الحرب حال كونه {أُسَارِي} تِيوَكْفَلَنْ جمع أسير وهو من يؤخذ قهراً فعيل بمعنى مفعول {تُفَادُوهُمْ} أَتَنْدُوتَفْدِيمْ ايدَكٍْ وَا غَاسْ آتَطَّفَمْ أي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء"وإن يأتوكم أسارى" شرط وجوابه "تفادوهم" و"أسارى" نصب على الحال " تفادوهم" كذا قرأ نافع وحمزة والكسائي والباقون "تفدوهم" من الفداء والفداء طلب الفدية في الأسير الذي في أيديهم {وَهُوَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ طَالْغَ أَطَطِمُوصَنْ ضمير الشأن ويسمى ضمير القصة ولا يرجع إلا على ما بعده وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه {مُحَرَّمٌ عَلَيْكُم إِخْرَاجُهُم} إِتِيوِسَحْرَمْ فَلَّاوَّنْ أصَكْمَضْ نَسَنْ أَتَّنَغَيْ نَسَنْ ايدَكٍْ وَدِي وَرْتُوتَطّيفَمْ "هو" مبتدأ وهو كناية عن الإخراج و"محرم" خبره و"إخراجهم" بدل من "هو" ويجوز أن يكون "محرم" مبتدأ و"إخراجهم" مفعول ما لم يسم فاعله يسد مسد خبر "محرم" والجملة خبر عن "هو" قال المفسرون كان الله سبحانه قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء أسراهم فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء فوبخهم الله على ذلك بقوله {أَفَتُؤمِنُونَ} آدِيسْ آطرَمْ أَطَّظَاكْظَانَمْ {بِبَعْضِ الكِتَابِ} سَديسْ نَ الْكَتَّابْ ايدَكٍْ وَانَّ الْفِدَ {وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} تَكَافَّرَمْ سَديسْ ايدَكٍْ وَانْ شِيَّتْ أَنْتَنَغَيْ نَسَنْ دَصَكْمَضْ نَسَنْ أي إن وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان إيمانهم الفداء وكفرهم

قتل بعضهم بعضاً فذمهم على مناقضة أفعالهم لأنهم أتوا ببعض ما يوجب عليهم وتركوا البعض {فَمَا جَزَاءُ} وَرْتُوتَلَّ مَارُوزَتْ {مَن يَّفْعَلُ ذَلِكَ} أَنْ وَيْمُّوزَلَنْ آدِي {مِنكُمْ} ضَغْ وَنْ يا معشر اليهود {إِلَّا خِزْيٌ} آرْتَكَرَانْشِيتْ دَ الذُّلَّ "فما جزاء" ما نفي والخبر "خزي" ويجوز أن تكون استفهاما مبتدأ وجزاء خبره وإلا خزي بدل من جزاء {فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا} ضَغْ تَمَدُّورْتْ تَانْدَّنيتْ الخزي الهوان والعذاب وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به الملاعين اليهود موفراً فصاروا في خزي عظيم بما ألصق بهم من الذل والمهانة بالأسر والقتل وضرب الجزية والجلاء فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الإجلاء والنفي من منازلهم إلى أريحا وأذرعات من أرض الشام {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} ضَغْ أَزَلْ وَانْتَبَدَّيْ {يُرَدُّونَ} أَتَّوَصُوغَلَنْ {إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ} أَسْ وُوكِّرَنْ أَصُّوصْ ضَغْ الْعَذَابَنْ يعني النار لأنهم جاؤا بذنب شديد ومعصية فظيعة وهذا إخبار من الله سبحانه بأن اليهود لا يزالون في عذاب موفر لازم لهم بالجزية والصغار والذلة والمهانة {وَمَا اللهُ} وَرْتِلَّ اللهُ {بِغَافِلٍ} إِزْلَالِينْ {عَمَّا يَعْمَلُونَ} فَلَ أَوَاتَامَازَالَنْ فيه وعيد وتهديد عظيم (٨٥) {أُولَئِكَ} وِنْدِي {الَّذِينَ} أَنْتَنَيْ وِنْدِي {اشْتَرَوْا الحَيَاةَ الدُّنيا} أَدُوسَمَّسْكَلْنينْ تَمَدُّورْتْ تَانْدَّنيتْ {بِالآخِرَةِ} ضَغْ اَدكِْ أَنْ تَنَّلَاخِرَةْ بأن آثروها عليها لأن الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة {فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} وَرْزِتَوَصَفْصَصْ فَلَّاسَّنْ اَلْعَذَابْ أبداً ما داموا {وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} وَرْتَلِّينْ أَطُّوِيكِّظَنْ ضَغَسْ أي لا يمنعون من عذاب الله لا يوجد لهم ناصر يدفع عنهم ولا يثبت لهم نصر في أنفسهم على عدوهم (٨٦) {وَلَقَدَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} تَاهُودَيْ آرْ إِكَّاسْ أَكْفي مُوسَى اَلْكَتَّابْ

أَنْ التَّوْرِيةْ أي أعطيناه التوراة جملة واحدة مفصلة محكمة شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم {وَقَفَّيْنَا} أَسَّلْكَمَغَاسْ {مِن بَعْدِهِ} دَفَّرَسْ {بِالرُّسُلِ} إِيَّاضْ إِنَمُّوزَالْ مَدي طَنَّا أُوصيدُو ضِيَّاضْ إِنَمُّوزَالْ دَفَّرَسْ أَنَمَّازُولْ دَفَّرِيِّنْ أَنَمَّازُولْ أي أتبعنا والتقفية الإتباع والإرداف وهو أن يقفو إثره الآخر والمراد أن الله سبحانه أرسل على إثره رسلاً جعلهم تابعين له وكانت الرسل من بعد موسى إلى زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في إثر بعض والشريعة واحدة وهم أنبياء بني إسرائيل المبعوثون من بعده كالشموئيل بن بابل والياس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا ويحيي وشعياء وحزقيل وداود وسليمان وأرمياء وهو الخضر وعيسى ابن مريم، فهؤلاء الرسل بعثهم الله وانتخبهم من أمة موسى وأخذ عليهم ميثاقاً غليظاً أن يؤدوا إلى أمتهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصفة أمته وكانوا يحكمون بشريعة موسى إلى أن بعث الله عيسى فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله {وَءاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} أَكْفي عِيسَى أَكْ مَرْيَمَ {الْبَيِّنَاتِ} تَلْمُعْجِزَاتينْ نِفَالَلْنينْ أي الدلالات الواضحات وهي الأدلة التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة وهي الآيات التي وضع على يديه من أحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلقه من الطين كهيئة الطير وإبراء الأسقام والإخبار بكثير من الغيوب {وَأَيَّدْنَاهُ} زَظَّويقُّو {بِرُوحِ الْقُدُسِ} أَسْ طَمينتْ آزَدِّيكِّتْ أَتَتِمُوصَنْ جِبْرِيلْ إِشُّوكَلَنْ دَرَسْ أَكِّنَّا أَسِشُّوكَلْ مِشَانْ وَرْتَظَّلَالَغَمْ التأييد التقوية، وروح القدس من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الروح المقدسة والقدس الطهارة والمقدس المطهر قيل هو جبريل قاله ابن مسعود أيد الله به عيسى وسمي جبريل روحاً وأضيف إلى القدس لأنه

كان بتكوين الله له من غير ولادة وكان جبريل يسير مع عيسى حيث سافر فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة {أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ} آدِيسْ أَكُلٌّ نِكَوَنْدُوصَ أَنَمَّازُولْ {بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ} دَرَطْ وَرَرِينْ مَانَّوَنْ أي بما لا يوافقها ويلائمها وحذفت الهاء لطول الاسم، أي بما لا تهواه. وبخهم الله سبحانه بهذا الكلام المُعَنْوَنِ بهمزة التوبيخ {اَسْتَكْبَرْتُمْ} أَتَزَّزْوَرَمْ إِمَانَّوَنْ فَلَّكُومْ يَاسْ عن إجابته احتقاراً للرسل واستبعاداً للرسالة {فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ} إِيَّاضْ ضَغْسَنْ تَسَبَّهَوَمْتَنْ {وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} إِيَّاضْ تَنْغَمْتَنْ الفاء للتفصيل ومن الفرق المكذبين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن الفرق المقتولين يحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام وسائر من قتلوه (٨٧) {وَقَالُوا} أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ وِنَهَنِينْ الزَّمَانْ نَنَّبِي صلى الله عليه وسلم {قُلُوبُنَا} إِوَلَّنْ نَنَ {غُلْفٌ} أَهَارَنْ فَلْ مَصْنَطْ نَوَاتَكَانَّا جمع أغلف المراد به هنا الذي عليه غشاوة تمنع من وصول الكلام إليه فلا يعي ولا يفقه فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره فرد الله عليهم ما قالوه فقال {بَل لَّعَنَهُم اللهُ} بَاتَّارْ اللهُ أَتَنِلْعَنَنْ إِسَّكَّنْ فَلْ أَرَّحْمَةْ نيتْ {بِكُفْرِهِمْ} سَسَّبَابْ نَلْكَفَرْ نَسَنْ أي طردهم وأبعده من كل خير {فَقَلِيلًا مَّا يُومِنُونَ} دَرُوسْ أَظَكَّظَانَّسَنْ وصف إيمانهم بالقلة لأنهم الذين قص الله علينا من عنادهم وعجرفتهم وشدة لجاجهم وبعدهم من إجابة الرسل ما قصه ومن جملة ذلك أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض قال الواقدي معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً (٨٨) {وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ} أَصَّغَا وَتَنْضُوصَا اَلْكَتَّابْ أي اليهود {مِن عِندِ اللهِ} أَدِّفَالَنْ غُرْ اللهُ هو القرآن {مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} إيسِيدَتّينْ أَوَتِّلَنْ دَرْسَنْ من التوراة والإنجيل أنه يخبرهم بما فيهما ويصدقه ولا يخالفه

"مصدق" نعت لكتاب ويجوز في غير القرآن نصبه على الحال {وَكَانُوا} أَلآنْتُو {مِن قَبْلُ} دَاتْ آصَّاتِيتْ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم {يَسْتَفْتِحُونَ} كِامَّيَنْ أَنَّصَارًا أي يستنصرون به والاستفتاح الاستنصار أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة {عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} فَلْ وِنْدِي أَكْفَرْنينْ أَتَنِمُوصَنينْ الْمُشْرِيكَنْ نَارَابَنْ يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا أحزنهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم مع قتل عاد وإرم {فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا} أَصَّغَ أَتَنْضُوصَ أَرَطْ وَادَاَصَّنَنْ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا أنه نبي من غير بني إسرائيل {كَفَرُوا بِهِ} أَكْفَرَنْ سَرَسْ فَلْ مَنْجَاغْ أي جحدوه وأنكروه بغياً وحسداً {فَلَعْنَةُ اللهِ} اللَّعْنَةْ نَ اللهُ {عَلَى الْكافِرِينَ} تَلَّيْ فَلْ كُوفَارْ أي عليهم وضعاً للظاهر موضع المضمرَ (٨٩) {بِئسَمَا اَشْتَرَوْا بِهِ} أَوَانْ تَلَّابَسْتْ نَرَطْ أَزَنْزَنينْ سَرَسْ {أَنفُسَهُم} إمَا نَّسَنْ أتِمُوصَنْ أي بئس الشيء وقال الفراء بئسما بجملته شيء واحد ركب كحبذا بئسما باعوا به حظ أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق {أَن يَكْفُرُوا} أَسَكْفَرَنْ {بِمَآ أَنزَلَ اللهُ} سَوَدِّيزَزَّبَتْ اللهُ يعني القرآن {بَغْيًا} فَلْ مَنْجَاغْ أي حسداً {أَن يُنَزِّلَ اللهُ} نَزْدِزَزَّبَتْ اللهُ اَلْوَحِي ومفعول ينزل محذوف (مِن فَضْلِهِ) ضَغْ مَكِّتْنيتْ وليس بواجب عليه ويجوز أن تكون من زائدة على قول الأخفش {عَلَى مَن يَشآءُ} فَلْ وَصِرَ {مِنْ عِبَادِهِ} ضَغْ ايكْلَاتِّيتْ {فَبَآءُو} أَكُورَنْ أي فرجعوا وصاروا أحقاء وأكثر ما يقال في الشر {بِغَضَبٍ}

مسلسق

مِسَلْسَنْ ضُوكْيَاضْ {عَلَى غَضَبٍ} أَتِّلَانْ فَلْ إِيَّنْ أُوكْيَاضْ قيل الغضب الأول لعبادتهم العجل والثاني لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم {وَلِلْكافِرِينَ} إِلَّيْ يِكُوفَارْ {عَذابٌ} اَلْعَذَابْ {مُّهِينٌ} وَيْ زَازَلِّينْ ذو إهانة مأخوذ من الهوان (٩٠) {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} آمَرَاسَنِطَونَّا {ءَامِنُوا} ظَكِّظَنَطْ {بِمَآ أَنزَلَ اللهُ} سَوَدِّيزَزَّبَّتْ اللهُ وهو القرآن وقيل كل كتاب أي صدقوا بالقرآن أو صدقوا بما أنزل الله من الكتب {قَالُوا} أَدَنِّينْ {نُومِنُ} نَظِّيكِّظَنْ {بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا} سَوَدِّتَوَزَزَبِّينْ فَلَّانَّا أَتِّمُوصَنْ التَّوْرِيةْ أي التوراة {وَيَكْفُرُونَ} أَكْفَارَنْ الواو للحال {بِمَا وَرَآءَهُ} سَاوَرِيمُوصْ أي بما سواه من الكتب قاله الفراء وبما بعده يعني الإنجيل والقرآن قاله أبو عبيدة {وَهُوَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ أَنْتَ أَرَطْ وَاوَرِيمُوصْ اَدِّي {الْحَقُّ} اَلْحَقْ أَيْمُوصْ يعني القرآن ابتداء وخبر {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ} إِيسِيدَتِّينْ أَوَتِّلَنْ دَرْسَنْ "مصدقا" حال مؤكدة عند سيبويه "لما معهم" ما في موضع خفض باللام و"معهم" صلتها و"معهم" نصب بالاستقرار ومن أسكن جعله حرفا {قُلْ} أَنَّاصَنْ كُدْ ءَاطَنَّمْ تَظَّكِّظَنَمْ سَ التَّوْرِيةْ {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ اللهِ} مَفَلْ تَنَاقَّمْزَ أَنَّبِيتَنْ نَ اللهُ {مِن قَبْلُ} دَاتَوَا {إِن كُنتُم مُّومِنِينْ} كُتُوتَلَّامْ تَظَّكِّظَنَمْ سَ التَوْرِيةْ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء وهذا تكذيب لهم لأن الإيمان بالتوراة مناف لقتل أشرف خلقه وهذا الخطاب وإن كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به أسلافهم ولكنهم لما كانوا يرضون بأفعال سلفهم كانوا مثلهم وفي الآية دليل على أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها 2 (٩١) {وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسى} تَاهُوضَيْ ءَارْ إِكَّاسْ ربع
كَوَنْضُوصَا مُوسَى {بِالْبَيِّنَاتِ} أَتَّلْمُعْجِزَاتِينْ نِفَالَلْنِينْ أي بالدلالات الواضحة

---

[2] وتقتلون هنا بمعنى قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الوهم لا يذهب إلى غيره وأنشدوا في ذلك:
شهد الخطيئة حين يلقي ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

والمعجزات الظاهرة والبينات يجوز أن يراد بها التوراة أو التسع الآيات المشار إليها بقوله تعالى "ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات" ويجوز أن يراد بها الجميع {ثُمَّ اتَّخَذتُّم الْعِجْلَ} دَفَّرَادِي تَكِمْ أَبرْكَوْ أَمَتُّوَعْبَادْ نَوَنْ {مِن بَعْدِهِ} دَفَّرْ إِيكِينّيتْ ايدَكْ وَانْ الْمِيقَاتْ أي من بعد النظر في تلك البينات أو من بعد موسى لما ذهب إلى الميقات ليأتي بالتوراة {وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ كَوَنَيْ تَضْلَامَمْ إِمَانْ نَوَنْ أي حال كونكم ظالمين بهذه العبادة الصادرة منكم عناداً بعد قيام الحجة عليكم (٩٢) {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} تَكْطِيمْ ضيغينْ أَدِّي أَضبَطَا فلَّاوَّنْ أَرْكَوَالْ إِطِيظَوِينْ ءَاسْ أَتَّمَّازَلَمْ سَوتِّلَنْ ضَغْ التَّوْرِيةْ {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ صِهَاكي دَنَّكُوَنْ ءَاضْغَاغْ أَصَّغَا وَتُّوكِّيَمْ سَلْقَبُولْنيتْ أَنّيغَاوَنْ {خُذُوا} أَبَظَطْ {مَآ ءَاتَيْنَاكُمْ} أَوَكَوَنَكْفي {بِقُوَّةٍ} أَسْ كِلّيِيَتْ {وَاسْمَعُوا} تَسْلِيمْ يَوَسْتَتَوَامَرَمْ تيسَلَيْ تَانْ الْقَبُولْ والأمر بالسماع معناه الطاعة والقبول وليس المراد مجرد الإدراك بحاسة السمع ومنه قولهم "سمع الله لمن حمده" أي قبل وأجاب {قَالُوا} أَنَّنْ {سَمِعْنَا} نَسَالُّو يَلَمَرْنَكْ أي سمعنا قولك بحاسة السمع {وَعَصَيْنَا} أَنَّنْ سِيلَسْ وَانْ اَلْحَالْ نَمِيزْرَيْ اَلَمَرْنَكْ فَلَاس وَرْسَرَسَمُّوزَلَنْ يعني أمرك بقلوبنا أي لا نقبل ما تأمرنا به قال القرطبي اختلف هل صدر منهم هذا اللفظ حقيقة باللسان نطقا أو يكونوا فعلوا فعلا قام مقام القول فيكون مجازا انتهى {وَأُشْرِبُوا} تَوَشَشْوَنْ {فِي قُلُوبِهِمْ} ضَغْ وَلَّنَّسَنْ {الْعِجْلَ} طَرَا نَلْعِبَادَ نَبَرْكَوْ أي تداخل حبه في قلوبهم ورسخ فيها صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب {بِكُفْرِهِمْ} سَسَّبَابْ نَلْكَفَرْ نَسَنْ الباء للسببية أي بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمكن في

قلوبهم

قلوبهم ما سول لهم السامري {قُلْ} أَنَّاصَنْ {بِئسَمَا يَأمُرُكُمْ بِهِ} أَوَانْ تَلَّابَسْتْ نَرَطْ أُومَارْكَوَنْ سَرَسْ {إِيمَانُكُم} أَظَكْظَانْ نَوَنْ سَ التَّوْرِيةْ الذي زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم وتكفرون بما وراءه فإن هذا الصنع وهو في قولكم سمعنا وعصينا في جواب ما أمرتم به في كتابكم وأخذ عليكم الميثاق به مناد عليكم بأبلغ نداء بخلاف ما زعمتم وكذلك ما وقع منكم من عبادة العجل ونزول حبه من قلوبكم منزلة الشراب هو من أعظم ما يدل على أنكم كاذبون في قولكم نؤمن بما أنزل علينا {إِن كُنتُم مُّومِنِينَ} كُتُوتَلَّامْ تَظِّكْظَنَمْ سَ التَّوْرِيةْ زُونْ أَوَاتَكَانَّمْ بزعمكم والمعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أي فكذلك لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه (٩٣) {قُلِ} أَنَّاصَنْ {إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ} كُدَا وَنْتِلَّ أَكَادِرْ وَانْ اَلاخِرَةْ أَتِّمُوصَنْ الْجَنَّةْ {عِندَ اللهِ} غُرْ اللهُ أي نعيمها لأن الدار الآخرة في الحقيقة هي انقضاء الدنيا وهي للفريقين وهذا رد عليهم لما ادعوا أنهم يدخلون الجنة ولا يشاركهم في دخولها غيرهم {خَالِصَةٌ} طَصْكَاطَمْ سَرَسْ مصدر كالعافية والعاقبة وهو بمعنى الخلوص {مِن دُونِ النَّاسِ} أَدِّلَانْ أَيْتيدَنْ زُونْ أَوَاتَّدَعَمْ {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ} ءَادِيزَ سَدِّيرَنَتْ طَمَطَّانْتْ فَلْ أَتَّوَصَّلَمْ سَرَسْ أي فاطلبوه واسألوه وإنما أمرهم بتمني الموت لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة إذ لا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت ولما كان ذلك منهم مجرد دعوى أحجموا {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} كُتُوتَلَّامْ تَدِّيتِّيمْ ضَغَاسْ اَلْجَنَّةْ شِنَّوَنْ في قولكم ودعواكم (٩٤) ولهذا قال سبحانه {وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} وَرْتَتْزَاسَدِّيرَنَنْ هَارْ فَوْ هو ظرف زمان يصدق بالماضي والمستقبل تقول ما فعلت أبداً ذكره السمين {وَاللهُ} اللهُ {عَلِيمٌ}

أَمُوصَنْ أَيْمُوص {بِالظَّالِمِينَ} ضَغْ كُوفَارْ فيه تخويف وتهديد لهم وإنما خصهم بالظلم لأنه أعم من الفكر لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً فلهذا كان أعم وكانوا أولى به قوله تعالى "خالصة" نصب على خبر كان وإن شئت كان حالا ويكون "عند الله" في موضع الخبر "أبدا" ظرف زمان يقع على القليل والكثير كالحين والوقت وهو هنا من أول العمر إلى الموت و"ما" في قوله "بما"بمعنى الذي والعائد محذوف والتقدير قدمته وتكون مصدرية ولا تحتاج إلى عائد و"أيديهم" في موضع رفع حذفت الضمة من الياء لثقلها مع الكسرة وإن كانت في موضع نصب حَرَّكَتْهَا لأن النصب خفيف ويجوز إسكانها في الشعر"والله عليم بالظالمين" ابتداء وخبر (٩٥) {وَلَتَجِدَنَّهُمْ} تَاهُوضَيْ ءَارْ أَدِنْطَاكِظَ اَلْيَهُودَنْ اللام للقسم والنون للتأكيد أي والله لتجدنهم يا محمد صلى الله عليه وسلم {أَحْرَصَ النَّاسِ} أُوكِرَنْ تَجَّضَا أَيْتِيدَنْ {عَلَى حَيَاةٍ} فَلْ طَرَ أَنْتَمَدُّورْتْ زيادة على عدم تمني الموت والحرص أشد الطلب، وتنكير "حياة" للتحقير أي إنهم أحرص الناس على حقير حياة وأقل لبث في الدنيا فكيف بحياة كثيرة ولبث متطاول {وَمِن الَّذِينَ أَشْرَكُوا} أُوكِرَنْ طَرَ أَنْتَمَدُّورْتْ ضيغينْ ضَغْ وِنْدِي أَمُوصَنِينْ اَلْمُشْرِيكَنْ ووجه ذكرهم بعد ذكر الناس مع كونهم داخلين فيهم الدلالة على مزيد حرص المشركين من العرب ومن شابههم من غيرهم فمن كان أحرص منهم وهم اليهود كان بالغاً في الحرص إلى غاية لا يقادر قدرها وإنما بلغوا في الحرص إلى هذا الحد الفاضل على حرص المشركين لأنهم يعلمون بما يحل بهم من العذاب في الآخرة بخلاف المشركين من العرب ونحوهم فإنهم لا يقرون بذلك فكان حرصهم على الحياة دون حرص اليهود {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ} إِسِيدَارَانْ إِيَّنْ ضَغْ

الْيَهُودَنْ بيان لزيادة حرصهمأي يتمنى أحدهم {لَوْ يُعَمَّرُ} أَدَاسْ تَتَوَكُّو تَاغْرَسْتْ {أَلْفَ سَنَةٍ} تَمُوصَتْ ءَاكِيمْ نَوَطَيْ أي تعمير ألف سنة وإنما خص الألف بالذكر لأن العرب كانت تذكر ذلك عند إرادة المبالغة ولأنها نهاية العقود {وَمَا هُوَ} وَرَتِلَّ أَنْتَا {بِمُزَحْزِحِهِ} أَتِينِيسَّكِّكْ أي بمباعده قيل هو راجع إلى أحدهم كما جرى عليه الجلال وعلى هذا يكون قوله "أن يعمر" فاعلاً لمزحزحه وقيل هو لما دل عليه يعمر من مصدره أي وما التعمير بمزحزحه ويكون قوله "أن يعمر" بدلاً منهوقيل هو ضمير الشأن وإليه نحا الفارسي تبعاً للكوفيين وقيل "ما" تميمة وهو مبتدأ خبره بمزحزحه على زيادة الباء وقيل ما هي الحجازية والضمير اسمها وما بعده خبرها والأول أرجح {مِنَ الْعَذَابِ} ضَغْ الْعَذَابْ نَ اللهُ "من" بمعنى عن أي النار {أَن يُعَمَّرَ} أَدِيتَوَكْفُو تَاغْرَسْتْ نَكِيمْ نَوَطَيْ أي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب {وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} اللهُ إِهَانِّيْ أَوَاتَامَازَالَنْ دَاسَنِرَزْ فَلَّاسْ لا يخفى عليه خافية من أحوالهم (٩٦) {قُلْ} أَنَّاصَنْ {مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} إِتِيلَّانْ إِمُوصْ أَزَنْكَوْ أَنْ جِبْرِيلْ أي بسبب نزوله بالقرآن المشتمل على سبهم وتكذيبهم، هذه الآية قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في اليهود قال ابن جرير الطبري وأجمع أهل التأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً على اليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم {فَإِنَّهُ} ءَادِزَ أَمَّطِيطْ فَلْ أَتْكَرْنِيتَ فَلَاسْ إِلِّكَنَاسْ أَنْتَ جِبْرِيلْ {نَزَّلَهُ} إِزَزَّبَتِّيدْ اَلْقُرَانْ أي فإن جبريل نزل القرآن {عَلَى قَلْبِكَ} فَلْ أَوَلْنَكْ وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وخزانة الحفظ وبيت الرب وقد قيل إنه في الدماغ {بِإِذْنِ اللهِ} أَسْ تُورَاكِتْ نَ اللهُ أي بعلمه وإرادته وتيسيره وتسهيله {مُصَدِّقًا} اَلْحَالْ

نَميلْنيتْ إسِيدَتَّتْ {لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أَوَيلَّنْ دَاتَسْ ضَغْ الْكَتَّابَنْ هو التوراة كما سلف أو جميع الكتب المنزلة وفي هذا دليل على شرف جبريل وارتفاع منزلته وأنه لا وجه لمعاداة اليهود له حيث كان منه ما ذكر من تنزيل الكتاب على قلبك أو تنزيل الله له على قلبك {وَهُدًى} إِمُوصْ طَانُورَيْ {وَبُشْرَى} إِمُوصْ تَبُوشّيرْتْ سَ اَلْجَنَّةْ {لِلْمُومِنِينَ} يِمُومَنَنْ (٩٧) ثم انه أتبع سبحانه هذا الكلام بجملة مشتملة على شرط وجزاء تتضمن الذم لمن عادى جبريل بذلك السبب والوعيد الشديد له فقال {مَن كَانَ عَدُوًّا لِلهِ} إِيتّلَّانْ إِمُوصْ أَزَنْكُو نَ اللهُ شرط وجوابه "فإن الله عدو للكافرين" {وَمَلَائِكَتِهِ} دَنْكَلُوسَنّيتْ {وَرُسُلِهِ} أَدْ نَمُّوزَالْنيتْ {وَجِبْرِيلَ} أَدْ جِبْرِيلْ {وَمِيكَائِيلَ} أَدْ مِيكَايِيلْ العداوة من العبد هي صدور المعاصي منه لله تعالى والبغض لأوليائه والعداوة من الله للعبد هي تعذيبه بذنبه وعدم التجاوز عنهوقرأ نافع جبريل بكسر الجيم والراء بغير همزة وميكائل بالهمزة بغير ياء وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص بغير همزة بكسر الجيم والراء وميكال بغير همز وياء {فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ} ءَادِيزَ إِلّكَنَاسْ اللهُ أَزَنْكَوْنّيتْ فَلَاسْ اللهُ اَزَنْكَوْ أَنْ كُوفَارْ كُولْ فأما عداوتهم لله فإنها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم إلى العذاب الأليم الدائم الذي لا ضرر أعظم منه (٩٨) {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ} تَا هُوضَي ءَارْ إِكَاسْ دُوزِيزَبّي سَرَكْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {ءَايَاتٍ} أَلَايَتينْ {بَيِّنَاتٍ} نِفَالّْنينْ أي واضحات دالة على معانيها وعلى كونها من عند الله مفصلات بالحلال والحرام والحدود والأحكام {وَمَا يَكْفُرُ بِهَا} وَرْزِيكْفَرْ سَرَسْنَتْ أي ما يجحد بهذه الآيات {إِلَّا الْفَاسِقُونَ} ءَارْ وِنَكْمَلْنينْ ضَغْ تَلْفَسُوقِيَا أي الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به (٩٩) {أَوَ كُلَّمَا

عَاهَدُوا} ءَادِيس أَنْتَنَيْ أَوَاكِنْ ضَغْ الْكَفَرْ أَكُلُّ نِدْنَمَرْكَوَلَنْ دَ اللهُ {عَهْدًا}
أَرْكَوَالْ استفهام إنكار الواو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله "أفحكم الجاهلية" "أفأنت تسمع الصم" "أفتتخذونه وذريته" وعلى ثُمَّ كقوله "أثم إذا ما وقع" هذا قول سيبويه والمعنى في الآية مالك بن الصيف ويقال فيه ابن الصيف كان قد قال والله ما أخذ علينا عهد في كتابنا أن نؤمن بمحمد ولا ميثاق فنزلت الآية وقيل إن اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمن به ولنكونن معه على مشركي العرب فلما بعث كفروا به وقال عطاء هي العهود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير دليله قول تعالى "الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون" {نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم} أَتِينَكِرَنْ إِيَّاضْ ضَغْسَنْ سَتَّتَّرْطَرَنْ {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} بَاتَّرْ أَيْكِنَاس أَلْكَسَرْنَسَنْ {لَا يُومِنُونَ} أَظَكِظَانْدَا ءَاوَرَكِينْ يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وفريق منهم بالجحد للحق (١٠٠) {وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ} أَصَّغَا أَتَنْضُوصَا أَنَمَّازُولْ {مِنْ عِندِ اللهِ} أَدِّفَالَنْ غُرَ اللهُ يعني محمداً صلى الله عليه وسلم هذا أشنع عليهم مما قبله {مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} إِيسِيدَتِّينْ أَوَتِّلَنْ دَرْسَنْ أَتِّمُوصَنْ التَّوْرِيةْ أي بصحة التوراة وأن التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مجرد مبعثه مصدقاً للتوراة فاتفقت التوراة والقرآن {نَبَذَ فَرِيقٌ} أَكِرَنِينْ إِيَّاضْ {مِنَ الَّذِينَ} ضَغْ وِنْدِي {ءُوتُوا الْكِتَابَ} تَوَكْفَنِينْ اَلْكَتَّابْ أي اليهود {كِتَابَ اللهِ} اَلْكَتَّابْ نَ اللهُ نصب ب"نبذ" والمراد التوراة {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} دَفَّرْ رُورَانْ نَسَنْ وَرْسَرَسَمُّوزَلَنْ {كَأَنَّهُمْ} زُونْ غَاسْ أَنْتَنَيْ {لَا يَعْلَمُونَ} وَرَصِّينَنْ اَوَتِّلَنْ

نص

ضَغَسْ ضَغَاسْ اَنْتَ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم النَّبِي وَانْ اَلْحَقْ مَدَيْ ضَغَاسْ اَنْتَ التَّوْرِيةْ الْكَتَّابْ نَ اللهُ تشبيه لهم بمن لا يعلم شيئاً مع كونهم يعلمون علماً يقيناً من التوراة بما يجب عليهم من الإيمان بهذا النبي ولكنهم لما لم يعملوا بالعلم بل عملوا عمل من لا يعلم من نبذ كتاب الله وراء ظهورهم كانوا بمنزلة من لا يعلم وهم علماء اليهود تجاهلوا وحملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا قليلاً (١٠٠) {وَاتَّبَعُوا} أَلّيلَنْ عطف على نبذ {مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ} أَوَاغَارَّنْ الشَّيَاطِينَنْ {عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} ضَغْ الزَّمَانْ أَنْ تَغْمَرْ أَنْ سُلَيْمَانْ ضَغْ السَّحَارْ أَنَّنْ الشَّيَاطِينَنْ يِيْتِيدَنْ دَفَّرْ أَلِفَاتَ أَنْ سُلَيْمَانْ وَرْكَوَنِيلَ سُلَيْمَانْ ءَارْ سَسَّحَارْ أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ ضيغينْ سُلَيْمَانْ وَرِيمُوصْ ءَارْ أَمَسَّحَرْ إِينَّا اللهُ دِيتْكَلَنْ ضَغْ أَصُوغَلْ فَلَّاسَّنْ فرد الله ذلك عليهم وقال {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} وَرِكْفِيرْ سُلَيْمَانْ وَرِيمُّوزَلْ السَّحَارْ أَنْكَمْ إِكْفَرْ يعني بالسحر ولم يعمل به وسليمان علم أعجمي فلذلك لم ينصرف وفيه تنزيه سليمان عن السحر ولم يتقدم أن أحداً نسب سليمان إلى الكفر ولكن لما نسبته اليهود إلى السحر صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر لأن السحر يوجب ذلك وقالوا إن سليمان ملك الناس بالسحر ولهذا أثبت الله سبحانه كفر الشياطين فقال {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} مِشَانْ الشَّيَاطِينَنْ أَنْتَنَيْ ءَاكْفَرْنِينْ أي بتعليمهم {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} صِيصُونَنْ أَيْتِيدَنْ السَّحَارْ وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير وهو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته {وَ} أي ويعلمون الناس (مَا أُنزِلَ} صِيصُونَنْتَنْ ضيغينْ

أَوَ جِيَنُوَرَرَ تِيْسْ

أَوَدِّيتَوَرَزَبِّينْ {عَلَى اَلْمَلَكَيْنِ} فَلْ أَنْكِلُوسَنْ ءَانَّشِّينْ أَسِلْهَمْ اللهُ مَصْنَطْ نَسَّحَارْ فهو معطوف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو على ما تتلو وما بينهما اعتراض أي "واتبعوا ما أنزل" الخ {بِبَابِلَ} ضَغْ أَكَالْ ءَانْبَابِلْ أي في بابل وهو اسم أرض أو بلد في سواد العراق أو أرض الكوفة قاله ابن مسعود وقيل إن "ما" في قوله "وما أنزل على الملكين" نافية والواو عاطفة على قوله "وما كفر سليمان" وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل {هَارُوتَ وَمَارُوتَ} أَتَنِمُوصَنْ هَارُوتْ أَدْ مَارُوتْ فهاروت وماروت بدل من الشياطين على قراءة التشديد والنصب في قوله "ولكن الشياطين كفروا" {وَمَا يُعَلِّمَانِ} وَرْصُوصُونَنْ {مِنَ أَحَدٍ} وَلِيَّنْ أي هاروت وماروت أو الرجلان والأول أولى قال الزجاج تعليم إنذار من السحر لا تعليم دعاء إليه قال وهو الذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر ومعناه أنهما يعلمان على النهي فيقولان لهم لا تفعلوا كذا {حَتَّى يَقُولَا} هَارَاَصَنِّينْ فَلْ النَّصِيحَ أي إلا أن ينصحاه أولا أو أن يقولا {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} إِلِّكَنَاسْ نَكَّنَيْ جَرَّبَ نَ اللهُ أَيْنْتِيدَنْ إِتِّيصَّنَنْ وَادَ السَّحَارْ أَدِكْفَرْ هو على ظاهره أي ابتلاء واختبار من الله لعباده ومحنة وقيل إنه استهزاء منهما لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحقق ضلاله والأول أولى والمعنى إنما نحن ابتلاء فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به قاله أبو السعود {فَلَا تَكْفُرْ} أَدْوَرْتَكْفَرَ أَسْمَصْنَطْنِيتْ كُدْرَ أُوكِّيْ وَدِيرَ أَدَاسْ تَصُّوصَنَنْ أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي إن هذا ذنب يكون من فعله كافراً

فلا تكفر وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحراً ومن تعلمه ليقدر على دفعه وبه قال أحمد {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا} طَاصَّنَنْدُو ضَغْ مَسَّحَرَنْدِي يعني من الملكين {مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ} أَوَزَّامَزَّايَنْ سَرَسْ {بَيْنَ اَلْمَرْءِ} كِرَءَالَسْ {وَزَوْجِهِ} أَتَّنَرَاكْنيتْ أي سحراً سبباً في التفريق بينهما كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى {وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ} وَرْتَلِّينْ أَفْرَاكَنْ أَدَكْمِينْ سَرَسْ {مِنَ أَحَدٍ} وَلِيَّنْ {إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ} ءَارْ سَاطَّاصْ نَ اللهُ وهذا استثناء مفرغ من أعم الأحوال {وَيَتَعَلَّمُونَ} تَاصَّنَنْدُو {مَا يَضُرُّهُمْ} أَوَتَنْزَكْمِنْ ضَغْ اَلاخِرَةْ {وَلَا يَنْفَعُهُمْ} وَرْتَنْزَنْفُو يعني السحر لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالباً وفيه تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة ولا يجلب إليه منفعة بل هو ضرر محض وخسران صرف وشر بحت قال أبو السعود فيه إن الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية وإن قال من قال عرفت الشر لا للشر ... ولكن لتوقيه، ومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه {وَلَقَدْ عَلِمُوا} تَاهُوضَي ءَارْ إِكَّاسْ أَصَّانَنْ يعني اليهود {لَمَنِ اشْتَرِيهُ} ءَارْ وَدِّيسَمَّسْكَلَنْ مَصْنَطْ نَ السَّحَارْ ضَغْ اَدَكِّ نَ الْكَتَّابْ نَ اللهُ أي اختار السحر والمراد بالشراء هنا الاستبدال أي من استبدل ما يتلو الشياطين {مَا لَهُ} أَصَّانَنْ ءَاسْ وَرَاسْتِلَّ {فِي الاخِرَةِ} ضَغْ الاخِرَةْ {مِنْ خَلَاقٍ} أَيْمُوصَنْ تَدَكِّرْتْ ضَغْ الْجَنَّةْ أي من نصيب كما عند أهل اللغة كذا قال الزجاج {وَلَبِيسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ} أَوَانْ تَلَّابَسْتْ نَ أَرَطْ أَزِّينْزَنِينْ سَرَسْ إِمَانَّسَنْ أَتِّمُوصَنْ مَصْنَطْ نَسَنْ

آلسّحار

السَّحَارْ أي باعوها وقد أثبت لهم العلم في قوله ولقد علموا ونفاه عنهم في قوله {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} أَنَّارْ تَلَّانْ أَصَّانَنْ أَوَزُّوكِّارَنْ سَرَسْ ضَغْ اَلْعَذَابْ واختلفوا في توجيه ذلك فقال قطرب والأخفش إن المراد بقوله "ولقد علموا" الشياطين والمراد بقوله "لو كانوا يعلمون" الأنس وقال الزجاج إن الأول للملكين وإن كان بصيغة الجمع فهو مثل قولهم الزيدان قاموا والثاني المراد به علماء اليهود وإنما قال لو كانوا يعلمون لأنهم تركوا العمل بعلمهم (١٠٢ ﴾) {وَلَو أَنَّهُم} اَنَّارْ أَنْتَنَيْ اَلْيَهُودَنْ {ءَامَنُوا} أَظَّكِّظَنَنْ سَ النبي صلى الله عليه وسلم دَالْقُرَانْ أي اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من القرآن {وَاتَّقَوْا} أَكْصُوضَنْ اَلْعَذَابْ نَ الله أُويَّنْ مَصْنَطْ نَ السَّحَارْ ما وقعوا فيه من السحر والكفر {لَمَثُوبَةٌ} ءَارْ ءَارُوزْ وَدَاسَنْتِلَّنْ وهي جواب "ولو أنهم آمنوا" عند قوم {مِنْ عِندِ اللهِ} غُرْ اللهُ أي لكان ثواب الله إياهم {خَيْرٌ} أُوفَاصَنْ ضَغْ مَصْنَطْ نَ السَّحَارْ لهم يعني هذا الثواب والمثوبة وزنها مفعولة قاله الواحدي أو مفعلة كمشورة ومتربة وكان من حقها الإعلال فيقال مثابة كمقالة إلا أنهم صححوها قاله السمين {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} أَنَّارْ تَلَّانْ أَصَّانَنْ ذلك هو إما للدلالة على أنه لا علم لهم أو لتنزيل علمهم مع عدم العمل منزلة العدم (١٠٣) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يَا وِنْدِي أَظَّكِّظَنِّينْ {لَا تَقُولُوا} أَدْوَرْتَكَّانِّيمْ يَ النبي صلى الله عليه وسلم {رَاعِنَا} ءَاوَلَانَا فَلَاسْ ءَادِي اَلَّفَضْ أَنْتَكَكِّيرْتْ غُرَ اَلْيَهُودَنْ أي راقبنا واحفظنا ويجوز أن يكون من أعرنا سمعك أي فرغه لكلامنا ووجه النهي عن ذلك أن هذا اللفظ كان بلسان اليهود سبا قيل إنه في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت وقيل غير ذلك فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم راعنا

طلبا منه أن يراعيهم من المراعاة اغتنموا الفرصة وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي مبطنين أنهم يقصدون السب الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم وفي ذلك دليل على أنه ينبغي تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص وإن لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد للشتم سداً للذريعة ودفعاً للوسيلة وقطعاً لمادة المفسدة والتطرق إليه ثم أمرهم الله بأن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يحتمل النقص ولا يصلح للتعريض فقال {وَقُولُوا} أَنّوَطَاصْ {انظُرْنَا} أَصْوَضّو ضَغْنَا أي أقبل علينا وانظر إلينا وهو من باب الحذف والإيصال وقيل معناه انتظرنا وتأنّ بنا {وَاسْمَعُوا} تَسْلِيمْ يَوَسْتَتَوَامَرَمْ تيسَلَيْ تَاتَّلْقَبُولْ أي اسمعوا ما أمرتم به ونهيتم عنه معناه أطيعوا الله في ترك خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك اللفظ وخاطبوه بما أمرتم به ولا تخاطبوه بما يسر اليهود بل تخيروا لخطابه صلى الله عليه وآله وسلم من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أدقها ثم توعد اليهود بقوله {وَلِلْكافِرِينَ} إِلّيْ يِكُوفَارْ {عَذَابٌ} اَلْعَذَابْ {أَلِيمٌ} وَنّمَصّيصْنَنْ ويحتمل أن يكون وعيداً شاملاً لجنس الكفرة (١٠٤) {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} وَرْسَدَّارَنَنْ وِنْدِي أَكْفَرْنينْ أي ما يتمنى {مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ} أَمُوصْنينْ كَلْ اَلْكَتَّابْ {وَلَا الْمُشْرِكِينَ} أَمُوصْنينْ ضيغينْ الْمُشْرِكَنْ نَارَابَنْ معطوف على"أهل" ويجوز ولا المشركون تعطفه على الذين قاله النحاس {أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم} أَدّيتَوَزَزَبّتْ فَلّاوّنْ {مِنْ خَيْرٍ} أَيْمُوصَنْ الْوَحِي {مِن رَّبِّكُمْ} أَدّفَالَنْ غُرْ أَمَلِ نّوَنْ "مِنْ" زائدة "خير" اسم ما لم يسم فاعله و"أنْ" في موضع نصب أي بأن ينزل" فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون إنزال الخير عليهم من الله سبحانه وقد قيل بأن

الخير

الخير الوحي وقيل غير ذلك والظاهر أنهم لا يودون أن ينزل على المسلمين أي خير كان فهو لا يختص بنوع معين كما يفيده وقوع هذه النكرة في سياق النفي وتأكيد العموم بدخول "مِنْ" المزيدة عليها وإن كان بعض أنواع الخير أعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص {وَاللهُ} سِكَادِ اللهُ {يَخْتَصُّ} إصْاكَطْ أي يميز {بِرَحْمَتِهِ} سَرَّحْمَةْ نيتْ أَتَتِمُوصَنْ تَنَّبُوَانّيتْ {مَنْ يَشَآءُ} وَصِرَ تمييزه والرحمة قيل هي القرآن والإسلام وقيل النبوة وقيل جنس الرحمة من غير تعيين كما يفيد ذلك الإضافة إلى ضميره تعالى {وَاللهُ} اللهُ {ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} مَشّيسْ أَمَكّتْ زُوَّرَتْ فكيف لا يودون أن يختص برحمته من يشاء من عباده وكل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فإنه منه ابتداء وتفضلاً عليهم من غير استحقاق أحد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه (١٠٥) ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا إن محمدا يامر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل {مَا نَنسَخْ} أَدِينَنْسَخَا {مِنَ ءَايَةٍ} إِمُوصَنْ ءَاتَقّلْ أَلَايَةْ كلام مستأنف قاله أبو السعود وقال ابن جرير معنى ما ننسخ ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره وذلك أن يحول الحلال حراماً والحرام حلالاً والمباح محظوراً والمحظور مباحاً ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة فأما الإخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة إلى أخرى فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله إلى غيره وسواء نسخ حكمها أو خطها إذ هي في كلتي حالتيها منسوخة انتهوقد اتفق أهل الإسلام على ثبوته سلفاً وخلفاً وهو جائز عقلاً وواقع سمعاً ولم يخالف في ذلك أحد إلا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه بقوله وقد اشتهر عن اليهود

نصف الحزب

أقمأهم الله إنكاره ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً وإنساؤها إذهابها من القلوب {أَوْ نُنسِهَا} مَدي سَطَّوَغَاكَّتِينْ بضم النون من النسيان الذي بمعنى الترك أي نتركها فلا نبدلها ولا ننسخها ومنه قوله تعالى "نسوا الله فنسيهم" أي تركوا عبادته فتركهم في العذاب وقرىء ننسئهابفتح النون والسين والهمز ومعنى هذه القراءة نؤخرها عن النسخ من قولهم نسأت هذا الأمر إذا أخرته قال ابن فارس ويقولون نسأ الله في أجلك وأنسأ الله أجلك، وقد انتسأ القوم إذا تأخروا وتباعدوا ونسأتهم أنا أي أخرتهم {نَاتِ} أَدَّاصَا {بِخَيْرٍ مِنْهَا} أَدْشِيتَتُّوكِّرَتْ تَنْفَا نيكْلَانْ مَدي تُوكِّرْتَتْ ءَارُوزْ {أَوْ مِثْلِهَا} مَدي تَمُوصْ تُولَاتْنيتْ ضَغْ التَّكْلِيفْ دَرُوزْ أي نأت بما هو أنفع للناس منها في العاجل والآجل أو في أحدهما أو بما هو مماثل لها من غير زيادة ومرجع ذلك إلى إعمال النظر في المنسوخ والناسخ فقد يكون الناسخ أخف فيكون أنفع لهم في العاجل وقد يكون أثقل وثوابه أكثر فيكون أنفع في الآجل وقد يستويان فتحصل المماثلة {أَلَمْ تَعْلَمْ} أَوَاكْ وَرْكِي طَصَّانَا {أَنَّ اللهَ} ءَاسْ اللهُ {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَمَرْنِي أَيْمُوصْ قَل أَكُلٌ نَرَطْ هذه الآية تفيد أن النسخ من مقدوراته وأن إنكاره إنكار للقدرة الإلهية والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد هو وأمته وفيه دليل على جواز النسخ والاستفهام للتقرير وهكذا قوله (١٠٦) {أَلَمْ تَعْلَمْ} أَوَاكْ وَرْكِي طَصَّانَا {أَنَّ اللهَ} ءَاسْ اللهُ جُزِمَ بلم وحروف الاستفهام لا تغير عمل العامل وفتحت"أن" لأنها في موضع نصب {لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ} أَنْتَ غَاسْ أَسْتُوتَلَّا طَنَايَ أَنْجَنَّاوَنْ {وَالارْضِ} دَ مَضَالْ إِتَامَازَالْ ضَغْسَنْ سَوَصِرَ أي له التصرف فيهما بالإيجاد والاختراع

ونفوذ الأمر في جميع مخلوقاته فهو أعلم بمصالح عباده وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدهم بها وشرعها لهم وقد يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة والأشخاص {وَمَا لَكُم} وَراوَنْتِلَّا {مِن دُونِ اللهِ} سَاضَغْدُو يَ اللهُ {مِن وَلِيٍّ} أَيْمُوصَنْ أَمَارَايْ أَكَوَنُوكِّظَنْ {وَلَا نَصِيرٍ} وَلَادَ أَمَانْصَارْ أَكَوَنِكِّدَالَنْ ضَغْ اَلْعَذَابْنِيتْ أَصْكَوَنْضُوصَا بالخفض عطفا على"ولي" ويجوز "ولا نصير" بالرفع عطفا على الموضع لأن المعنى ما لكم من دون الله ولي ولا نصير (١٠٧) {أَمْ تُرِيدُونَ} بَاتَّارْ ءَادِيسْ ءَاطَرَمْ {أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ} أَتِّكَامَّيَمْ ضَغْ أَنَمَّزُولْ نَوَنْ في موضع نصب ب"تريدون" {كَمَا سُئِلَ مُوسى} زُونْ أَوِيْتَاوَكِّمَايَنْ ضَغْ مُوسَى الكاف في موضع نصب نعت لمصدر أي سؤالا و"موسى" في موضع رفع على ما لم يسم فاعله {مِن قَبْلُ} دَاتَوَا أي سؤالاً مثل ما سئل موسى حيث سألوه أن يريهم الله جهرة إلى غير ذلك وسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً {وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ} أَنْتَ إِدِّيسَمَّسْكَلَنْ اَلْكَفَرْ {بِالإيمَانِ} ضَغْ أَدَكِّ نَظَكِّظَانْ أي يستبدل ويأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها والباء للعوض كما استظهره السفاقسي لا للسبب كما قال به أبو البقاء قيل خطاب للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد {فَقَد ضَلَّ} وَدِي إِكَّاسْ إِخْرَاكْ {سَوَآءَ السَّبِيلِ} إِطَارَّيْتْ تَاتَظَلَالَغَتْ من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الطريق المستوي أي المعتدل (١٠٨) {وَدَّ كَثِيرٌ} إِسِيدَارَنْ ءَاكِّينْ {مِنَ اَهْلِ الْكِتَابِ} ضَغْ كَلْ الْكَتَّابْ أي تمنى كثير من اليهود {لَوْ يَرُدُّونَكُم} أَكَونَكِّينْ {مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ} دَفَّرْ أَظَكِّظَانَّوَنْ {كُفَّارًا} إِكُوفَارْ مفعول ثان ب"يردونكم" {حَسَدًا} فَلْ مَنْجَاغْ {مِنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ} أَدِكِّمَاضَنْ ضَغْ مَانَّسَنْ دِي لَبَاسْنِينْ أي حسداً

ناشئاً من عند أنفسهم وهو علة لقوله ود والحسد تمني زوال نعمة الإنسان {مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} دَقُّرْ أَزْدَاسَنِنِيفَالَنْ الْحَقْ ضَغْ التَّوْرِيةْ ضَغْ طَالْغَا نَ النبي صلى الله عليه وسلم يعني في التوراة أن قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به بغياً وحسداً {فَاعْفُوا} صُورَفَتَاصَنْ {وَاصْفَحُوا} تَسكُّومِيَمْ فَلَّاسَّنْ والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح إزالة أثره من النفس صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه وقد ضربت عنه صفحاً إذا أعرضت عنه وقيل هما متقاربان والعطف على هذا للتأكيد وحسنه تغاير اللفظين {حَتَّى يَاتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ} هَارْ دَاصُو اللهُ دَلَمَرْنيتْ ضَغْسَنْ أَتِّمُوصَنْ أَدَامَرْ سَنَمَنْغَا دَرْسَنْ أي افعلوا ذلك إلى أن يأتي إليكم الأمر من الله سبحانه في شأنهم بما يختاره ويشاؤه وما قد قضى به في سابق علمه وهو قتل من قتل منهم وإجلاء من أجلى وضرب الجزية على من ضربت عليه والسلام على من أسلم {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَمَرْنِي أَيْمُوصْ فَلْ أَكُّلْ نَرَطْ فيه وعيد وتهديد لهم عظيم (١٠٩) {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} ظَظَّلُولَغَتْ ءَامُودْ {وَءَاتُوا الزَّكَاةَ} تَكْفِيمْ تَمَصَّضَكْ {وَمَا تُقَدِّمُوا} أَدِنْتَزُّوزَرَمْ {لِأَنفُسِكُم} بِمَانَّوَنْ {مِّنْ خَيْرٍ} إِمُوصَنْ أَمَازَالْ أَنْتَلِيلْتْ أَيْقَّلْ حث من الله سبحانه لهم على الاشتغال بما ينفعهم ويعود عليهم بالمصلحة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخير الذي يثابون عليه حتى يمكن الله لهم وينصرهم على المخالفين لهم {تَجِدُوهُ} أدِنْتَاكِّظَمْ ءَارُوزْنيتْ {عِندَ اللهِ} غُرَ اللهُ يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحُد {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} إِهَاتَّيْ أَوَاتَتَامَازَالَمْ دَاوَنِرَزْ فَلَّاسْ لا يخفى عليه شيء من قليل الأعمال وكثيرها وفيه ترغيب في الطاعات

وأعمال البر وزجر عن المعاصي (١١٠) {وَقَالُوا} أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى عطف على وَدَّ {لَن يَّدْخُلَ الجَنَّةَ} وَرْزِكِّيزْ الْجَنَّةْ {إِلَّا مَن كَانَ هُودًا} ءَارْ وِنتَلْنينْ أَمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ {أَوْ نَصَارى} أَنَّنْ النَّصَارَى وِرْزَيكِّزْ الْجَنَّةْ ءَارْ وِنْتَلْنينْ أَمُوصَنْ النَّصَارَى {تِلْكَ} تَدِيدَا طَنَّا {أَمَانِيُّهُمْ} ديرَانَنَّسَنْ غَاسْ أَبْطَالْنينْ أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق والأماني جمع أمنية قد تقدم تفسيرها والإشارة بقوله تلك إلى ما تقدم لهم من الأماني التي آخرها أنه لا يدخل الجنة غيرهم {قُلْ} أَنَّاصَنْ {هَاتُوا} ءَاوِيَدُّو أصل "هاتوا" هاتيوا حذفت الضمة لثقلها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين يقال في الواحد المذكر هات مثل رام وفي المؤنث هاتي مثل رامي وهو اسم فعل بمعنى احضر وقيل اسم صوت بمعنى ها التي بمعنى احضر وقيل فعل أمر وهذا هو الصحيح {بُرْهَانَكُمْ} أَدَلِيلْ نَوَنْ ضَغْ أَوَاطَنَّمْ اَدِّي أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً دون غيرهم {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} كُتُو تَلَّامْ تَدِيتِّيمْ ضَغَسْ أي في تلك الأماني المجردة والدعاوى الباطلة انتهى (١١١) ثم رد عليهم فقال {بَلَى} أَوَلَّازَارْ أَدِيكِّزْ الْجَنَّةْ إِوَرْتَمُوصَمْ وهو إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة أي ليس كما تقولون بل يدخلها {مَنَ اَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ} إِيسْلَمَنْ أُودَمْنيتْ يَ اللهُ إِيكِّرْ أَسَالْوَايْ يَ لَمَرْنيتْ أي استسلم وقيل أخلص وخص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان ولأنه موضع السجود ومجمع الحواس والمشاعر الظاهرة وفيه يظهر العز والذل وقيل إن العرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء وإن المعنى هنا الوجه وغيره وقيل المراد بالوجه هنا المقصد أي من أخلص مقصده ومجموع الشرط والجزاء رد على أهل الكتاب وإبطال لتلك

الدعوى {وَهُوَ مُحْسِنٌ} ضَغْ الْحَالَاسْ أَنْتَ إِسِيوَحَّدْ اللهُ موحد أي متبع في عمله لله {فَلَهُ} أَجْرُهُ} وَدِيزَ إِلَّاسْتُو أَرُوزْنيتْ {عِندَ رَبِّهِ} غُرْ أَمَلِينّيتْ أي ثواب عمله وهو الجنة {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} وَلَاطَص فَلَّاسَّنْ أي في الآخرة وأما في الدنيا فالمؤمنون أشد خوفاً وحزناً من غيرهم لأجل خوفهم من العاقبة {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وَرْتَلِّينْ أَدْ مَغْلْشِينْ ضَغْ اَلَاخِرَةْ على ما فاتهم من الدنيا أو للموت (١١٢) {وَقَالَتِ اِلْيَهُودُ} أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ {لَيْسَتِ اِلنَّصَارى} وَرْتَلِينْ النَّصَارَى {عَلَى شَيْءٍ} فَلَتِّلَانْ أَكْفَرَنْ أَسْ عِيسَى قاله رافع بن حرملة {وَقَالَتِ اِلنَّصَارى} أَنَّنْ النَّصَارَى {لَيْسَتِ اِلْيَهُودُ} وَرْتَلِّينْ اَلْيَهُودَنْ {عَلَى شَيْءٍ} فَلَتِّلَانْ أَكْفَرَنْ أَسْ مُوسَى بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه إثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم قيل نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران تناظروا عند النبي صلى الله عليه وسلم وارتفعت أصواتهم وقالوا هذا القول وفيه أن كل طائفة تنفي الخير عن الأخرى ويتضمن ذلك إثباته لنفسها تحجراً لرحمة الله سبحانه {وَهُمْ يَتْلُونَ اَلْكِتَابَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ أَنْتَنَيْ غَارَّنْ اَلْكَتَّابَنَّسَنْ إِلَّيْ ضَغْ اَلْكَتَّابْ وَانَّ الْيَهُودَنْ أَسَدَّتِي أَنْ عِيسَى إِلَّيْ ضَغْ وَانَّ اَلنَّصَارَى أَسَدَّتِي أَنْ مُوسَى أي التوراة والإنجيل وليس فيهما هذا الاختلاف فكان حق كل منهم أن يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فإن كتب الله تعالى متصادقة {كَذَلِكَ} زُونْ أَوَادَ أَنَّنْ وِينْ أي مثل ذلك الذي سمعت به بعينه لا قولاً مغايراً له {قَالَ الَّذِينَ} ءَانَّنْ وِنْدِي {لَا يَعْلَمُونَ} وَرْنَصّينْ ءَاتِّلَانْ أَتنِمُوصَنْ اَلْمُشْرِكَنْ {مِثْلَ قَوْلِهِمْ} تُولَاتْ أَنْطَنَّانْ وِينْدِيدَا ءَانَّنْ ضَغَاسْ إِوَرَمُوصَنْ وِرِطّيفْ ءَاتِّلَانْ المراد بهم كفار العرب الذين لا كتاب لهم قالوا مثل مقالة اليهود اقتداء بهم لأنهم جهلة لا

يقدرون على غير التقليد لمن يعتقدون أنه من أهل العلم {فَاللهُ} اللهُ {يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} أَدِيحْكَمْ كِريسَّنْ {يَوْمَ الْقِيَّامَةِ} أَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ أي بين المحق والمبطل {فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} ضَغْ أَوَسْتَلَّنْ أَمِّزْرَيَنْ ضَغَسْ ضَغْ طَالْغَانَّدِّينْ من أمر الدين، أخبر سبحانه بأن هو المتولي لفصل هذه الخصومة التي وقع فيها الخلاف عند الرجوع إليه فيعذب من يستحق التعذيب وينجي من يستحق النجاة (١١٣) قال الرازي واعلم أن هذه الواقعة بعينها قد وقعت في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن كل طائفة تكفر الأخرى مع اتفاقهم على تلاوة القرآن انتهى {وَمَنَ اَظْلَمُ} ثمن وَرْتِلَّ إِيُوكِرَنْ طَاضْلَمْتْ "من" رفع بالابتداء و"أظلم" خبره والمعنى لا أحد أظلم {مِمَّن مَّنَعَ } ضَغْ وَيْكِادَّلَنْ {مَسَاجِدَ اللهِ} شِمَزْكِدَّاوِينْ نَ اللهُ {أَن يُّذْكَرَ فِيهَا اَسْمُهُ} ضَغْ أَدِيتَاوَغْرُو ضَغَسْنَتْ ايصَمَنيتْ سَمُودْ مَدي التَّسْبِيحْ أي لا أحد أظلم ممن يمنع مساجد الله أي من يأتي إليها للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه و"أن" في موضع نصب على البدل من "مساجد" ويجوز أن يكون التقدير كراهية أن يذكر ثم حذف ويجوز أن يكون التقدير من أن يذكر فيها وحرف الخفض يحذف مع "أن" لطول الكلام {وَسَعى} أوزَالْ {فِي خَرَابِهَا} ضَغْ أَجَبَّرَجِّي نَسْنَتْ مَدي أَكِدَالْ نَمُودْ ضَغَسْنَتْ قال أبو البقاء الخراب اسم مصدر بمعنى التخريب وقال غيره هو مصدر خرب المكان يخرب خراباً وهو هنا السعي في هدمها ويجوز أن يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون أعم من قوله "أن يذكر فيها اسمه" فيشمل جميع ما يمنع من الأمور التي بنيت لها المساجد لتعلم العلم وتعليمه والقعود للاعتكاف وانتظار الصلاة {أُولَئِكَ} وِنْدِي {مَا كَانَ لَهُمُ} وَرِيمَّكَّنْ يَاسَنْ {أَن يَّدْخُلُوهَا} أَتَنْتَّاكَّزَنْ {إِلَّا

خَائِفِينَ} ءَارْ ضَغْ اَلْحَالَاسْ تَهينْ طَصَا أنْكِمِينْ أَتَّاكِّينْ تَرْهيلْتْ فَلْ أَجَبَّرَجِّي نَسْنَتْ حال من الواو هذا استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما كان ينبغي للمانعين دخولها في جميع الأحوال إلا حال خوفهم وخشوعهم وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني إلا خائفاً إن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وفيه إرشاد للعباد من الله عز وجل أنه ينبغي لهم أن يمنعوا مساجد الله من أهل الكفر من غير فرق بين مسجد ومسجد وبين كافر وكافر كما يفيده عموم اللفظ وقيل معناه ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يمنعوهم منها {لَهُمْ} إِلَّاسَنْتُو {فِي الدُّنيَا} ضَغْ الدَّنيتْ {خِزْيٌ} تَكِّرَانْشِتْ يعني الصغار والذل والقتل والسبي وقيل هو ضرب الجزية عليهم وإذلالهم وقيل غير ذلك وقد تقدم تفسيره {وَلَهُمْ} إِلَّاسَنْتُو {فِي الاَخِرَةِ} ضَغْ الاَخِرَةْ {عَذَابٌ} اَلْعَذَابْ {عَظِيمٌ} مَقَّرَنْ يعني النار واختلف الناس في المراد بهذه الآية وفيمن نزلت فذكر المفسرون أنها نزلت في بختنصر لأنه كان أخرب بيت المقدس وقال ابن عباس وغيره نزلت في النصارى والمعنى كيف تدعون أيها النصارى أنكم من أهل الجنة وقد خربتم بيت المقدس ومنعتم المصلين من الصلاة فيه ومعنى الآية على هذا التعجب من فعل النصارى ببيت المقدس مع تعظيمهم له وإنما فعلوا ما فعلوا عداوة لليهود روى سعيد عن قتادة قال أولئك أعداء الله النصارى حملهم إبغاض اليهود على أن أعانوا بخت نصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس وروي أن هذا التخريب بقي إلى زمن عمر رضي الله عنه وقيل نزلت في المشركين إذ منعوا

المصلين والنبي صلى الله عليه وسلم وصدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية وفي أحكام القرآن لابن العربي أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال (١١٤) ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة التي هي بيت المقدس وفي الصلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت {وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} إِلَّيْ يَ اللهُ دَنَّكِ دَطَارَامْ أَتَّسَدَاكِ كُولْ {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا} أَكِنَّا أَسْتَسَمَّلَلَّيَمْ أُودْمَاوَنَّوَنْ ضَغْ اَمُودْ سَلَمَرْ نَ اللهُ شرط ولذلك حذفت النون و"أين" العاملة و"ما" زائدة والجواب {فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ} ءَادِيزَ أَكِنَّا وَدِيدَا ءَاطَوَرْ الْقَابْلَةْ نَ اللهُ تَدَاوَنِفْرَنْ المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب وهما اسما مكان وقيل اسما مصدر أي الإشراق والإغراب أي هما ملك لله وما بينهما من الجهات والمخلوقات فيشمل الأرض كلها أي جهة تستقبلونها فهناك وجه الله أي المكان الذي يرتضي لكم استقباله وذلك يكون عند التباس جهة القبلة التي أمرنا بالتوجه إليها بقوله سبحانه "فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره" "وأين" هنا اسم شرط وهي ظرف مكان وتكون اسم استفهام أيضاً فهي مشترك بينهما و"ثَمّ" اسم إشارة للمكان البعيد خاصة مثل هنا اختلف الناس في تأويل الوجه المضاف إلى الله تعالى في القرآن والسنة فقال الحذاق ذلك راجع إلى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلها قدرا وقال ابن فورك قد تذكر صفة الشيء والمراد بها الموصوف توسعا، كما يقول القائل رأيت علم فلان اليوم ونظرت إلى علمه وإنما يريد بذلك رأيت العالم ونظرت إلى العالم وعلى هذا يتأول قوله تعالى "إنما نطعمكم

لوجه الله" لأن المراد به لله الذي له الوجه وكذلك قوله "إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى" أي الذي له الوجه قال ابن عباس الوجه عبارة عنه عز وجل كما قال "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" وقيل المراد بالوجه هنا الجهة التي وجهنا إليها أي القبلة وقيل الوجه القصد كما قال الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

وقيل المعنى فثم رضا الله وثوابه كما قال "إنما نطعمكم لوجه الله" أي لرضائه وطلب ثوابه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "من بنى مسجدا يبتغي به وجه لله بنى الله له مثله في الجنة" وقيل المراد فثم الله والوجه صلة وهو كقوله "وهو معكم" قاله الكلبي والقتبي {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {وَاسِعُ} تيوَايْ مَكّتْنيتْ أَكُلّ نَرَطْ {عَلِيمٌ} أَمُوصَنْ ضَغْ اَتَّدْبِيرْ أَنْ تَخَلَّاكْنيتْ فيه إرشاد إلى سعة رحمته وأنه يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم وقيل واسع بمعنى أنه يسع علمه كل شيء كما قال وسع كل شيء علماً عن ابن عباس قال أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة قال الله تعالى "ولله المشرق والمغرب" الآية فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الله إلى البيت العتيق ونسخها فقال "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام" وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلّي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به ثم قرأ ابن عمر هذه الآية "أينما تولوا فثم وجه الله" وقال في هذا أنزلت هذه الآية وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه ابن

أبي شيبة والترمذي وصححه وابن ماجة (١١٥) {وَقَالُوا} أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ دَالنَّصَارَى أَدْوِينَدَّعَنينْ ءَاسْ أَنْكِلُوسَنْ بَنَاتُ اللهِ {اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا} إِيلَ اللهُ ءَارًا القائل هم اليهود والنصارى فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقيل هم كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله والمراد بقوله {سُبْحَانَهُ} إِنِيمَكِّكْ أَتَّلَانَّارًا تنزيه الله تعالى عما نسبوا إليه من اتخاذ الولد "سبحان" منصوب على المصدر ومعناه التبرئة والتنزيه والمحاشاة من قولهم اتخذ الله ولدا {بَلْ لَهُ مَافِي السَّمَوَاتِ} بَاتَّارْ إِلَّاسْتُو أَوَتِلَّنْ ضَغْ جَنَّاوَنْ {وَالاَرْضِ} دَ مَضَالْ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا أي بل هو مالك لما فيهما فكيف ينسب إليه الولد وهؤلاء القائلون داخلون تحت ملكه والولد من جنسهم لا من جنسه ولا يكون الولد إلا من جنس الوالد {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} أَكُلٌّ نِيَّنْ ضَغْ تَخَلَّاكْ إِزِّينَزَاسْ سَوُوطَصْ ضَغَسْ ابتداء وخبر والتقدير كلهم ثم حذف الهاء والميم "قانتون" أي مطيعون ومقرون له بالعبودية والقانت المطيع الخاضع قال الزجاج فالخلق قانتون أي قائمون بالعبودية إما إقراراً وإما أن يكونوا على خلاف ذلك فأثر الصنعة بين عليهم (١١٦) {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ} أَنْتَ اللهُ أَنَسِّينْفَكْ أَنْ جَنَّاوَنْ فعيل للمبالغة وارتفع على خبر ابتداء محذوف واسم الفاعل مبدع كبصير من مبصر {وَالاَرْضِ} دَ مَضَالْ فَلَاوَرْنَمُوصْ اَلْمِتَالْ أَدَّزَّارَنْ أبدع الشيء أنشأه لا عن مثال فالله عز وجل بديع السموات والأرض أي منشئها وموجدها ومبدعها ومخترعها على غير حد ولا مثال قال القرطبي وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع ومنه أصحاب البدع وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام وفي البخاري "ونعمت البدعة هذه" يعني قيام رمضان وكل بدعة صدرت من مخلوق

فلا يخلو إما أن يكون لها أصل في الشرع أو لا فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه فهي في حيّز المدح وإن لم يكن مثاله موجودا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهذا فعله من الأفعال المحمودة وإن لم يكن الفاعل قد سبق إليه ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه «نعمت البدعة هذه» لمّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيّز المدح وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيز الذم والإنكار وهو معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم في خطبته «وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» يريد ما لم يوافق كتابا أو سنة أو عمل الصحابة رضي الله عنهم وقد بيّن هذا بقوله صلّى الله عليه وسلّم «من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» {وَإِذَا قَضى أَمْرًا} ءَامَرُوطَصْ اَسَوَّقَّعْ أَنْطَالْغَ أي إذا أراد إحكامه وإتقانه كما سبق في علمه الأمر واحد الأمور وليس بمصدر أمر يأمر {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ} ءَادِيزَ إِلَّكَنَاسْ أَضَاصَنُّو {كُنْ} أَمَلْتُو {فَيَكُونُ} تَمَلْتُو أَدِّيدَا الظاهر في هذا المعنى الحقيقي وأنه يقول سبحانه هذا اللفظ وليس في ذلك مانع ولا جاء ما يوجب تأويله ومنه قوله تعالى "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" وقال تعالى "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" وقال "وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر" وقد قيل إن ذلك مجاز وأنه لا قول وإنما هو قضاء يقضيه فعبر عنه بالقول وقال البيضاوي ليس المراد حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة

المأمور المطيع بلا توقف انتهى (١١٧) {وَقَالَ الَّذِينَ} أَنَّنْ وِينْدِي {لَا يَعْلَمُونَ} وَرَنَصّينْ أَتِّلَانْ أَتَنِمُوصَنْ الْمُشْرِيكَنْ ءَانْ مَاكَطْ قيل هم اليهود وقيل النصارى ورجحه ابن جرير لأنهم المذكورون في الآية وقيل مشركو العرب وعليه أكثر المفسرين {لَوْلَا} مَفيلْ "لولا" بمعنى "هلا" تحضيض وليست هذه "لولا" التي تعطي منع الشيء لوجود غيره والفرق بينهما عند علماء اللسان أن "لولا" بمعنى التحضيض لا يليها إلا الفعل مظهرا أو مقدرا والتي للامتناع يليها الابتداء وجرت العادة بحذف الخبر {يُكَلِّمُنَا اللهُ} إِشِّوَلْ سَرْنَا اللهُ إِمَلَانَا ءَاسْ كَيْ أَنَمَّازُولْنيتْ مشافهة من غير واسطة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنعلم أنه نبي أو بواسطة الوحي إلينا لا إليك فنؤمن به وهذا منهم استكبار وتعنت {أَوْ تَاتِينَا ءَايَةٌ} مَدي تَاصَانَاضُو تَجَاجَبْتْ إِيَّتْ ضَغْ شِيْنْ ضَغَكْنَكِّمَيْ أي علامة على نبوته وهذا منهم جحود {كَذَلِكَ} زُونْ أَوَادَ أَنَّنْ وِينْدَا أي مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد {قَالَ الَّذِينَ} ءَانَّنْ وِنْدِي {مِن قَبْلِهِم} دَاتْ سَنْ ضَغْ كُوفَارْ أَنْتَمَاتِّوِينْ شِنَكِّلَنينْ قيل هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب أو الأمم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون اليهود والنصارى أو اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى {مِّثْلَ قَوْلِهِمْ} تُولَاتْ أَنْطَنَّانْ وِنْدَا وذلك أن اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلته {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} نِيمَلَنْ وَلَّنْ نَسَنْ ضَغْ الْكَفَرْ دَظَلَنْظُولِي أي في التعنت والعمى والعناد والاقتراح وقال الفراء في اتفاقهم على الكفر {قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ} إِكَّاسْ سِنَفَالَلَا شِجُوجَابْ أي نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم سبحان من صغر

البعوض وكبر الفيل لا أنا بيناها بعد أن لم تكن بينة {لِقَوْمٍ} إميدَّنْ {يُوقِنُونَ} وِنْسَلَّاكنّينْ ءَاسْ أَنْتَنْتَيْ شِجُوجَابْ أي يعترفون بالحق وينصفون في القول ويذعنون لأوامر الله سبحانه لكونهم مصدقين له سبحانه مؤمنين بآياته متبعين لما شرعه لهم (١١٨) {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ} إِلّكَنَاسْ أَزُّوزَلَقَيْدُو {بِالْحَقِّ} أَدطُّنُورَيْ أي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالإسلام وقيل معناه لم نرسلك عبثاً بل أرسلناك بالحق {بَشِيرًا} اَلْحَالْ أَنَّميلْنَكْ تَمُوصَا أَنَبّيشَّرْ سَ الْجَنَّةْ إِوَدَاكْ إِكُّونَنْ نصب على الحال أي مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب العظيم {وَنَذِيرًا} تَمُوصَا أَمَاوَاتْ نَكُورَيْ إِوَدَاكْ وَرْنَكُّونْ أَسْ تَمْسَيْ أي منذراً ومخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم {وَلَا تَسْئَلْ} أَدْوَرْ تَصَّصْطَنَا {عَنَ اَصْحَابِ الْجَحِيمِ} فَلْ سَلَانْ أَنْ كَلْ تَمْسَيْ إِسَلَانْ نَسَنْ إِلَبَاسْنينْ قرأ الجمهور بالرفع مبنياً للمجهول أي حال كونك غير مسئول وقريء بالرفع مبنياً للمعلوم قال الأخفش ويكون في موضع الحال عطفاً على بشيراً ونذيراً أي حال كونك غير سائل عنهم لأن علم الله بكفرهم بعد إنذارهم يغني عن سؤاله عنهم وقرأ نافع ولا تسأل بالجزم والمعنى ولا يصدر منك السؤال عن هؤلاء وعمن مات منهم على كفره ومعصيته تعظيماً لحاله وتغليظاً لشأنه أي إن هذا أمر فظيع وخطب شنيع، يتعاظم المتكلم أن يجري على لسانه ويتعاظم السمع أن يسمعه وفي القاموس الجحيم النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض والمعنى لا تسأل عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فإنها شنيعة ولا يمكنك في هذه الدار الإطلاع عليها وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وآله وسلم (١١٩) {وَلَن تَرْضى عَنكَ الْيَهُودُ} وَرْزَرْضِينْ فَلَّاكْ الْيَهُودَنْ {وَلَا النَّصَارى} وَلَادَ النَّصَارَى

حنفي

{حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} هَارْ تِيلَالَا الدِّينْ وَانَّسَنْ أي ليس غرضهم ومبلغ الرضا منهم ما يقترحونه عليك من الآيات ويوردونه من التعنتات فإنك لو جئتهم بكل ما يقترحون وأجبتهم عن كل تعنت لم يرضوا عنك حتى تدخل في دينهم وتتبع ملتهم والملة اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه على ألسن أنبيائه وهكذا الشريعة وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة أيسوا منه أن يوافقهم عليها والرضا ضد الغضب وهو من ذوات الواو لقولهم الراضون و"تتبع" منصوب بأن ولكنها لا تظهر مع حتى قاله الخليل وذلك أنّ حتى خافضة للاسم كقوله "حتى مطلع الفجر" وما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل ألبتة وما يخفض اسما لا ينصب شيئا وقال النحاس "تتبع" منصوب بحتى و"حتى" بدل من أنْ {قُلِ} أَنَّاصَنْ {إِنَّ هُدَى اللهِ} إِلّكَنَاسْ طَانُورَيْ تَانَّ اللهُ أَتِتِمُوصَنْ الِاسْلَامْ أي الإسلام {هُوَ الْهُدى} أَنْتَ طَانُورَيْ ءَاوَرْ طَمُوصْ ءَاخْرُوكْ الحقيقي لا ما أنتم عليه من الشريعة المنسوخة والكتب المحرفة ثم أتبع ذلك بوعيد شديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال {وَلئِنِ اتَّبَعْتَ} تَاهُوضَيْ أَتَّلِيلَا "ولئن" هذه تسمى اللام الموطئة للقسم وعلامتها أن تقع قبل أدوات الشرط وأكثر مجيئها مع إنْ وقد تأتي مع غيرها نحو "لما آتيتكم من كتاب" "لمن تبعك منهم" {أَهْوَآءَهُم} اَلْهَوَاتَنْ نَّسَنْ وِنْدَغَكْ يَّامَّيَنْ أي أهواء اليهود والنصارى {بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ} دَفَّرَادِي أَكَيْضُوصَنْ {مِنَ الْعِلْمِ} ضَغْ الْوَحِي أَدَّفَالَنْ غُرْ اللهُ أي البيان بأن دين الله هو الإسلام وأن القبلة هي قبلة إبراهيم وهي الكعبة أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه

أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله هذه الآية وجواب القسم قوله {مَا لَكَ} كُداكِّمَلْ {مِنَ اللهِ} غُرْ اللهُ {مِن وَّلِيٍّ} أَيْمُوصَنْ أَمَارَايْ سَرَكْ أَكَيحْفَظَنْ يلي أمرك ويقوم بك {وَلَا نَصِيرٍ} وَلَ مَانْصَارْ أَكَيُوكَظَنْ ضَغْ الْعَذَابْ أي مانع يمنعك منه (١٢٠) {الَّذِينَ} ونْدِي {ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ} أَكْفي اَلْكَتَّابْ آنَّ التَّوْريةْ هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل هم المسلمون والكتاب هو القرآن وقيل من أسلم من أهل الكتاب وقال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلاً ثمانية من رهبان الشام منهم بحيرى الراهب والباقي من الحبشة وقيل هم المؤمنون عامة {يَتْلُونَهُ} إِمُوصَاصْ غَارَّنْتُو {حَقَّ تِلَاوَتِهِ} تيغَرَيْ تَدَرِهوُرْ تيغَرَيْ تَظِيلَالَغَتْ أي يقرؤونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالتلاوة أنهم يعملون بما فيه فيحللون حلاله ويحرمون حرامه فيكون من تلاه يتلوه إذا اتبعه أي يتبعونه حق اتباعه وعن الحسن قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه وقيل يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه وأسراره {أُولَئِكَ} ونْدِيزَ {يُومِنُونَ بِهِ} أَظِّكْظَنَنْ سَرَسْ أي يصدقون به فإن كانت الآية في أهل الكتاب فالمعنى أن المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن في التوراة نعته وصفته وإن كانت في المؤمنين عامة فالمعنى ظاهر {وَمَن يَّكْفُرْ بِهِ} إيكْفَرَنْ سَلْكَتَّابْ وَيْتَوَكْفَا أَتِّسِيمَلَّلِي أي يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم {فَأُولَئِكَ} ونْدِي {هُمُ الْخَاسِرُونَ} أَنْتَنَيْ ءَاكْمَلْنين ضَغْ تَغَاسِّيرْتْ أي خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالإيمان "الذين"

مبتدأ وآتيناهم صلته و"يتلونه" حال مقدرة من هم أو من الكتاب لأنهم لم يكونوا وقت إتيانه تالين له و"حق" منصوب على المصدر لأنها صفة للتلاوة في الأصل لأن التقدير تلاوة حقا وإذا قدم وصف المصدر وأضيف إليه انتصب نصب المصدر ويجوز أن يكون وصفا لمصدر محذوف و"أولئك" مبتدأ و"يؤمنون به" خبره والجملة خبر الذين ولا يجوز أن يكون يتلونه خبر الذين لأنه ليس كل من أوتي الكتاب تلاه حق تلاوته لأن معنى حق تلاوته العمل به وقيل يتلونه الخبر والذين آتيناهم لفظه عام والمراد به الخصوص وهو كل من آمن بالنبي من أهل الكتاب أو يراد بالكتاب القرآن (١٢١) ثم رجع الحقّ تعالى إلى تذكيرهم بالنعم فقال {يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ} يَا مَدَّانَسْ أَنْ يَعْقُوبْ {اذْكُرُوا} أَكْطَطْ {نِعْمَتِيَ} أَلْنِّعْمَتِينْ {الَّتِي} تَدِي {أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} أَنْعَمَا فَلْ مَرْوَنَّوَنْ {وَأَنِّي} دَاسْ نَكْ {فَضَّلْتُكُمْ} صَصَّافَ إِمَرْوَنَّوَنْ {عَلَى الْعَالَمِينَ} فَلْ تَخَلَّاكْ نَزَّمَانْ نَّسَنْ أي واذكروا تفضيلي إياكم على عالمي زمانكم (١٢٢) {وَاتَّقُوا} تِكْصَاصَمْ {يَوْمًا} أَزَلْ {لَا تَجْزِي نَفْسٌ} أَضَغْ وَرْزَاطَكْنُو طَمينْطْ {عَن نَّفْسٍ} إيطَمينْطْ {شَيْئًا} ءَاتِّلَانْ مَدي يَاكْ وَرْزَاطَرْغَمْ ضَغَسْ طَمينْطْ فَلِيَّتْ طيمينْطْ ءَاتِّلَانْ {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ} وَرِيتَوَقْبِيلْ ضَغَسْ الْفِدَا {وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ} وَرْ ضَغَسْ طَهَا طَنْفَا شِنَاغِينْ فَلَاسْ وَرْطَهِينَطْ أَنْكَمْ تُوَقْبَلْنَتْ {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} وَرْتَلِّينْ أَتَّوِيكَظَنْ ضَغْ الْعَذَابْ قد مر مثل هذا في صدر السورة وقد تقدم تفسيره وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه (١٢٣) {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ} طَكْطَا تَمَلَا أَدِّي أَدِجَّرَّبْ أَمَلِي نِ إِبْرَاهِيمْ إِبْرَاهِيمْ إذ في موضع نصب على ربع

المفعول به أي اذكر {بِكَلِمَاتٍ} أَسْتَاوَلينْ اَلاوَامِرْ دَ النَّوَاهِي أَسْتِيسَكَّلَّفْ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لبني إسرائيل والابتلاء الاختبار والامتحان أي ابتلاه بما أمره به وهو استعارة تبعية واقعة على طريق التمثيل أي فعل معه فعلاً مثل فعل المختبر والغرض من هذا التذكير توبيخ أهل الملل المخالفين وذلك لأن إبراهيم يعترف بفضله جميع الطوائف قديماً وحديثاً فحكى الله عن إبراهيم أموراً توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن ما أوجبه الله على إبراهيم جاء به محمد وفي ذلك حجة عليهم وقد اختلف العلماء في تعيين الكلمات فقيل هي شرئع الإسلام وقيل ذبح ابنه وقيل أداء الرسالة وقيل هي خصال الفطرةوقيل معناه ابتلاه الله بأمر عظيم فصبر وأحسن الظن بالله فأول ذلك الكوكب والقمر والشمس ثم النار فجعلها عليه بردا وسلاما ثم بالهجرة من أهله وولده ثم بالختان على رأس ثمانين سنة {فَأَتَمَّهُنَّ} إيسَنْدينْ أَسْتَغَرَانَّسَنْ أي قام بهن أتم قيام وامتثل أكمل امتثال واختلف هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل بالأول بدليل السياق فإنه يدل على أن قيامه عليه السلام بهن كالسبب لأن يجعله الله إماماً والسبب يتقدم على المسبب وقيل بالثاني لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي وذلك بعد النبوة وقيل إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإن فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة {قَالَ} إنَّاصْ اللهُ دَقَّرْ أَسَنْدِينيتْ يَاسَنْ {إِنِّي جَاعِلُكَ} إِلّكَنَاسْ نَكْ أَكَيكَا {لِلنَّاسِ} يَيْتيدَنْ أي لأجلهم {إِمَامًا} اَلامَامْ أَستِيوَهُرُوتْ سَرَسْ يقتدي بدينك وهديك وسنتك والإمام هو الذي يؤتم به {قَالَ} إنَّاصْ إبْرَاهِيمْ {وَمِن ذُرِّيَتِي} تَكِي ضَغْ

أَزُورِيَابِنِيسْ

أَزْوَرِيَانِينْ إِيلِيمَامَنْ أَنْتَنِيدَا {قَالَ} إِنَّاصْ اللهُ {لَا يَنَالُ عَهْدِيَ} وَرْزَنَّهَلْ أَرْكَوَالِنْ وَانْ تَلَّمُومِيَا {الظَّالِمِينَ} وِينَمُوصْنِينْ إِكُوفَارْ ضَغْ الذُّرِّيَّاتَّكْ يحتمل أن يكون ذلك دعاء من إبراهيم أي واجعل من بعض ذريتي أئمة ويحتمل أن يكون هذا من إبراهيم لقصد الإستفهام وإن لم يكن بصيغته أي ومن ذريتي ماذا يكون يا رب فأخبره أن فيهم عصاة وظلمة وأنهم لا يصلحون لذلك ولا يقومون به ولا ينالهم عهد الله سبحانه وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق (١٢٤) ثم ذكر شرف البيت الذي هو المقصود فقال {وَإِذْ جَعَلْنَا اَلْبَيْتَ} طَكْطَا تَمَلَا أَدِّي أَدكِّي الْكَعْبَةْ بمعنى صيرنا لتعديه إلى مفعولين {مَثَابَةً} أَهَنْصَاغَلْ {لِلنَّاسِ} يَيْتِيدَنْ أَدُّوتَاقَّلَنْ ضَغْ أَكَّلْ أَنْتَسَدَكْ أي لأجلهم أو لأجل مناسكهم والبيت هو الكعبة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا ويدخل فيه جميع الحرم لوصفه بكونه آمناً كما سيأتي ومثابة مصدر من ثاب يثوب مثاباً ومثابة أي مرجعاً يرجع الحجاج إليه بعد تفرقهم عنه وقيل المثابة من الثواب أي يثابون هنالك {وَأَمْنًا} دَدَكِّ أَنْتَافْلَسْتْ يَاسَنْ هو اسم مكان أي موضع أمن {وَاتَّخَذُوا} طَكْطَا تَمَلَا أَدِّي أَدَكِّنْ أَيْتِيدَنْ قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على جهة الخبر عمن اتخذه من متبعي إبراهيم وهو معطوف على "جعلنا" أي جعلنا البيت مثابة واتخذوه مصلى وقيل هو معطوف على تقدير إذ كأنه قال وإذ جعلنا البيت مثابة وإذ اتخذوا فعلى الأول الكلام جملة واحدة وعلى الثاني جملتان وقرأ جمهور القراء "واتخذوا" بكسر الخاء على جهة الأمر قطعوه من الأول وجعلوه معطوفا جملة على جملة {مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ} ضَغْ اَلْمَقَامْ آنِّ إِبْرَاهِيمْ {مُصَلًّى} أيدَكِّ نَمُودْ تيغَرَيْ إِيَّتْ تَكِّيمْ يَا وِنْدَ اَيْتِيدَنْ بصيغة الأمر اختلف في تعيين المقام على أقوال

أصحها أنه الحجر الذي يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتي الطواف وقيل المقام الحرم كله أخرج البخاري وغيره من حديث أنس عن عمر بن الخطاب قال "وافقت ربي في ثلاث ووافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت هذه الآية وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك" وأخرجه مسلم وغيره مختصراً من حديث ابن عمر عنه والأحاديث الصحيحة تدل على أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل به ليقوم فوقه كما في البخاري من حديث ابن عباس وهو الذي كان ملصقاً بجدار الكعبة وأول من نقله عمر بن الخطاب كما أخرجه عبد الرزاق والبيهقي بإسناد صحيح قيل كان أثر أصابع رجلي إبراهيم فيه فاندرست بكثرة المسح بالأيدي وإنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله وقد ورد في حديث الترمذي أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ} صَمَّطَرَ إِبْرَاهِيمْ {وَإِسْمَاعِيلَ} دِ إِسْمَاعِيلْ {أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ} ءَاسْ زَزْدَكِّتْ أيهَنِينْ ضَغْ الصَّنَمَنْ {لِلطَّآئِفِينَ} إِيونْتُوغَالَّيْنينْ {وَالْعَاكِفِينَ} أَدْ وِينَغْسَرْنينْ غُورَسْ {وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} أَدْ وِنْ رَاكَّعْنينْ سَاجَادَنْ وِنْ تِيمُودْنينْ معنى عهدنا هنا أمرنا أو أوحينا وقيل ألزمنا وأوجبنا ومن أغرب ما نقل في تسمية إسماعيل أن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ويقول في دعائه اسمع يا إيل وإيل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه

به

به (١٢٥) {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} طَكْطَا تَمَلَا أَدِّي أَضِنَّ إِبْرَاهِيمْ {رَبِّ} أَمَلِينِينْ {اجْعَلْ هَذَا} أَكُو وَادَ ايدَكْ أي مكة وقيل الحرم {بَلَدًا ءَامِنًا} أَكَالْ إِفْلَسَنْ والمراد الدعاء لأهله من ذريته وغيرهم كقوله عيشة راضية أي راض صاحبها {وَارْزُقْ أَهْلَهُ} تَرْظَغْ إِمصَّاوَصْ {مِنَ الثَّمَرَاتِ} ضَغْ النُّوعَنْ أَنْتِينَوِينْ إِكَاسْ ءَادِيدَ {مَنَ ءَامَنَ مِنْهُم} وِينَظَّكْظَنِّينْ ضَغْسَنْ من بدل من أهله وهو بدل بعض من كل {بِاللهِ} سَ اللهُ {وَالْيَوْمِ الآخِرِ} دَزَلْ أَيْلْكَمَنْ أَنْتَنَيْ غَاسْ ءَاصْكَطَا أَسْ تُوَاطْرَيْدِي إنما سأل إبراهيم ذلك لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمرة فاستجاب الله له وجعل مكة حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء عن محمد بن مسلم الطائفي قال بلغني أنه لما دعا إبراهيم للحرم نقل الله الطائف من فلسطين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله {قَالَ} إِنَّاصْ اللهُ {وَمَن كَفَرَ} أَدْ وَيْكْفَرَنْدَا دَاسَرْظَغْ {فَأُمَتِّعُهُ} سَتَّمْتَعَغَاسْ أي سأرزق الكافر أيضاً {قَلِيلًا} ءَانْضَرَّنْ أَرَطْ نَضَانْ ءَانْتَمَدُّورْتْنِيتْ أي في الدنيا مدة حياته {ثُمَّ أَضْطَرُّهُ} دَقَّرَادِ أَضْكِظَقُّو أي ألجئه بعد هذا التمتع {إِلَى عَذَابِ النَّارِ} سَلْعَذَابْ ءَانْ تَمْسَيْ أخبر سبحانه أنه لا ينال الكفرة من الخير إلا تمتعهم في هذه الدنيا وليس لهم بعد ذلك إلا ما هو شر محض {وَبِيسَ الْمَصِيرُ} تَلَّابَسْتْ نَسكَّارُو تَمُوصنْطُو تَمْسَيْ أي المرجع هي والواو فيه ليست للعطف وإلا لزم عطف الإنشاء على الإخبار بل للإستئناف كما قال في المغنى في قوله "واتقوا الله ويعلمكم الله" (١٢٦) {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ } طَكْطَ تَمَلَا أَدِّي أدِيسَهَّاكَطْ إِبْرَاهِيمْ {الْقَوَاعِدَ} دَبَيْتَنْ {مِنَ الْبَيْتِ} نَهَنْ {وَإِسْمَاعِيلُ} أَنْتَادِ إِسْمَاعِيلْ كَانِّينْ حكاية حال ماضية استحضاراً لصورته العجيبة والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس قاله أبو عبيدة والفراء{رَبَّنَا} أَمَلِينَنَا

أي قائلين ربنا وقرأ أبيّ وابن مسعود يقولان ربنا {تَقَبَّلْ مِنَّا} تَقْبَالَا ضَغْنَا أَكَرَاصْ نَنَا أي طاعتنا إياك وعبادتنا لك {إِنَّكَ} إِلّكَنَاسْ كَيْ {أَنتَ السَّمِيعُ} كَيْ أَيْسَالَّنْ يَوَانَكِّانُو لدعائنا {الْعَلِيمُ} نَمُوصَنْ ضَغْ أَوَانَتَامَزَالْ بنياتنا وفي القسطلاني على البخاري بنيت الكعبة عشر مرات الأول بناء الملائكة الثاني بناء آدم الثالث بناء ابنه شيث بالطين والحجارة وغرق بالطوفان الرابع بناء إبراهيم الخامس بناء العمالقة السادس بناء جرهم والذي بناه منهم هو الحرث بن مضاض الأصغر السابع بناء قصي خامس جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الثامن بناء قريش التاسع بناء عبد الله بن الزبير في أوائل سنة أربع وستين العاشر بناء الحجاج انتهى حاصله قال سليمان الجمل وهذا بحسب ما اطلع عليه وإلا فقد بناه بعد ذلك بعض الملوك سنة ألف وتسع وثلاثين كما نقله بعض المؤرخين (١٢٧) {رَبَّنَا} أَمَلِينَنَا {وَاجْعَلْنَا} تَكِيغَانَا {مُسْلِمَيْنِ لَكَ} إِمَا كَّارَنْ نَسَالْوَايْ يَاكْ أي ثابتين عليه أو زدنا منه قيل المراد بالإسلام هنا مجموع الإيمان والأعمال {وَمِن ذُرِّيَّتِنَا} تَكِي ضَغْ الذُّرِّيَّتَنَا {أُمَّةً} تَمَتَّيْ {مُّسْلِمَةً لَكَ} أَدَاكْ تَكَّارَتْ أَسَالْوَايْ من للتبعيض أو للتبيين {وَأَرِنَا} تَصِيكْنَغَانَا {مَنَاسِكَنَا} الشَّرِيعَاتَنْ نَدِّينْ نَنَا هي من الرؤية البصرية والمناسك جمع نسك وأصله في اللغة الغسل يقال نسك ثوبه إذا غسله وهو في الشرع اسم للعبادة وقيل واحدها منسك والمراد هنا مناسك الحج وقيل جمع التعبدات قال علي لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال قد فعلت أي رب فأرنا مناسكنا أبرزها لنا وعلمناها فبعث الله جبريل فحج به وفي الباب آثار كثيرة عن السلف من الصحابة ومن بعدهم يتضمن أن جبريل أرى إبراهيم المناسك وفي أكثرها أن الشيطان تعرض له {وَتُبْ عَلَيْنَا} تَقْبَالَ تَتُوبْتْ فَلَّانَا أي تجاوز عنا

والمراد بالتوبة التثبيت، لأنهما معصومان لا ذنب لهما وقيل المراد وتب على الظلمة منا {إِنَّكَ} إِلّكَنَاسْ كَيْ {أَنتَ التَّوَّابُ} كَيْ أَمِيكِتْ نَلْقَبُولْ أَنْتَتُوبْتْ أي المتجاوز عن عباده {الرَّحِيمُ} نَمَهِّينَنْ بهم (١٢٨) {رَبَّنَا} أَمَلِينَّنَا {وَابْعَثْ فِيهِمْ} تَرُّوزَلَادُو ضَغْ كَلْ أَهَنَّنَا {رَسُولًا} أَنَمَّازُولْ {مِنْهُمْ} إِمُوصَنْ إِيَّنْ ضَغْسَنْ إِقْبَلْ اللهُ طَوَاطْرَيْنِيتْ أَسْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلموقد أجاب الله لإبراهيم عليه السلام هذه الدعوة فبعث في ذريته رسولاً منهم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخبر عن نفسه أنه دعوة إبراهيم كما أخرجه أحمد من حديث العرباض بن سارية وغيره ومراده هذه الدعوة وقد أجمع على ذلك المفسرون لأن إبراهيم إنما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم فدل على أن المراد به محمد صلى الله عليه وآله وسلم {يَتْلُوا عَلَيْهِم} إِغَارَّنْ فَلَّاسَّنْ {ءَايَاتِكَ} الَايَتِينَّكْ وهو القرآن {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} إِصُوصُنْتَنْ الْقُرَانْ أي معاني الكتاب من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام الشرعية والكتاب هو القرآن {وَالْحِكْمَةَ} دَوَطِيهَنْ ضَغْ الْحَكُومَنْ أي ويعلمهم الحكمة وهي الإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه والمراد بالحكمة هنا المعرفة بالدين والفقه في التأويل والفهم للشريعة وقال قتادة هي السنة وقيل هي الفصل بين الحق والباطل وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما وقيل إن المراد بالآيات ظاهر الألفاظ والكتاب معانيها والحكمة الحكم وهو مراد الله بالخطاب وقيل غير ذلك {وَيُزَكِّيهِم} إِزَازْدَاكَّنْ ضَغْ الْكَفَرْ التزكية التطهير من الشرك وسائر المعاصى {إِنَّكَ} إِلّكَنَاسْ كَيْ {أَنتَ الْعَزِيزُ} كَيْ أَمَصَّرْنَيْ نَنَاغْلِيبْ {الْحَكِيمُ} نَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ أَوَيْتَاكْ أي الذي لا يعجزه

شيء(١٢٩) {وَمَن يَرْغَبُ} وَرْزِيفْرَغْ {عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ} فَلْ طَارِّيتْ تَانْ إِبْرَاهِيمْ أَيِّيتْ { إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} ءَارْ وَيْجْهَلَنْ يِمَانّيتْ وَرِصّينْ ءَاسْ الْمَخْلُوقَةْ نَ اللهُ أَيْمُوصْ مَدي وَرِيهَرَطْ صَغْ مَانّيتْ "مَنْ" استفهام في موضع رفع بالابتداء و"يرغب" صلة "مَنْ" "إلا من سفه نفسه" في موضع الخبر وهو تقريع وتوبيخ وقع فيه معنى النفي أي وما يرغب قال الزجاج وابن جني سفه بمعنى جهل أي جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها أنها مخلوقة لله فيجب عليه عبادته {وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ} تَاهُوضَيْ ءَارْ إِكَّاسْ طَفْرَانَا إِبْرَاهِيمْ {فِي الدُّنيا} صَغْ الدُّنيتْ تعليل للحصر قبله واللام جواب قسم محذوف والغرض منه الحجة والبيان لقوله "ومن يرغب" والاصطفاء الاختيار أي اخترناه في الدنيا بالرسالة والخلة كما شاهدوه {وَإِنَّهُ} إِلِّكَنَاسْ أَنْتَ ضيغينْ {فِي الآخِرَةِ} صَغْ الآخِرَةْ {لَمِنَ الصَّالِحِينَ} إِلِّيْ صَغْ ايكْلَانِينْ وِنَّ الصَّالِحَنْ أمر مغيب فاحتاج الإخبار به إلى فضل تأكيد قيل مع الأنبياء في الجنة أو الذين لهم الدرجات العلى فكيف يرغب عن ملته راغب (١٣٠) {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ} طَكْطَا تَمَلَا أَدِّي أَدَاصِنَّا أَمَلِينّيتْ {أَسْلِمْ} أَكِّرْ أَسَالْوَايْ تَزْزْدَكِّا أَدِّينَّكْ يَمَلِينَّكْ يحتمل أن يكون متعلقاً بقوله "اصطفيناه" أي اخترناه وقت أمرنا له بالإسلام ويحتمل أن يتعلق بمحذوف هو اذكر {قَالَ} إِنَّا {أَسْلَمْتُ} أَكَّارَ أَسَالْوَايْ {لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} يَمَلِي أَنْتَخَلَّاكْ أي فوضت أمري إليه قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار (١٣١) {وَأَوْصى بِهَا إِبْرَاهِيمُ} إِصَمَّطَرْ إِبْرَاهِيمْ أَتَّادَ طَارِّيْتْ قرأ أهل المدينة وأهل الشام "وأوصى" بالألف وقرأ الباقون بالتشديد وهما لغتان {بَنِيهِ} مَدَّانَسْ الضمير في "بها" راجع إلى الملة الحنيفية أو إلى الكلمة أي أسلمت لرب

العالمين قال القرطبي وهو أصوب لأنه أقرب مذكور أي قولوا أسلمنا انتهى والأول أرجح لأن المطلوب ممن بعده هو اتباع ملته لا مجرد التكلم بكلمة الإسلام فالتوصية بذلك أليق بإبراهيم وأولى بهم قيل كانوا ثمانية منهم إسمعيل وهو أول أولاده وقيل أربعة عشر {وَيَعْقُوبُ} أَدْ يَعْقُوبْ أَنْتَادَا إِصَمَّطَرْ دَرَسْ مَدَّانَسْ أَكَّلَّ نِيَّنْ إِنَّ إِمَدَّانَسْ معطوف على إبراهيم أي وأوصى يعقوب بنيه كما أوصى إبراهيم بنيه وكانوا اثني عشر{يَا بَنِيَّ} يَا مَدَّانِي قيل إنه من مقول إبراهيم وقيل من مقول يعقوب {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ} إِفْرَنَاوَنْ الدِّينْ وَنَّ الِاسْلَامْ المراد بالدين ملته التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه وهي الملة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله {فَلَا تَمُوتُنَّ} أَدْوَرْطَمّيمْ {إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ} ءَارْ ضَغْ الْحَالَاسْ كَوَني تَمُوصَمْ إِنَسْلَمَنْ إيجاز بليغ والمراد الزموا الإسلام ولا تفارقوه حتى تموتوا وهذا استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تموتوا على حالة غير حالة الإسلام وليس فيه نهي عن الموت الذي هو قهري ولهذا قال السيوطي نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت انتهى والمعني أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه عن فضيل بن عياض قال "مسلمون" أي محسنون بربكم الظن ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول "لا يموتن أحد إلا وهو يحسن الظن بربه" أخرجاه في الصحيحين

نص (١٣٢){أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ} ءَاكْ ايميلْ أَتُوتَكَمْ تَمِيكْنيمْ {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} أَدِّي أَدُوتَمَّكْنَتْ طَمَطَّانْتْ إِي يَعْقُوبْ أي ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقرب من الموت "وأم" هذه قيل هي المنقطعة وقيل هي

المتصلة وفي الهمزة الإنكار المفيد للتقريع والتوبيخ والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون إلى إبراهيم وإلى بنيه أنهم على اليهودية والنصرانية فرد الله ذلك عليهم وقال لهم أشهدتم يعقوب وعلمتم ما أوصى به بنيه فتدعون ذلك عن علم أم لم تشهدوا بل أنتم مفترونوسمى يعقوب لأنه هو وأخوه العيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج مسابقة ليعقوب فتأخر يعقوب عنه ونزل على إثره وعقبه في الخروج {إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ} أَدِّي أَضِينًّا إيمَدَّانَسْ يعني لأولاده الإثني عشر والعامل في"إذ" الاولى معنى الشهادة و"إذ" الثانية بدل من الأولى {مَا تَعْبُدُونَ} مَا زَاتَعْبَدَمْ أي أيُّ شيء تعبدون وإنما جاء بما دون من لأن المعبودات من دون الله غالبها جمادات كالأوثان والنار والشمس والكواكب {مِن بَعْدِي} دَفَّرْ طَمَطَّنْطِينْ أي من بعد موتي {قَالُوا} أَنَّنَاصْ {نَعْبُدُ} أَنَّعْبَدْ {إِلَهَكَ} أَمَلِينَّكْ {وَإِلَهَ ءَابَائِكَ} دَمَلِي أَنْ مَّرْوَنَّكْ {إِبْرَاهِيمَ} أَتِنمُوصَنْ إِبْرَاهِيمْ {وَإِسْمَاعِيلَ} دِ اِسْمَاعِيلْ {وَإِسْحَاقَ} دِاسْحَاقْ وإسمعيل وان كان عماً ليعقوب فإن العرب تسمي العم أباً والخالة أماً وعم الرجل صنو أبيهوقدم إسمعيل على إسحق لأنه أسبق منه في الولادة بأربع عشرة سنة وأنه جد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم {إِلَهًا وَاحِدًا} اَلْحَالْ نَمِيلْنيتْ إمُوصْ أَمَلِي إِيَّنْدَا و"إلها" بدل من "إلهك" بدل النكرة من المعرفة وكرره لفائدة الصفة بالوحدانية وقيل "إلها" حال قال ابن عطية وهو قول حسن لأن الغرض إثبات حال الوحدانية {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} نَكَنَيْ نَكَّارَاسْ أَسَالْوَايْ أي مخلصون التوحيد والعبودية ابتداء وخبر ويحتمل أن يكون في موضع الحال والعامل "نعبد" (١٣٣) {تِلْكَ} تَدِيدَا تَمَتَّيْ أَسْتَسَابَايَمْ أَدِّي {أُمَّةٌ} تَمَتَّيْ {قَدْ خَلَتْ} سِكَّاسْ تَكْلَا {لَهَا مَاكَسَبَتْ}

إلا لشتو

إِلَّاسْتُو مَارُوزَتْ نَوَدُوتَكْرَزْ {وَلَكُمْ مَاكَسَبْتُمْ} إِلَّاوَنْتُو مَارُوزَتْ نَوَدُوتَكْرَزَمْ تلك إشارة إلى إبراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه وما بعده بيان لحال تلك الأمة وحال المخاطبين بأن لكل من الفريقين كسبه لا ينفعه كسب غيره ولا يناله منه بشيء ولا يضره ذنب غيره وفيه الرد على من يتكل على عمل سلفه ويروح نفسه بالأماني الباطلة ومنه ما ورد في الحديث "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"وقال القرطبي وفي هذا دليل على أن العبد يضاف إليه أعمال وأكساب وإن كان الله تعالى أقدره على ذلك إن كان خيرا فبفضله وإن كان شرا فبعدله وهذا مذهب أهل السنة والآي في القرآن بهذا المعنى كثيرة فالعبد مكتسب لأفعاله على معنى أنه خلقت له قدرة مقارنة للفعل يدرك بها الفرق بين حركة الاختيار وحركة الرعشة مثلا وذلك التمكن هو مناط التكليف وقالت الجبرية بنفي اكتساب العبد وإنه كالنبات الذي تصرفه الرياح وقالت القدرية والمعتزلة خلاف هذين القولين وإن العبد يخلق أفعاله {وَلَا تُسْئَلُونَ} وَرْزَتَتَوَصَصْطَنَمْ {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فَلْ أَوَسْتَلَّنْ أَمُّوزَلَنْتُو أَمَّكَاسْ أَنْتَنَيْدَا وَرْزَتَوَصَصْطَنَنْ فَلْ أَوَاتَمُّوزَلَمْ أي عن أعمالهم كما لا يسئلون عن أعمالكم ومثله "ولا تزر وازرة وزر أخرى" "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" (١٣٤) {وَقَالُوا} أَنَّنْ اَلْيَهُودَنْ {كُونُوا هُودًا} اَقَّلَتْ اَلْيَهُودَنْ أَتَّنَرَمْ {أَوْ نَصَارَى} أَنَّنْ النَّصَارَى أَقَّلَتْ النَّصَارَى {تَهْتَدُوا} أَتَّنَرَمْ وهذا فن آخر من فنون كفرهم وإضلالهم لغيرهم إثر بيان ضلالتهم في نفسهم قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم أنه أحق بدين الله {قُلْ} أَنَاصَنْ {بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ}

بَاتَّارْ نَكَنَيْ نَلِّيلْ طَارِّيتْ تَانِّ إِبْرَاهِيمْ {حَنِيفًا} اَلْحَالْ نَميلْنيتْ إِفْرَاغْ فَلْ الدِّينَنْ وِينْ بَاطِّيلْ أَسْ وَيْزَلاَلْغَنْ أي قل يا محمد في الرد عليهم هذه المقالة بل الهدى ملة إبراهيم والحنيف المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحقونصب ملة على الإغراء قاله أبو عبيدة أي الزموها {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وَرْتِلَّ إِبْرَاهِيمْ ضَغْ اَلْمُشْرِكَنْ دِي تَمُوصَمْ أَدِّي وفي نفي كونه من المشركين تعريض باليهود لقولهم عزير ابن الله وبالنصارى لقولهم المسيح ابن الله أي إن إبراهيم ما كان على هذه الحالة التي أنتم عليها من الشرك بالله فكيف تدعون عليه أنه كان على اليهودية أو النصرانية وتدعون أنكم على ملته (١٣٥) {قُولُوا} أَنَّطْ كَونَيْ يَا إِمُومَنَنْ {ءَامَنَّا} نَظِّيكْظَنْ {بِاللهِ} سَ اللهُ {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} دَوَدِّيتَوَزَزَبِّينْ سَرْنَا أَتَّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ {وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ} دَوَدِّيتَوَزَزَبِّينْ سِي إِبْرَاهِيمْ {وَإِسْمَاعِيلَ} دِ إِسْمَاعِيلَ {وَإِسْحَاقَ} دِي إِسْحَاقْ {وَيَعْقُوبَ} أَدْ يَعْقُوبْ {وَالاَسْبَاطِ} أَدْ مَدَّانَسْ أَنْ يَعْقُوبْأي الصحف وهذا خطاب للمسلمين وأمر لهم بأن يقولوا لهم هذه المقالةوالأسباط أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً ولكل واحد من الأولاد جماعةوقيل الأسباط حفدة يعقوب أي أولاد أولاده لا أولاده لأن الكثرة إنما كانت فيهم دون أولاد يعقوب في نفسه فهم أفراد لا أسباط {وَمَا أُوتِيَ مُوسى} دَوَيْتَوَكْفَا مُوسَى ضَغَ التَّوْرِيةْ من التوراة وعبر بالإيتاء دون الإنزال فراراً من التكرار الصوري الموجب للثقل في العبارة {وَعِيسى} أَدْ عِيسَى ضَغْ الاَنْجِيلْ من الإنجيل ولم يقل وما أوتي عيسى إشارة إلى اتحاد المنزل عليه مع المنزل على موسى فإن الإنجيل مقرر للتوراة ولم يخالفها إلا في قدر يسير فيه تسهيل كما قال "ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم" {وَمَا أُوتِيَ النَّبِيئُونَ} دَوَاتَوَكْفَنْ النَّبِيتَنْ

المذكورون وغيرهم {مِن رَّبِّهِمْ} غُرْ أَمَلِنَّسَنْ ضَغْ الْكَتَّابَنْ دَلَايَتِينْ يعني والكتب التي أوتي جميع الأنبياء وذلك كله حق وهدى ونور وإن الجميع من عند الله، وإن جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق {لَا نُفَرِّقُ} وَرْنَرْمَزَّي في الإيمان {بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} كِرْ وَلِيَّنْ ضَغْسَنْ أَدْ وَاهَضَنْ بل نؤمن بكل الأنبياء {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} نَكَّنَيْ نَكَارَاسْ أَسَالْوَايْ أي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية(١٣٦) {فَإِنَ ءَامَنُوا} كُدْ أَظَكْظَنَنْ اَلْيَهُودَنْ دَ النَّصَارَى {بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُمْ بِهِ} سَوَادَ اَسْتَظَّكْظَنَمْ سَرَسْ {فَقَدِ اهْتَدَوْا} ءَادِيزَ إِكَاسْ أَنَارَنْ هذا خطاب للمسلمين أيضاً أي فان آمن أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به من جميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد اهتدوا وعلى هذا فمثل زائدة كقوله "ليس كمثله شيء" وقيل إن المماثلة وقعت بين الإيمانين أي فإن آمنوا بمثل إيمانكم وقال في الكشاف إنه من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام أي فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا {وَإِن تَوَلَّوْا} كُدْ بَرَكْوَلَنْ فَلْ أَظَكْظَانْ سَرَسْ {فَإِنَّمَا هُمْ} ءَادِيزَ إِلّكَنَاسْ أَنْتَنَيْ {فِي شِقَاقٍ} أَلَّانْتُو ضَغْ أَمَزْرِي دَرْوَنْ أصله من الشق وهو الجانب كأن كل واحد من الفريقين في جانب غير الجانب الذي فيه الآخرقال أبو العالية في شقاق أي فراق وقيل في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ} شِيتَكِتْ أَكَيَكْدُ اللهُ ضَغْ أَمَزْرِي نَسَنْ وَرَاكْ زِيخْشَدْ أَرَطْ أي من شر اليهود والنصارى والكفاية وعد وضمان من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه من عانده وخالفهوقد أنجز له وعده بما أنزله من بأسه بقريظة والنضير وبني قينقاع وفيه

معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو إخبار بغيب {وَهُوَ} أَنْتَ اللهُ {السَّمِيعُ} إِسَالُو إِطَنَّاوِينْ نَسَنْ لأقوالهم {الْعَلِيمُ} إِصَّانْ أَوَاتَامَازَلَنْ بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم (١٣٧) {صِبْغَةِ اللهِ} إِصُّومَغَانَا اللهُ أَصُومَغْ أَوْفَانْ إِصُومُوغَنْ إِكَّانَا ضَغْ الدِّينِّيتْ الخطاب للمسلمين أي قولوا للنصارى هذه المقالة والمعنى صبغنا الله بالإيمان قال الأخفش وغيره أي دين الله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس انتهوقد ذكر المفسرون أن أصل ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في الماء وهو الذي يسمونه المعمودية ويجعلون ذلك تطهيراً لهم فإذا فعلوا ذلك قالوا الآن صار نصرانياً حقاً فرد الله عليهم بقوله "صبغة الله" أي الإسلام ولا صبغة أحسن من صبغة الإسلام ولا أطهر وهو دين الله الذي بعث به نوحاً ومن كان بعده من الأنبياء وسماه صبغة استعارة {وَمَنَ اَحْسَنُ مَنَ اللهِ صِبْغَةً} وَرْتِلَّ وَلِيَّنْ أُوفَانْ ضَغْ اللهُ أَصُومَغْ إِمُوصَاصْ أَلَّانْتُو النَّصَارَى صَالْمَاغَنْ بَرَارْ ضَغْ تَنَغْمِيتْ أَنِّينْ أَمَرَدَّزَ أَدِكْمَلْ ضَغْ النَّصْرَانِيةْ أي ديناً وقيل تطهيراً لأنه يطهر من أوساخ الكفر {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} نَكَّنَيْ ضِيغِينْ أَنْتَ غَاسْ ءَانَعْبَدْ أي مطيعون (١٣٨) {قُلَ} أَنَّاصَنْ {اَتُحَاجُّونَنَا} أَوَاكْ أَطَمَّطَغْ أَدَانَاتَتَاكِّمْ {فِي اللهِ} ضَغْ إِكِيتَنْ نَ اللهُ ضَغْ أَسْدِيفْرَنْ النَّبِي ضَغْ ءَارَابَنْ أي قل يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا إن دينهم خير من دينكم أتجادلوننا وتخاصموننا في دين الله الذي أمرنا أن نتدين به {وَهُوَ رَبُّنَا} سِكَّادِي أَنْتَ إِمُوصْ أَمَلِينَّنَ {وَرَبُّكُمْ} إِمُوصْ أَمَلَنَّوَنْ إِلَ سَدِفْرَنْ ضَغْ ايكْلَانِّيتْ وَصِرَ أي نشرك نحن وأنتم في

ربوبيته لنا وعبوديتنا له فكيف تدعون أنكم أولى به منا وتحاجوننا في ذلك وله أن يصطفي من عباده من يشاء {وَلَنَا أَعْمَالُنَا} أَلّانَانقُو مَازَالَنْ نَنَا دَانِيرَزْ سَرْسَنْ {وَلَكُم أَعْمَالُكُمْ} أَلّانَاوَنْتُو مَازَالَنْ نَوَنْ دَاوَنِتُورَزْ سَرْسَنْ فلستم بأولى بالله منا {وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ} نَكَّنِيْ ضيغينْ تُولَسْ نَسِيطَرَارَطَاصْ أَمَازَالْ أي نحن أهل الإخلاص للعبادة دونكم وهو المعيار الذي يكون به التفاضل والخصلة التي يكون صاحبها أولى بالله من غيره فكيف تدعون لأنفسكم ما نحن أولى به منكم وأحق والجمل الثلاث أحوال وفي الآية توبيخ لهم وقطع لما جاؤا به من المجادلة والمناظرة (١٣٩) {أَمْ يَقُولُونَ} بَاتَّارْ ءَادِسْ ءَاكَانَّنْ أم هنا معادلة للهمزة في قوله "أتحاجوننا" أي أم تقولون إن هؤلاء الأنبياء على دينكم وعلى قراءة يقولون بالياء تكون أم منقطعة أي بل يقولون وفيه تقريع وتوبيخ قرأ الكسائي وعاصم وحمزة في رواية حفص أم تقولون بالتاء على معنى المخاطبة وهي قراءة حسنة لأن الكلام متسق كأن المعنى أتحاجوننا في الله أم تقولون إن الأنبياء كانوا على دينكم فهي أم متصلة وقرأ الباقون بالياء «أم يقولون» على معنى المغايبة وتكون "أم" منقطعة بمعنى بل {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ} إِلَكَنَاسْ إِبْرَاهِيمْ {وَإِسْمَاعِيلَ} دِ إِسْمَاعِيلْ {وَإِسْحَاقَ} دِ إِسْحَاقْ {وَيَعْقُوبَ} أَدْ يَعْقُوبْ {وَالاَسْبَاطَ} دَ الاَسْبَاطْ مَدَّانَسْ أَنْ يَعْقُوبْ {كَانُوا هُودًا} أَلّانْتُ أَمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ ضَغْ طَنَّ تَانْ اَلْيَهُودَنْ {أَوْ نَصَارى} مَدي أَلّانْتُ أَمُوصَنْ النَّصَارَى ضَغْ طَنَّ تَانْ النَّصَارَى يعني أتزعمون أن إبراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وإنما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم عليهم {قُلْ} أَنَّاصَنْ {أَنتُم} ءَاكْ كَوَني {أَعْلَمُ} أُوكَرْنينْ مَصْنَطْ ضَغْ أَوَامُوصَنْ {أَمِ اللهُ} مي اَنْتَ اللهُ أُوكَرَنْ مَصْنَطْ ضَغْ

أَوَامُوصَنْ إِكَاسْ إِسِيبَرَّ اللهُ ضَغْسَنْ إِبْرَاهِيمْ وِنْهَدَطْنِينْ أَمَرَنْ أَلْكَامَنَاسْ أي الله أعلم بذلك وقد أخبرنا بأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى وأنتم تدعون أنهم كانوا كذلك فهل أنتم أعلم أم الله سبحانه والتفضيل على سبيل الإستهزاء{وَمَنَ أَظْلَمُ} وَرْتِلَّا وَلِيَّنْ أُوكِرَنْ تَاضْلَمْتْ {مِمَّن كَتَمَ} ضَغْ وَيْغْبَرَنْ يِيْتِيدَنْ أي أخفى {شَهَادَةً} تَكِيَّا {عِندَهُ} غُرَسْتَلَّاتْ {مِنَ اللهِ} أَدُوتَفَالَتْ غُرَ اللهُ أَتَّمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ أَغْبَرْنِينْ تَكِيَّا نَ اللهُ ضَغْ التَّوْرِيةْ يِ إِبْرَاهِيمْ سَ الْحَنِيفِيةْ استفهام إنكار أي لا أحد أظلم يحتمل أن يراد بذلك الذم لأهل الكتاب بأنهم يعلمون أن هؤلاء الأنبياء ما كانوا هوداً ولا نصارى بل كانوا على الملة الإسلامية فظلموا أنفسهم بكتمهم لهذه الشهادة بل بادعائهم لما هو مخالف لها وهو أشد في الذنب ممن اقتصر على مجرد الكتم الذي لا أحد أظلم منه ويحتمل أن المراد أن المسلمين لو كتموا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منهم ويكون المراد بذلك التعريض بأهل الكتاب وقيل المراد هنا ما كتموه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا اللهُ} وَرْتِلَّا الْله {بِغَافِلٍ} إِزْلَالِينْ {عَمَّا تَعْمَلُونَ} فَلْ أَوَاتَتَامَزَالَمْ دَاوَنِرَزْ فَلَّاسْ فيه وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد وإعلام بأن الله سبحانه لا يترك أمرهم سدى ولا يترك عقوبتهم على هذا الظلم القبيح والذنب الفظيع(١٤٠) وكرر قوله سبحانه {تِلْكَ} تِدِيدَ تَمَتَّيْ أَسْتَسَابَايَمْ أَدِّي {أُمَّةٌ} تَمَتَيْ آدِي {قَدْ خَلَتْ} سِكَاسْ تَكْلَا {لَهَا مَاكَسَبَتْ} إِلَّاسْتُو مَارُوزَتْ نَوَاتَمُّوزَلْ {وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ} إِلَّاوَنْتُو كَوَنَيْدَا مَارُوزَتْ نَوَاتَمُّوزَلَمْ {وَلَا تُسْئَلُونَ} وَرْزَتَتَوَصَصْطَنَمْ {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فَلْ أَوَسْتَلَّنْ أَمُّوزَلَنْتُو أَمَّكَاسْ كَوَنِيدَا وَرْزَتَتَوَصَصْطَنَمْ فَلْ أَوَامُّوزَلَنْ لتضمنها معنى التهديد والتخويف الذي هو المقصود في هذا المقام وتلك إشارة

إلى إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط (١٤١) {سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ} الحزب ٣
شِيتَكِتْ أَدَنِّينْ السُّفَهَا {مِنَ النَّاسِ} ضَغْ أَيْتِيدَنْ أَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ دَ اَلْمُشْرِكَنْ هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بأن السفهاء من اليهود والمشركين والمنافقين سيقولون هذه المقالة قيل إن سيقول بمعنى قال وإنما عبر عن الماضي بلفظ المستقبل للدلالة على استدامته والاستمرار عليه وقيل إن الإخبار بهذا الخبر كان قبل التحول إلى الكعبة وإن فائدة ذلك أن الإخبار بالمكروه إذا وقع قبل وقوعه كان فيه تهويناً لصدمته وتخفيفاً لروعته وكسراً لسورته والسفهاء جمع سفيه وهو الكذاب البهات المتعمد خلاف ما يعلم كذا قال بعض أهل اللغةقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة لأنهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد صلى الله عليه وسلم أمره واشتاق مولده وقد توجه نحو بلدكم فلعله يرجع إلى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وإنما قالوا ذلك استهزاء بالإسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهودوالإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب وعليه أكثر المفسرين وحكمته أنهم كما قالوا ذلك في الماضي منهم أيضاً من يقوله في المستقبل كما قال البيضاوي تبعاً للكشاف {مَا وَلَّيهُمْ} مَتَنِيسَبَّرَكْوَلَنْ النبي صلى الله عليه وسلم أَدْ مُومَنَنْ أي ما صرفهم {عَن قِبْلَتِهِم} فَلْ اَلْقَابْلَةْ نَسَنْ وهي بيت المقدس {الَّتِي} تَدِي {كَانُوا عَلَيْهَا} أَسْتَلَّنْ فَلْ أَسَتَّقَبْلِينِّيتْ ضَغْ أَمُودْ أَتَنِمُوصَنْ بَيْتَ اَلْمَقْدِسْ أي ثابتين مستمرين على التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها والقبلة هي الجهة

التي يستقبلها الإنسان وإنما سميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله عليهم بقوله {قُلْ} أَنَّاصَنْ {لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} إِلَّيْ يَ اللهُ دَنَّكٍ دَ طَرَامْ أَتَّسَدَاكٍ كُولْ إِتَامَرْ سَسَتَّقْبَلِي أَنْتَسَدَكْ تَصِرَ فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا يختص به مكان دون مكان{يَهْدِي مَن يَّشَآءُ} إِصَانَارْ وَصِرَ من عباده إشعار بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من الهداية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهل مِلَّتِهِ {إِلَى صِرَاطٍ} أَسْ طَارِّيطْ {مُّسْتَقِيمٍ} تَاتَظَلَالَغَتْ أَتَتِمُوصَنْ الدِّينْ وَانَّ الِاسْلَامْ يعني إلى جهة الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان أول ما نزل المدينة نزل على أخواله من الأنصار وأنه صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأن أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا قبل البيت كما هم وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلّي قِبَلَ بيت القدس وأهل الكتاب فلما ولّى وجهه قِبَلَ البيت أنكروا ذلك وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله "وما كان الله ليضيع إيمانكم" الآيةوعن ابن عباس قال إن أول ما نسخ في القرآن القبلة (١٤٢) {وَكَذَلِكَ} أَمَّكْ أَسْ كَوَنَصَّنَرَ أَسْ طَارِّيطْ تَاتَظَلَالَغَتْ أي كما أن الكعبة وسط الأرض كذلك {جَعَلْنَاكُمْ} أَسْ كَوَنَكِي يَا تَمَتَّيْ أَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {أُمَّةً} تَمَتَّيْ {وَسَطًا} تَمُوصَتْ اَلْخِيَارْ أَنْ تَمَاتَوِينْ أي عدولاً خياراً والوسط الخيار والعدل والآية محتملة للأمرين {لِتَكُونُوا} فَلْ

أَتُوتَمَلَمْ اللام لام كي فتفيد العلية أو هي لام الصيرورة {شُهَدَآءَ} تَمُوصَمْ إِمَكِّيَا {عَلَى النَّاسِ} فَلْ اَيْتيدَنْ أَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ ءَاسْ شِشَاوَضَنْطَنْ نَمّوزَالْ نَسَنْ يعني يوم القيامة أي تشهدون للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهموقيل المراد لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول {وَيَكُونُ الرَّسُولُ} إَمَلْتُ أَنَّمَّازُولْ {عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} إِمُوصْ أَمَكِّيَيْ فَلَّاوَّنْ ءَاسْ إِشِشَاوَضْكَوَنْ أى على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمر بتبليغه إليهم، ومثله قوله تعالى "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً" وقيل عليكم بمعنى لكم أي يشهد لكم بالإيمان {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ} وَرَاكَكِي الْقَابْلَةْ أَمَرَدَّ المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس ويؤيد هذا قوله {الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا} تَسَدَكْ تَدِي أَسْ تُوتَلّي فَلَّاسْ أَسْتِيزَارَتْ أَتَتِمُوصَنْ الْكَعْبَةْ إذ كان نزول هذه الآية بعد صرف القبلة إلى الكعبة وقيل المراد الكعبة أي القبلة التي أنت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس ويكون كنت بمعنى الحال وقيل المراد بذلك القبلة التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس فإنه كان يستقبل في مكة الكعبة ثم لما هاجر توجه إلى بيت المقدس تالفاً لليهود ثم صرف إلى الكعبة {إِلَّا لِنَعْلَمَ} ءَارْ فَلْ أَدَصَّنَا مَصْنَطْ تَانْ أَنَفِيلَالْ استثناء مفرغ من أعم العلل {مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولُ} وَازِلَالَنْ أَنَمَّازُولْ في التوجه إلى ما أمر به من القبلة أو الدين والالتفات إلى الغيبة مع إيراده صلى الله عليه وآله وسلم بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع {مِمَّن يَنقَلِبُ} ضَغْ وَزّيمَلَّيَنْ {عَلَى عَقِبَيْهِ} فَلْ أَيرْزَانّيتْ إِقَّلْ الْكَفَرْ فَلْ الشَّكْ ضَغْ الدِّينْ أي يرجع إلى الكفر وقد ارتد لذلك جماعة والمعنى ما جعلناها إلا لنبتليهم يعني من يسلم لأمره ممن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيرتد قال ابن عباس

لنميز أهل اليقين من أهل الشك {وَإِن كَانَتْ} إِلّكَنَاسْ تَلّيْ طَالْغَا تَنّمَلَلّي سَ الْكَعْبَةْ {لَكَبِيرَةً} تَشِقّا فَلْ مَانْ نَيْتيدَنْ أي ما كانت إلا كبيرة كما قاله الفراء والضمير في كانت راجع إلى ما يدل عليه قوله "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها" من التحويلة والتولية أو الجعلة أو الردة ذكر معنى ذلك الأخفش ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة أي وإن كانت القبلة المتصفة بأنك كنت عليها لكبيرة أي تحويلها على أهل الشرك والريب قاله ابن عباس {إِلَّا عَلَى الذِينَ} ءَارْ فَلْ وِنْدِي {هَدَى اللهُ} إِصَّنَرْ اللهُ ضَغْسَنْ أي هداهم للإيمان فانشرحت صدورهم لتصديقك وقبلت ما جئت به عقولهم {وَمَا كَانَ اللهُ} وَرْتِلّ اللهُ {لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} أَدِسَبَّنّْ إِمَدَّنَوَنْ وِنْتَكِمْ أَسْ بَيْتَ الْمَقْدِسْ بَاتَّارْ دَاوَنِرَزْ فَلّاسَّنْ وهذه اللام تسمى لام الجحود عند البصريين وخبر كان محذوف أي ما كان الله مريداً لإضاعة إيمانكم والكوفيون لا يقدرون شيئاً وإن اللام عندهم للتأكيد وهكذا القول فيما أشبه هذا التركيب مما ورد في القرآن وغيره نحو "وما كان الله ليطلعكم" وما كان الله ليذر" قال القرطبي اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس ثم قال فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل {إِنَّ اللهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ} أَمِيكَتْ أَنْتَهَانِينْتْ يَيتيدَنْ وِنْ مُومَنَنْ تعليل لما قبله {رَحِيمٌ} نَمَهّيَنَنْ يَاسَنْ الرؤوف كثير الرأفة وهي أشد من الرحمة وأكثر منها والمعنى متقارب وقدم الأبلغ للفاصلة (١٤٣) {قَدْ نَرى} إِكّاسْ هَانّيَا {تَقَلُّبَ وَجْهِكَ} أَمَلّلِي نُودَمْنَكْ تصرفه {فِي السَّمَآءِ} ضَغْ تَسَدَكْ أَنْ جَنَّاوَنْ تِوِيرَغْوَرَغْ يَ الْوَحِي طَرِي أَتّتَوِيمَرَ سَسَتَّقَبْلِي نَ الْكَعْبَةْ في جهة السماء قال القرطبي في تفسيره قال العلماء هذه الآية متقدمة في النزول على قوله "سيقول

السفهاء" ومعنى "قد" تكثير الرؤية كما قاله صاحب الكشاف وقيل للتحقيق والمعنى تحول وجهك إلى السماء قاله قطربوقال الزجاج تقلب عينيك في النظر إلى السماء والمعنى متقارب والمعنى مطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنها أدعى إلى إسلام العرب {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ} تَاهُوضَيْ ءَارْ أَكَيْ سَمَّلْلِّيَا هو إما من الولاية أي فلنعطينك ذلك أو من التولي أي فلنجعلنك متولياً إلى جهتها وهذه بشارة من الله له صلى الله عليه وآله وسلم بما يحب والفاء هنا للتسبب وقيل المعنى نحولنك {قِبْلَةً} سَ الْقَابْلَةْ {تَرْضيهَا} أَسْ تَرْضي سَرَسْ أَتَتِمُوصَنْ الْكَعْبَةْ قاله ابن عمر أي قبلة إبراهيم نحو الميزابولا خلاف أن المراد بشطر المسجد هنا الكعبة وقد حكى القرطبي الإجماع على أن استقبال عين الكعبة فرض على المعاين وعلى أن غير المعاين يستقبل الناحيةوأخرج البيهقي عنه مرفوعاً قال البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض مشارقها ومغاربها من أمتيوأخرج البخاري ومسلم عن أبي عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وظاهر حديث البراء في البخاري أنها كانت صلاة العصر ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى أنها الظهر {فَوَلِّ وَجْهَكَ} سَمَلِّي أُودَمْ نَكْ أَسْ تَتِيمُودَا {شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اَسْ تَسَدَكْ أَنْ تَمَزْكِدَّ تَاتَلَتْ الْحُرْمَ أَتَتِمُوصَنْ الْكَعْبَةْ {وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ} أيدَكِ أَضَقُّوتَلَّمْ أي من بر أو بحر مشرق أو مغرب وهذا خطاب للأمة {فَوَلُّوا وُجُوهَكَمْ} تَسَمَّلَلِّيَمْ أُودْمَاوَنْ نَّوَنْ ضَغْ أَمُودْ {شَطْرَهُ}

أَسْ تَسَدَكْ أَنْتَمَزْكِدَّ تَاتَلَتْ الْحُرْمَةْ أي نحو البيت وتلقاءه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال القرطبي في هذه الآية حجة واضحة لما ذهب إليه مالك ومن وافقه في أن المصلي حكمه أن ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي والحسن بن حي يستحب أن يكون نظره إلى موضع سجوده {وَإِنَّ الذِينَ} إِلَكَنَاسْ وِنْدِي {أُوتُوا الْكِتَابَ} تَوَكْفَنينْ الْكَتَّابْ قال السدي هم اليهود خاصة والكتاب التوراة وقال غيره أحبار اليهود وعلماء النصارى لعموم اللفظ والكتاب التوراة والإنجيل {لَيَعْلَمُونَ} أَصَّانَنْ {أَنَّهُ} ءَاسْ أَنْتَ أَمَلَّي سَ الْكَعْبَةْ {الْحَقُّ} الْحَقْ أَيْمُوصْ {مِن رَّبِّهِمْ} أَدِّفَالَنْ غُرْ أَمَلِي نَسَنْ فَلَاسْ إِهَا الْكَتَّابَنْ نَسَنْ الضمير في "أنه" راجع إلى ما يدل عليه الكلام من التحول إلى جهة الكعبة وعلم أهل الكتاب بذلك إما لكونه قد بلغهم عن أنبيائهم أو وجدوا في كتب الله المنزلة عليهم أن هذا النبي مستقبل الكعبة أو لأنهم قد علموا من كتبهم أو أنبيائهم أن النسخ سيكون في هذه الشريعة فيكون ذلك موجباً عليهم الدخول في الإسلام ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل راجع إلى الشطر وقيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون على هذا التفاتاً من خطابه بقوله "فلنولينك" إلى الغيبة والأول أولى {وَمَا اللهُ} وَرْتِلَّ اللهُ {بِغَافِلٍ} إِزْلَالِينْ {عَمَّا يَعْمَلُونَ} فَلَ أَوَاتَامَازَلَنْ الْيَهُودَنْوالمعنى ما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة (١٤٤) {وَلَئِنَ اَتَيْتَ الذِينَ} تَاهُوصَيْ أَضُوطُوصي وِنْدِي {أُوتُوا الْكِتَابَ} تَوَكْفَنينْ الْكَتَّابْ "ولئن" لام قسم وإن شرطية "أتيت الذين أوتوا الكتاب" يعني اليهود والنصارى {بِكُلِّ ءَايَةٍ}

تَكُلْ

دَكُلٌ أَنْ تَجَاجَبْتْ فَلْ أَدَّتُونَّكْ أي بكل معجزة وبكل حجة وبرهان {مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} كُدَ أَلِيلَنْ اَلْقَابْلَةْ نَكْ فَلْ أَظَلَنْظُولِي أي الكعبة عناداً، وفي هذه الآية مبالغة عظيمة وهي متضمنة للتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترويح خاطره بأن هؤلاء لا يؤثر فيهم كل آية ولا يرجعون إلى الحق وإن جاءهم بكل برهان فضلاً عن برهان واحدوالإخبار في قوله {وَمَا أَنتَ} وَرْتُوتَلّي ضيغينْ كَيْ {بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} أَتِيلَالَ اَلْقَابْلَةْ نَسَنْ يمكن أن يكون بمعنى النهي من الله لسبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أي لا تتبع يا محمد قبلتهم ويمكن أن يكون على ظاهره دفعاً لأطماع أهل الكتاب وقطعاً لما يرجونه من رجوعه صلى الله عليه وآله وسلم إلى القبلة التي كان عليها {وَمَا بَعْضُهُمْ} وَرْتِلَّا أَديسْ نَسَنْ ضيغينْ {بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} أَدِيلَالْ اَلْقَابْلَةْ نَديسْ فيه إخبار بأن اليهود والنصارى مع حرصهم على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما عندهم هم مختلفون في دينهم حتى في هذا الحكم الخاص الذي قصه الله سبحانه على رسوله فإن بعضهم لا يتابع الآخر في استقبال قبلته قال في الكشاف وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى تستقبل مطلع الشمس انتهى {ولَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ} تَاهُوضَيْ أَتَّلِيلَا اَلْهَوَاتَنْ نَسَنْ وِنْدِي أَسْ كَيْ غَارَّنْ يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم {مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ} دَفَّرْ أَوَكَيْ ضُوصَنْ {مِنَ اَلْعِلْمِ} ضَغْ اَلْوَحِي في أمر القبلة {إِنَّكَ} إِلّكَنَاسْ كَىْ {إِذًا} أَدّي أَتّكِيغْ آدِي {لَمِنَ الظَّالِمِينَ} أتُوتَلّي ضَغْ وِينَضْلَمْنينْ إِمَانَّسَنْ فيه من التهديد العظيم والزجر البليغ ما تقشعر له الجلود وترجف منه الأفئدة(١٤٥) {الذِينَ} وِنْدِي {ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} أَكْفي اَلْكَتَّابْ يعني علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمني أهل الكتاب كعبد الله

بن سلام وأصحابه {يَعْرِفُونَهُ} أَزْدَايَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم الضمير لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يسبق له ذكر لدلالة الكلام عليه وعدم اللبس ذكره القاضي ويقال عليه بل سبق ذكره بلفظ الرسول مرتين أي يعرفون نبوته روي ذلك عن مجاهد وقتادة وطائفة من أهل العلم وقيل يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة بالطريق التي قدمنا ذكرها وبه قال جماعة من المفسرين ورجح صاحب الكشاف الأول {كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ} أَمَّكْ وَسَزْدَيَنْ مَدَّانَسَنْ أنهم منهم لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهمقال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد أشد وخص الأبناء دون البنات أو الأولاد لأن الذكور أعرف وأشهر وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق {وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ} إِلِّكَنَاسْ اَلْجَمَاعَةْ إِيَّاضْ ضَغْ اَلْيَهُودَنْ أي من علماء أهل الكتاب {لَيَكْتُمُونَ اَلْحَقَّ} غَابَّرَنْ اَلْحَقْ ءَانْ الصَّيْفَةْ أَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم يعني أمر القبلة أو صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكتم الحق هو عند أهل القول الأول نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وعند أهل القول الثاني استقبال الكعبة {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أَنْتَنَيْ أَصَّانَنْ ءَاسْ أَغْبَارَنْتُو أن كتمان الحق معصية (١٤٦) {اَلْحَقُّ} وَادَ أَرَطْ أَسْ تُوتَلّي فَلَّاس دَا أَنْتَ أَيْمُوصَنْ اَلْحَقْ يحتمل أن يكون المراد به الحق الأول ويحتمل أن يراد به جنس الحق على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره قوله {مِن رَّبِّكَ} أَدِّفَالَنْ أَمَلِينَّكْ أي الحق هو الذي من ربك لا من غيره {فَلَا تَكُونَنَّ} أَتُووَرْتَمَلَا {مِنَ اَلْمُمْتَرِينَ} ضَغْ وِنَكِّنِينْ الشَّكْ خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والامتراء الشك نهاه الله سبحانه عن الشك في كون الحق من ربه

أو في كون كتمانهم الحق مع علمهم وعلى الأول هو تعريض للأمة أي لا يكن أحد من أمته من الممترين لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يشك في كون ذلك هو الحق من الله سبحانه وفيه كناية وهي أبلغ من التصريح (١٤٧) {وَلِكُلٍّ} إِلَّيْ يَكُّلَّ نِيَّتْ ضَغْ تَمَاتِّيوِينْ {وِجْهَةٌ} اَلْقَابْلَةْ أي لكل دين وجهة ولكل أهل ملة قبلة والوجهة فعلة من المواجهة وفي معناها الجهةوالمراد القبلة أي إنهم لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم ولكل وجهة إما بحق وإما بباطل والضمير في {هُوَ مُوَلِّيهَا} سَنْتَ أَسِيمَلَلِّي أُودَمْنيتْ ضَغْ أَمُودْنيتْ راجع إلى لفظ "كل" والهاء هي المفعول الأول والثاني محذوف أي موليها وجهه في صلاته والمعنى أن لكل صاحب ملة قبلةفقبلة المسلمين الكعبة وقبلة اليهود بيت المقدس وقبلة النصارى مطلع الشمس أو لكل منكم يا أمة محمد قبلة يصلي إليها من شرق أو غرب أو جنوب أو شمال إذا كان الخطاب للمسلمين ويحتمل أن يكون الضمير لله سبحانه وإن لم يَجْرِ له ذكر إذ هو معلوم أن الله فاعل ذلك والمعنى أن لكل صاحب ملة قبلة اللهُ موليها إياه {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} دَمَنْدَمَّتَتْ إِمَازَالَنْ أَنْتَلِيلِينْ هَرْوَا تَدَّارَمْ أي فبادروا إلى ما أمركم الله به من استقبال البيت الحرام كما يفيده السياق وإن كان ظاهر الأمر بالاستباق إلى كل ما يصدق عليه أنه خير كما يفيده العموم المستفاد من تعريف الخيرات قال ابن زيد يعني الأعمال الصالحةالندب والآية دليل لمذهب الشافعي في أفضلية الصلاة في أول الوقت قال أبو حنيفة آخر الوقت أفضل لأنه وقت الوجوب وأما مالك ففصل القول فأما الصبح والمغرب فأول الوقت فيهما أفضل أما الصبح فلحديث عائشة رضي الله عنها قالت "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح

فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس" وفي رواية "متلففات" وأما المغرب فلحديث سلمة بن الأكوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب أخرجهما مسلم وأما العشاء فتأخيرها أفضل لمن قدر عليهقال أبو الفرج قال مالك أول الوقت أفضل في كل صلاة إلا للظهر في شدة الحر وقال ابن أبي أويس وكان مالك يكره أن يصلى الظهر عند الزوال ولكن بعد ذلك ويقول تلك صلاة الخوارج وأما العصر فتقديمها أفضل. ولا خلاف في مذهبنا أن تأخير الصلاة رجاء الجماعة أفضل من تقديمها فإن فضل الجماعة معلوم وفضل أول الوقت مجهول وتحصيل المعلوم أولى قاله ابن العربي {أَيْنَ مَا تَكُونُوا} أيدَكٍ أَدَقُّوتَمَلَمْ أي في أي جهة من الجهات المختلفة تكونوا {يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ} دَرْوَنْدَاصُو اللهُ للجزاء يوم القيامة فهو وعد لأهل الطاعة بالثواب ووعيد لأهل المعصية بالعقاب ويجمعكم {جَمِيعًا} كيتْنَوَنْ أَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ إرزَاوَنْ أَسْمَازَالَنْ نَّوَنْ ويجعل صلاتكم في الجهات المختلفة كأنها إلى جهة واحدة {إِنَّ اللَّهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَمَرْنِي أَيْمُوصْ فَلْ أَكُلٌ نَّرَطْ ومنه الإعادة بعد الموت والإثابة لأهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة 3 (١٤٨) {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ} أَكِنَّا أَسْتَكِمَضَا سَشِيكَلْ {فَوَلِّ وَجْهَكَ} ءَادِيزَ سَمَّلَلِّي أُودَمْ نَكْ ضَغْ أَمُودْ {شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أَسْتَسَدَكْ أَنْ تَمَزْكِدًّا تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَةْ الظاهر أن "من" هنا ابتدائية والأقرب أن تكون بمعنى في أي مكان سافرت {وَإِنَّهُ} إِلّكَنَاسْ أَنْتَ ءَادِي أي التولي {لَلْحَقُّ} اَلْحَقْ أَيْمُوصْ {مِنْ رَبِّكَ} أَدِفَالَنْ

[3] روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما مَثَلُ المُهجِّر إلى الصلاة كَمَثَل الذي يُهدِي البَدَنَة ثم الذي على أثَره كالذي يُهْدِي البقرة ثم الذي على أثره كالذي يُهدِي الكبش ثم الذي على أثره كالذي يُهْدِي الدَجاجة ثم الذي على أثره كالذي يُهدِي البيضة ". وروى الدارقُطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ أحدكم ليصلي الصَلاة لوقتها وقد ترك من الوقت الأوّل ما هو خير له من أهله وماله ". وأخرجه مالك عن يحيى بن سعيد

أ قيقة

أَمَلِينَّكْ {وَمَا اللَّهُ} وَرْتِلَّا اللهُ {بِغَافِلٍ} إِزْلَالِينْ {عَمَّا تَعْمَلُونَ} فَلْ أَوَاتَتَمَازَالَمْ (١٤٩) {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ} أَكِنَّا أَسْتَكِمَضَا أي من أي مكان خرجت للسفر {فَوَلِّ وَجْهَكَ} تَسَمَّلِّيَا أُودَمْ نَكْ {شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أَسْتَسَدَكْ أَنْتَمَزْكِدَّا تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَهْ {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ} أيدَكْ أَدَقُّوتَلَّمْ {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ} تَسَمَّلَلِّيَمْ أُدْمَاوَنَّوَنْ ضَغْ أَمُودْ {شَطْرَهُ} أَسْتَسَدَكْنيتْ كرر سبحانه هذا تأكيداً لأمر استقبال الكعبة وللاهتمام به {لِئَلَّا يَكُونَ} فَلْ أَتُووَرِلَّا "لئلا" اللام لام كي وأن هي المصدرية ولا نافية "يكون" {لِلنَّاسِ} يَيْتِيدَنْ أَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ دَ اَلْمُشْرِيكَنْ {عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ } أَيْمُوصَنْ أَلْهِجَّا فَلَّاوَنْ قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود والمعنى لا حجة لأحد عليكم في التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} أَنْدَبَا وِنْدِي أَضْلَمْنينْ ضَغْسَنْ ظَلَنْظَالينْ وِنْدِي أَدَكْلِينْ كَانَّنْ أَوَاكَانَّنْ يعني المعاندين من أهل الكتاب القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وقيل هم مشركو العرب وحجتهم قولهم راجعت قبلتنا وقيل معناه لئلا يقولوا لكم قد أمرتم باستقبال الكعبة ولستم ترونها{فَلَا تَخْشَوْهُمْ} أَتَنْوَرْ تِكْصَاضَمْ أي لا تخافوا جدالهم في التولي إليها ومطاعنهم فإنها داحضة باطلة لا تضركم {وَاخْشَوْنِي} إِكْصَاضَطِي أي احذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} أَدْ فَلَدَسَّنْدَا النِّعْمَتِينْ فَلَّاوَنْ أي بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الإسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى "ولأتم نعمتي عليكم" معطوف على "لئلا يكون" أي ولأن أتم قاله

الأخفش وقيل تتعلق اللام بفعل مؤخر التقدير ولأتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلتي {وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} د نْكِمَاكْ كَوني أَطَنَرَمْ سَ اَلْحَقْ أي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب (١٥٠) {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا} أَسَنْدِي نَتِعْمَتْ أُولَانْ دَسَنْدِي أَدَاسَكِي فَلِاوَّنْ سَزُوزَلْ نَ نَمَّازُولْ ضَغْوَنْ الكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف المعنى ولأتم نعمتي عليكم إتماما مثل ما أرسلنا قاله الفراء قال ابن عطية وهذا أحسن الأقوال أي ولأتم نعمتي عليكم في بيان سنة إبراهيم عليه السلام مثل ما أرسلنا وقيل المعنى ولعلكم تهتدون اهتداء مثل ما أرسلنا {مِنْكُمْ} إِمُوصَنْ إِيِّنْ ضَغْوَنْ {يَتْلُو عَلَيْكُمْ} إِغَارَّنْ فَلَّاوَّنْ {آيَاتِنَا} أَلَايَتِينَّين {وَيُزَكِّيكُمْ} إِزَازْدَاكَّوَنْ ضَغْ اَلْكَفَرْ {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ} إِسِيصُونْكَوَنْ اَلْقُرَانْ {وَالْحِكْمَةَ} دَوَطِّهَنْ ضَغْ اَلْحَكُومَنْ التشبيه واقع على أن النعمة في القبلة كالنعمة في الرسالة وقيل معنى الكلام على التقديم والتأخير أي فاذكروني كما أرسلنا قاله الزجاج وقيل غير ذلك{وَيُعَلِّمُكُمْ} إِسِيصُونْكَوَنْ من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية وقصص الأنبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة {مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} أَوَسَنْتُووَرْتَلِّيمْ طَصَّانَمْتُو ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتستقلون بعلمه بعقولكم (١٥١) {فَاذْكُرُونِي} أَكْطَطِي سَ مُودْ د التَّسْبِيحْ {أَذْكُرْكُمْ} أَكَوَنَكْطَا مَدي يَاكْ أَدَاوَنَرْزَا أمر وجوابه وفيه معنى المجازاة قاله سعيد بن جبير والمعنى اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة حكاه عنه القرطبي وروى نحوه مرفوعاً وقيل الذكر يكون باللسان وهو التسبيح والتحميد ونحو ذلك من الأذكار المأثورة ويكون بالقلب وهو التفكر في الدلائل الدالة على وحدانيته وبدائع خلقه ويكون بالجوارح وهو الاستغراق في الأعمال التي

أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل وقيل غير ذلك{وَاشْكُرُوا لِي} تَكُّوضِيَمِي النِّعْمَتِينْ يعني بالطاعة ما أنعمت به عليكم قال الفراء شكرتك وشكرت لك واحدوقد ورد في فضل ذكر الله على الإطلاق وفضل الشكر أحاديث كثيرة كما أشرنا اليه {وَلَا تَكْفُرُونِ} أَدْوَرْ تَكَّدَّلَمْ النِّعْمَتِينْ أَسْ تَمَازْرِيتْ أي بجحد النعم وعصيان الأمر والكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفر (١٥٢) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَا وِنْدِي أَظَّكِّظَنِّينْ هَا {اسْتَعِينُوا} أَكِّمِيَتْ تَادْهَلْتْ فَلْ طَالْغِيوِينْ نَّوَنْ كُولْ {بِالصَّبْرِ} أَسْ تَظَيْضَارْتْ فَلْ تِلِيلْتْ دَ الْبَلَاتَنْ {وَالصَّلَاةِ} دَمُودْ لما فرغ سبحانه من إرشاد عباده إلى ذكره وشكره عقب ذلك بإرشادهم إلى الاستعانة بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس وبالصلاة التي هي عماد الدين ومعراج المؤمنين فإن من جمع بين ذكر الله وشكره واستعان بالصبر والصلاة على تأدية ما أمر الله به ودفع ما يرد عليه من المحن فقد هدي إلى الصواب ووفق للخير {إِنَّ اللَّهَ} إِلّكَنَاسْ اللهُ {مَعَ الصَّابِرِينَ} إِلَّيْ دَرْ وِنْ ظَظَّيْضَرْنينْ أَسْ تَدْهَلْتْ أي بالعون والنصر وإجابة الدعوة {وَلَا تَقُولُوا} أَدْ وَرْتَكّانّمْ {لِمَنْ يُقْتَلُ} إِيوِينْ طَوَنْغَنينْ {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ أَبَرَقًّا نَ اللهُ {أَمْوَاتٌ} أَمُوصَنْ إِنَمَطَّانْ {بَلْ أَحْيَاءٌ} بَاتَّارْ أَنْتَنَيْ أَدّارَنْ قيل نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وسماهم في الخازن بأسمائهم وكان الناس يقولون فيهم مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله هذه الآية وقيل إن الكفار قالوا إن الناس يقتلون أنفسهم ظلماً لمراضاة محمد صلى الله عليه وسلم من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبر الله أن من قتل في سبيله فإنه حي

وإنما خص الشهداء لأنهم فضلوا على غيرهم بمزيد النعم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك {وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} مِشَانْ وَرْتَصّينَمْ ضَغَادِي بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم لأنكم تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر بحسب ما يبلغ إليه علمكم الذي هو بالنسبة إلى علم الله كما يأخذ الطائر في منقاره من ماء البحر وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ تصل أرواحهم إلى الجنان فهم أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الروح من أجسادهم(١٥٤) {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ} تَاهُوضَيْ ءَارْ أَكَوَنَجَّرَّبَا يَا إِمُومَنَنَ {بِشَيْءٍ} سَرَطْ {مِنَ الْخَوْفِ} ضَغْ طَصَا {وَالْجُوعِ} أَدْ كِّلَكْ {وَنَقْصٍ} دَفَنَاظْ {مِنَ الْأَمْوَالِ} أَنْ هَرْوَانْ نَوَنْ {وَالْأَنْفُسِ} أَدْ مَانَّوَنْ سَتَوَنْغَا أَدْ طَّمَطَّانْتْ {وَالثَّمَرَاتِ} التِّنَاوِينْ نَّوَنْ سَ اَلْجَايِحَاتَنْ أَنِيَا ءَاكْ أَتَّظَظِّيضَرَمْ مي وَرْزَ تَظَظِّيضَرَمْ أي لنختبرنكم واللام جواب القسم أي والله لنبلونكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والبلاء أصله المحنة أي نمتحنكم لنختبركم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء أم لا وليظهر الطائع من العاصيوقال الشافعي في تفسير هذه الآية الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان ونقص الأموال إخراج الزكاة والصدقات ونقص الأنفس بالأمراض ونقص الثمرات موت الأولاد لأن الولد ثمرة القلب {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} بَشَّرْزَ إِيونْ ظَظِّيضَرْنينْ فَلْ اَلْبَلَاتَنْ سَ اَلْجَنَّةْ أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يقدر على التبشير وقد تقدم معنى البشارة والصبر أصله الحبس والجملة عطف على "ولنبلونكم" عطف المضمون على المضمون أي الإبتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن لمن صبر قاله سعد التفتازاني (١٥٥) {الَّذِينَ}

أَتِمُوصَنْ ونْدِي {إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} سَامَرْ تَنِينَّهَلْ اَلْبَلَا المصيبة واحدة المصايب وهي النكبة التي يتأذى بها الإنسان وإن صغرت {قَالُوا} أَدَ نِّينْ أي باللسان والقلب لا باللسان فقط فإن التلفظ بذلك مع الجزع قبيح وسخط للقضاء {إِنَّا لِلَّه} إِلّكَنَاسْ نَكَّنَيْ نَلَّيْ يَ اللهُ إِنَا مَازَالْ ضَغْنَا أَوَيْرَ {وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} إِلّكَنَاسْ نَكَّنَيْ نَقَّالْ سَرَسْ ضَغْ الاَخِرَةْ أَدَانَيِرَزْ أَسْ مَازَالَنْ ثَّنَا في الآخرة فيجازينا وصفهم بأنهم المسترجعون عند المصيبة لأن ذلك تسليم ورضا وفيه بيان أن هذه الكلمات ملجأ للمصابين وعصمة للممتحنين فإنها جامعة بين الإقرار بالعبودية لله والاعتراف بالبعث والنشور والرجوع والتفويض إلى الله والرضا بكل ما نزل به من المصايب وفي الحديث "من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه" وقد ورد في فضل الاسترجاع عند المصيبة أحاديث كثيرة (١٥٦) {أُولَئِكَ} وِنْدِي أَكِّنينْ ءَادِي {عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ} أَلَانَتُّو فَلَّاسَّنْ تَصُوريفينْ {مِنْ رَبِّهِمْ} أَدَّفَالْنينْ أَمَلينَّسَنْ {وَرَحْمَةٌ} دَالرَّحْمَةْ الصلاة هنا المغفرة قاله ابن عباس أو الثناء الحسن قاله الزجاج وعلى هذا فذكر الرحمة لقصد التأكيد {وَأُولَئِكَ} وِنْدِي {هُمُ الْمُهْتَدُونَ} أَنْتَنَيْ ءَانَرْنينْ سَ الصَّوَابْ يعني إلى الاسترجاع وقيل إلى الجنة وقيل إلى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم الْعَدْلَانِ ونعمت الْعِلَاوَةُ فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وروي عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ذكر مصيبة أو ذكرت عنده فاسترجع جدد الله ثوابه كيوم أصيب بها» وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أصابته مصيبة فليتذكر مصيبته فيّ فإنها من أعظم المصائب»

وروي هذان الحديثان عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (١٥٧) {إِنَّ الصَّفَا} إِلّكَنَاسْ تيبَدَّيْ فَلْ الصَّفَا {وَالْمَرْوَةَ} دَ اَلْمَرْوَا {مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} تَلَّيْ ضَغْ أَرطَنْ وِنَمُوصنْينْ الدِّينْ نَ اللهُ ضَغْ أَهَكَّكْ أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس الصلب وهو هنا علم جبل من جبال مكة معروف وكذلك المروة علم لجبل بمكة معروف وأصلها في اللغة وَاحِدَةُ الْمَرْوِ وهي الحجارة الصغار التي فيها لين وقيل التي فيها صلابة وقيل يعم الجميع وقيل إنها الحجارة البيض البراقة وقيل إنها الحجارة السود والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكه والمراد بها مواضع العبادة التي أشعرها الله اعلاماً للناس من الموقف والمسعى والمنحر ومنه إشعار الهدي أي إعلامه بغرز حديدة في سنامه والأجود شعائر بالهمز لزيادة حرف المد وهو عكس معايش ومصايب {فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ} إيكَّنْ أيهَنْ ضَغْ طَارّيْتْ تَانْ أَهَكَّكْ هو في اللغة القصد وفي الشرع الإتيان بمناسك الحج التي شرعها الله سبحانه {أَوِ اعْتَمَرَ} مَدي إيكَّيْ ضَغْ طَارّيْتْ تَانْ اَلْعُمْرَ العمرة في اللغة الزيارة وفي الشرع الإتيان بالنسك المعروف على الصفة الثابتة فالحج والعمرة قصد وزيارة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ} ءَادِيزَ وَرْتِلَّ أَبَكَّاضْ فَلَّاسْ أي فلا إثم عليه {أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} ضَغْ أَدَازَلْ كَرِيسَّنَتْ بَاتَّارْ إِوَّدْجَبْ أي يدور بهما ويسعى بينهما أصله يتطوفورفع الجناح يدل على عدم الوجوب وبه قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وحكى الزمخشري في الكشاف عن أبي حنيفة أنه يقول هو واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وقد ذهب إلى عدم الوجوب ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين وعن أحمد أنه سنة وأجمعوا على أنه مشروع فيهما وإنما الخلاف في وجوبه ومما يقوي

دلالة هذه الآية على عدم الوجوب قوله تعالى في آخر الآية {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا} إيسَمَرْكَدَنْ سَمَازَانْ أَنْتَلِيلْتْ أَيْقَّلْ أي زاد على ما فرض عليه من حج أو عمرة أو طواف أو تطوع بالسعي أو فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً {فَإِنَّ اللَّهَ} ءَادِيزَ إِلِّكَنَاسْ اللهُ {شَاكِرٌ} أَدِاسِگُّوضِي أَمَازَالْنيتْ إيرَزَاسْ فَلَّاسْ {عَلِيمٌ} أَمُوصَنْ ضَغَسْ مثيب على الطاعة لا يخفى عليه وذهب الجمهور إلى أن السعي واجب ونسك من جملة المناسك وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب الشافعي ومالك واستدلوا بما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة أن عروة قال لها أرأيت قول الله "إن الصفا والمروة من شعائر الله" الآية فما أرى على أحد جناحاً أن لا يطوف بهما فقالت عائشة بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها وكان من أهلّ لها يتحرّج أن يطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية قالت عائشة ثم قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما وأخرج مسلم وغيره عنها أنها قالت لعمري ما أتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة ولا عمرته لأن الله قال "إن الصفا والمروة من شعائر الله" (١٥٨) {إِنَّ الَّذِينَ} إِلِّكَنَاسْ وِنْدِي {يَكْتُمُونَ} غَابَّرْنينْ يِيْتيدَنْ {مَا أَنْزَلْنَا} أَوَدُوزَّبِّي {مِنَ الْبَيِّنَاتِ} ضَغْ الدَّلِيلَنْ {وَالْهُدَى} أَطَّنُورَيْ {مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ} دَفَّرْ أَسْتُوسِنَفَالَلَا {لِلنَّاسِ} يِيْتيدَنْ {فِي الْكِتَابِ} ضَغْ اَلْكَتَّابْ أَنْ التَّوْرِيةْ {أُولَئِكَ} وِنْدِي {يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ} إِلْعَانْتَنْ اللهُ إِسِّيكَّنْ الرَّحْمَتْنيتْ {وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} لَاعَّنَنْتَنْ وِلَّاعَنِّينْ كُولْ فيه

إخبار بأن الذي يكتم ذلك ملعون وفيه دليل على جواز لعن الكافر بعد موته خلافاً لمن قال إنه لا فائدة له وقد روي عن جماعة من السلف أن الآية نزلت في أهل الكتاب لكتمهم نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة وقيل كل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه وهو الراجح لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في الأصول فعلى فرض أن سبب النزول ما وقع من اليهود والنصارى من الكتم فلا ينافي ذلك تناول هذه الآية لكل من كتم الحق وفي هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يقادر قدره وفي قوله "من البينات والهدى" دليل على أنه يجوز كتم غير ذلك كما قال أبو هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم أخرجه البخاري (١٥٩) {إِلَّا الَّذِينَ} أَنْدَبَازَ وِنْدِي {تَابُوا} أَتُوبْنِينْ أَقَلَنْدُو {وَأَصْلَحُوا} أَكَنَنْ أَمَازَالْ نَسَنْ {وَبَيَّنُوا} سَنَّفَالَلَنْ أَوَاغْبَرَنْ فيه استثناء التائبين الراجعين من الكفر إلى الإسلام والمصلحين لما فسد من أعمالهم والمبينين للناس ما بينه الله في كتبه وعلى ألسن رسله {فَأُولَئِكَ} وِنْدِيزَ {أَتُوبُ عَلَيْهِمْ} أَدَقْبَلَا تَتُوبْتْ نَسَنْ يعني أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم قاله سعيد بن جبير {وَأَنَا التَّوَّابُ} فَلَاسْ نَكْ أَمِيكِتْ نَلْقَبُولْ أَنْتَتُوبْتْ أي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني إليّ {الرَّحِيمُ} نَمَهِّينَنْ بِمُومَنَنْ بهم بعد إقبالهم عليّ والجملة اعتراض تذييل محقق لمضمون ما قبله (١٦٠) {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إِلْكَنَاسْ وِنْدِي أَكْفَرْنِينْ بالكتمان وغيره {وَمَاتُوا} أَمِّينْ {وَهُمْ كُفَّارٌ} أَنْتَنَيْ أَمُوصَنْ إِكُوفَارْ جملة حالية وإثبات الواو فيها أفصح خلافاً لمن جعل حذفها شاذاً وهو الزمخشري تبعاً للفراء وقد استدل بذلك

على أنه لا يجوز لعن كافر معين لأن حاله عند الوفاة لا يعلم ولا ينافي ذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من لعنه لقوم من الكفار بأعيانهم لأنه يعلم بالوحي ما لا نعلم وقيل يجوز لعنه عملاً بظاهر الحال كما يجوز قتاله واستدل بقوله {أُولَئِكَ} وِنْدِي {عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ} تَلَّيْ فَلَّاسَّنْ اَللَّعْنَةْ نَ اللهُ {وَالْمَلَائِكَةِ} دَنْكَلُوسَنْ على جواز لعن الكفار على العموم قال القرطبي لا خلاف في ذلك قال ابن العربي إن لعن العاصي المعين لا يجوز باتفاق لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بشارب خمر مراراً فقال بعض من حضر "لعنه الله ما أكثر ما يشربه" فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم "لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم" والحديث في الصحيحين {وَالنَّاسِ} دَيْ تيدَنْ {أَجْمَعِينَ} كيتَّنَسَنْ قيل هذا يوم القيامة وأما في الدنيا ففي الناس المسلم والكافر ومن يعلم بالعاصي ومعصيته ومن لا يعلم فلا يتأتى اللعن له من جميع الناس وقيل في الدنيا والمراد يلعنه غالب الناس أو كل من علم بمعصيته منهم عن أبي العالية قال إن الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله ثم يلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون (١٦١) {خَالِدِينَ فِيهَا} اَلْحَالْ نَميلْ نَسَنْ أَضَغْلَلَنْ ضَغْ اللَّعْنَةْ دِي مَدي تيمْسَيْ دِي أي في النار وقيل في اللعنة وإنما أضمرت لعظم شأنها {لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} وَرِيتَوَصفْصِيصْ فَلَّاسَّنْ اَلْعَذَابْ {وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} وَرْتَلِّينْ دَاسَنِتُوَسَوَّخَارْ إِيتَتُوبْتْ وَلَا إِكِي نَ صَارُو فيعتذرون قاله أبو العالية (١٦٢) {وَإِلَهُكُمْ} أَمَلِينَّوَنْ وَيْسَتَّحَقَّنْ ضَغْوَنْ اَلْعِبَادَا {إِلَهٌ وَاحِدٌ} أَمَلِي إِيَّنْدَا أَيْمُوصْ أي لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته

لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه قال القرطبي لما حذر تعالى من كتمان الحق بين أن أول ما يجب إظهاره ولا يجوز كتمانه أمر التوحيد ووصل ذلك بذكر البرهان وعلم طريق النظر وهو الفكر في عجائب الصنع ليعلم أنه لا بد له من فاعل لا يشبهه شي قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت كفار قريش يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى سورة "الإخلاص" وهذه الآية وكان للمشركين ثلاثمائة وستون صنما، فبين الله أنه واحد {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} وَرْتِلَّ أَمَتَّوَعْبَادْ سَ اَلْحَقْ ءَارْ أَنْتَ تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له {الرَّحْمَنُ} أَنْتَازْ أَمَاكَايْ نَمَاكُو ضَغْ الرَّحْمَةْ أَيْمُوصْ {الرَّحِيمُ} أَمِيكَتْ نَ الرَّحْمَةْوقال القرطبي قوله تعالى "لا إله إلا هو" نفي وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان ومعناه لا معبود إلا الله (١٦٣) {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ} إِلّكَنَاسْ إِلَّي ضَغْ أَخْلُوكْ أَنْ جَنَّاوَنْ {وَالْأَرْضِ} دَمَضَالْ دَوَطَنِهَنْ ضَغْ اَلْعَجَايِبَنْ لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله "وإلهكم إله واحد" عقب ذلك بالدليل الدال عليه وهو هذه الأمور الثمانية التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيموهي خلق السموات وتعاقب الليل والنهار وجري الفلك في البحر وإنزال المطر من السماء وإحياء الأرض به وبث الدواب فيها بسببه وتصريف الرياح وتسخير السحاب فإن من أمعن نظره وأعمل فكره في واحد منها انبهر له وضاق ذهنه عن تصور حقيقته وتحتم عليه التصديق بأن صانعه هو الله سبحانه وإنما جمع السموات لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخر ووحد الأرض لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب والآية في السماء سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الأرض مدها وبسطها

على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ} دَمَزْرِي نَهَضْ {وَالنَّهَارِ} دَزَلْ أَسْ تيكْلَيْ دَاصًّا تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر وإضاءة أحدهما وإظلام الآخر وقيل في الطول والقصر والزيادة والنقصان {وَالْفُلْكِ} أَتَّغْلَالينْ {الَّتِي} شِنْدِي {تَجْرِي} تَازَلْنينْ {فِي الْبَحْرِ} ضَغْ أَكِّرَوْ وهي السفن وإفراده وجمعه بلفظ واحد وهو هذا ويذكر ويؤنث قال تعالى "في الفلك المشحون" و"الفلك التي تجري في البحر" وقال "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم" وقيل واحده فلك بالتحريك مثل أسد وأسد والآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالأثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة {بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ} أَكّنْكَنَّتْ أَوَيْنْفَنْ أَيْتيدَنْ ضَغْ كَايَطَنْ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الأرباح والآية في ذلك أن الله لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في منافعهم وأيضاً فإن الله خص كل قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سبباً يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل اليه {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} دَوَدِّزَزَّبَّتْ اللهُ {مِنَ السَّمَاءِ} ضَغْ جَنَّاوَنْ {مِنْ مَاءٍ} إِمُوصَنْ أَكُونَاكْ أي المطر الذي به حياة العالم وإخراج النبات والأرزاق {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ} إِسَّودَرْدُوسَرَسْ أَمَضَالْ سَ النَّبَاتْ ي أظهر نضارتها وحسنها {بَعْدَ مَوْتِهَا} دَفَّرْ تَغَارْتْنيتْ أي بعد يبسها وجدبها سماه موتاً مجازاً والآية في هذين أن الله جعله سبباً لإحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة إليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وإنزاله بمكان دون مكان {وَبَثَّ

فِيهَا} إِزَبَّزَتْ ضَغَسْ أي في الأرض {مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} النَّوعْ نَكَّلَّ أَنْ تَدَّابَّاتْ قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية في ذلك أن جنس الإنسان يرجع إلى أصل واحد وهو آدم مع ما فيهم من الاختلاف في الصور والأشكال والألوان والألسنة والطبائع والأخلاق والأوصاف إلى غير ذلك، ثم يقاس على بني آدم سائر الحيوان {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} دَمَرْجِيوَلْ نَاضُوطَنْ أي إرسالها عقيماً وملقحة وصراً ونصراً وهلاكاً وحارة وباردة ولينة وعاصفة وقيل تصريفها في مهابها جنوباً وشمالاً ودبوراً وقبولاً وصباً ونكباء وهي التي تأتي بين مهبي ريحين وقيل تصريفها أن تأتي السفن الكبار بقدر ما تحملها والصغار كذلك ولا مانع من حمل التصريف على جميع ما ذكروالآية في الريح أنه جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهو مع ذلك في غاية القوة بحيث يقلع الشجر والصخر ويخرب البنيان العظيم وهو مع ذلك حياة الوجود فلو أمسك طرفة عين لمات كل ذي روح وأنتن ما على وجه الأرض {وَالسَّحَابِ} أَتَّكْنَاوينْ {الْمُسَخَّرِ} تِوَشَشَاكَلْنينْ سَلَمَرْ نَ اللهُ {بَيْنَ السَّمَآءِ} كَرْ جَنَّاوَنْ {وَالأَرْضِ} دَمَضَالْ شِوَرْ أَشَشَّالِي وَلِيَّنْ أي الغيم المذلل سمي سحاباً لانسحابه في الهواءوالآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقاً بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده وفيه آيات أخر ففي هذه الأنواع الثمانية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وأنه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد بقوله وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو {لآيَاتٍ} إِلَّيْ ضَغْ أَرطَنْ دِيزَا شِجُوجَابْ أَصِّينَرْنينْ فَلْ تِيشِيتْ نَ اللهُ غَاسْنيتْ {لِقَوْمٍ} إيميدَّنْ {يَعْقِلُونَ} وِينَلَنينْ تَيْتَّيْ

سَامَضْرَانَنْ أي دلالات على وحدانيته سبحانه لمن ينظر ببصره ويتفكر بعقله وإنما جمع آيات لأن في كل واحد مما ذكر من هذه الأنواع آيات كثيرة تدل على أن لها خالقاً مدبراً مختاراً (١٦٤) {وَمِنَ النَّاسِ} إلَّيْ ضَغْ أَيْتيدَنْ {مَنْ يَتَّخِذُ} إيتَاكَّنْ {مِنْ دُونِ اللَّهِ} سَاضَغْدُو يَ اللهُ {أَنْدَادًا} أَصَّنَمَنْ أَعْبَادَنْ {يُحِبُّونَهُمْ} أَرَانْطَنْ {كَحُبِّ اللَّهِ} زُونْ طَرَا تَاكَّنْ مُومَنَنْ يَ اللهُ إظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه ولما فرغ سبحانه من الدليل على وحدانيته أخبر أن مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطانه وجليل قدرته وتفرده بالخلق قد وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه نداً يعبده من الأصنام كذا فيلمع أن هؤلاء الكفار لم يقتصروا على مجرد عبادة الأنداد بل أحبوها حباً عظيماً وأفرطوا في ذلك إفراطاً بالغاً حتى صار حبهم لهذه الأوثان ونحوها متمكناً في صدورهم كتمكن حب المؤمنين لله سبحانه ويجوز أن يكون المراد كحبهم لله أي عبدة الأوثان قاله الزجاج وابن كيسان ويجوز أن يكون مبنياً للمفعول ومعناه كما يحب الله ويعظم والأول أولى لقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا} مِشَانْ وِنْدِي أَظَّكِّظَنّينْ {أَشَدُّ حُبًّا لِلَّه} أُوكَرْ طَرَا تَاكَّنْ يَ اللهُ تَاكَّنْ كُوفَارْ يَ اَصَّنَمَنْ نَسَنْ فإنه استدراك لما يفيده التشبيه من التساوي أي إن حب المؤمنين لله أشد من حب الكفار للأنداد لأن المؤمنين يخصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء والكفار لا يخصون أصنامهم بذلك بل يشركون الله معهم ويعترفون بأنهم إنما يعبدون أصنامهم ليقربوهم إلى الله وقيل المراد بالأنداد هنا الرؤساء والكبراء أي يطيعونهم في معاصي الله ويقوى هذا الضمير في قوله "يحبونهم" فإنه لمن يعقل ويقويه أيضاً قوله سبحانه عقب ذلك "إذ تبرأ

الذين اتبعوا" الآية والحب نقيض البغض {وَلَوْ تَرَى} النَّارْ تَهَاتَّيَا يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {الَّذِينَ ظَلَمُوا} وِنْدِي أَكْفَرْنينْ سِيكِي نَمَادْرَاوْ يَ اللهُ {إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ} أَدِّي أَدْ زَنِيَنْ اَلْعَذَابْ أَتَّنَيَا طَالْغَا زُوَّرَتْ قراءة أهل المدينة وأهل الشام بالتاء وأهل مكة وأهل الكوفة وأبو عمرو بالياء وهو اختيار أبي عبيد والمعنى على قراءة الياء لو يرى الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه {أَنَّ الْقُوَّةَ} فَلَاسْ اَلْقَوَّةْ أَتَتِمُوصَنْ طَرْنَا دَ اَلْغَلَبَةْ {لِلَّهِ} تَلِّيْ يَ اللهُ {جَمِيعًا} اَلْقَوَّةْ كيتْنيتْ قاله أبو عبيدة قال النحاس وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير انتهى وعلى هذا فالرؤية هي البصرية لا القلبية ومن قرأ بالفوقية فالتقدير ولو ترى يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت أن القوة لله جميعاً وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب بهذا الخطاب والمراد به أمته وقيل "أن" في موضع نصب مفعول لأجله أي لأن القوة لله {وَأَنَّ اللَّهَ} دَاسْ اللهُ {شَدِيدُ الْعَذَابِ} أَمِيصَصْ نَ اَلْعَذَابْ عطف على ما قبله وفائدته تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه (١٦٥) {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ} أَدِي أَدْزَبَرّينْ وِنْدِي بدل من قوله إذ يرون العذاب {اتُّبِعُوا} أَسِيتَوَلْكَمْ أَتَنِمُوصَنْ الرُّوَسَا {مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا} ضَغْ وِنْدِي دَاسَنَلْكَمْنينْ {وَرَأَوُا الْعَذَابَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ إِكَّاسْ هَانَّيَنْ اَلْعَذَابْ أي تنزه وتباعد معناه أن السادة والرؤساء من مشركي الإنس تبرؤوا ممن اتبعهم على الكفر ورأوا يعني التابعين والمتبوعين العذاب قيل عند المعاينة في الدنيا وقيل عند العرض والمساءلة في الآخرة ويمكن أن يقال فيهما جميعاً إذ لا مانع من ذلك{وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}

أَقَّتَسَنْدُو دَرْسَنْ غُونَانْ ونْتَاصَّاقْ تَاتَلَّتْ كِرِيسَّنْ ضَغْ الدَّنيتْ أي وتقطعت عنهم الأسباب بسبب كفرهم جمع سبب وأصله في اللغة الحبل الذي يشد به الشيء ويجذب به ثم جعل كل ما جر شيئاً سبباً فهي مجاز هنا والمراد بها الوصل التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من الرحمة وغيرها(١٦٦) {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا} أَنّينْ وِنْدِي دَاسَنَلْكَمْنينْ {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} اَنَّارَانَقُّو تَمَلْ تَوَغْلَيْ سَ الدَّنيتْ "أنّ" في موضع رفع أي لو ثبت أن لنا رجعة إلى الدنيا الكرة الرجعة والعودة إلى حال قد كانت و"لو" هنا بمعنى التمني كأنه قيل ليت لنا كرة ولهذا وقعت الفاء في الجواب والمعنى أن الأتباع قالوا لو رددنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً {فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ} نَبَّرُّو ضَغْسَنْ أي المتبوعين {كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا} أَمَّكْ أَسَبَّرَّنْ ضَغْنَا أَمَرَدَّا اليوم وهو جواب التمني فالكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف أي تبرأ كما ويجوز أن يكون نصب على الحال تقديرها متبرئين والتبرؤ الانفصال {كَذَلِكَ} أَمَّكْ أَسْ تَنِيصَّكْنَا اللهُ أَصُّوصْ نَ اَلْعَذَابْ نيتْ دَ التَّبَرُّو نَديسْ نَسَنْ ضَغْ أَديسْ الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك أي كما أراهم الله العذاب {يُرِيهِمُ اللَّهُ} أَسْ تَنْزَصَّكْنَا اللهُ {أَعْمَالَهُمْ} إِمَازَالَنْ نَسَنْ وِلَّبَاسْ نينْ السيئة وهذه الرؤية إن كانت البصرية فقوله {حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ} أَمُوصَنْ شِزَّرْيَامَاتينْ فَلَّاسَّنْ منتصب على الحال وإن كانت القلبية فهو المفعول الثالث والمعنى أن أعمالهم الفاسدة يريهم الله إياها فتكون عليهم حسرات وندامات أو يريهم الله الأعمال الصالحة التي أوجبها عليهم فتركوها فيكون ذلك حسرة عليهم والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه{وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ} وَرْتَلّينْ أَدَكْمَضَنْ {مِنَ النَّارِ} ضَغْ تَمْسَيْ فيه دليل على خلود الكفار في

النار(١٦٧) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} يَا وِنْدَا أَيْتِيدَنْ {كُلُوا} أَتْشَتْ {مِمَّا فِي الْأَرْضِ} ضَغْ أَوَتِّلَّنْ ضَغْ أَمَضْالْ {حَلَالًا} اَلْحَالْ اَتَّميلْنيتْ إِمُوصْ اَلْحَلَالْ {طَيِّبًا} إِظُوصَنْ قيل إنها نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام حكاه القرطبي في تفسيره وهذا هو المشهور بخلاف ما جرى عليه القاضي من أنها نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس فإنه مرجوح قاله الكرخي ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسمي الحلال حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه والطيب هنا هو المستلذ كما قاله الشافعي وغيره وقال مالك وغيره هو الحلال فيكون تاكيداً لقوله حلالاً "ومن" في مما للتبعيض للقطع بأن في الأرض ما هو حرام كالحجارة لا يؤكل أصلاًوقيل معنى حلالاً مأذوناً فيه شرعاً والطيب الحلال وإن لم يستلذ كالأدوية وفي هذه الآية دليل على أن كل ما لم يرد فيه نص أو ظاهر من الأعيان الموجودة في الأرض فأصله الحل حتى يرد دليل يقتضي تحريمه وأوضح دلالة على ذلك من هذه الآية قوله تعالى "وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً" {وَلَا تَتَّبِعُوا} أَدْ وَرْتَتِيلَالَمْ {خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} طَارِّيينْ نَ الشَّيْطَانْ شِنْدَاوَنِدَالَّكِ جمع خطوة بالفتح والضم وهي بالفتح المرة وبالضمة لما بين القدمين وقيل إنهما لغتانوالمعنى على قراءة الجمهور لا تقتفوا أثر الشيطان وطرقه وتزيينه وعمله وكل ما لم يرد به الشرع فهو منسوب إلى الشيطان وقيل هي النذور في المعاصي وقيل المحقرات من الذنوب والأولى التعميم وعدم التخصيص بفرد أو نوع {إِنَّهُ} إِلّكَنَاسْ أَنْتَ الشَّيْطَانْ {لَكُم عَدُوٌّ} أَزَنْكَوْ نَونْ أَيْمُوصْ تعليل للنهي عن الاتباع {مُبِينٌ} أَسِنِيفَالَلْ أَزَّنْكُو نّيتْ يَاوَنْ أي ظاهر

العداوة وقد أظهر الله عداوته بآية السجود لآدم 4 (١٦٨) ثم بين عداوته ما هي فقال {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ} إِلّكَنَاسْ أَسْ كَوَنِيتَامَرْ {بِالسُّوءِ} أَرَطْ وَالَبَاسَنْ سمي السوء سوءاً لأنه يسوء صاحبه بسوء عاقبته وهومصدر ساءه يسوؤه سوءاً ومساءة إذا أحزنه {وَالْفَحْشَاءِ} أَدْ وَيْكْنَنْ تَلَّابَسْتْ وَلّينْ ضَغْ الشَّرِيعَا وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه الحد قاله ابن عباس وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل وقيل إن كل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء {وَأَنْ تَقُولُوا} إِتَا مَرْكَوَنْ ضيغينْ سَتّكَاتّيمْ {عَلَى اللَّهِ} فَلْ اللهُ {مَا لَا تَعْلَمُونَ} ءَاوَرْ طَصّينَمْ ضَغْ أَسَحْرَمْ نَرَطْ وَرِيسَّحْرَمْ أي بأن تقولوا قال ابن جرير الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوهما مما جعلوه شرعاً وقيل هو قولهم هذا حلال وهذا حرام بغير علم والظاهر أنه يصدق على كل ما قيل في الشرع بغير علم(١٦٩) {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ} ءَامَرْ إِطَوَناً يِكُوفَارْ {اتَّبِعُوا} إِلَالَتْ {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} أَوَدّيزَزَّبَّتْ اللهُ أي بالقبول والعمل {قَالُوا} أَدَنّينْ كَلَاكَلَا {بَلْ نَتَّبِعُ} بَاتَّارْ نَكّنَيْ نَلّيلْ {مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} أَوَظْدُونُوكَظْ فَلّاسْ إِمَرْوَنَّنَا الضمير في "لهم" راجع إلى الناس في قوله "يا أيها الناس" لأن الكفار منهم وهم المقصودون هنا فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة على طريق الالتفات مبالغة في بيان ضلالهم كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وقيل مشركو العرب خاصة وقد سبق ذكرهم في قوله "من يتخذ من دون الله أنداداً" ولفظ أبي السعود نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا

---

[4] وهذا غاية في التحذير، ومثله في القرآن كثير. وقال عبد الله بن عمر: إن إبليس مُوثَّق في الأرض السُفلى، فإذا تحرك فإن كل شرّ في الأرض بين اثنين فصاعداً من تحرّكه. وخرّج الترمذي من حديث أبي مالك الأشعري وفيه: " وآمركم أن تذكروا الله فإن مَثَل ذلك كمَثَل رجل خرج العدوّ في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله " الحديث. وقال فيه: (حديث حسن صحيح غريب)

للتقليد انتهى{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ} ءَادِيسْ أَدْ لَاكَّمَنْ بِمَرْوَنَّسَنْ وَلَاغَاسْ أَلَّانْتُو مَرْوَنَّسَنْ {لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا} وَرَكْرِينْ ءَاتِّلَانْ ضَغْ طَالْغَا نَ الدِّينْ الألف للاستفهام وفتحت الواو لأنها واو عطف عطفت جملة كلام على جملة لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون فقرروا على التزامهم هذا إذ هي حال آبائهم {وَلَا يَهْتَدُونَ} وَرَنيرَنْ سَ اَلْحَقْ وَرِيهُّورْ ءَادِي إلى الصواب وكيفية اكتسابه وقال القرطبي المسألة الثالثة تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية وهذا في الباطل صحيح أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول على ما يأتي وأما جوازه في مسائل الفروع فصحيح وقال أيضا السادسة فرض العامي الذي لا يشتغل باستنباط الأحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده فيسأله عن نازلته فيمتثل فيها فتواه لقوله تعالى "فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس وعلى العالم أيضا أن يقلد عالما مثله في نازلة خفي عليه فيها وجه الدليل (١٧٠) ثم ضرب لهم مثلاً فقال {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا} اَلْمِثَالْ أَنْونْدِي أَكْفَرْنينْ أَدْوَدِي أَتَنِغَارَّنْ أَسْ تَنُورَيْ في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم وفي ذلك نهاية الزجر لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقهم في التقليد {كَمَثَلِ الَّذِي} زُونْ اَلْمِثَالْ أَنْوَدِي {يَنْعِقُ} إِصَاغَرِينْ {بِمَا لَا يَسْمَعُ} يَرَطْ وَرْنَسَلُّو فيه تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم وهو

محمد صلى الله عليه وسلم

محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع {إِلَّا دُعَاءً} ءَارْ إِطَغَرَيْ {وَنِدَاءً} أَتَّكُوريتْ ولا تفهم ما يقول هكذا فسره الزجاج والفراء وسيبويه وبه قال جماعة من السلف قال سيبويه لم يشبهوا بالناعق إنما شبهوا بالمنعوق به والمعنى مثلك يا محمد صلى الله عليه وسلم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى عليه {صُمٌّ} أَنْتَنَي إِمَظُوكٌ نينْ فَلْ اَلْحَقْ وَرَازَّسْلِينْ {بُكْمٌ} إِكَنَّوْنينْ فَلْ اَلْحَقْ وَرْتُولَفَّضَنْ عن النطق بالحق {عُمْيٌ} إِضَرْغُولْنينْ فَلْ اَلْحَقْ وَرْتُوهَنِّيَنْ عن طريق الهدى {فَهُمْ} فَلَادِي ءَاسْ أَنْتَنَيْ {لَا يَعْقِلُونَ} وَرْزَكِّرِينْ أَلْمَاعِظَا أي بالعقل للإخلال بالنظر نتيجة للنتيجة قال عطاء هم اليهود الذين أنزل الله فيهم "إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب" إلى قوله فما أصبرهم على النار (١٧١) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَا وِنْدِي أَظَّكِّظَنِّينْ هَا {كُلُوا} طَاطِّوَتْ {مِنْ طَيِّبَاتِ} صَغْ مِيظَضَنْ {مَا رَزَقْنَاكُمْ} نَوَدَاوَنَرْظَغَا هذا تأكيد للأمر الأول أعني قوله "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً" وإنما خص المؤمنين هنا لكونهم أفضل أنواع الناس قيل والمراد بالأكل الانتفاع وقيل المراد به الأكل المعتاد وهو الظاهر وقيل إن الأمر في كلوا قد يكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس ودفع الضر عنها وقد يكون للندب كالأكل مع الضيف وقد يكون للإباحة إذا خلا من هذه العوارض وعن عمر بن عبد العزيز أن المراد بما في الآية طيب الكسب لا طيب الطعام {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} تَكُّوضِيَمْ يَ اللهُ فَلَوَدَاوَنِيسَّحْلَلْ على ما رزقكم من نعمه وأحل لكم وفيه التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة إذ لو جرى على الأسلوب الأول لقال واشكرونا والأمر فيه للوجوب فقط {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} كُتُوتَلَّامْ إِمُوصَاصْ أَنْتَ

ءَاتَعْبَدَمْ أي تخصونه بالعبادة وتقرون بأنه إلهكم لا غيره كما يفيده تقديم المفعول (١٧٢) {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ} إِلّكَنَاسْ أَيْسَّحْرَمْ فَلَّاوَّنْ {الْمَيْتَةَ} تَمَغْسيتْ {وَالدَّمَ} دَرْنِي وَنَمَّانْكَايْ {وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} أَدْ صَانْ نَظُوبَرَ لما أمرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت بأكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعاً من المحرمات فقال "إنما" وهي كلمة موضوعة للحصر تثبت ما تناوله الخطاب وتنفي ما عداه وقد حصرت ههنا التحريم في الأمور المذكورة بعدها أي ما حرم عليكم إلا الميتة وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة وقد خصص هذا العموم بمثل حديث "أحل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد" أخرجه أحمد وابن ماجة والدارقطني والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر والدم هو الجاري السائل وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله فحرمه الله تعالى وقد اتفق العلماء على أن الدم حرام وفي الآية الأخرى "أو دماً مسفوحاً" فيحمل المطلق على المقيد لأن ما خلط باللحم غير محرم قال القرطبي بالإجماع وقد روت عائشة أنها كانت تطبخ اللحم فتعلو الصفرة على البرمة من الدم فيأكل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره {وَمَا أُهِلَّ بِهِ} دَرَطْ وَسِيتَوَصَكَارَيْ فَلَّاسْ غُرْ أَكِزَامْ نيتْ {لِغَيْرِ اللَّهِ} سَاوَرْنَمُوصْ أيصَمْ نَ اللهُ يعني ما ذبح للأصنام والطواغيت وصيح في ذبحه لغير الله وأصل الإهلال رفع الصوت يقال أهل بكذا أي صرخ ورفع صوته ومنه إهلال الصبي واستهلاله وهو صياحه عند ولادته ومنه الهلال لأنه يصرخ عند رؤيته والمراد هنا ما ذكر عليه اسم غير الله تعالى كاللات والعزى إذا كان الذابح وثنياً والنار إذا كان الذابح مجوسياً ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله وفي تفسير

النيسابوري للنظام قال العلماء لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى {فَمَنِ اضْطُرَّ} إِيتَوَضْكَّظَنْ أَسْ تَطَّيْ نَوَدِّيتَّمَلَنْدَا إِتْشَيْ إلى شيء من هذه المحرمات والمضطر هو المكلف بالشيء الملجأ إليه المكره عليه والمراد هنا من خاف التلف والمضطر إما بإكراه فيبيح ذلك إلى زوال الإكراه أو يجوع في مخمصة فإن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وإن كانت نادرة فقال الشافعي يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة أو يأكل قدر الشبع وبه قال مالك فأكل {غَيْرَ بَاغٍ} وَرِكْمِيضْ فَلْ نَسْلَمَنْ بالاستئثار على مضطر آخر أو على الوالي وأصل البغي الفساد {وَلَا عَادٍ} وَرِيعَدَّ فَلَّاسَّنْ وَرِيمُوصْ أَمَاخْتَاسْ أَنْطَارِّيطْ اسم فاعل أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد والمراد بالباغي من يأكل فوق حاجته والعادي من يأكل هذه المحرمات وهو يجد عنها مندوحة وبلغةوقيل غير باغ على المسلمين ولا معتد عليهم فيدخل في الباغي والعادي قاطع السبيل والخارج على السلطان والمفارق للجماعة والأئمة والمفسد في الأرض وقاطع الرحم وقيل المراد غير باغ على مضطر آخر ولا عاد لسد الجوعة قاله سعيد بن جبير {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} ءَادِيزَ وَلَبَكَّاضْ فَلَّاسْ في تناوله ولا حرج ومن أكله وهو غير مضطر فقد بغى واعتدى {إِنَّ اللَّهَ} إِلِّكَنَاسْ اللهُ {غَفُورٌ} أَنَصِّيرَفْ يَلْوَلِيتَنِّيتْ لمن أكل من الحرام {رَحِيمٌ} نَمَهِّينَنْ إِي كَلْ تَلِيلْتْ نيتْ به إذ أحل له الحرام في الاضطرار (١٧٣) {إِنَّ الَّذِينَ} إِلِّكَنَاسْ وِنْدِي {يَكْتُمُونَ} غَابَّرْنِينْ {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} أَوَدِّزَزَّبَّتْ اللهُ {مِنَ الْكِتَابِ} ضَغْ اَلْكَتَّابْ أَنَّ التَّوْرِيةْ أَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ المراد بهذه الآية علماء اليهود لأنهم كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد صلى

الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين وقال المتكلمون بل كانوا يكتمون التأويل والمعنى يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب والأول أولى {وَيَشْتَرُونَ} سَمَسْكَالَنْدُو {بِهِ} ضَغْ أَدِكْنيتْ أي بالكتمان أو بما أنزل الله من الكتاب والأول أظهر والاشتراء هنا الاستبدال وقد تقدم تحقيقه {ثَمَنًا قَلِيلًا} اَتَّمَنْ دَرُوسَنْ أَتِمُوصَنْ الدَّنيتْ أَدَرْ تُوكِّدَا سماه قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته وهذا السبب وإن كان خاصاً فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله وأخذ عليه الرشا {أُولَئِكَ} وِنْدِي {مَا يَأْكُلُونَ} وَرْطَطِّينْ {فِي بُطُونِهِمْ} ضَغْ تَدُوسِينْ نَسَنْ ذكر البطون دلالة وتأكيداً على أن هذا الأكل حقيقة إذ قد يستعمل مجازاً في مثل أكل فلان أرضي ونحوه {إِلَّا النَّارَ} ءَارْ تيمْسَيْ استثناء مفرغ أي إنه يوجب عليهم عذاب النار فسمى ما أكلوه ناراً لأنه يؤول إليها هكذا قال أكثر المفسرين وهو من مجاز الكلام وقيل إنهم يعاقبون على كتمانهم بأكل النار في جهنم حقيقة ومثله قوله سبحانه "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً" {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ} وَرْسَرْسَنْ زِيشِّوَلْ اللهُ {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أَزَلْ ءَانْ تَبَدَّيْ ءَاوَالْ وَانْ تَرَضُوتْ أَنْدَبَا وَانُّوكْيَاضْ أي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وعدم تكليم الله إياهم كناية عن حلول غضب الله عليهم وعدم الرضا عنهم يقال فلان لا يكلم فلاناً إذا غضب عليه وإنما كان عدم تكليمهم في معرض التهديد لأن يوم القيامة هو اليوم الذي يكلم الله فيه كل الخلائق بلا واسطة فيظهر عند كلامه السرور في أوليائه وضده في أعدائه {وَلَا يُزَكِّيهِمْ} وَرْتَنْ زِيزَّزْدَكْ ضَغْ شِيدَيْ تَانْ بَكَّاضَنْ نَسَنْ لا يثنى عليهم خيراً قاله الزجاج وقيل معناه لا يصلح أعمالهم الخبيثة فيطهرهم

أو لا ينزلهم منازل الأزكياء وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب {وَلَهُمْ} إِلَّاسَنْتُو {عَذَابٌ} اَلْعَذابْ {أَلِيمٌ} نَمَصّيصْنَنْ أي وجيع يصل ألمه إلى قلوبهم وهو النار وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر" وإنما خص هؤلاء بأليم العذاب وشدة العقوبة لمحض المعاندة والاستخفاف الحامل لهم على تلك المعاصي إذ لم يحملهم على ذلك حاجة ولا دعتهم إليه ضرورة كما تدعو من لم يكن مثلهم(١٧٤) {أُولَئِكَ} ونِكِّنينْ ءَادِي أي الموصوفون بالصفات الستة من قوله "إن الذين يكتمون" إلى هنا وهذا بيان لحالهم في الدنيا بعد أن بين حالهم في الآخرة {الَّذِينَ} أَنْتَنَيْ ونْدِي {اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ} سَمَّسْكَلْنينْ ءَاخْرُوكْ {بِالْهُدَى} ضَغْ أَدَكِْ أَنْ تَنُورَيْ {وَالْعَذَابَ} سَمَّسْكَلَنْ اَلْعَذَابْ {بِالْمَغْفِرَةِ} ضَغْ أَدَكِْ نَصُورَفْ أي اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لأنهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} أَوَانْ تَرْهيلْت اَكَِانْتَتْ فَلْ إِكِنَّسَنْ أَمَازَالْ وَتَنْ زِ ظَنَّمَكِّظَظَنْ أَتَّمْسَيْ حتى تركوا الحق واتبعوا الباطلوذهب الجمهور ومنهم الحسن ومجاهد إلى أن معناه التعجب والمراد تعجب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنموقيل "ما " استفهامية ومعناه التوبيخ أي أي شيء صبرهم على عمل أهل النار وهذا من مجاز الكلام وبه قال ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة (١٧٥) {ذَلِكَ} ءَادِيزَ أَدَّتَّمَلْنْ أَدّي إِكَِا {بِأَنَّ اللَّهَ} سَسَّبَابْ نَاسْ اللهُ {نَزَّلَ الْكِتَابَ} إِرَزَّبَّدُو الْكَتَّابْ

أَنْ التَّوْريةْ {بِالْحَقِّ} إِمِيسِلْسَا دَ اَلْحَقْ أَظَّكِّظَنَنْ سَديسْنيتْ وَيْنَمَنَّكَنْ دَ اَلْهَوَاتَنْ نَّسَنْ أَكْفَرَنْ "ذلك" في موضع رفع وهو إشارة إلى الحكم كأنه قال ذلك الحكم بالنار وقال الأخفش إن خبر اسم الإشارة محذوف والتقدير ذلك معلوم والمراد بالكتاب هنا القرآن أو التوراة والحق الصدق وقيل الحجة {وَإِنَّ الَّذِينَ} إِلّكَنَاسْ وِنْدِي {اخْتَلَفُوا} أَمَّزْرَيْنينْ {فِي الْكِتَابِ} ضَغْ اَلْكَتَّابْ أَنَّ التَّوْريةْ أَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ يعني في معانيه وتأويله فحرفوه وبدلوه وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض والمراد بالكتاب قيل التوراة فادعى النصارى أن فيها صفة عيسى وأنكرهم اليهود وقيل خالفوا ما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم واختلفوا فيها وقيل المراد القرآن والمختلفون هم كفار قريش يقول بعضهم هو سحر وكهانة وبعضهم يقول هو أساطير الأولين وبعضهم يقول غير ذلك وقيل المختلفون هم اليهود والنصارى {لَفِي شِقَاقٍ} أَلَّانْتُو ضَغْ أَمَزْرِي دَ اَلْحَقْ أي خلاف ومنازعة {بَعِيدٍ} إِكُّوكَنْ عن الحق (١٧٦) {لَيْسَ الْبِرَّ} وَرِيمُوصْ تَلِيلْتْ {أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ} أَتَّسِيمَلّيَمْ أُودْمَاوَنْ نَّوَنْ ضَغْ أَمُودْ قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء على معنى خبر ليس وقرأ الباقون بالرفع على معنى اسم ليس من قرأ بالرفع فهو الظاهر في العربية لأن ليس يرفع الاسم الذي بعده بمنزلة كان وأما من قرأ بالنصب فإنه يجعل الاسم ما بعده ويجعل "البر" خبره {قِبَلَ الْمَشْرِقِ} أَسْ تَسَدَكْ أَنْ دَنَّكْ {وَالْمَغْرِبِ} دَطَرَامْ قيل إن هذه الآية نزلت للرد على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قيل أشار سبحانه بذكر المشرق إلى قبلة النصارى لأنهم يستقبلون مطلع الشمس وأشار بذكر المغرب إلى قبلة

نصف الحزب

اليهود لأنهم يستقبلون بيت المقدس وهو في جهة الغرب منهم إذ ذاك وزعم كل طائفة منهم أن البر في ذلك فأخبر الله تعالى أن البر ليس فيما زعموا ولكنه فيما بيّنه في هذه الآية وقيل المخاطب هم المسلمون وقيل هو عام لهم ولأهل الكتابين أي ليس البر مقصوراً على أمر القبلة والبر اسم جامع لكل طاعة وعمل الخير ويجوز أن يكون بمعنى البار ويطلق المصدر على اسم الفاعل كثيراً ومنه في التنزيل "إن أصبح ماؤكم غوراً" أي غائراً وهذا اختيار أبي عبيدة والمشرق جهة شروق الشمس والمغرب جهة غروبها وهذا مشكل بما تقدم من أن قبلة اليهود إنما هي بيت المقدس وهو بالنسبة إلى المدينة شمال لا مغرب 5 لأن من استقبل بيت المقدس يكون فيها ظهره مقابلاً لميزاب الكعبة ووجهه مقابلاً لبيت المقدس الذي هو من جهة الشام وكذا بالنسبة لمكة فلم يظهر المراد في هذه الآية {وَلَكِنَّ الْبِرَّ} مِشَانْ تَلِلْتْ أَتَتِمُوصَنْ أي لكن ذا البر وقرىء البار أو بر قرأ نافع وابن عامر ولكنِ البرُّ بكسر النون وضم الراء وقرأ الباقون ولكنَّ البرَّ بنصب النون مشددة وبنصب الراء مَنْ خَفَّفَ جعلها عاطفة الجملة والْبِرُّ مبتدأ و"من آمن" خبر على حذف مضاف أَيْ بِرُّ من آمن إذ لا يُخْبَرُ بالذات عن المعنى أو قصد المبالغة ومن شدَّد نصب بها لوقوعها بين جملتين وهى استدراكية {مَنْ آمَنَ} تَلِيلْتْ أَنْ وَيْظَكِّظَنَنْ {بِاللَّهِ} سَ اللهُ

{وَالْيَوْمِ الآخِرِ} دَزَلْ أَيْلْكَمَنْ ذكر ذلك لأن عبدة الأوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت {وَالْمَلَائِكَةِ} دَنْكِّلُوسَنْ أي الإيمان بهم كلهم لأن اليهود قالوا إن جبريل عدونا {وَالْكِتَابِ} دَالْكَتَّابَنْ قيل أراد به القرآن وقيل جميع

---

5 إنما يأتي الإشكال على قول من فسر الآية بهذا القول، أما على قول الأخرين فلا إشكال

الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله {وَالنَّبِيِّينَ} دَالنَّبِيتَنْ يعني أجمع {وَآتَى الْمَالَ} إِكْفَ أيهَرَيْ {عَلَى حُبِّهِ} دَرْ طَرَاتّيتْ يَاسْ ضمير حبه راجع إلى المال وقيل إلى الإيتاء المدلول عليه بقوله وآتى المال وقيل إنه راجع إلى الله سبحانه أي على حب الله والمعنى على الأول أنه أعطى المال وهو يحبه ويشح به ومنه قوله تعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" وعلى الثاني أنه يحب إيتاء المال وتطيب به نفسه وعلى الثالث أنه أعطى من تضمنته الآية في حب الله عز وجل لا لغرض آخر وهو مثل قوله "ويطعمون الطعام على حبه" عن ابن مسعود قال يعطى وهو صحيح شحيح يأمل العيش ويخاف الفقر {ذَوِي الْقُرْبَى} إيمَصَّاوَصْ أَنْتَنِيهَظْتْ يعنى أهل قرابة المعطي وقدم ذوي القربى لكون دفع المال إليهم صدقة وصلة إذا كانوا فقراءوفي الصحيحين وغيرهما من حديث زينب امرأة ابن مسعود أنها سألت رسول الله هل تجزىء عنها من الصدقة النفقة على زوجها وأيتام في حجرها فقال "لك أجران أجر الصدقة وأجر القرابة" {وَالْيَتَامَى} أَدْ كُوكِيلَنْ أي وهكذا اليتامى المحاويج الفقراء أولى بالصدقة من الفقراء الذين ليسوا بيتامى لعدم قدرتهم على الكسب واليتيم هو الذي لا أب له مع الصغر {وَالْمَسَاكِينَ} أَدْ تَلَقَّاوينْ جمع مسكين والمسكين الساكن إلى ما في أيدي الناس لكونه لا يجد شيئاً {وَابْنَ السَّبِيلِ} دَ مَشَّاكُولْ المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له وهو اسم جنس أو واحد أريد به الجمع {وَالسَّائِلِينَ} أَدْ مَانْصَايَنْ يعني الطالبين للإحسان المستطعمين ولو كانوا أغنياء عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال "للسائل حق ولو جاء على فرس" أخرجه أحمد وأبو داود {وَفِي الرِّقَابِ} أَدْ ضَّغَارَا أَنْتَكَرْضينْ يعني

المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الأسارى أي دفعه في فكها أي لأجله وبسببه {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} إِزَظَّلَالَغْ ءَامُودْ {وَآتَى الزَّكَاةَ} إِكْفَا تَمَصَّضَكْ المفروضة فيه دليل على أن الإيتاء المتقدم هو صدقة التطوع لا صدقة الفريضة {وَالْمُوفُونَ} أَدْ وِنْسَانْدَنينْ {بِعَهْدِهِمْ} سَرْكَوَالْ نَسَنْ {إِذَا عَاهَدُوا} أَمَرْ نَمَرْكَوَلَنْ دَ اللهُ مَدي أَيْتِيدَنْ الله أو الناس قيل المراد بالعهد القيام بحدود الله والعمل بطاعته وقيل النذر ونحوه وقيل الوفاء بالمواعيد والبر في الحلف وأداء الأمانات {وَالصَّابِرِينَ} أَمَّالَا وِنْزَظَّيْضَرْنينْ {فِي الْبَأْسَاءِ} غُرْ تَصَّوصَتْ تَانْ أَكَّنْظُو الشدة والفقر {وَالضَّرَّاءِ} أَدْ تَانْ تَوَرْنَا المرض والزمانة والبأساء والضراء اسمان بنيا على فعلاء ولا فعل لهما لأنهما اسمان وليسا بنعت ونصب والصابرين على المدح وقيل على الإختصاص ولم يعطف على ما قبله لمزيد شرف الصبر وفضيلته {وَحِينَ الْبَأْسِ} أَدْ ضَغْ اَلْوَقْ وَانْ تَزَاكْ غُرْ اَصَّوصْ نَنَمَنْغَا ضَغْ أَبَرَقَّا نَ اللهُ أي وقت الحرب وشدة القتال في سبيل الله وسمى الحرب بأساً لما فيه من الشدة {أُولَئِكَ} وِنْدِيزَ تَوَاصَّفْنينْ سَوَ اَدّتَمَلَنْدَا {الَّذِينَ} أَنْتَنَيْ وِنْدِي {صَدَقُوا} أَكَنينْ تِيدَتْ ضَغْ أَظَكَّظَانْ نَسَنْ وصفهم بالصدق في أمورهم والوفاء بها وإنهم كانوا جادين في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأهوال {وَأُولَئِكَ} وِنْدِي {هُمُ الْمُتَّقُونَ} أَنْتَنَيْ ءَاكَّنينْ ءَاغَرْ كَّرِيسَّنْ أَتَّمْسَيْ عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم (١٧٧) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَا وِنْدِي أَظَكَّظَنّينْ هَا {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ} إِتيوَصَفْرَضْ فَلَّاوَّنْ أَنمِلَا تُولَاتْ {فِي الْقَتْلَى} ضَغْ مَتَّوَنْغَانْ كتب معناه فرض وأثبت وهذا إخبار من

الله سبحانه لعباده بأنه شرع لهم ذلك والخطاب للقاتلين وولاة الأمور والقصاص أصله قص الأثر أي اتباعه ومنه القاص لأنه يتبع الآثار وقص الشعر اتباع أثره فكأن القاتل يسلك طريقاً من القتل يقص أثره فيها ومنه قوله تعالى "فارتدا على آثارهما قصصاً"قيل نزلت في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلاموالقصاص فرض على القاتل للولي لا على الولي والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة ورواية عن أحمد والكلام في فروع هذه المسألة يطول "وفي" في القتلى للسبب كقوله صلى الله عليه وسلم" إن امرأة دخلت النار في هرة أي بسببها" وفعلى يطرد جمعاً لفعيل بمعنى مفعول {الْحُرُّ} أَلّي {بِالْحُرِّ} إِتَاوِنْغُو سَلّي {وَالْعَبْدُ} ءَاكْلِي {بِالْعَبْدِ} إِتَاوِنْغُو سَكْلِي {وَالْأُنْثَى} تَنْتَيْ {بِالْأُنْثَى} تَتَاوِنْغُو أَسْ تَنْتَيْ وقد استدل بهذه الآية القائلون بأن الحر لا يقتل بالعبد وهم الجمهور وذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن أبي ليلى وداود إلى أنه يقتل به إذا كان غير سيده وأما سيده فلا يقتل به إجماعاً إلا ما روي عن النخعي فليس مذهب أبي حنيفة ومن معه على الإطلاق ذكره الشوكاني في شرح المنتقي {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ} إِيسِتَوَصَارَفْ يَاسْ ضَغْ وِنَنْقَنينْ {مِنْ أَخِيهِ} ضَغْ أَرْنِ نَشَقَّاغْنيتْ وَيْنْغَا {شَيْءٌ} اَرَطْ سَصِيصُّورَفْ اِيَّنْ ضَغْ مَكُّوصَا كُودّي أَكّتَن اِيرْطَكْ اَلْقِصَاصْ {فَاتِّبَاعٌ} ءَادِيزَ اِلَّيْ فَلْ وَيْصُّورَفَنْ لَكُّومْ يَ اَلْقَاتِلْ سَ الدِّيَّةْ {بِالْمَعْرُوفِ} سَرَطْ وَيْمُوصَنْ اَلْمَعْرُوفْ اِبَانّسَكّرْمَمْ كُدَاسْ وَرِيصُّورَفْ بَنَّانْ {وَأَدَاءٌ} اِلَّيْ فَلْ اَلْقَاتِلْ

طيهَكّيْ نَ الدَّيَّةْ {إِلَيْهِ} إِيوَيْصُّورَقّنْ أَتّمُوصَنْ أَمَكَّاصُو {بِإِحْسَانٍ} سَسَهُّصِّي وَرِيهَا اَسَكَّرَضْ وَلَا اَلْبَخَسْ "من" هنا عبارة عن القاتل أو الجاني والمراد بالأخ المقتول أو الولي والشيء عبارة عن الدم والمعنى أن القاتل والجاني إذا عفي له من جهة المجنى عليه أو الولي دم أصابه منه على أن يأخذ منه شيئاً من الدية أو الأرش فليتبع المجنى عليه أو الولي من عليه الدم فيما يأخذه منه من ذلك اتباعاً بالمعروف وليؤد الجاني ما لزمه من الدية أو الأرش إلى المجنى عليه أو إلى الولي أداء بإحسانوقال القرطبي اختلف أهل العلم في أخذ الدية من قاتل العمد فقالت طائفة ولي المقتول بالخيار إن شاء اقتص وإن شاء أخذ الدية وإن لم يرض القاتل يروى هذا عن سعيد ابن المسيب وعطاء والحسن ورواه أشهب عن مالك وبه قال الليث والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وحجتهم حديث أبي شريح وما كان في معناه وقال آخرون ليس لولي المقتول إلا القصاص ولا يأخذ الدية إلا إذا رضي القاتل رواه ابن القاسم عن مالك وهو المشهور عنه وبه قال الثوري والكوفيون واحتجوا بحديث أنس في قصة الرُّبَيِّعِ عمة أنس بن مالك حين كسرت ثنية المرأة رواه الأئمة {ذَلِكَ} وَدِيدَا اَلْحَكُومْ اَدِّيتَّمَلَنْ اَدِّي ضَغْ تَحَلّي نَ اَلْقِصَاصْ دَ صُورَفْ فَلّاسْ فَل الدَّيَّةْ مَدي بَنَّانْ {تَخْفِيفٌ} صَفْصَاصْ فَلّاوَنْ {مِنْ رَبِّكُمْ} اَدِّفَالَنْ اَمَلِينَّوَنْ {وَرَحْمَةٌ} دَ الرَّحْمَةْ يَاوَنْ إشارة إلى العفو والدية أي إن الله شرع لهذه الأمة العفو من غير عوض أو بعوض ولم يضيق عليهم كما ضيق على اليهود فإنه أوجب عليهم القصاص ولا عفو وكما ضيق على النصارى فإنه أوجب عليهم العفو ولادية وفيه تضييق على كل من الوارث والقاتل فهذا تخفيف مما كتب على من كان قبلكم {فَمَنِ اعْتَدَى}

اِيضْلَمَنْ اَلْقَاتِلْ اِينْڤَيْ {بَعْدَ ذَلِكَ} دَڤَّرْ اَصُورَفْ دِ {فَلَهُ} وَدِيزَ اِلَّاسْتُو {عَذَابٌ} اَلْعَذَابْ {أَلِيمٌ} نَمَصّيصْنَنْ ضَغْ اَلاخِرَةْ أي بعد التخفيف نحو أن يأخذ الدية ثم يقتل القاتل أو يعفو ثم يستقص وقد اختلف أهل العلم فيمن قتل القاتل بعد أخذ الدية فقال جماعة منهم مالك والشافعي إنه كمن قتل ابتداء إن شاء الولي قتله وإن شاء عفا عنه وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم عذابه أن يقتل البتة ولا يمكن الحاكم الولي من العفو وقال الحسن عذابه أن يرد الدية فقط ويبقى إثمه إلى عذاب الآخرة وقال عمر بن عبد العزيز أمره إلى الإمام يصنع فيه ما رأى (١٧٨) {وَلَكُمْ} اِلَّاوَنْتُو {فِي الْقِصَاصِ} ضَغْ اَلْقِصَاصْ {حَيَاةٌ} تَمَدُّورْتْ خطاب لمريدي القتل ظلماً هذا من الكلام البليغ الوجيز كما تقدم ومعناه لا يقتل بعضكم بعضا رواه سفيان عن السدي عن أبي مالك والمعنى أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر مخافة أن يقتص منه فحييا بذلك معا وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا إلى قتل العدد الكثير فلما شرع الله القصاص قنع الكل به وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة وقيل إن الحياة سلامة من القصاص في الآخرة فإنه إذا اقتص في الدنيا لم يقتص عنه في الآخرة والأول أولى قال الخازن واعلم أن هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك لأن الجارح إذا علم أنه إذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة إلى الموت فيقتص من الجارح {يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} يَا كَلْ تيتْوينْ فَلَاسْ وَيْصَّنَنْ ءَاسْ ءَامَرْ اِنْغَا اَدِيتُوَنْغُو ءَادِي أَدِرْغَمْ فَلْ تَنَغَيْ نِيوَرِيمُوصْ أي ذوي العقول الكاملة جعل هذا الخطاب موجهاً إلى أولي

الألباب وناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب ويتحامون ما فيه الضرر الآجل وأما من كان مصاباً بالحمق والطيش والخفة فإنه لا ينظر عند سورة غضبه وغليان مراجل طيشه إلى عاقبة ولا يفكر في أمر مستقبل ثم علل سبحانه هذا الحكم الذي شرعه لعباده بقوله {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} اَنكِمَاكْ كَوَني اَتَّسْلَكِمْ تينَغيْ فَلْ تَكْصَصَا نَ اَلْقِصَاصْ أي تعملون عمل أهل التقوى وتتحامون القتل بالمحافظة على القصاص والحكم به والإذعان له فيكون ذلك سبباً للتقوى (١٧٩) {كُتِبَ عَلَيْكُمْ} اِتيوَصَفْرَضْ فَلَاوَّنْ {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} ءَامَرُوتَمَّكِّنَتْ طَمَطَّانْتْ يِيَّنْ ضَغْوَنْ و"كتب" معناه فرض وأثبت كما تقدم قريباً وحضور الموت حضور أسبابه وأماراته وظهور علاماته من العلل والأمراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء وإنما لم يؤنث الفعل المسند إلى الوصية وهو كتب لوجود الفاصل بينهما وقيل لأنها بمعنى الإيصاء وقد روي جواز إسناد ما لا تأنيث فيه إلى المؤنث مع عدم الفصل وقد حكى سيبويه قام امرأة وهو خلاف ما أطبق عليه أئمة العربية {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} كُدَّوِيًّا ايهَرَيْ شرط سبحانه ما كتبه من الوصية بأن يترك الموصي خيراً أي مالاً قال الزهري هو يطلق على القليل والكثير فتجب الوصية في الكل وقيل لا يطلق إلاّ على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلف أهل العلم في مقدار الخير فقيل ما زاد على سبعمائة دينار وقيل ألف دينار وقيل ما زاد على خمسمائة دينار وقيل ستون ديناراً فما فوقها وقيل من خمسمائة إلى ألف وقيل إنه المال الكثير الفاضل عن العيال والخير هنا المال ويقع في القرآن على وجوه ونبه بتسميته خيراً على أن الوصية

تستحب في مال طيب {الْوَصِيَّةُ} اَمَطيرْ أي الإيصاء وقد اتفق أهل العلم على وجوب الوصية على من عليه دين أو عنده وديعة أو نحوها وأما من لم يكن كذلك فذهب أكثرهم إلى أنها غير واجبة عليه سواء كان فقيراً أو غنياً وقالت طائفة إنها واجبة {لِلْوَالِدَيْنِ} بِيمَرْوَنْ {وَالْأَقْرَبِينَ} اَدْ نَمّيهَظَنْ لم يبين الله سبحانه ههنا القدر الذي كتب الوصية به للوالدين والأقربين فقيل الخمس وقيل الربع وقيل الثلث وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فذهب جماعة إلى أنها محكمة وقالوا هي وإن كانت عامة فمعناها الخصوص والمراد بها من الوالدين من لا يرث كالأبوين الكافرين ومن هو في الرق ومن الأقربين من عدا الورثة منهم قال ابن المنذر أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الوصية للوالدين اللذين لا يرثان والأقرباء الذين لا يرثون جائزة وقال كثير من أهل العلم إنها منسوخة بآية المواريث مع قوله صلى الله عليه وسلم "لا وصية لوارث" وهو حديث صححه بعض أهل الحديث وروي من غير وجه وقال بعض أهل العلم إنه نسخ الوجوب وبقي الندب روي ذلك عن الشعبي والنخعي ومالك {بِالْمَعْرُوفِ} سَرَطْ وَيْمُوصَنْ اَلْعَدَالَ اَدْ وَرُوكِيرْ اَتَّلَتْ وَرِتَوَصَصَافَا اَلْغَنِي فَلْ اَمَكُّونْظَيْ أي بالعدل لا وَكْسَ فيه ولا شطط وقد أذن الله للميت بالثلث دون ما زاد عليه فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير وعن علي لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلَي من أن أوصي بالثلث فمن أوصي بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس أو بالخمس أو بالربع {حَقًّا} اِمُوصْ ءَادِي اَرَطْ اِلْزَامَنْ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله معناه الثبوت والوجوب وقيل ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب {عَلَى

الْمُتَّقِينَ} فَلْ مِكْصَصَنْ نَ اللهُ مِشَانْ اَلَايَةْ تَتِيوَنْسَخِينْ أي على الذين يتقون الشرك قال ابن عجيبة وهذه الآية منسوخة في وصية الوالدين مُحْكَمة في الأقربين غير الوارثين بقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث المشهور «إنَّ اللهَ أعْطَى كل ذي حق حقه فلا وَصِيَّةَ لِوَارثٍ» فإذا كان الوالدان غيرَ وارثيْن كالكافرَيْن أو العبدَيْن فهي مُحْكَمة والله تعالى أعلم روى الدارقطني عن أنس بن مالك قال كانوا يكتبون في صدور وصاياهم "هذا ما أوصى به فلان بن فلان أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأوصى من ترك بعده من أهله بتقوى الله حق تقاته وأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين وأوصاهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (١٨٠) {فَمَنْ بَدَّلَهُ} إيسَمَّسْكَلَنْ اَصَمَّطَرْ {بَعْدَمَا سَمِعَهُ} دَقَّرْ اَسْ دَغَسِصَّانْ {فَإِنَّمَا إِثْمُهُ} ءَادِيزَ اِلْكَنَاسْ اَبَكَّاضْ نَسَمَّسْكَلْدِي {عَلَى الَّذِينَ} اِلَّيْ فَلْ ونْدِي {يُبَدِّلُونَهُ} اَتُوسَمَّسْكَلْنينْ هذا الضمير عائد إلى الإيصاء المفهوم من الوصية وكذلك الضمير في قوله "سمعه" والتبديل التغيير والضمير في "إثمه" راجع إلى التبديل المفهوم من قوله بدّله وهذا وعيد لمن غير الوصية المطابقة للحق التي لا حيف فيها ولا مضارة وإنه يبوء بالإثم وليس على الموصي من ذلك شيء فقد تخلص مما كان عليه بالوصية به قال القرطبي ولا خلاف أنه إذا أوصى بما لا يجوز مثل أن يوصي بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي أنه يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه كما لا يجوز إمضاء ما زاد على الثلث قاله أبو عمرو انتهى والمبدلون إما الأوصياء بأن ينكروا

الوصية أو يغيروها إما في الكتابة أو في قسمة الحقوق أو الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها والمعنى فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به {إِنَّ اللَّهَ} اِلّكَنَاسْ اللهُ {سَمِيعٌ} اِسّالّو يَوَيْنّا اَلْمُوصِي لما أوصى به الموصي ولقوله {عَلِيمٌ} اِصّانْ ضَغْ اَوَيْكِّا اَلْوَصِي اَدَاسِرَزْ فَلّاسْ بتبديل المبدل وفعل الوصي فيجازي عليه الأول بالخير والثاني بالشر صفتان لله تعالى لا يخفى معهما شي من جنف الموصين وتبديل المعتدين (١٨١) {فَمَنْ خَافَ} اِيكْصُوضَنْ أي علم وهو مجاز{مِنْ مُوصٍ} ضَغْ اَلْمُوصِي قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر «فمن خاف من موص» بنصب الواو وتشديد الصاد وقرأ الباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد فمن قرأ بالنصب والتشديد فهو من وصّى يُوَصّي ومن قرأ بالتخفيف فهو من أوصى يوصي وهما لغتان ومعناهما واحد {جَنَفًا} ءَافْرُوغْ فَلْ اَلْحَقْ اِكَّانْ سَ اَلْخَطَا {أَوْ إِثْمًا} مَدي اِكَّانْ سَتَّنْكُمُورْ سَدِيشّيتُو فَلْ اَتَّلْتْ مَدي سَدِيصْكَطْ اَلْغَنِي سَمَطِيرْ الجنف المجاوزة من جنف يجنف إذا جاوز قاله النحاس وقيل الجنف الميل قاله في الصحاح والكشاف والإثم الظلم {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ} اِكْنَا كِّرَ اَلْمُوصِي دَ اَلْمُوصَى لَهُ سَسْتُومَرْ سَظَلُولَغْ أي أصلح ما وقع بين الورثة من الشقاق والاضطراب بسبب الوصية بإبطال ما فيه ضرر ومخالفة لما شرعه الله وإثبات ما هو حق كالوصية في قرابة لغير وارث والضمير في "بينهم" راجع إلى الورثة وإن لم يتقدم لهم ذكر لأنه قد عرف أنهم المرادون من السياق وقيل راجع إلى الموصى لهم وهم الأبوان والقرابة {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} ءَادِيزَ وَلَ اَبكّاضْ فَلّاسْ ضَغْ ءَادِي ي لا حرج عليه في الصلح وإن كان فيه تبديل لأنه خير بخلاف الأول فإنه ضير {إِنَّ اللَّهَ} اِلّكَنَاسْ اللهُ {غَفُورٌ} اَنَصّيرَفْ {رَحِيمٌ}

نَمَهِينَنْ يَاسَنْ لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل (١٨٢) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَا وِنْدِي اَظَّكْظَنّينْ هَا {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} اِيتِيوَصَفْرَضْ فَلَّاوَّنْ اَظُومْ قد تقدم معنى "كتب" ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن صوم رمضان فريضة افترضها الله سبحانه على هذه الأمة وقال القرطبي فضل الصوم عظيم وثوابه جسيم جاءت بذلك أخبار كثيرة صحاح وحسان ذكرها الأئمة في مسانيدهم {كَمَا كُتِبَ} أَمَّكْ أَسْدِيتَوَصَفْرَضْ الكاف في موضع نصب على النعت التقدير كتابا كما أو صوما كما {عَلَى الَّذِينَ} فَلْ وِنْدِي {مِنْ قَبْلِكُمْ} دَاتْوَنْ ضَغْ تَمَاتِّيوِينْ من الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم والمعنى أن الصوم عبادة قديمة ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم واختلف المفسرون في وجه التشبيه ما هو فقيل هو قدر الصوم ووقته فإن الله كتب على اليهود والنصارى صوم رمضان فغيروا وقيل هو الوجوب فإن الله أوجب على الأمم الصيام وقيل هو الصفة أي ترك الأكل والشرب ونحوهما في وقت فعلى الأول معناه أن الله كتب على هذه الأمة صوم رمضان كما كتبه على الذين من قبلهم وعلى الثاني أن الله أوجب على هذه الأمة الصيام كما أوجبه على الذين من قبلهم وعلى الثالث أن الله سبحانه أوجب على هذه الأمة الإمساك عن المفطرات كما أوجبه على الذين من قبلهم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} اَنْكِمَاكْ كَوَنِي أَتَّسْلَكَمْ شِمَازْرِيينْ ضَغْ أَظُومْ المراد بالتقوى المحافظة عليها وقيل تتقون المعاصي بسبب هذه العبادة لأنها تكسر الشهوة وتضعف دواعي المعاصي كما ورد في الحديث أنه جنة وأنه وجاء (١٨٣) {أَيَّامًا} أَظُومْ إِكَانْ ضَغْ جِلَانْ مفعول ثان ب"كتب" قاله الفراء وقيل نصب على الظرف ل"كتب" أي كتب عليكم

الصيام في أيام {مَعْدُودَاتٍ} أَلَانينْ أَمَاضِينْ دَرُوسَنْ أَتِّمُوصَنْ تَالِّيتْ أَنْ رَمَضَانْ أي معينات بعدد معلوم ومقدرات ويحتمل أن يكون في هذا الجمع لكونه من جموع القلة إشارة إلى تقليل الأيام أي قليلات يعني أقل من أربعين وقيل إنه كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً وصوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ} إِتِّلَانْ ضَغْوَنْ أَسْ تُوَرْ رَمَضَانْ حين حضوره ووجود الشخص فيه {مَرِيضًا} إيمُوصْ أَمِيرَنْ ولو في أثناء اليوم بخلاف السفر فلا يبيح له الفطر إذا طرأ في أثناء اليوم وهذا سر التعبير بعلى في السفر دون المرض قيل للمريض حالتان إن كان لا يطيق الصوم كان الإفطار عزيمة وإن كان يطيقه مع تضرر ومشقة كان رخصة وبهذا قال الجمهور {أَوْ عَلَى سَفَرٍ} مَدي إيمُوصْ أَمَشَّاكُولْ أوهُو إيشْوَا أي مستعلياً على السفر ومتمكناً منه بأن كان متلبساً به وقت طلوع الفجر واختلف أهل العلم في السفر المبيح للإفطار فقيل مسافة قصر الصلاة والخلاف في قدرها معروف وبه قال الجمهور وقال ابن خويز منداد واختلفت الرواية عن مالك في المرض المبيح للفطر فقال مرة هو خوف التلف من الصيام وقال مرة شدة المرض والزيادة فيه والمشقة الفادحة وهذا صحيح مذهبه وهو مقتضى الظاهر لأنه لم يخص مرضا من مرض فهو مباح في كل مرض إلا ما خصه الدليل من الصداع والحمى والمرض اليسير الذي لا كلفة معه في الصيام وقال الحسن إذا لم يقدر من المرض على الصلاة قائما أفطر وقاله النخعي {فَعِدَّةٌ} ءَادِيزَ إِلَّيْ فَلَّاسْ أَمَاضِينْ نَوَيْشْوَا {مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} ضَغْ جِلَانْ إِيَّاضْ هَضَطْ أي فعليه عدة ما أفطر من أيام أخر

بصومها بدله وأخر جمع أخرى تأنيث آخر بفتح الخاء أو جمع أخرى بمعنى آخره تأنيث آخر بكسر الخاء وفيه الوصف والعدل واختلف النحاة في كيفية العدل فيه على أقوال قال القرطبي واختلف العلماء في الأفضل من الفطر أو الصوم في السفر فقال مالك والشافعي في بعض ما روي عنهما الصوم أفضل لمن قوي عليه وجل مذهب مالك التخيير وكذلك مذهب الشافعي قال الشافعي ومن اتبعه هو مخير ولم يفصّل وكذلك ابن علية لحديث أنس قال سافرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم خرجه مالك والبخاري ومسلم وروي عن عثمان بن أبي العاص الثقفي وأنس بن مالك صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما قالا الصوم في السفر أفضل لمن قدر عليه وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وروي عن ابن عمر وابن عباس الرخصة أفضل وقال به سعيد بن المسيب والشعبي وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق كل هؤلاء يقولون الفطر أفضل لقول الله تعالى "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" {وَعَلَى الَّذِينَ} إلَّيْ فَلْ ونْدِي {يُطِيقُونَهُ} أَفْرَكْنينْ أَظُومْ أَقّيمَنْ وَرَظُومَنْ لا "يطيقونه" لكبر أو مرض لا يرجى برؤه قرأ الجمهور بكسر الطاء وسكون الياء وأصله يطوقونه نقلت الكسرة إلى الطاء وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل إنها منسوخة وإنما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام لأنه شق عليهم وكان من أطعم كل يوم مسكيناً ترك الصوم وهو يطيقه ثم نسخ ذلك وهو قول الجمهور وروي عن بعض أهل العلم أنها لم تنسخ وأنها رخصة للشيوخ والعجائز خاصة إذا كانوا لا

يطيقون الصيام إلا بمشقة وهذا يناسب قراءة التشديد وهو يطوقونه أي يكلفونه والناسخ لهذه الآية عند الجمهور قوله تعالى "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" {فِدْيَةٌ} اَلْفِدْيَةْ {طَعَامُ مِسْكِينٍ} تَمُوصَتْ أَشْتَشِي اَتّمُوصَنْ طيهَكّيْ أَنْتَلَقّي مُودَ أَكُلٌ نَزّلْ دَفَّرَادِي إِتَوَنْسَخِينْ ءَادِي سَ التَّعْيِينْ نَ ظُومْ سَ اَلاَيَةْ تَانْ فمن شهد منكم الشهر فليصمه اَسَسَّغْرِي اِيّنْ اِلّيْ فَلْ وِنْدِي وَرْنَفْرِيكٍْ اَظُومْ فَلْ تُوشَرَيْ مَدي تُوَرْنَا اَسْ وَرْتَتَوَرْدَا تَمَزّيتْنيتْ اَلْفِدْيَةْ تَمُوصَتْ اَشَتْشِي اَنْتَلَقّوينْ اَكُلٌ اَنْ مُودَا اَتَلَقّينّيتْ وقرأ أهل المدينة والشام "فدية طعام" مضافا "مساكين" جمعا وقال الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح والضحاك والنخعي والزهري وربيعة والأوزاعي وأصحاب الرأي الحامل والمرضع يفطران ولا إطعام عليهما بمنزلة المريض يفطر ويقضي وبه قال أبو عبيد وأبو ثور وحكى ذلك أبو عبيد عن أبي ثور واختاره ابن المنذر وهو قول مالك في الحبلى إن أفطرت فأما المرضع إن أفطرت فعليها القضاء والإطعام وقال الشافعي وأحمد يفطران ويطعمان ويقضيان وأجمعوا على أن المشايخ والعجائز الذين لا يطيقون الصيام أو يطيقونه على مشقة شديدة أن يفطروا واختلفوا فيما عليهم فقال ربيعة ومالك لا شي عليهم غير أن مالكا قال لو أطعموا عن كل يوم مسكينا كان أحب إلي وقال أنس وابن عباس وقيس بن السائب وأبو هريرة عليهم الفدية وهو قول الشافعي وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق اتباعا لقول الصحابة رضي الله عن جميعهم وقوله تعالى "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر" ثم قال "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" وهؤلاء ليسوا بمرضى ولا مسافرين فوجبت عليهم الفدية والدليل لقول مالك أن هذا مفطر لعذر موجود فيه وهو الشيخوخة والكبر

فلم يلزمه إطعام كالمسافر والمريض وروي هذا عن الثوري ومكحول واختاره ابن المنذر {فَمَنْ تَطَوَّعَ} اِيسَمَّرْكَدَنْ {خَيْرًا} سَشَيتِي فَلْ اَوَدِّتَمَلَنْدَا اِكْفَا تَالَقِّيْ اُوكِرَنْ مُودَا قال ابن شهاب معناه من أراد الإطعام مع الصوم وقال مجاهد معناه من زاد في الإطعام على المد وقيل من أطعم مع المسكين مسكيناً آخر {فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} ءَادِيزَ اَنْتَ اَدَاصُوفَنْ {وَأَنْ تَصُومُوا} اَتُّوطَامَمْ أي إن صيامكم {خَيْرٌ لَكُمْ} اُوفَاوَنْ ضَغْ طَصَّيْ دَ اَلْفِدْيَةْ اَوَازَ دَاتْ اَتُوَنْسَاخْ نَ التَّخْيِيرْ اَدِّتَمْلَنْدَا أيها المطيقون من الإفطار مع الفدية وكان هذا قبل النسخ وقيل معناه وأن تصوموا في السفر والمرض غير الشاق وقيل هو خطاب مع الكافة لأن اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى وهو الأصح وقد ورد في فضل الصوم أحاديث كثيرة جداً {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} كُتُوتَلَّامْ تَصَّانَمْ اَنَّنْ: اَلْمَالِكِيَّةْ اَلْمَعْنَانَّيتْ اَطُّوطَامَمْ ضَغْ اَشِيكَلْ اَوْفَاوَنْ اَتَّشْوِمْ ضَغَسْ أن الصوم خير لكم ولا رخصة لأحد من المكلفين في إفطار رمضان بغير عذر والأعذار المبيحة للفطر ثلاثة "أحدها" السفر والمرض والحيض والنفاس وأهلها إذا أفطروا فعليهم القضاء دون الفدية "والثاني" الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والفدية وبه قال الشافعي وذهب أهل الرأي إلى أنه لا فدية عليهما "الثالث" الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الفدية دون القضاء (١٨٤) {شَهْرُ رَمَضَانَ} اِجِلَانْدِيزَ نمو اَتَنِمُوصَنْ تَالِّيتْ آنْ رَمَضَانْ أي ذلكم شهر أو كتب عليكم الصيام صيام شهر وقرىء بالنصب أي صوموا شهراً و"رمضان" علم لهذا الشهر المخصوص وهو ممنوع من الصرف للعلمية والزيادة وهو مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا احترق جوفه من شدة العطش والرمضاء

ممدوداً شدة الحر ومنه الحديث الثابت في الصحيح "صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال" ورمض الفصال أن تحرق الرمضاء أخفافها فتبرك من شدة حرها وقيل إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها بالأعمال الصالحة وقد ورد في فضل رمضان أحاديث كثيرة و"شهر" بالرفع قراءة الجماعة على الابتداء والخبر" الذي أنزل فيه القرآن" أو يرتفع على إضمار مبتدأ المعنى المفروض عليكم صومه شهر رمضان {الَّذِي} دِي {أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} اَسْ دِيتَوَزَّبَّتْ ضَغَسْ اَلْقُرَانْ أي ابتدىء فيه إنزاله وكان ذلك ليلة القدر قيل أنزل فيه من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم كان ينزل به جبرائيل نجماً نجماً إلى الأرض والقرآن اسم لكلام الله تعالى علم لما بين الدفتين وهو بمعنى المقروء كالمشروب يسمى شراباً والمكتوب يسمى كتاباً {هُدًى} اَلْحَالْ اَنَّميلْنيتْ اِمُوصْ طَانُورَيْ ضَغْ اَخْرُوكْ {لِلنَّاسِ} يَيْتيدَنْ أي هادياً لهم من الضلال بإعجازه {وَبَيِّنَاتٍ} اِمُوصْ الدَّلِيلَنْ نِفَالَلْنينْ {مِنَ الْهُدَى} اَكَانينْ ضَغْ اَوَيْصَانَارَنْ سَ اَلْحَقْ ضَغْ اَلْحَكُومَنْ من عطف الخاص على العام إظهاراً لشرف المعطوف بإفراده بالذكر لأن القرآن يشمل محكمه ومتشابهه والبينات تختص بالمحكم منه قيل الهدى الأول في الأحكام الاعتقادية والهدى الثاني في الفرعية فهما متغايران {وَالْفُرْقَانِ} اَكَانْ ضيغينْ ضَغْ اَوَيْزَامَزَّاينْ كَرْ اَلْحَقْ اَدْ بَاطِّيلْ هو ما فرق بين الحق والباطل أي فصل {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ} اِيمَكِّنينْ ضَغْوَنْ اِيتَلِّيتْ ءَانْ رَمَضَانْ اَسْطَوَرْ هذا من أنواع المجاز اللغوي وهو إطلاق اسم الكل على الجزء أطلق الشهر وهو اسم للكل وأراد جزءاً منه وقد فسره علي وابن عمر أن من شهد أول الشهر {فَلْيَصُمْهُ} ءَادِيزَ أُوظَاميتَتْ جميعه والمعنى ومن حضر ولم

يكن في سفر بل كان مقيماً فليصم فيه وقيل هي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" أخرجه الشيخان ولا خلاف أنه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به ثم قيل يجزيء فيه خبر الواحد قاله أبو ثور وقيل خبر الجمع قاله مالك {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا} اِيتِّلَّانْ اِيمُوصْ اَمِيرَنْ {أَوْ عَلَى سَفَرٍ} مَدي اِمُوصْ اَمَشَّاكُولْ اِيشْوَ {فَعِدَّةٌ} ءَادِيزَ اِلَّيْ فَلَّاسْ اَمَاضِينْ نَوَيْشْوَ {مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} ضَغْ جِلَانْ اِيَّاضْ هَضَطْ قد تقدم تفسيره وإنما كرره لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخه بقوله "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فأعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم فيهما باق على ما كان عليه {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ} أُوطَاصَاوَنْ اللهُ {الْيُسْرَ} تَمَشَالْوِتْ {وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} وَرَاوَنُوطِيصْ تَمَغَاتِيرْتْ فلذلك أباح الفطر للسفر والمرض وفيه أن هذا مقصد من مقاصد الرب سبحانه ومراد من مراداته في جميع أمور الدين ومثله قوله تعالى "وما جعل عليكم في الدين من حرج" وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" وهو في الصحيح واليسر السهل الذي لا عسر فيه عن ابن عباس قال اليسر الإفطار في السفر والعسر الصوم في السفر {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ} اِكَّاوَنْ ءَادِيزَ فَلْ اَسَلْمَاضْ يَاوَنْ اَدْ فَلْ اَتَّسَّنْدِمْ اَمَاضِينْ نَظُومْ اَنْ رَمَضَانْ قال في الكشاف علة للأمر بمراعاة العدة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً" قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الشهر

يكون تسعا وعشرين" وفي هذا رد لتأويل من تأول قوله صلى الله عليه وسلم "شهرا عيد لا ينقصان رمضان وذو الحجة" أنهما لا ينقصان عن ثلاثين يوما أخرجه أبو داود وتأوله جمهور العلماء على معنى أنهما لا ينقصان في الأجر وتكفير الخطايا سواء كانا من تسع وعشرين أو ثلاثين وقيل اللام متعلقة بفعل مضمر بعد تقديره ولأن تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصة وهذا قول الكوفيين وحكاه النحاس عن الفراء قال النحاس وهذا قول حسن وقيل الواو مقحمة وقيل يحتمل أن تكون هذه اللام لام الأمر والواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّه} اَدْ فَلْ اَتَّتَاكَبَّارَمْ اللهُ والمراد بالتكبير هنا هو قول القائل الله أكبر قال الجمهور ومعناه الحض على التكبير في آخر رمضان وقد وقع الخلاف في وقته فروي عن بعض السلف أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر وقيل إذا رأوا هلال شوال كبروا إلى انقضاء الخطبة وقيل إلى خروج الإمام وقيل هو التكبير يوم الفطر قال مالك هو من حين يخرج من داره إلى أن يخرج الإمام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة يكبر في الأضحى ولا يكبر في الفطر {عَلَى مَا هَدَاكُمْ} فَلْ اَصنَرْ اَكَوَنِكِا اَسْ تَصُّونينْ نَ الدِّينّيتْ أي أرشدكم إلى طاعته وإلى ما يرضى به عنكم قيل "على" هنا على بابها من الإستعلاء كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم قاله الزمخشري "الثاني" أنها بمعنى لام العلة والأول أولى لأن المجاز في الحرف ضعيف و "ما" في ما هداكم مصدرية أي على هدايته إياكم أو موصولة بمعنى الذي وفيه بعد {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} دَنْكِمَاكْ كَوَني اَتَّكُوضِيَمْ يَ اللهُ فَلْ ءَادِي الله على نعمه (١٨٥) {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي} ءَامَرْ كَيْ اَصَّصْطَنَنْ ايكْلَانِينْ {عَنِّي} فَلِّي يحتمل أن يكون السؤال عن القرب والبعد

كما يحل

كما يدل عليه قوله {فَإِنّي} ءَادِيزَ تَمَلَغَاسَنْ ءَاسْ نَكْ {قَرِيبٌ} اَهُوظَقَّنْ ويحتمل أن يكون السؤال عن إجابة الدعاء كما يدل على ذلك قوله {أُجِيبُ} تَاكَوَانَا {دَعْوَةَ الدَّاعِ} اِيطَغَرَيْ اَنْ وَدِيغَرَنْ ويحتمل أن السؤال عما هو أعم من ذلك وهذا هو الظاهر مع قطع النظر عن السبب الذي أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس قال قال يهود المدينة يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل إنهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت والقرب قيل بالإجابة وقيل بالعلم وقيل بالإنعام وقال في الكشاف إنه تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بمن قرب مكانه فإذا دعى أسرعت تلبيته {إِذَا دَعَانِ} ءَامَرَيِغْرَ سَتَّكْفَا اَرَطْ وَدَغِيكْمَيْ معنى الإجابة هو معنى ما في قوله تعالى "ادعوني أستجب لكم" وقيل معناه أقبل عبادة من عبدني بالدعاء لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أن الدعاء هو العبادة كما أخرجه أبو داود وغيره من حديث النعمان بن بشير والظاهر أن الإجابة هنا هي باقية على معناها اللغوي وكون الدعاء من العبادة لا يستلزم أن الإجابة هي القبول للدعاء أي جعله عبادة متقبلة فالإجابة أمر آخر غير قبول هذه العبادة والمراد أن الله سبحانه وتعالى يجيب بما شاء وكيف شاء فقد يحصل المطلوب قريباً وقد يحصل بعيداً وقد يدفع عن الداعي من البلاء

ما لا يعلمه بسبب دعائه وهذا مقيد بعدم اعتداء الداعي في دعائه كما في قوله سبحانه "ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين" وكل مصر على كبيرة عالما بها أو جاهلا فهو معتد وأنواع الاعتداء كثيرة ومن الإعتداء أن يطلب ما لا يستحقه ولا يصلح له كمن يطلب منزلة في الجنة مساوية لمنزلة الأنبياء أو فوقها {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} اَكَّوَنَنيتِي سَكِّمَايْ وَدَغْسَنَكِي تَلِيلْتْ أي كما أجبتهم إذا دعوني فليستجيبوا لي فيما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعات {وَلْيُؤْمِنُوا بِي} اَظَّكْظَنَنْ سَرِي اللام فيه للأمر كما فيما قبله أي وليدوموا على الإيمانِ {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} اَنْكَمَاكْ اَنْتَنَيْ اَدَ ظَلُولَغَنْ اَنَرَنْ أي يهتدون قاله الربيع بن أنس والرشد خلاف الغي وقد ورد في فضل الدعاء وآدابه أحاديث كثيرة ذكرها أهل التفسير وهي في الصحاح والسنن قال القرطبي وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة وذلك كالسحر ووقت الفطر وما بين الأذان والإقامة وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض وعند نزول المطر والصف في سبيل الله كل هذا جاءت به الآثار (١٨٦) {أُحِلَّ لَكُمْ} اِيتِيوَسَحْلَلَاوَنْ {لَيْلَةَ الصِّيَامِ} ضَغْ طَهَتْ تَانْ نَّظُومْ {الرَّفَثُ} اَوَصَّلْ {إِلَى نِسَائِكُمْ} اَسْ تَضُوضينَّوَنَ تَزَّبَّدُّو تَمُوصْ اَرَطْ اَدِينِنْسَاخَنْ اَوَيْكِّنْ ضَغْ تِزَارَتْ نَ الِاسْلَامْ ضَغْ تَحَرَمْنيتْ اَنْتَ اَطَّطَّيْ اَطَّصَّيْ اَسِيجْوَرْ ايتَصْ أُوبَظْ اَويدَنْ فيه دلالة على أن هذا الذي أحله الله كان حراماً عليهم وهكذا كان كما يفيده السبب لنزول الآية فقد أخرج البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم عن البراء بن عازب قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وأن

قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فكان يومه ذلك يعمل في أرضه فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال هل عندكم طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب ذلك فغلبته عينه فنام وجاءت امرأته فلما رأته نائماً قالت خيبة لك أنمت فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية إلى قوله "من الفجر" ففرحوا بها فرحاً شديداً والرفث كناية عن الجماع قال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته وعُدي الرفث بإلى لتضمينه معنى الإفضاء {هُنَّ} فَلَاسْ اَنْتَنَتَيْ {لِبَاسٌ لَكُمْ} إِيسَلْسَا نَوَنْ ءَامُوصَنْتَ {وَأَنْتُمْ} كَوَنَيْ ضيغينْ {لِبَاسٌ لَهُنَّ} إِيسَلْسَا نَسْنَتْ تعليل لما قبله وجعل النساء لباساً للرجال والرجال لباساً لهن لامتزاج كل واحد منهما بالآخر عند الجماع كالامتزاج الذي يكون بين الثوب ولابسه {عَلِمَ اللَّهُ} إِصَّانْ اللهُ {أَنَّكُمْ} ءَاسْ كَوَنِي {كُنْتُمْ} تَلَّامْتُو {تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ} تَتَاكَدَّالَمْ إِمَاتَّوَنْ سَ اَلْجِمَاعْ ضَغْ طَهَضْتْ نَ اَظُومْ اِوَّيقَّعْ ءَادِي اِي عُمَرْ رضي الله عنه دِيوَرِيمُوصْ ضَغْ الصَّحَابَاتَنْ أي تخونونها بالمباشرة في ليالي الصوم يقال خان واختان بمعنى وهما من الخيانةوإنما سماهم خائنين لأنفسهم لأن ضرر ذلك عائد عليهم {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} اِقَّلْدُو دَرْوَنْ اللهُ فَلْ تَصَّوصَتْ اِقْبَلْ تَتُوبَتْ نَوَنْ يحتمل معنيين أحدهما قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم والآخر التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة كقوله "علم أن لن تحصوه فتاب عليكم" يعني خفف عنكم وهكذا قوله {وَعَفَا عَنْكُمْ} إِصَّورَفْ فَلَّاوَّنْ يحتمل العفو من الذنب ويحتمل التوسعة والتسهيل {فَالْآنَ} اَمَرَدَّ زَمَا إِسَّحْلَلَاوَنْ قال أبو البقاء "الآن" حقيقة الوقت الذي أنت فيه وقد يقع على الماضي القريب منك وعلى المستقبل القريب تنزيلاً للقريب منزلة الحاضر وهو المراد هنا

{بَاشِرُوهُنَّ} بُوشَرَتّنَتْ أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه قيل هذا الأمر والثلاثة بعده للإباحة وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة قال ابن العربي وهذا يدل على أن سبب الآية جماع عمر رضي الله عنه لا جوع قيس لأنه لو كان السبب جوع قيس لقال فالآن كلوا ابتدأ به لأنه المهم الذي نزلت الآية لأجله {وَابْتَغُوا} تَكْمِيَمْ {مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} اَوَدَاوَنِيقَّدَّرْ اللهُ ضَغْ ءَارَاطَنْ تأكيد لما قبله أو تأسيس والثاني أولى أي ابتغوا بمباشرة نسائكم حصول ما هو معظم المقصود من النكاح وهو حصول النسل والولد {وَكُلُوا} أَتَّطَّاطِيَمْ {وَاشْرَبُوا} تَصَاصِيّمْ ضَغْ اَهَضْ كيثْنيتْ {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ} هَارَاوَنْتَنَفِيلَنْ {الْخَيْطُ الأَبْيَضُ} تَنَلَّيْ تَامَلَّتْ {مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ} ضَغْ تَنَلَّيْ تَاكَوَلَتْ {مِنَ الْفَجْرِ} اَتَمُوصَنْ تَامَلَّتْ ايزَلْ هو تشبيه للمنع والمراد هنا بالخيط الأبيض هو المعترض في الأفق لا الذي هو كذنب السرحان فإنه الفجر الكذاب الذي لا يحل شيئاً ولا يحرمه والمراد بالخيط الأسود سواد الليل والتبيين أن يمتاز أحدهما عن الآخر وذلك لا يكون إلا عند دخول وقت الفجروفي الصحيحين وغيرهما عن عدي بن حاتم أنه جعل تحت وسادته خيطين أبيض وأسود جعل ينظر إليهما فلا يتبين له الأبيض من الأسود فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره قال إن وسادك إذن لعريض إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل وفي رواية في البخاري وغيره أنه قال له «إنك لعريض القفا» وفي رواية عند ابن جرير وابن أبي حاتم أنه ضحك منه، قيل "من" الأولي لابتداء الغاية والثانية للبيان قاله السيوطي وقال الزمخشري وغيره الثانية للتبعيض أي حال كون الخيط الأبيض بعضاً من الفجر وفي تجويز

المباشرة إلى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم من أصبح جنباً {ثُمَّ} دَقَّرَادِي {أَتِمُّوا الصِّيَامَ} تَسَّنْدِيمْ اَظُومْ اَضُوبَظَنْ غُرِ اِيكِي نَزَلْ {إِلَى اللَّيْلِ} هَارْ اِيكِ نَهَضْ اَكِضَلْ اَنْ تَفُوكْ أمر وهو للوجوب وفي الآية التصريح بأن للصوم غاية هي الليل فعند إقبال الليل من المشرق وإدبار النهار من الغرب يفطر الصائم ويحل له الأكل والشرب وغيرهما و"إلى" غاية فإذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه كقولك اشتريت الفدان إلى حاشيته أو اشتريت منك من هذه الشجرة إلى هذه الشجرة والمبيع شجر فإن الشجرة داخلة في المبيع بخلاف قولك اشتريت الفدان إلى الدار فإن الدار لا تدخل في المحدود إذ ليست من جنسه فشرط تعالى تمام الصوم حتى يتبين الليل كما جوز الأكل حتى يتبين النهار {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ} اَتَنَتْ وَرْتَتِيبُوشُورَمْ قيل المراد بالمباشرة هنا الجماع وقيل يشمل التقبيل واللمس إذا كانا بشهوة لا إذا كانا بغير شهوة فهما جائزان كما قاله عطاء والشافعي وابن المنذر وغيرهم {وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ كَوَنِي تَظْضَاغَمْ {فِي الْمَسَاجِدِ} ضَغْ تَمَزْكِدَّا سَ النِّيَةْ نَ اَلِاعْتِكَافْ الاعتكاف في اللغة الملازمة يقال عكف على الشيء إذا لازمه {تِلْكَ} وِنْدِيدَا اَلْحَكُومَنْ اَدَّتَّمَلْنِينْ اَدِّي {حُدُودُ اللَّهِ} اَنْتَنَيْ اِيَّاكَاطَنْ وِينِيكَا اللهُ يِيكْلَانِّيتْ فَلْ اَدبْدَنْ غُرْسَنْ {فَلَا تَقْرَبُوهَا} اَتَنْ وَرْطِيهَاظَمْ تَيَّا تَصُّورَفَمْطَنْ أي هذه الاحكام حدود الله وأصل الحد المنع ومنه سمي البواب والسجان حداداً وسميت الأوامر والنواهي حدود الله لأنها تمنع أن يدخل فيها ما ليس منها وأن يخرج عنها ما هو منها ومن ذلك سميت الحدود حدوداً لأنها تمنع أصحابها من العود ومعنى النهي عن قربانها النهي عن تعديها بالمخالفة لهاوقيل حدود الله فرائض الله وقيل المقادير

التي قدرها ومنع من مخالفتها {كَذَلِكَ} اَمَّكْ اَسْ دَاوَنِسَنَّفَالَلْ اَوَدَّتَمَلَنْدَا {يُبَيِّنُ اللَّهُ} اَسِسِينَفِلِيلْ اللهُ {آيَاتِهِ} اَلايَتِينَّيتْ {لِلنَّاسِ} يَيْتِيدَنْ {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} اَنْكِمَاكْ اَنْتَنَيْ اَدَسْلَكَنْ تَحَرَمِينَّيتْ أي كما بين لكم هذه الحدود يبين لكم معالم دينه وأحكام شريعته والعلامات الهادية إلى الحق (١٨٧) {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ } اَدْوَرْتَطَاطَّمْ اِيهَرْوَانْ نَوَنْ {بَيْنَكُمْ} كَرِيوَّنْ {بِالْبَاطِلِ} طِيطِّيْ تَمُوصَتْ اَلْحَرَامْ هذا يعم جميع الأمة وجميع الأموال لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه فإنه مأخوذ بالحق لا بالباطل ومأكول بالحل لا بالإثم وإن كان صاحبه كارهاً كقضاء الدين إذا امتنع منه من هو عليه وتسليم ما أوجبه الله من الزكاة ونحوها ونفقة من أوجب الشرع نفقته والحاصل أن ما لم يبح الشرع أخذه من مالكه فهو مأكول بالباطل وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن وثمن الخمر والملاهي وأجرة المغني والقمار والرشوة في الحكم وشهادة الزور والخيانة في الوديعة والأمانة والأكل بطريق التعدي والنهب والغصب {وَتُدْلُوا بِهَا} اَدْ وَرَتَهَاكِّيمْ اِيهَرْوَانْ نَوَنْ {إِلَى الْحُكَّامِ} يَ اَلْحُكَّامْ فَلْ أُودَمْ وَنْ الرَّشْوَ مجزوم عطفاً على "تأكلوا" فهو من جملة المنهي عنه أي لا تلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام يقال أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به تشبيهاً بالذي يرسل الدلو في البئر يقال أدلى دلوه أرسلها والمعنى أنكم لا تجمعوا بين أكل الأموال بالباطل وبين الإدلاء بها إلى الحكام بالحجج الباطلة والمعنى لا تسرعوا بالخصومة في الأموال إلى الحكام ليعينوكم على إبطال حق أو تحقيق باطل وأما الإسراع بها لتحقيق الحق فليس مذموماً وفي هذه الآية دليل أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال من غير فرق بين

الأموال والفروج فمن حكم له القاضي بشيء مستنداً في حكمه إلى شهادة زور أو يمين فاجرة فلا يحل له أكله فإن ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وهكذا إذا أرشى الحاكم فحكم له بغير الحق فإنه من أكل أموال الناس بالباطل ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال كما في حديث أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار" وهو في الصحيحين وغيرهما{لِتَأْكُلُوا} فَلْ اَتَّتْشِيمْ {فَرِيقًا} تَدَكِّرَتْ {مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ} ضَغْ هَرْوَانْ نَيْتيدَنْ {بِالْإِثْمِ} تَمِيسَلْسَمْ دَبَكَّاضْ أي قطعة أو جزءاً أو طائفة فعبر بالفريق عن ذلك وأصل الفريق القطعة من الغنم تشذ عن معظمها وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير لتأكلوا أموال فريق من الناس بالإثم وسمي الظلم والعدوان إثماً باعتبار تعلقه بفاعله قال ابن عباس أي باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} كَوَني تَصَّانَمْ ءَاسْ كَوَني ايطَّفَنْ بَاطِّيلْ أي حال كونكم عالمين أنكم على الباطل (١٨٨) وَلَمَّا أراد الحقّ تعالى أن يتكلم على أحكام الحج قدّم الكلام على الهلال لأنه معتبر فى الحج أداء وقضاء فقال{يَسْأَلُونَكَ} صَاصْطَانَنْكَيْ مِدَاوَنَّكْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {عَنِ الْأَهِلَّةِ} فَلْ تَلِيلْ مَفَلْ تُووَّرْتَمِّيلْ تَلِّيتْ فَلْ اَلْحَالَةْ إِيَّدَّا زُونْ اَوَاتَكِّا طَفُوكْ أي عن فائدة اختلافها لأن السؤال عن ذاتها غير مفيد {قُلْ} اَتَّاصَنْ {هِيَ} اَنْتَنْتَيْ شِلِيلْ {مَوَاقِيتُ} اَلْوَقَنْ ءَامُوصْنَتْ الذي قرره أبو السعود والخازن أن الجواب مطابق للسؤال وفي الآية بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه وأن ذلك لأجل بيان المواقيت ربع

التي يوقت الناس عباداتهم ومعاملاتهم بها كالصوم والفطر والحج ومدة الحمل والعدة والإجارات والأيمان وغير ذلك ومثله قوله تعالى "ولتعلموا عدد السنين والحساب" وقيل هو جواب بغير ما سئل عنه تنبيهاً على أن الأولى لهم أن يسألوا عن هذا المجاب لا عن سبب الاختلاف فهو من قبيل المغيبات التي لا غرض للمكلف في معرفتها ولا يليق أن تبين له والمواقيت جمع الميقات وهو الوقتوكل ما جاء في القرآن من السؤال أجيب عنه بقل بلا فاء إلا في طه "ويسئلونك عن الجبال فقل" لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال وفي طه كان قبله إذ تقديره إن سئلت عن الجبال فقل {لِلنَّاسِ} يِيْتيدَنْ اَسْ تَاصَّنَنْ سَرْسَنْ اَلْوَقَنْ اَنْتَوَكَاسْ نَسَنْ دَلَّدَّتَيْن اَنْتَضُوضينْ نَسَنْ دَلْوَقْ نَظُومْ اَطَّصَّيْ دَاوَرْنَمُوصْ ءَادِي أي لأغراضهم الدنيوية والدينية كما أشار لذلك بتعداد الأمثلة إذ الأهلة ليست مواقيت لذوات الناس {وَالْحَجِّ} اِطَاوَصَّانْ سَرَسْنَتْ ضيغينْ اَلْوَقْ نَهَكَّكْ النَّارْ اَغْلَالْنَتْ فَلْ اَلْحَالَةْ اِيَّدَّا وَرْزَتَوَصَّنَنْ اَرطَنْ دِي عطف على الناس أي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك وإنما أفرد سبحانه بالحج بالذكر لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت ولا يجوز فيه النسء عن وقته ولعظم المشقة على من التبس عليه {وَلَيْسَ الْبِرُّ} وَرِيمُوصْ تَلِيلْتْ {بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ} اَتَّتَاكَّزَمْ اِنَانْ {مِنْ ظُهُورِهَا} ضَغْ رُورَانْ نَسَنْ تَبَّاضَمْتَنْ سَاسَرَ اَلْقَّامْ اِمُوصَاصْ ضَغْ اَلاحْرَامْ وَرْتَكَّزَنْ اِنَانْ ضَغْ مَاوَنَّسَنْ اَنَّنْ ءَادِيدَ تَلِيلْتْ {وَلَكِنَّ الْبِرَّ} مِشَانْ تَلِيلْتْ اَتَمُوصَنْ {مَنِ اتَّقَى} تَلِيلْتْ اَنْ وَيْكْصُوضَنْ اللهُ {وَأْتُوا الْبُيُوتَ} تَاكَّزَتْ اِنَانْ {مِنْ أَبْوَابِهَا} ضَغْ مَاوَنَّسَنْ ضَغْ اَلاحْرَامْ دَاوَرِيمُوصْ وجه اتصال هذا بالسؤال عن الأهلة والجواب بأنها مواقيت للناس والحج أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يدخلون من

أبواب بيوتهم إذا رجع أحدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام حجه لأنهم يعتقدون أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم وقد ورد هذا المعنى عن جماعة من الصحابة والتابعين وقال أبو عبيدة إن هذا من ضرب المثل والمعنى ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن البر التقوى واسألوا العلماء كما تقول أتيت الأمر من بابه {وَاتَّقُوا اللَّهَ} تِكْصَاضَمْ اللهُ {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} اَنْكِمَاكْ كَونـي اَتَّوَتَمْ ءَاكِْلَافْ سِكُوزْ نَ اَلْجَنَّةْ (١٨٩) {وَقَاتِلُوا} نَمَنْقِيوَتْ {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ اَبَرَقَّا نَ اللهُ فَلْ اَصَهُّوكِي اَنْتَاوَالْتْ تَانْ اللهُ لا خلاف بين أهل العلم أن القتال كان ممنوعاً قبل الهجرة لقوله "فاعف عنهم واصفح" وقوله "واهجرهم هجراً جميلاً" وقوله "لست عليهم بمصيطر" وقوله "ادفع بالتي هي أحسن" ونحو ذلك مما نزل بمكة فلما هاجر إلى المدينة أمره الله سبحانه بالقتال ونزلت هذه الآية قال أبو العالية إنها أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة وقيل أول ما نزل قوله تعالى "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا" حتى نزل قوله تعالى "اقتلوا المشركين" وقوله تعالى "وقاتلوا المشركين كافة" قيل إنه نسخ بها سبعون آية والمعنى قاتلوا في طاعة الله وطلب رضوانه عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " {الَّذِينَ} اَدْ وِنْدِي {يُقَاتِلُونَكُمْ} دَرْوَنْ تِينَمَنْغِنينْ قال جماعة من السلف المراد بهذا من عدا النساء والصبيان والشيوخ

والزمنى والرهبان والمجانين والمكافيف ونحوهم، وجعلوا هذه الآية محكمة غير منسوخة {وَلَا تَعْتَدُوا} اَدْ وَرْتَسَصِّيكِيَمْ فَلَّاسَّنْ تِزَارَمَاسَنْ سَنَمَنْقًا المراد بالاعتداء عند أهل القول الأول هو مقاتلة من لم يقاتل من الطوائف الكفرية والمراد به على القول الثاني مجاوزة قتل من يستحق القتل إلى قتل من لا يستحقه ممن تقدم ذكره {إِنَّ اللَّهَ} اِلْكَنَاسْ اللهُ {لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} وَرِيرَا وِنْصُورُفْنِينْ تَسَابْدَتْ تَدَاسَنْ تَتَوَكَّتْ دَفَّرَادِي تَتَوَنْسَخِينْ تَادَا اَلَايَةْ أي لا يريد بهم الخير عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال "اغزوا بالله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا تعتدوا" أخرجه مسلم (١٩٠) {وَاقْتُلُوهُمْ} اَنْغَتْ اِكُوفَارْ {حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} ايدَكِّ اَدَقَّنِينْ طُوكِّظَمْ يقال ثَقِفَ يَثْقُفُ ثَقْفًا وَثَقَفًا وَرَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور قال ابن جرير الخطاب للمهاجرين والضمير لكفار قريش انتهى والمعنى واقتلوهم حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وإن لم يبتدؤكم وتحقيق القول فيه أن الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط إقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام {وَأَخْرِجُوهُمْ} تَسَّكِّمَضَمْطَنْ {مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} ضَغْ اَدَكِّ وَدَقُّوَنَصَّكِّمَضَنْ اَتِّمُوصَنْ مَاكَطْ أي أخرجوهم من مكة وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر ربه فأخرج من مكة من لم يسلم عند أن فتحها الله عليه {وَالْفِتْنَةُ} اَلْكَفَرْ وَاكِّنْ {أَشَدُّ} أُوكِّرْ تَزَّوَّرْتْ {مِنَ الْقَتْلِ} ضَغْ تَنَغِيْ نَسَنْ ضَغْ اَلاِحْرَامْ مَدي

ضغ الحرم

ضَغْ اَلْحَرَمْ وَدِي تَزَّزْوَرَمْ اَدِّي أي الفتنة التي أرادوا أن يفتنوكم بها وهي رجوعكم إلى الكفر أشد من القتل وقيل المراد بالفتنة الشرك الذي عليه المشركون لأنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم فأخبرهم الله أن الشرك الذي هم عليه أشد مما يستعظمونه وقيل المراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم والظاهر أن المراد الفتنة في الدين بأي سبب كان وعلى أي صورة اتفق فإنها أشد من القتل لأنه يؤدي إلى الخلود في النار والقتل ليس كذلك ولذا جعل أشد منه {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ} مِشَانْ دَرْسَنْ وَرْتَنَمَنْقِيمْ {عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} غُرْ تَمَزْكِدًّا تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه اَلْمَعْنَى غُرْ اَلْحَرَمْ كيتْنيتْ {حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} هَارْ نَمَنْقِينْ دَرْوَنْ ضَغَسْ اختلف أهل العلم في ذلك فذهبت طائفة إلى أنها محكمة وأنه لا يجوز القتال في الحرم إلا بعد أن يتعدى متعد بالقتال فيه فإنه يجوز دفعه بالمقاتلة له وهذا هو الحق وقالت طائفة إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" ويجاب عن هذا الاستدلال بأن الجمع ممكن هنا ببناء العام على الخاص فيقتل المشرك حيث وجد إلا بالحرم ومما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم "إنها لم تحل لأحد قبله وإنها أحلت لي ساعة من نهار" وهو في الصحيح وقد احتج القائلون بالنسخ بقتله صلى الله عليه وآله وسلم لابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ويجاب عنه بأنه وقع في تلك الساعة التي أحل الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم {فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ} كُدْ نَمَنْقَنْ دَرْوَنْ ضَغَسْ أي في المسجد الحرام هذا مفهوم الغاية {فَاقْتُلُوهُمْ} تَنْقَمْتَنْ ضَغَسْ أي فقاتلوهم {كَذَلِكَ} تينَغِيْ دِي دَسَكْمَضْ دِي أي القتل والإخراج {جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} اَنْتَ اَيْمُوصَنْ مَا

رُوزَتْ اَنْكُوفَارْ مطلقاً بأن يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم إلا أن يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعاً لهم (١٩١) {فَإِنِ انْتَهَوْا} كُدَ اَرَزَنْ فَلْ اَلْكَفَرْ اَسْلَمَنْ عن قتالكم وعن الكفر ودخلوا في الإسلام {فَإِنَّ اللَّهَ} ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ {غَفُورٌ} اَنصّيرَفْ يَاسَنْ لما سلف {رَحِيمٌ} نَمَهّينَنْ يَاسَنْ بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (١٩٢) {وَقَاتِلُوهُمْ} مَكّرَتْ دَرْسَنْ فيه الأمر بمقاتلة المشركين ولو في الحرم وإن لم يبتدؤوكم بالقتال فيه وهذا هو الذي استقر عليه الحكم الآن {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} هَارْ وَرْتوُزِيمَلْ اَلْكَفَرْ ضَغْ مَاكَطْ أي إلى غاية هي أن لا تكون فتنة {وَيَكُونَ الدِّينُ} اِيمَلْتُو اَلْعِبَادَا {لِلَّهِ} يَ الله غَاسْ وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله وقيل المراد بالفتنة هنا الشرك والظاهر أنها الفتنة في الدين على عمومها كما سلف {فَإِنِ انْتَهَوْا} كُدَ اَرَزَنْ فَلْ اَلْكَفَرْ ءَادِيزَ اَدَاسَنْ وَرْتَخْشَدَمْ اَرَطْ يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر {فَلَا عُدْوَانَ} فَلَاسْ وَرْتِلّ اَخْشُودْ نَرَطْ {إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} ءَارْ فَلْ وِنَاضْلَمْنينْ وَيْرَزَنْ وَرِيمُوصْ اَنَاضْلَامْ أي لا تظلموا إلا الظالمين أي لا تعتدوا إلا على ظلم وهو من لم ينته عن الفتنة ولم يدخل في الإسلام وإنما سمي جزاء الظالمين عدواناً مشاكلة كقوله تعالى "وجزاء سيئة سيئة مثلها" وسمي الكافر ظالماً لوضعه العبادة في غير موضعها والنفي هنا بمعنى النهي لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى والعرب إذا بالغت في النهي عن الشيء أبرزته في صورة النفي المحض إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يوجد ألبتة فدلوا على هذا المعنى بما ذكرت لك وعكسه في الإثبات إذا بالغوا في الأمر بالشيء أبرزوه في صورة الخبر نحو "والوالدات

يرضعن" وسيأتي (١٩٣) {الشَّهْرُ الْحَرَامُ} تَالِّيتْ تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه تَدِي اَسْ دَرْوَنْ نَنَمَنْغَاضَغَسْ هو ذو القعدة من السنة السابعة {بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ} تَنِيقَابَلْ اَتَّلِيتْ تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه تَزْدَانَادُو تُوَغَمْ ضَغَسْ فَلْ اَلْعُمْرَا تَكِْدَلَمَانَ ضَغَسْ اَنَكِّزْ اَلْحَرَمْ هو ذو القعدة من السنة السادسة وهذا في المعنى تعليل لقوله "واقتلوهم حيث ثقفتموهم" أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمراً في سنة ست من الهجرة وحبسه المشركون عن الدخول والوصول إلى البيت وصدوه بمن معه من المسلمين في ذي القعدة وهو شهر حرام قاضاهم على الدخول من قابل فدخلها في السنة الآتية هو ومن كان معه من المسلمين وأقصه الله منهم نزلت في ذلك هذه الآيةوالمعنى إذا قاتلوكم في الشهر الحرام وهتكوا حرمته قاتلوهم في الشهر الحرام مكافأة لهم ومجازاة على فعلهم وهذا صريح في أنه قد وقع منهم مقاتلة في عام الحديبية وهو كذلك فقد وقع قتال خفيف بالرمي بالسهام والحجارة {وَالْحُرُمَاتُ} اَرَطَنْ وِنْلَنِينْ اَلْحُرْمَه جمع حرمة كالظلمات جمع ظلمة وإنما جمع الحرمات لأنه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام والحرمة ما منع الشرع انتهاكه {قِصَاصٌ} اِلَّا اَلْقِصَاصْ كِرِيسَّنْ اَنَمِلَا أي المساواة والمماثلة والمعنى أن كل حرمة يجري فيها القصاص فمن هتك حرمة عليكم فلكم أن تهتكوا حرمة عليه قصاصاً ولا تبالوا به قيل وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال وقيل إنه ثابت بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ينسخ فيجوز لمن تعدي عليه في مال أو بدن أن يتعدى بمثل ما تعدي عليه وبهذا قال الشافعي وغيره وقال آخرون إن أمور القصاص مقصورة على الحكام وهكذا الأموال لقوله صلى الله عليه وسلم "أد

الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" أخرجه الدارقطني وغيره وبه قال أبو حنيفة وجمهور المالكية وعطاء الخراساني والقول الأول أرجح وبه قال ابن المنذر واختاره ابن العربي والقرطبي وحكاه الداودي عن مالك ويؤيده إذنه صلى الله عليه وآله وسلم لامرأة أبي سفيان أن تأخذ من ماله ما يكفيها وولدها وهو في الصحيح ولا أصرح وأوضح من قوله تعالى في هذه الآية {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} اِيعَدَّنْ فَلَّاوَّنْ اِنَمَنْغَا دَرْوَنْ ضَغْ اَلْحَرَمْ مَدي ضَغْ اَلاحْرَامْ مَدي ضَغْ تَالِّيتْ تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه {فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} ءَادِيزَ عَدَّتْ فَلَّاسْ {بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} اَسْ تُولَاتْ نَوَدَاوَنِخْشَدْ وهذه الجملة في حكم التأكيد للجملة الأولى أعني قوله والحرمات قصاص وإنما سمي المكافآت اعتداء مشاكلة كما تقدم ولما أباح لهم الاقتصاص بالمثل وشأن النفس حب المبالغة في الانتقام من العدو حذرهم من ذلك فقال {وَاتَّقُوا اللَّهَ} تِكْصَادَمْ اللهُ اَدْوَرْتَاكِيمْ اَوَدَاوَنِتَوَكَّنْ بَاتَّارْ اَصُورَفْ أوفَ أي في حال كونكم منتصرين لأنفسكم ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم {وَاعْلَمُوا} تَصَّنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {مَعَ الْمُتَّقِينَ} اِلَّيْ دَرْ وِنْتَكْصُوضْنينْ اَسْ تَدْهَلَتْ دَنَّصَارَا بالنصر والعون (١٩٤) {وَأَنْفِقُوا} اَتَنَافَّقَمْ اِهْرَوَانْ نَوَنْ {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ تَلِيلْتْ نَ اللهُ ضَغْ اَلْجِهَادْ دَاوَرِيمُوصْ في هذه الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله وهو الجهاد بالمال واللفظ يتناول غيره مما يصدق عليه أنه من سبيل الله والإنفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالإنفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الله تعالى لأن كل ذلك يصدق عليه أنه في سبيل الله ولكن إطلاق هذا اللفظ ينصرف إلى الجهاد عن خزيم بن فاتك قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم "من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف" أخرجه الترمذي والنسائي {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ} اَدْ وَرْتَكَّارَمْ اِيمَانْ نَوَنْ {إِلَى التَّهْلُكَةِ} ضَغْ اَدَكْ نَهْلُوكْ اَتَمُوصَنْ اَتَّيِيمْ اَلْجِهَادْ هَارْ اَصُوهِينْ مَلُّوكَا مَدي يَاكْ اَدْوَرْتَكَّارَمْ اِمَانَّوَنْ ضَغْ اَدَكْ نَهْلُوكْ ضَغْ اَلْجِهَادْ الباء زائدة ومثله "ألم يعلم بأن الله يرى" وقال المبرد أي بأنفسكم تعبير بالبعض عن الكل كقوله "بما كسبت أيديكم" والتهلكة مصدر من هلك يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة أي لا تأخذوا فيما يهلككم قال اليزيدي التهلكة من نوادر المصادر ليست مما يجري على القياس وللسلف في معنى الآية أقوال قال حذيفة نزلت في النفقة أي تركها في سبيل الله مخافة العيلة وروي نحوه عن ابن عباس وعكرمة والحسن وقال الحسن هو البخل وقال زيد بن أسلم هو أن يهلك رجل من الجوع والعطش ومن المشي في البعث وقال أبو أيوب كانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الغزو وقال البراء بن عازب هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيديه فيقول لا يغفر الله لي أبداً وروي عن النعمان بن بشير نحوه وقيل إنه القنوط وقيل عذاب الله وقيل غير ذلك

والحق أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل ما يصدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا وبه قال ابن جرير الطبري ومن جملة ما يدخل تحت الآية أن يقتحم الرجل في الحرب فيحمل على الجيش مع عدم قدرته على التخلص وعدم تأثيره لأثر ينفع المجاهدين

{وَأَحْسِنُوا} سِيهُوصِيِّتْ سَ النَّفَقَةْ دَاوَرْطَمُوصْ ضَغْ مَازَالَنْ وِنْ هُوصّينينْ أي في الإنفاق في الطاعة أو الظن بالله في إخلافه عليكم وقال رجل من الصحابة معناه أدوا الفرائض وقيل لا تقتروا ولا تسرفوا {إِنَّ

اللَّهَ} اِلّكَنَاسْ اللهُ {يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ايرَ ونْ تَاكِّنينْ اِمَازَالَنْ ونْهُوصّينينْ اَدَاسَنِيرَزْ المنفقين في سبيله الظانين به حسناً (١٩٥) {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ} تَسّْنِدِمْ اَهَكِّكْ {وَالْعُمْرَةَ} دَ اَلْعُمْرَا {لِلَّهِ} يَ اللهُ اختلف العلماء في المعنى المراد بإتمام الحج والعمرة فقيل أداؤهما والإتيان بهما من دون أن يشوبهما بشيء مما هو محظور ولا يخل بشرط ولا فرض كقوله تعالى "فأتمهن" وقوله "ثم أتموا الصيام إلى الليل" وقال سفيان الثوري إتمامهما أن يخرج لهما لا لغيرهما وقيل إتمامهما أن يفرد كل واحد منهما من غير تمتع ولا قران وبه قال ابن حبيب وقال مقاتل إتمامهما أن لا يستحلوا فيهما ما لا ينبغي لهم وقيل إتمامهما أن يحرم لهما من دويرة أهله وقيل أن ينفق في سفرهما الحلال الطيبوقد ورد في فضل الحج والعمرة أحاديث كثيرة ليس هذا موطن ذكرها وقد اتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلاً واستدل بهذه الآية على وجوب العمرة لأن الأمر بإتمامها أمر بها وبذلك قال علي وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي وسعيد ابن جبير ومسروق وعبد الله بن شداد والشافعي وأحمد وإسحق وأبو عبيد وابن الجهم من المالكية وقال مالك والنخعي وأصحاب الرأي كما حكاه ابن المنذر عنهم أنها سنة وحكى عن أبي حنيفة أنه يقول بالوجوب ومن جملة ما استدل به الأولون ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لأصحابه "من كان معه هدي فليهل بحج وعمرة" وأخرج الدارقطني والحاكم من حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت" واستدل الآخرون بما أخرجه الشافعي في الأم وعبد الرازق وابن

أبي شيبة وعبد بن حميد عن أبي صالح الحنفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الحج جهاد والعمرة تطوع" وأجابوا عن الآية والأحاديث المصرحة بأنها فريضة بحمل ذلك على أنه قد وقع الدخول فيها وهي بعد الشروع فيها واجبة بلا خلاف وأركان الحج خمسة الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق أو التقصير وأركان العمرة أربعة الإحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ} كُدُوتَتَوَغَمْ فَلْ اَسَنْدِي نَسَنْ اَسْ مَلُّوكًا مَثَلًا أصل الحصر في اللغة الحبس وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المحصر بعدو يحل حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثم هدي ويحلق رأسه كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه في الحديبية {فَمَا اسْتَيْسَرَ} ءَادِيزَ اِلَّيْ فَلَّاوَّنْ اَوَالَمّيضَنْ {مِنَ الْهَدْيِ} ضَغْ اَلْهَدِي اَتِّمُوصَنْ تيخْسَيْ غُرْ اَلِامَامْ مَالَكْ اَلايَةْ تَمّيوَيْ فَلْ وَسْتِلَّا دَرَسْ اَلْهَدِي اَزْدِتَّوَغْ وَسْتُووَرِلَّا دَرَسْ اَلْهَدِي اَزْدِتَّوَغْ وَرْطِيوِيرْ أي إن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتم فالواجب أو فعليكم أو فانحروا أو فاهدوا ما تيسر يقال يسر الأمر واستيسرواختلف أهل العلم في المراد بقوله "فما استيسر" فذهب الجمهور إلى أنه شاة وقال ابن عمر وعائشة وابن الزبير جمل أو بقرة وقال الحسن أعلى الهدي بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة {وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ} اَدْ وَرْتَلَاظِمْ اِغْفَاوَنْ نَوَنْ اَلْمَعْنَى اَدْ وَرْتَطَارِمْ {حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ} هَارَاوَضْ اَلْهَدِي {مَحِلَّهُ} ايدَكْ نيتْ اَتِّمُوصَنْ ايدَكْ وَضَغْ دُتَتَّوَغَمْ مَدي مَاكَطْ كُدْو وَرْتَتَّوَغَمْ هو خطاب لجميع الأمة من غير فرق بين محصر وغير محصر وإليه ذهب جمع من أهل العلم وذهبت طائفة إلى أنه خطاب للمحصرين خاصة أي لا تحلوا من الإحرام حتى تعلموا أن

الهدي الذي بعثتموه إلى الحرام قد بلغ محله وهو الموضع الذي يحل فيه ذبحه واختلفوا في تعيينه فقال مالك والشافعي هو موضع الحصر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أحصر في عام الحديبية وقال أبو حنيفة هو الحرم لقوله تعالى "ثم محلها إلى البيت العتيق" وأجيب عن ذلك بأن المخاطب به هو الآمن الذي يمكنه الوصول إلى البيت وأجاب الحنفية عن نحره صلى الله عليه وسلم بالحديبية بأن طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة هو من الحرم ورد بأن المكان الذي وقع فيه النحر ليس هو من الحرم {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ} اِتِّلَّانْ ضَغْوَنْ {مَرِيضًا} اِمُوصْ اَمِيرَنْ {أَوْ بِهِ أَذًى} مَدي تَلَّيْ ضَغَسْ تَظُّورْتْ {مِنْ رَأْسِهِ} تَهَاتْ ايغَفْنيتْ شِلَاتْ اَنْتَلَويتْ نَفَلاً مَدي شِلْكينْ اَشِيقَّنينْ فَلَّاسْ اِيلْظَا ضَغْ اَلِاحْرَامْ {فَفِدْيَةٌ} ءَادِيزَ تَلَّيْ فَلَّاسْ اَلْفِدْيَةْ {مِنْ صِيَامٍ} تَمُوصَتْ اَظُومْ اَنْ كَرَاضْ جِلَانْ {أَوْ صَدَقَةٍ} مَدي طَاكُوطَيْ اَنْ كَرَاضَتْ طِيَّاطِينْ فَلْ صَضِيصَتْ تَلَقَّاوينْ اِلَّيْ يَكَّلْ اَنْتَلَقي اَشِّينْ مُودَاتَنْ {أَوْ نُسُكٍ} مَدي تَنَاكْزَامْتْ اَنْ تيخْسَيْ مَدي اَتَتُوكِرَنْ المراد بالمرض هنا ما يصدق عليه مسمى المرض لغة والمراد بالأذى من الرأس ما فيه من قمل أو صداع أو جراح ونحو ذلك فمن حلق فعليه فدية وقد بينت السنة ما أطلق هنا من الصيام والصدقة والنسك فثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم رأى كعب بن عجرة وهو محرم وقمله يتساقط على وجهه فقال يؤذيك هوام رأسك قال نعم فأمره أن يحلق ويطعم ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام وقد ذكر ابن عبد البر أنه لا خلاف بين العلماء أن النسك هنا هو شاة وحكى عن الجمهور أن الصوم هنا ثلاثة أيام والإطعام لستة مساكين وقد ذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم

٢٠١٤/٩

وداود إلى أن الإطعام في ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم أي لكل مسكين وقال الثوري نصف صاع من بر أو صاع من غيره وروي ذلك عن أبي حنيفة قال ابن المنذر وهذا غلط لأن في بعض أخبار كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له تصدق بثلاثة آصع من تمر على ستة مساكينواختلفوا في مكان هذه الفدية فقال عطاء ما كان من دم فبمكة وما كان من طعام أو صيام فحيث شاء وبه قال أصحاب الرأي وقال طاوس والشافعي الإطعام والدم لا يكونان إلا بمكة والصوم حيث شاء وقال مالك ومجاهد حيث شاء في الجميع {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} اَمَرْ تَفْلَسَمْ ضَغْ مَلُّوكِا سَجَّوَنْكينْ مَدي وَرْتَنِضيصْ اَسْ تَلَّانْ أي برئتم من المرض وقيل من خوفكم من العدو على الخلاف السابق ولكن الأمن من العدو أظهر من استعمال أمنهم في ذهاب المرض فيكون مقوياً لقول من قال إن قوله "فإن أحصرتم" المراد به الإحصار من العدو كما أن قوله فمن كان منكم مريضاً يقوي قول من قال بذلك لإفراد عذر المرض بالذكر وقد وقع الخلاف هل المخاطب بهذا هم المحصرون خاصة أم جميع الأمة على حسب ما سلف {فَمَنْ تَمَتَّعَ} ءَاديزَ وَيْ سَتَّمْتَعَنْ ضَغْوَنْ سَرَطَنْ وِينِكْدَلْ اَلاحْرَامْ {بِالْعُمْرَةِ} سَسَّبَابْ نَسِحْرَمْ يَ اَلْعُمْرَا هَارْ اَوْرَا ضَغَسْ {إِلَى الْحَجِّ} هَارْ ضيوَضْ اَهَكَّكْ إِحْرَمَاسْ يعني أن يحرم الرجل بعمرة ثم يقيم حلالاً بمكة إلى أن يحرم بالحج فقد استباح بذلك ما لا يحل للمحرم استباحته وهو معنى تمتع واستمتع ولا خلاف بين أهل العلم في جواز التمتع بل هو أفضل أنواع الحج عندي قاله الشوكاني وقال القرطبي لا خلاف بين العلماء في أن التمتع جائز على ما يأتي تفصيله وأن الإفراد جائز وأن القران جائز لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي كلاً ولم ينكره

في حجته على أحد من أصحابه بل أجازه لهم ورضيه منهم صلى الله عليه وسلم وإنما اختلف العلماء فيما كان به رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما في حجته وفي الأفضل من ذلك لاختلاف الآثار الواردة في ذلك فقال قائلون منهم مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مفردا والإفراد أفضل من القران قال والقران أفضل من التمتع واستحب آخرون التمتع بالعمرة إلى الحج قالوا وذلك أفضل وهو مذهب عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وبه قال أحمد بن حنبل وهو أحد قولي الشافعي وقال آخرون القران أفضل منهم أبو حنيفة والثوري وبه قال المزني قال لأنه يكون مؤديا للفرضين جميعا وهو قول إسحاق قال إسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قارنا وهو قول علي بن أبي طالب واحتج من استحب القران وفضله بما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول "أتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة" قال أبو عمر والإفراد إن شاء الله أفضل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفردا فلذلك قلنا إنه أفضل لأن الآثار أصح عنه في إفراده صلى الله عليه وسلم ولأن الإفراد أكثر عملا ثم العمرة عمل آخر وذلك كله طاعة والأكثر منها أفضل وقال أبو جعفر النحاس المفرد أكثر تعبا من المتمتع لإقامته على الإحرام وذلك أعظم لثوابه {فَمَا اسْتَيْسَرَ} ءَادِيزَ إِلَّيْ فَلَّاسْ اَوَالَمّيضَنْ {مِنَ الْهَدْيِ} ضَغْ اَلْهَدِي اَتّمُوصَنْ تيخْسَيْ وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي ولا يجزئه ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ} اِيوَرْنَكْرِيوْ اَلْهَدِي الهدي إما لعدم المال أو لعدم الحيوان {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ} ءَادِيزَ

إِلّيْ فَلَّاسْ اَظُومْ اَنْكَرَاضْ اَضَانْ {فِي الْحَجِّ} ضَغْ جِلَانْ وِ نَاهَكَّكْ اَضَّوبَظَنْ غُرْ اَلِاحْرَامْ نيتْ هَارْ اَزَلْ وَانْ عَرَفَه أي في أيام الحج وهي من عند شروعه في الإحرام إلى يوم النحر ومع ذلك يجوز ذبحه قبل الإحرام به على القاعدة من أن كل حق مالي تعلق بسببين جاز تقديمه على ثانيهما وقد جوز بعض أهل العلم صيام أيام التشريق لمن لم يجد الهدي ومنعه آخرون وبه قال الشافعي {وَسَبْعَةٍ} أُوظَامْ اَصَّاضَنْ اِيَّاضْ قراءة الجمهور بالخفض على العطف وقرا زيد ابن علي "وسبعة" بالنصب على معنى وصوموا سبعة {إِذَا رَجَعْتُمْ} ءَامَرْ تَقَّلَمْ اَسْ مَاكَطْ مَدي اَسْ غَوْنَاتَنْ نَوَنْ أي إلى الأوطان والأهل قال أحمد وإسحق يجزئه الصوم في الطريق ولا يتضيق عليه الوجوب إلا إذا وصل وطنه وبه قال الشافعي وقتادة والربيع ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وغيرهم وقال مالك إذا رجع من منى فلا بأس أن يصوم وإنما قال سبحانه {تِلْكَ} وِنْدِيدَا اِيجِلَانْ {عَشَرَةٌ} مَرَاوْ {كَامِلَةٌ} اَنْدَانينْ مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثة والسبعة عشرة لدفع أن يتوهم متوهم التخيير بين الثلاثة الأيام في الحج والسبعة إذا رجع قاله الزجاج وقال المبرد ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقي منه شيء بعد ذكر السبعة وقوله "كاملة" توكيد آخر بعد الفذلكة لزيادة التوصية بصيامها وأن لا ينقص من عددها والمعنى كاملة يعني في الثواب والأجر يعني أن ثواب صيام العشرة كثواب الذبح لا ينقص شيئاً {ذَلِكَ} وَدِيدَ اَلْحَكُومْ نَ اَلْوَجُوبْ نَ اَلْهَدِي فَلْ وَيْكَنْ التَّمَتُّعْ مَدي اَظُومْ اَسْ وَرْكِرِيوْ اَلْهَدِي {لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ} اِوّدْجَبْ فَلْ وَسْتُو وِرِلَّا اَغَلَاكْنيتْ {حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اَمُوصَنْ اِمَهَّرَكَنْ اَنْتَمَزْكِدَّا تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه سَسْوَرَهينْ اَلْحَرَمْ الإشارة قيل هي راجعة إلى التمتع فيدل على

أنه لا متعة لحاضري المسجد الحرام كما يقوله أبو حنيفة وأصحابه قالوا ومن تمتع منهم كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وقيل إنها راجعة إلى الحكم وهو وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع فلا يجب ذلك على من كان من حاضري المسجد الحرام كما يقوله الشافعي ومن وافقه والمراد من لم يكن ساكناً في الحرم أو من لم يكن ساكناً في المواقيت فما دونها على الخلاف في ذلك بين الأئمة قال مالك هم أهل مكة وقال طاوس هم أهل الحرم وقال الشافعي من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر وقال أبو حنيفة هم أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق وقيل من تلزمه الجمعة فيه {وَاتَّقُوا اللَّهَ} تِكْصَاضَمْ اللهُ ضَغْ اَوَسْ كَوَنِتَامَرْ دَوَفَلْ كَوَنِرَاقَّمْ أي فيما فرض عليكم في هذه الأحكام وقيل هو أمر بالتقوى على العموم وتحذير من شدة عقاب الله سبحانه {وَاعْلَمُوا} تَصَّنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ إظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة في روع السامع {شَدِيدُ الْعِقَابِ} اَمِيصَصْ نَ اَلْعَذَابْ اِيوَتِمَّزْرَيَنْ اَزْدَاسْ وَرِيصُّورَفْ لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه وهو من باب إضافة الصفة المشبهة إلى مرفوعها (١٩٦) {الْحَجُّ} اَلْوَقْ نَ هَكَّكِ {أَشْهُرٌ} شِلِيلْ {مَعْلُومَاتٌ} تِيوَصَّنّينْ اَتَنَتِمُوصَنْ طيصَّيْ اَدْ كِرْمُودَنْ اَتَّفَاصْكَيْ أي وقت الحج أشهر أو وقت عمل الحج وقيل التقدير الحج في أشهر وقيل غير ذلك وقد اختلف في الأشهر المعلومات فقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري هي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وبه قال مالك وقال ابن عباس والسدي والشعبي والنخعي هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم وقد روي أيضاً عن

مالك وتظهر فائدة الخلاف فيما وقع من أعمال الحج بعد يوم النحر فمن قال إن ذا الحجة كله من الوقت قال لم يلزمه دم التأخير ومن قال ليس إلا العشر منه قال يلزمه دم التأخير {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ} اِيصَّفْرَضَنْ فَلْمَانّيتْ ضَغَسْنَتْ على نفسه {الْحَجَّ} اَهَكَّكِ سَسْدَاسْ اِحْرَمْ أي أوجبه عليها وألزمه إياها والمعنى في الآية فمن ألزم نفسه وأوجب عليها فيهن الحج بالشروع فيه بالنية {فَلَا رَفَثَ} ءَادِيزَ وَرَاسْ حَلَالْ ءَاصَّاغْ اَطّضُوضينْ قال ابن عباس وابن جبير والسدي وقتادة والحسن وعكرمة والزهري ومجاهد ومالك هو الجماع وفي رواية عن ابن عباس هو غشيان النساء والتقبيل والغمز وقال ابن عمر وطاوس وعطاء وغيرهم الرفث الإفحاش بالكلام والخنا والقول القبيح وقال أبو عبيدة الرفث اللغا من الكلام {وَلَا فُسُوقَ} وَلَادَ اَمَازَالْ اَنْتَمَازْرِيتْ تَتِيوَكْدَلْ وَلّينْ ضَغْ اَهَكَّكِ أصله الخروج عن حدود الشرع وعن الطاعة وقيل السباب وقال ابن عمر هو ما نهى عنه المحرم في حال الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظفار وأخذ الشعر وما أشبه ذلك والظاهر أنه لا يختص بمعصية متعينة {وَلَا جِدَالَ} وَلَاتَمَظَاقْ وَلَ طَكَاتْ مشتق من الجدل وهو الفتل والمراد به هنا المماراة وقيل السباب وقيل الفخر بالآباء والظاهر الأول {فِي الْحَجِّ} ضَغْ اَهَكّكِ أي في أيامه ونكتة الإظهار كمال الإعتناء بشأنه ظاهر الآية في الثلاثة خبر ومعناه نهي وإنما نهى عن ذلك وإن كان اجتنابها في كل الأحوال والأزمان واجباً لأنها في الحج أسمج وأفظع منه في غيرهوعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" أخرجه البخاري ومسلم {وَمَا تَفْعَلُوا} ءَاتَمّوزَلَمْ {مِنْ خَيْرٍ} اِيمُوصَنْ اَمَازَالْ اَنْ تَلِيلْتْ اَيَقّلْ {يَعْلَمْهُ اللَّهُ}

إِصَّانْ ضَغَسْ اللهُ دَاوَنِيرَزْ فَلَّاسْ حث على الخير بعد ذكر الشر وعلى الطاعة بعد ذكر المعصية وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة وفيه أن كل ما يفعلونه من ذلك فهو معلوم عند الله لا يفوت منه شيء {وَتَزَوَّدُوا} تَاكَّتْ اَلّوْ وَكَوَنْ زِشَشّيِوَضَنْ ما يبلغكم لسفركم {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ} اِلّكَنَاسْ تُوفُوتْ نَ اَلّوْتَنْ {التَّقْوَى} اَوَزّيوَغْ اَويدَنْ إِمَاتّيطْ فَلْ مَانْ صَايْ أي ما يتقى به سؤال الناس وغيره فيه الأمر باتخاذ الزاد لأن بعض العرب كانوا يقولون كيف نحج بيت ربنا ولا يطعمنا فكانوا يحجون بلا زاد ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كَلاًّ عليهم فأنزل الله هذه الآية أخرجه عبد بن حميد والبخاري أبو داود والنسائي وغيرهم عن ابن عباس وقيل المعنى تزودوا لمعادكم من الأعمال الصالحة فإن خير الزاد التقوى والأول أرجح كما دل عليه سبب نزول الآية وفيه إخبار بأن خير الزاد اتقاء المنهيات فكأنه قال اتقوا الله في إتيان ما أمركم به من الخروج بالزاد فإن خيره التقوى وقيل المعنى فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر من التهلكة والحاجة إلى السؤال والتكفف قال أهل الإشارات ذكرهم الله تعالى سفر الآخرة وحثهم على تزود التقوى فإن التقوى زاد الآخرة قال الأعشى

إذ أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر

الموت بحر طامح موجه ... تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي ... مقالة من مشفق ناصح

لا يصحب الإنسان في قبره ... غير التقى والعمل الصالح
{وَاتَّقُونِ} تِكْصَاضَمِي أي وخافوا عقابي {يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} يَا كَلْ تيتْوينْ فيه التخصيص لأولي الألباب بالخطاب بعد حث جميع العباد على التقوى لأن أرباب الألباب والعقول هم القابلون لأوامر الله الناهضون بها، ولب كل شيء خالصه (١٩٧) {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} وِرْتِلَّ فَلَّاوَّنْ اَبَكَّاضْ {أَنْ تَبْتَغُوا} ضَغْ اَتَّكِامَّيَمْ {فَضْلًا} اَرَّظَغْ {مِنْ رَبِّكُمْ} اَدِّفَالَنْ اَمَلِينَّوَنْ اَسْ تَتكِّيرْتْ ضَغْ اَهَكَّكْ فيه الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الأعمال التي يحصل بها شيء من الرزق وهو المراد بالفضل هنا ومنه قوله تعالى "فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" أي لا إثم عليكم في أن تبتغوا في مواسم الحج رزقاً ونفعاً وهو الربح في التجارة مع سفركم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج نزل رداً لكراهتهم ذلك والحق أن الإذن في هذه التجارة جار مجرى الرخص وتركها أولى لقوله تعالى "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" والإخلاص هو أن لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه عبادة {فَإِذَا أَفَضْتُمْ} ءَامَرُوتَقَّلَمْ {مِنْ عَرَفَاتٍ} ضَغْ عَرَفَه دَفَّرْ تَبَدَّيْ فَلَّاسْ يقال فاض الإناء إذا امتلأ ماء حتى ينصب من نواحيه وعرفات اسم لتلك البقعة كأذرعات أي موضع الوقوف وعرفة اسم اليوم وسميت عرفات لأن الناس يتعارفون فيها وقيل لأن آدم التقى هو وحواء فيها فتعارفا وقيل غير ذلك واستدل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده ولا يتم الحج إلا به ووقت الإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس فإذا غربت دفع منها وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة {فَاذْكُرُوا اللَّهَ} تَكْطِيمْ اللهُ تَطَّفَمْ الذَّكَرْ المراد بذكر الله هنا دعاؤه ومنه التلبية

والتكبيروقيل المراد بالذكر صلاة المغرب والعشاء بالمزدلفة جمعاً وقد أجمع أهل العلم على أن السنة أن يجمع الحاج بينهما فيها {عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} غُرْ مَشْعَرْ اَلَحَرَامْ سمى مشعراً من الشعار وهو العلامة والدعاء عنده من شعائر الحج ووصف بالحرام لحرمته من التحريم وهو المنع فهو ممنوع من أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً رواه مسلموالمشعر هو جبل قزح الذي يقف عليه الإمام وقيل هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادى محسر {وَاذْكُرُوهُ} تَكْطِيمْ اللهُ ذكراً حسناً {كَمَا هَدَاكُمْ} فَلْ اَصَنَرْاَكَوَنِيكَا سَ اَلْعِبَادَاتَنْ نَ الدِّينّيتْ هداية حسنة وكرر الأمر بالذكر تأكيداً وقيل المراد بالثاني تعديد النعمة عليهم والكاف للتعليل {وَإِنْ كُنْتُمْ} اِلّكَنَاسْ تَلّامْتُو {مِنْ قَبْلِهِ} دَاتْ اَصَنَرْ نيتْ يَاوَنْ {لَمِنَ الضَّالِّينَ} ضَغْ وِنَخْرَكْنينْ قال القرطبي والكاف في" كما" نعت لمصدر محذوف و"ما" مصدرية أو كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة و"إن" مخففة من الثقيلة يدل على ذلك دخول اللام في الخبر والضمير في قبله عائد إلى الهدى وقيل إلى القرآن وقيل إلى الرسول والضالين الجاهلين بالإيمان والطاعة قاله الخطيب قال القرطبي أجمع أهل العلم على تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال وأفاض نهارا قبل الليل إلا مالك بن أنس فإنه قال لا بد أن يأخذ من الليل شيئا وأما من وقف بعرفة بالليل فإنه لا خلاف بين الأمة في تمام حجه (١٩٨) {ثُمَّ} دَقَّرَادِي {أَفِيضُوا} اَدُوتَتَاقَّلَمْ يَاقُرَشْ {مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} غُرْ دَدُوتَاقَّلَنْ اَيْتيدَنْ سَتَّبَادَّدَمْ دَرْسَنْ فَلْ عَرَفَه اَلّانْتُو وَرْطِيوَضَنْ عَرَفَهَ اَنْتَنَيْ فيه الخطاب لِلْحُمْسِ من قريش لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات

بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم فأمروا بذلك وقد ورد في هذا المعنى روايات عن الصحابة والتابعين عند البخاري ومسلم وغيرهما وعلى هذا يكون ثم لعطف جملة بمعنى الواو لا للترتيب وقيل الخطاب لجميع الأمة والمراد بالناس "إبراهيم" أي أفيضوا من حيث أفاض إبراهيم فيحتمل أن يكون أمراً لهم بالإضافة من عرفة {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} تَكِمَّيَمْ اَصُورَفْ ضَغْ اللهُ يِبكَّاضَنْ نَوَنْ أي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم وإنما أمروا بالاستغفار لأنهم في مساقط الرحمة ومواطن القبول ومظنات الإجابة وقد وردت أحاديث كثيرة في المغفرة لأهل عرفة ونزول الرحمة عليهم وإجابة دعائهم منها أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ومنها ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عدداً من النار من يوم عرفة ومنها ما رؤى الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة {إِنَّ اللَّهَ} اِلّكَنَاسْ اللهُ {غَفُورٌ} اَنصّيرَفْ يِ مُومَنَنْ {رَحِيمٌ} نَمَهّينَنْ يَاسَنْ أي ساتر لذنوب عباده برحمته وفيه دليل على أنه يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم (١٩٩) {فَإِذَا قَضَيْتُمْ} ءَامَرْ تَسَّنْدَمْ {مَنَاسِكَكُمْ} اَلْعِبَادَاتَنْ نَهَكَّكْ نَوَنْ سَسْتَكِرَمْ جَمْرَةُ اَلْعَقَبَة تَغْلَيَمْ تَرْكِّكَمْ ضَغْ مِنَى ضَغْ الزَّمَانْ وِنْ تَكُّورْ المراد بالمناسك أعمال الحج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "خذوا عني مناسككم" أي فإذا فرغتم من أعمال الحج وقيل المراد بها الذبائح وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى {فَاذْكُرُوا اللَّهَ} ءَادِيزَتَكْطِيمْ اللهُ اَسْ كيبَّارَنْ اَدْ سَنَّمَالْ {كَذِكْرِكُمْ} اَمَّكْ اَسْ تُوتَلَّمْ تَمَّالَمْ {آبَاءَكُمْ} اِمَرْوَنَّوَنْ غُرْ اَرِيزْ نَهَكَّكْ نَوَنْ ضَغْ اَلْجَاهِلِيَّه {أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} مَدي تَمَّالْ تُوكِرَتْ تَاتَاكِنْ اَلْجَاهِلِيَّة يِ مَرْوَنْ نَّسَنْ إنما قال

سبحانه ذلك لأن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم يقفون عند الجمرة وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومناقب أسلافهم بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة فلما منّ الله عليهم بالإسلام أمرهم بذكره مكان ذلك الذكر ويجعلونه ذكراً مثل ذكرهم لآبائهم أو أشد من ذكرهم لآبائهم والذكر له بالتمجيد والتحميد والتهليل والتسبيح والتكبير والثناء عليه {فَمِنَ النَّاسِ} اِلَّيْ ضَغَيْتيدَنْ وِنْ بَادَّدْنينْ فَلْ عَرَفَه {مَنْ يَقُولُ} وَيْكَّانَّنْ {رَبَّنَا} اَمَلِينَّنَا {آتِنَا} تَكْفيغَانَا تَدَكِّرْتْ نَنَا {فِي الدُّنْيَا} ضَغْ الدَّنيتْ ءَادَا تَتَوَكْفينْ {وَمَا لَهُ} وَرَاسْتِلَّ {فِي الْآخِرَةِ} ضَغْ اَلَاخِرَةْ {مِنْ خَلَاقٍ} اَيْمُوصَنْ تَدَكِّرَتْ لما أرشد سبحانه عباده إلى ذكره وكان الدعاء نوعاً من أنواع الذكر جعل من يدعوه منقسماً إلى قسمين أحدهما يطلب حظ الدنيا ولا يلتفت إلى حظ الآخرة والقسم الآخر يطلب الأمرين جميعاً والخلاق النصيب أي ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لا يريد غيرها ولا يطلب سواها وإنما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث (٢٠٠) {وَمِنْهُمْ} اِلَّيْ ضَغْ اَيْتيدَنْ اَتَنِمُوصَنْ اِي مُومَنَنْ {مَنْ يَقُولُ} اِيكَّاتَّنْ {رَبَّنَا} اَمَلِينَّنَا {آتِنَا} تَكْفيغَانَا {فِي الدُّنْيَا} ضَغْ الدَّنيتْ {حَسَنَةً} اَيْهُوصَّيَنْ {وَفِي الْآخِرَةِ} تَكْفيغَا ضَغْ اَلَاخِرَةْ {حَسَنَةً} اَيْهُوصَّيَنْ اَتِّمُوصَنْ اَلْجَنَّةْ {وَقِنَا} تُوكَّاظَغَانَا {عَذَابَ النَّارِ} ضَغْ اَلْعَذَابْ ءَانْ تَمْسَيْ سِبَانِّيكُوزْ نيتْ قد اختلف في تفسير الحسنتين المذكورتين في الآية فقيل هما ما يطلبه الصالحون في الدنيا من العافية وما لابد منه من الرزق وما يطلبونه في الآخرة من نعيم الجنة والرضا وقيل المراد بحسنة الدنيا الزوجة الحسناء وبحسنة الآخرة

الحور العين وقيل حسنة الدنيا العلم والعبادة وحسنة الآخرة الجنة وقيل من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي فيهما حسنة وقيل غير ذلك (٢٠١) {أُولَئِكَ} وِنْدِي إشارة إلى الفريق الثاني فقط {لَهُمْ نَصِيبٌ} اِلَّاسَنْتُو تَدَكِّرْتْ ضَغْ اَرُوزْ {مِمَّا كَسَبُوا} فَلْ تَدَميلْتْ نَوَدَّكْرَزَنْ ضَغْ اَهَكِّكْ اَطَّوَاطْرِوينْ أي من جنس ما كسبوا من الأعمال أي من ثوابها ومن جملة أعمالهم الدعاء فما أعطاهم بسببه من الخير فهو مما كسبوا {وَاللَّهُ} الله {سَرِيعُ الْحِسَابِ} اَنَسّيتْرَبْ نَ اَلْحِسَابْ اَدِحْسَبْ شِخَلَّاكْ كُولْ ضَغْ اَدَكِّلْشَا اَكيتْ نَ النَّصَفْ نَزَلْ ضَغْ جِلَانْ وِنْ الدَّنيتْ الحساب مصدر كالمحاسبة وأصله العدد والمعنى أن حسابه لعباده في يوم القيامة سريع مجيئه فبادروا ذلك بأعمال الخير أو أنه وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وأعمالهم ليدل ذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج إلى آلة ولا إمارة ولا مساعدة فيحاسبهم في حالة واحدة كما قال تعالى "ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة" وقال السيوطي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف من نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك انتهى وهذا تمثيل للسرعة لا تعيين لمقدار زمن الحساب وقيل معنى الآية أن إتيان القيامة قريب لا محالة وفيه إشارة إلى المبادرة بالتوبة والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة (٢٠٢) ثم تمّم الحق تعالى ما بقي من مناسك الحج وهى رمى الجمار أيام منى فقال

حزب {وَاذْكُرُوا اللَّهَ} اَكْطَطْ اللهُ اَسْ كيبَّارَنْ غُرْ تَكُّورْ اَنْتَكَاشْوَرينْ يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في أدبار الصلوات وعند رمي الجمرات فقد ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبر مع كل حصاة والخطاب للحاج وغيره كما ذهب إليه الجمهور وقيل هو خاص بالحاج

{فِي أَيَّامٍ} ضَغْ جِلَانْ {مَعْدُودَاتٍ} آلَانينْ اَمَاضِينْ دَرُوسَنْ اَتَنِمُوصَنْ اِجِلَانْ وِنْكَرَاضْ وِنَّكَلَاسْ قال القرطبي لا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى وهي أيام التشريق الثلاثة وهي أيام رمي الجمار وروي عن مالك أن الأيام المعدودات والأيام المعلومات يجمعها أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده فيوم النحر معلوم غير معدود واليومان بعده معلومان معدودان واليوم الرابع معدود لا معلوم وهو مروي عن ابن عمر وقد اختلف أهل العلم في وقته فقيل من صلاة الصبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقيل من غداة عرفة إلى صلاة العصر من آخر النحر وبه قال أبو حنيفة وابن مسعود وعلى هذا يكون التكبير في ثمان صلوات وقيل من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وبه قال مالك والشافعي فيكون التكبير على هذا في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر ولفظ التكبير عند الشافعي الله أكبر ثلاثاً نسقاً وعند أهل العراق مرتين مشهور مذهب مالك أنه يكبر إثر كل صلاة ثلاث تكبيرات رواه زياد بن زياد عن مالك وفي المذهب رواية يقال بعد التكبيرات الثلاث لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد وفي المختصر عن مالك الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد {فَمَنْ تَعَجَّلَ} اِيسَتَّرْبَنْ سَشِيكَلْ ضَغْ مِنَى {فِي يَوْمَيْنِ} ضَغْ اَزَلْ وَانَّشِّينْ نَّكَلَاسْ دَفَّرْ اَسِيَّارْ شِكَاشْوَارِينْ {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} ءَادِيزَ وَلَبَكَّاضْ فَلَّاسْ ضَغْ اَسَتْرَبْدِي "من" في قوله "فمن تعجل" رفع بالابتداء والخبر "فلا إثم عليه" ويجوز في غير القرآن فلا إثم عليهم لأن معنى "من" جماعة

{وَمَنْ تَأَخَّرَ} اِيدِينِقّيمَنْ ضَغْ مِنَى اِنْصَا ضَغَسْ هَارْ اِكَرْشِكَاشْوَرِينْ ضَغْ آزَلْ وَانْ كَرَاضْ {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} ءَادِيزَ وَلَبَكَّاضْ فَلَّاسْ ضَغَادِي اليومان هما يوم ثاني النحر ويوم ثالثه من أيام التشريق فمعنى الآية كل ذلك مباح وعبر عنه بهذا التقسيم اهتماماً وتأكيداً لأن من العرب من كان يذم التعجل ومنهم من كان يذم التأخر فنزلت الآية رافعة للجناح في كل ذلك واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبة قبل طلوع الفجر أو بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق جائز رميها بعد الفجر قبل طلوع الشمس وقال مالك لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأحد برمي قبل أن يطلع الفجر ولا يجوز رميها قبل الفجر فإن رماها قبل الفجر أعادها وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه لا يجوز رميها وبه قال أحمد وإسحاق ورخصت طائفة في الرمي قبل طلوع الفجر روي عن أسماء بنت أبي بكر أنها كانت ترمي بالليل وتقول إنا كنا نصنع هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود وروي هذا القول عن عطاء وابن أبي مليكة وعكرمة بن خالد وبه قال الشافعي إذا كان الرمي بعد نصف الليل وقد اختلفوا فيمن فاته الرمي حتى غربت الشمس فقال عطاء لا رمي بالليل إلا لرعاء الإبل فأما التجار فلا وروي عن ابن عمر أنه قال من فاته الرمي حتى تغيب الشمس فلا يرم حتى تطلع الشمس من الغد وبه قال أحمد وإسحاق وقال مالك إذا تركه نهارا رماه ليلا وعليه دم في رواية ابن القاسم ولم يذكر في الموطأ أن عليه دما وقال الشافعي وأبو ثور ويعقوب ومحمد إذا نسي الرمي حتى أمسى يرمي ولا دم عليه وكان الحسن البصري يرخص في رمي الجمار ليلا وقال أبو حنيفة يرمى ولا شي عليه وإن لم يذكرها من الليل

وأجمع العلماء أن وقت رمي الجمرات في أيام التشريق بعد الزوال إلى الغروب

حتى يأتي الغد فعليه أن يرميها وعليه دم ولا يجزئ في الجمار المدر ولا شيء غير الحجر وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق وقال أصحاب الرأي يجوز بالطين اليابس وكذلك كل شيء رماها من الأرض فهو يجزئ واختلف في قدر الحصى فقال الشافعي يكون أصغر من الأنملة طولا وعرضا وقال أبو ثور وأصحاب الرأي بمثل حصى الخذف وروينا عن ابن عمر أنه كان يرمي الجمرة بمثل بعر الغنم {لِمَنِ اتَّقَى} اِبَانْبَكَّاضْ ضَغْ اَسَتْرَبْدِي دَ التَّاخِيرْ دِي اِلَّيْ اِيوَيْكْصُوضَنْ اللهُ أي إن ذلك التخيير ورفع الإثم ثابت لمن اتقى لأن صاحب التقوى يحترز عن كل ما يريبه فكان أحق بتخصيصه بهذا الحكم {وَاتَّقُوا اللَّهَ} اِكْصَاضَطْ اللهُ أي في المستقبل {وَاعْلَمُوا} تَصَّنَمْ {أَنَّكُمْ} ءَاسْ كَوَنِي {إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} اَدُوتَتَوَشِيدَوَمْ سَرَسْ اَزَلْ ءَانْ تَبَدَّيْ اِرزَاوَنْ اَسْ مَازَاَلَنْ نَوَنْ فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى وهو عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (٢٠٣) ولمّا أمر الحق سبحانه عباده بالتقوى ذكر من لم يرفع بذلك رأسا واتبع هواه ومن امتثل أمره وباع نفسه لله فقال {وَمِنَ النَّاسِ} اِلَّيْ ضَغْ اَيْتيدَنْ {مَنْ يُعْجِبُك قَوْلُهُ} اِسْكَيْ تَظِّيكْرَظْ اَلْجَمَاتْ نيتْ {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ضَغْ تَمَدُّورْتْ تَانْ الدَّنيتْ أي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك حلاوة كلامه مما يتعلق بأمر الدنيا والإعجاب استحسان الشيء والميل إليه والتعظيم له لما ذكر سبحانه الذين قصرت همتهم على الدنيا في قوله "فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا" والمؤمنين الذين سألوا خير الدارين ذكر المنافقين لأنهم أظهروا الإيمان وأسروا الكفر قال السدي وغيره من المفسرين نزلت في الأخنس بن شريق واسمه أبي والأخنس لقب لقب به لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من

بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يأتي في "آل عمران" بيانه إن شاء الله وكان رجلا حلو القول والمنظر فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام وقال الله يعلم أنى صادق ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر قال المهدوي وفية نزلت "ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم" و"ويل لكل همزة لمزة" قال ابن عطية ما ثبت قط أن الأخنس أسلم وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو إضرارا وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة {وَيُشْهِدُ اللَّهَ} اِسَاكِيَاتْ اللهُ {عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} فَلْ اَوَتِّلَنْ ضَغْ اَوَلْنيتْ ءَاسْ اِنِيمَنَّكْ دَوَيْلَافَّضْ أي إنه يحلف على ذلك فيقول إني بك مؤمن ولك محب أو يقول الله يعلم أني أقول حقاً وأني صادق في قولي لك {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} سِكَادِي اَنْتَ اَمَظَّلَنْظِيلِي نَمِيصَصْ اَنْ تَمَظَاقْ اَتِّمُوصَنْ الاخنس بن شريق أي شديد الخصومة يقال رجل ألدّ وامرأة لَدَّاءُ وَهُمْ أَهْلُ لَدَدٍ وَقَدْ لَدِدْتَ بِكَسْرِ الدَّالِ تَلَدُّ بِالْفَتْحِ لَدَدًا أَيْ صِرْتَ أَلَدَّ (٢٠٤) {وَإِذَا تَوَلَّى} ءَامَرْ اِبَرَكْوَلْ غُورَكْ {سَعَى} اَدَازَلْ {فِي الْأَرْضِ} ضَغْ اَمَضَالْ {لِيُفْسِدَ فِيهَا} فَلْ اَدِفَاسَّدْ ضَغَسْ أي إذا أدبر وذهب عنك يا محمد صلى الله عليه وسلم والسعي يحتمل أن يكون المراد به السعي بالقدمين إلى ما هو فساد في الأرض كقطع الطريق وقطع الأرحام وحرب المسلمين وسفك دمائهم ويحتمل أن يكون المراد به العمل في الفساد وإن لم يكن فيه سعي بالقدمين كالتدبير على المسلمين بما يضرهم وأعمال الحيل عليهم وكل عمل يعمله الإنسان بجوارحه أو حواسه يقال له سعي وهذا هو الظاهر من هذه الآية {وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ} اِهَالَّكْ شِوَكَاسْ {وَالنَّسْلَ} دَ اَلْحَيَوَانْ من

عطف الخاص على العام فإن الفساد أعم من ذلك فيشمل سفك الدماء ونهب الأموال وغير ذلك والمراد بالحرث الزرع والنسل الأولاد {وَاللَّهُ} اللهُ {لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} وَرِيرَ اَلْفَسَادْ وَرْسَرَصِيرْضَا يشمل كل نوع من أنواعه من غير فرق بين ما فيه فساد الدين وما فيه فساد الدنيا (٢٠٥) {وَإِذَا قِيلَ لَهُ} ءَامَرَاسْ اِطَوَنَّا أي على سبيل النصيحة وهي مستأنفة أو معطوفة على يعجبك {اتَّقِ اللَّهَ} اِكْصَاضْ اللهُ أي خف الله في سرك وعلانيتك {أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ} اَتَّاوِي زَزْوَارْ اَنْ مَانْ {بِالْإِثْمِ} سَدَرَنْفُوِيِي نَ بَكَّاضْ وَسِتَوَامَرْ اَشِيَّتْ نيتْ العزة القوة والغلبة من عزه يعزه إذا غلبه ومنه "وعزني في الخطاب" وقيل العزة هنا الحمية والأنفة وقيل المنعة وشدة النفس والمعنى حملته العزة على فعل الإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه قاله الزمخشري وقيل الباء في قوله بالإثم بمعنى اللام أي أخذته الحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه وهو النفاق وقيل الباء بمعنى مع أي أخذته العزة مع الإثم وقيل للسببية أي إن إثمه كان سبباً لأخذ العزة له {فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ} وَدِي تيفَّارْتْ نيتْ جَهَنَّمَ اَلْمَعْنَى تَكْدَيْ تَمْسَيْ أي كافيه معاقبة وجزاء كما تقول للرجل كفاك ما حل بك وأنت تستعظم عليه ما حل به وحسب اسم فاعل وقيل اسم فعل {وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} تَلَّابَسْتْ نَصَفْطَغْ تَمُوصَطُو جَهَنَّمَ جمع المهد وهو الموضع المهيأ للنوم ومنه مهد الصبي وقيل اسم مفرد سمى به الفراش الموطأ للنوم وسميت جهنم مهاداً لأنها مستقر الكفار (٢٠٦) {وَمِنَ النَّاسِ} اِلَّيْ ضَغْ اَيْتيدَنْ {مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ} اِدِينِزَانْزَنْ اِمَانّيطْ {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} فَلْ اَكِمَايْ اَنْ تَرَضُوتْ نَ اللهُ اَتِّمُوصَنْ صُهَيْبْ بْنُ سِنَانْ ابتغاء نصب على المفعول من أجله ولما ذكر صنيع المنافقين ذكر بعده

صنيع المؤمنين يشري بمعنى يبيع أي يبيع نفسه في مرضاة الله كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال قتادة هم المهاجرون والأنصار ومثله قوله تعالى "وشروه بثمن بخس" وأصله الاستبدال ومنه قوله "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" والمرضاة الرضا قال ابن عباس نزلت في سرية الرجيع وكانت بعد أحد وفي البخاري تمام قصته عن حديث أبي هريرة فإن شئت فارجع إليه وقيل نزلت في علي رضي الله عنه حين تركه النبي صلى الله عليه وسلم على فراشه ليلة خرج إلى الغار على ما يأتي بيانه في "براءة" إن شاء الله تعالى وقيل الآية عامة تتناول كل مجاهد في سبيل الله أو مستشهد في ذاته أو مغير منكر {وَاللَّهُ} اللهُ {رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} اَمِيكَتْ اَنْ تَهَانِينْتْ ييكْلَانْ اَدِّي اَتَنِصَنَارْ سَوَسْ تُوتَلَّا ضَغَسْ تَرَضُوتْ نيتْ وجه ذكر الرأفة هنا أنه أوجب عليهم ما أوجبه ليجازيهم ويثيبهم عليه فكان ذلك رأفة لهم ولطفاً بهم ومن رأفته أن جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته أنه يقبل توبة عبده وأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها وأن المصر على الكفر ولو مائة سنة إذا تاب ولو لحظة أسقط عنه عقاب تلك السنين وأعطاه الثواب الدائم ومن رأفته أن نفس العباد وأموالهم له ثم إنه يشتري ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة وإحساناً وهذه أربعة أقسام اشتملت عليها تلك الآيات الكريمات أولها راغب في الدنيا فقط ظاهراً وباطناً والثاني راغب فيها وفي الآخرة كذلك والثالث راغب في الآخرة وفي الدنيا باطناً والرابع راغب في الآخرة ظاهراً وباطناً معرض عن الدنيا كذلك (٢٠٧) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَا وِنْدِي اَظَّكْظَنِّينْ هَا {ادْخُلُوا} اَكَّزَتْ {فِي السَّلْمِ} ضَغْ اَلِاسْلَامْ {كَافَّةً} كيتْنيتْ ضَغْ اَغْرُودْ نَ

الشَّرِيعَتَيِّيتْ لما ذكر سبحانه أن الناس ينقسمون إلى ثلاث طوائف مؤمنين وكافرين ومنافقين أمرهم بعد ذلك بالكون على ملة واحدة وإنما أطلق على الثلاث الطوائف لفظ الإيمان لأن أهل الكتاب مؤمنون بنبيهم وكتابهم والمنافق مؤمن بلسانه وإن كان غير مؤمن بقلبه والسلم بفتح السين وكسرها قال الكسائي معناهما واحد وكذا عند البصريين وهما جميعاً يقعان للإسلام والمسالمة وقال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الإسلام ثمانية أسهم الصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم والحج سهم والعمرة سهم والجهاد سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له في الإسلام "وكافة" حال من السلم أو من ضمير المؤمنين فمعناه على الأول لا يخرج منكم أحد وعلى الثاني لا يخرج من أنواع السلم شيء بل ادخلوا فيها جميعا أي في خصال الإسلام{وَلَا تَتَّبِعُوا} اَدْ وَرْتَتِيلَالَمْ {خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} طَارِّيينْ شِنْ دَاوَنِدَالِّكْ الشَّيْطَانْ أي لا تسلكوا الطريق التي يدعوكم إليها الشيطان وقيل لا تلتفتوا إلى الشبهات التي تلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية والأهواء المضلة لأن من تبع سنة إنسان فقد اتبع أثرهوقال مقاتل استأذن عبد الله بن سلام وأصحابه بأن يقرءوا التوراة في الصلاة وأن يعملوا ببعض ما في التوراة فنزلت "ولا تتبعوا خطوات الشيطان" فإن اتباع السنة أولى بعد ما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من خطوات الشيطان {إِنَّهُ} اِلّكَنَاسْ اَنْتَ الشَّيْطَانْ {لَكُمْ عَدُوٌّ} اَزَنْكَوْ نَوَنْ اَيْمُوصْ {مُبِينٌ} اَسِنِيفَالَنْ اَزَّنْكُو نّيتْ يَاوَنْ يعني الشيطان وأنه يحاول إيصال الضرر والبلاء إلينا (٢٠٨) {فَإِنْ زَلَلْتُمْ} كُدْ تَفْرَغَمْ فَلْ اِكُوزْ ضَغْ اَلِاسْلَامْ كيِتْنِيتْ أي تنحيتم عن طريق الاستقامة {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} دَقَّرْ

اَسْ كَوَنْدُوصَانْ الدَّلِيلَنْ نِفَالَلْنينْ ءَاسْ اَنْتَ اَلْحَقْ أي بالحجج الواضحة والبراهين الصحيحة على أن الدخول في الإسلام هو الحق {فَاعْلَمُوا} ءَادِيزَ اَصَّنَتْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {عَزِيزٌ} اَمَصَّرْنَيْ وِرْتِلَّ اِدَارِّكِدَلَنْ اَظَظَلْنيتْ ضَغْوَنْ غالب لا يعجزه شيء عن الانتقام وفي الآية دليل على أن عقوبة العالم بالذنب أعظم من عقوبة الجاهل به ومن لم تبلغه دعوة الإسلام لا يكون كافرا بترك الشرائع {حَكِيمٌ} نَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكِ لا ينتقم إلا لحق وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أو عنده شبهة في الدين (٢٠٩) ثم ذكر وعيد من خالف أمره فقال {هَلْ يَنْظُرُونَ} وَرَ اَسَّكِدَنْ وِنُويَّنِينْ اِكُوزْ ضَغْ اَلِاسْلاَمْ استفهام إنكاري أي ينتظرون يقال نظرته وانتظرته بمعنى والمراد هل ينتظر الزالون التاركون للدخول في الإسلام والمتبعون خطوات الشيطان فهو التفات إلى الغيبة للإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم {إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} ءَارْ اَتَنْ ضَاصُو اَلَمَرْ نَ اللهُ بما وعدهم من الحساب والعذاب استثناء مفرغ من مقدر أي ليس لهم شيء ينتظرونه إلا إتيان العذاب وهذا مبالغة في توبيخهم {فِي ظُلَلٍ} ضَغْ تَكِرَكِينْ جمع ظلة وهي ما يظلك وقيل ليس الكلام على ظاهره في حقه سبحانه وإنما المعنى يأتيهم أمر الله وحكمهوقال ابن عباس في رواية أبي صالح هذا من المكتوم الذي لا يفسر وقد سكت بعضهم عن تأويلها وتأولها بعضهموقيل الفاء بمعنى الباء أي يأتيهم بظلل ومنه الحديث "يأتيهم الله في صورة" أي بصورة امتحانا لهم ولا يجوز أن يحمل هذا وما أشبهه مما جاء في القرآن والخبر على وجه الانتقال والحركة والزوال لأن ذلك من صفات الأجرام والأجسام تعالى الله الكبير المتعال ذو الجلال والإكرام عن مماثلة

الأجسام علوا كبيرا قاله القرطبي {مِنَ الْغَمَامِ} اَنْ تَكْنَاوينْ أي السحاب الأبيض سمي بذلك لأنه يغم أي يستر وإنما أتاهم العذاب فيه لما أنه مظنة الرحمة فإذا أتى منه العذاب كان أفظع وأقطع للمطامع فإن إتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف بإتيانه من حيث يرجى منه الخير {وَالْمَلَائِكَةُ} ءَاصِنْتَنْدُو اَنْكَلُوسَنْ عطف على الاسم الجليل أي ويأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في إتيان أمره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقةوقال البغوي في تفسيره والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى ويعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة قال الكلبي هذا من المكتوم الذي لا يفسر وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون فيها وفي أمثالها أمروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلالله تعالى ورسوله {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} تَتَوَحْكَمْ طَالْغَا تَانَّهْلُوكْ نَسَنْ أي اتم أمر إهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} اللهُ اَسْزَّتَوَصُوغَلْنَتْ طَالْغوينْ أي أمور العباد في الآخرة لا إلى غيره والمراد من هذا إعلام الخلق أنه المجزي على الأعمال بالثواب والعقاب (٢١٠) ثم هدّد بنى إسرائيل على عدم دخولهم فى الإسلام أو على عدم تمسكهم بشرائعه كلها، فقال {سَلْ} سَصْطَنْ أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة إلى السين بعد حذفها واستغني عن همزة الوصل فصار سل {بَنِي إِسْرَائِيلَ} بَنِي إِسْرَائِيلْ

يا محمد صلى الله عليه وسلم

يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {كَمْ آتَيْنَاهُمْ} مَدَرُوكِّدَا اَوَتَنَكْفي {مِنْ آيَةٍ}
اِمُوصَنْ تَجَاجَبْتْ {بَيِّنَةٍ} تَنيفَالَلَتْ اَكِّتْنَتْ مِشَانْ سَمَّسْكَلَنْتَنَتْ اَكِنْتَنَتْ اَلْكفرْ
المأمور بالسؤال هو النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون هو كل
فرد من السائلين وهو سؤال تقريع وتوبيخ والمسؤول عنهم يهود
المدينة وكم في محل نصب بالفعل المذكور بعدها على أنها مفعول بآتى
ويجوز أن ينتصب بفعل مقدر دل عليه المذكور أي كم آتينا آتيناهم وقدر
متأخرا لأن لها صدر الكلام وهي إما استفهامية للتقرير أو خبرية للتكثير
ومن آية في موضع نصب على التمييز والآية هي البراهين التي جاء بها
أنبياؤهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بذلك الآيات
التي جاء بها موسى وهي تسع {وَمَنْ يُبَدِّلْ} اَنْتَ اِيسَمَّسْكَلَنْ {نِعْمَةَ اللَّهِ}
النِّعْمَةْ نَ اللهُ {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ} دَفَّرْ اَسْ تِيطُوصَا اِكَّا ضَغْ اَدَكْ
نَكُوضَانّيتْ اَلْكَفَرْ المراد بالنعمة هنا ما جاءهم من الآيات وقال ابن جرير
الطبري النعمة هنا الإسلام والظاهر دخول كل نعمة أنعم الله بها على كل
عبد من عباده كائناً من كان فوقع منه التبديل لها وعدم القيام بشكرها
ولا ينافي ذلك كون السياق في بني إسرائيل، أو كونهم السبب في النزول
لما تقرر من أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب {فَإِنَّ اللَّهَ}
وَدِي اِلّكَنَاسْ اللهُ {شَدِيدُ الْعِقَابِ} اَميصَصْ نَ اَلْعَذَابْ نيتْ فيه من
الترهيب والتخويف ما لا يقادر قدره نعوذ بالله من السلب بعد العطاء
ومن كفران النعم وحرمان الرضا (٢١١) ثم ذكر الحق جل جلاله سبب
هذا الحرمان وهو حب الدنيا فقال {زُيِّنَ} اِتوَدْلَكْ {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} اِيونْدِي
اَكْفَرْنينْ {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} تَمَدُّورْتْ تَانْ الدَّنيتْ سَدْلُوكْ نَ اَلظَّاهِرْنيتْ اَرَنْطَتْ
المزين هو الشيطان بأن وسوس لهم ومناهم الأماني الكاذبة وذلك

حقيقة كما قال السعد التفتازاني وجيء به ماضياً دلالة على أن ذلك وقع وفرغ منه أو المزين الأنفس المجبولة على حب العاجلة وزين مبني للمجهول {وَيَسْخَرُونَ} اَنْتَنَيْ سَاكَرْيَاضَنْ {مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} ضَغْ وِنْدِي اَظَّكِظَنّينْ فَلْ اكّنْظُو نَسَنْ شِلَاتْ اَنْ بِلَالْ اَدْ عَمَّارْ أي والحال أن أولئك الكفار يسخرون من المؤمنين لكونهم فقراء لا حظ لهم من الدنيا كحظ رؤساء الكفار وأساطين الضلال وذلك لأن عرض الدنيا عندهم هو الأمر الذي يكون من ناله سعيداً رابحاً ومن حرمه شقياً خاسراً وقد كان غالب المؤمنين إذ ذاك فقراء لاشتغالهم بالعبادة وأمر الآخرة وعدم التفاتهم إلى الدنيا وزينتها ولما وقع من الكفار ما وقع من السخرية بالمؤمنين رد الله عليهم بقوله {وَالَّذِينَ اتَّقَوْا} وِنْدِي اَسْلَكّنينْ اَلْكَفَرْ اَتَنِمُوصَنْ وِيِنْدَا {فَوْقَهُمْ} اَتَّمَلَنْ دَنَّكِسَنْ {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} اَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ والمراد بالفوقية هنا العلو في الدرجة لأنهم في الجنة والكفار في النار ويحتمل أن يراد بالفوق المكان لأن الجنة في السماء والنار في أسفل سافلين أو أن المؤمنين هم الغالبون في الدنيا كما وقع ذلك من ظهور الإسلام وسقوط الكفر وقتل أهله وأسرهم وتشريدهم، وضرب الجزية عليهم ولا مانع من حمل الآية على جميع ذلك لولا التقييد بكونه في يوم القيامة وفيه دلالة على أن فوقيتهم من أجل التقوى وفيه تحريضهم على الإتصاف به إذا سمعوا ذلك {وَاللَّهُ} اللهُ {يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ} اِهَاكُو وَصِرَ اَرَّظَغْ {بِغَيْرِ حِسَابٍ} وَرْنَلَا دَدِيقَّلْ ضَغْ اَلاَخِرَةْ مَدي الدَّنيتْ يحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن الله سبحانه سيرزق المستضعفين من المؤمنين ويوسع عليهم ويجعل ما يعطيهم من الرزق بغير حساب أي بغير تقدير لأن ما يدخل عليه الحساب فهو قليل ويحتمل أن المعنى أن الله يوسع على بعض عباده في الرزق

كما وسع

كما وسع على أولئك الرؤساء من الكفار استدراجاً لهم وليس في التوسعة دليل على أن من وسع عليه فقد رضي عنه ويحتمل أن يراد بغير حساب من المرزوقين كما قال تعالى "ويرزقه من حيث لا يحتسب" وقال ابن عباس في تفسيرها ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه

(٢١٢) ثم ذكر الحق تعالى حكمة بعثه الرسل فقال {كَانَ النَّاسُ} آلآنْتْ ثمس آيْتيدَنْ آسْتِزَارَتْ {أُمَّةً وَاحِدَةً} آمُوصَنْ تَمَتَّيْ إِيَّدًا فَلْ اَظَكْظَانْ اَضُوبَظَنْ غُرْ آدَمْ هَارْ إِدْرِيسْ مَدي هَارْ نُوحْ آدِّي آدَمَّزْرَيَنْ اِظَّكْظَنْ اَديسْ اِكْفَرْ آديسْ أي كانوا متفقين على دين واحد وهو الإسلام فاختلفوا واختلف في الناس فقيل هم بنو آدم حين أخرجهم الله نسماً من ظهر آدم عن أبيّ بن كعب قال كانوا أمة واحدة حين عرضوا على آدم ففطرهم على الإسلام وأقروا بالعبودية وكانوا مسلمين ثم اختلفوا من بعد آدم وقيل آدم وحده قاله مجاهد وسمى ناساً لأنه أصل النسل وقيل آدم وحواء وقيل المراد القرون الأولى التي كانت بين آدم ونوح وهي عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا قاله ابن عباسوقيل إن العرب كانت على دين إبراهيم إلى أن غيّره عمرو بن لحي وقيل كانوا من حين وفاة آدم إلى زمان نوح على الكفر والباطل بدليل قوله "فبعث الله النبيين" والحكم للغالب والأول أولى وقيل ليس في الآية ما يدل على أنهم كانوا على إيمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل المراد الإخبار عن الناس الذين هم الجنس كله أنهم أمة واحدة في خلوهم عن الشرائع وجهلهم بالحقائق لولا أن الله من عليهم بإرسال الرسل والأمة مأخوذة من قولهم أممت الشيء أي قصدته أي مقصدهم واحد غير مختلف {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ} اِزُوزَلْدُ اللهُ النَّبِيتَنْ سَرْسَنْ قيل الأنبياء جملتهم مائة

ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور منهم في القرآن باسمه العلم الموضوع له ثمانية وعشرون نبياً وهم آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذو الكفل وأيوب ويونس ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوّة الثلاثة {مُبَشِّرِينَ} تَابَشَّارْنينْ اِيونَظَّكِظَنّينْ سَ اَلْجَنَّةْ بالثواب لمن آمن وأطاع {وَمُنْذِرِينَ} اَكَّاتَنْ اَكُورَيْ اِيوِينَكْفَرْنينْ اَسْ تَمْسَيْ بالعقاب لمن كفر وعصى {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ} اِزَزَّبَدُّودَرْسَنْ {الْكِتَابَ} اَلْكَتَّابَنْ أي الجنسوقيل المراد به التوراة أو أنزل مع كل واحد الكتاب وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب كما قيل {بِالْحَقِّ} مِيسَلْسَنينْ دَ اَلْحَقْ أي الصدق والعدل {لِيَحْكُمَ} فَلْ اَدِحْكَمْ اللهُ سَ اَلْكَتَّابَنْ دِي {بَيْنَ النَّاسِ} كِرْ اَيْتِيدَنْ مَدي فَلْ اَدِحْكَمْ اَكُلّ نَ اَلنَّبِي سَ اَلْكَتَّابْ وَدِيزَّبِّينْ فَلَّاسْ كِرْ اَيْتِيدَنْ مسند إلى الكتاب في قول الجمهور وهو مجاز مثل قوله تعالى "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" وقيل إنّ المعنى ليحكم كل نبي بكتابه وقيل ليحكم الله {فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} ضَغْ اَوَسَمَّزْرَيَنْ ضَغَسْ أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه والضمير في قوله {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ} وَرِيمَّزْرَيْ ضَغْ الدِّينْ زَ يحتمل أن يعود إلى الكتاب ويحتمل أن يعود إلى المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله الزجاج ويحتمل أن يعود إلى الحق {إِلَّا الَّذِينَ} ءَارْ وِنْدِي {أُوتُوهُ} تَوَكْفَنينْ اَلْكَتَّابْ اَنْتَنَيْ اَسِظَّكِظَنْ اَديسْ اِكْفَرْ اَديسْ أي أوتوا الكتاب أو أوتوا الحق أو أوتوا النبي صلى الله عليه وسلم أي أعطوا علمه {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ}

آمَّرْزِيقْ

اَمَّزْرَيَنْ دقَّرْ اَسْتَنْ ضُوصَانْ الدَّلِيلَنْ نِفَالَنْ نينْ فَلْ تِيشِيتْ نَ اللهُ غَاسْنيتْ أي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو الحجج الظاهرة على التوحيد {بَغْيًا بَيْنَهُمْ} فَلْ طَضْلَمْتْ دَ اَنَمْنْجَاغْ كَرِيسَّنْ أي لم يختلفوا إلا للبغي أي الحسد والحرص على الدنيا وطلب ملكها وزخرفها أيهم يكون له الملك والمهابة في الناس {فَهَدَى اللَّهُ} اِصَّنَرْ اللهُ {الَّذِينَ آمَنُوا} وِنْدِي اَظَّكِّطَنِينْ أي أمة محمد صلى الله عليه وسلم {لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} سَرَطْ وَسَمَّزْرَيَنْ ضَغَسْ {مِنَ الْحَقِّ} اِمُوصَنْ اَلْحَقْ أي إلى الحق و"من" للبيان وقيل معناه فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم للتصديق بجميع الكتب بخلاف من قبلهم فإن بعضهم كذب كتاب بعض وقيل إن الله هداهم إلى الحق من القبلة وقيل هداهم ليوم الجمعة وقيل هداهم لاعتقاد الحق في عيسى بعد أن كذبته اليهود وجعلته النصارى رباً وقيل المراد بالحق الإسلام وقال الفراء إن في الآية قلباً وتقديره فهدى الذين آمنوا بالحق لما اختلفوا فيه واختاره ابن جرير وضعفه ابن عطية {بِإِذْنِهِ} سَاطَّاصْنيتْ قال الزجاج معناه بعلمه وقال النحاس هذا غلط والمعنى بأمره وإرادته {وَاللَّهُ} اللهُ {يَهْدِي} اِصَانَارْ {مَنْ يَشَاءُ} وَصِرَ اَصَنَرْنيتْ من عباده {إِلَى صِرَاطٍ} اَسْ طَارِّيتْ {مُسْتَقِيمٍ} تَظِيلَالَغْتْ أي طريق سوي (٢١٣) {أَمْ حَسِبْتُمْ} بَاتَّارْ ءَادِيسْ تُورْدَا ءَاتِكَمْ يَا اِمُومَنَنْ {أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ} اَتَّكَّزَمْ اَلْجَنَّةْ "حسبتم" معناه ظننتم قال قتادة والسدي وأكثر المفسرين نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحر والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد وقيل نزلت في حرب أُحُد نظيرها في آل عمران "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم"

وقالت فرقة نزلت الآية تسلية للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم "أم حسبتم" أم هنا منقطعة بمعنى بل وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيء بمثابة همزة الاستفهام يبتدأ بها الكلام فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والإنكار أي أحسبتم دخولكم الجنة واقعاً والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر وحثهم عليه وحسب هنا من أخوات ظن وقد تستعمل في اليقين {وَلَمَّا يَأْتِكُمْ} اَنْتَ وَرْكَوَنْضُوصَا {مَثَلُ الَّذِينَ} تُولَاتْ نَرَطْ وَدُّوصَنْ وِنْدِي {خَلَوْا} اَكْلَنينْ {مِنْ قَبْلِكُمْ} دَاتُوَنْ ضَغْ جَرَّبَاتَنْ تَظَظِيضَرَمْ اَمَّكْ اَظَّيْضَرَنْ الواو للحال ولما بمعنى لم أي والحال أنكم لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الأحوال الهائلة فتصبروا كما صبروا {مَسَّتْهُمُ} تَضَصْطَنْ استئناف بيان لقوله "مثل الذين خلوا" {الْبَأْسَاءُ} تَصُّوصْتْ تَانْ اَشْيِلْ {وَالضَّرَّاءُ} اَدْ تَصُّوصْتْ تَانْ طَوَرْنَا {وَزُلْزِلُوا} تَوَسَضَغَمْ ضَغَمَنْ الزلزلة شدة التحريك تكون في الأشخاص وفي الأقوال يقال زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالاً بالكسر فتزلزلت أي تحركت واضطربت فمعنى زلزلوا خوفوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً وحركوا بأنواع البلايا والرزايا {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ} هَارْ اِنَّا اَنَمَّازُولْ نَسَنْ من نصب فعلى الأصل لأن "حتى" تنصب الفعل ومن قرأ بالرفع أدخل "حتى" على جملة ما بعده لا على الفعل خاصة كأنه قال حتى الرسول يقول فلا يظهر عمل "حتى" قال الفرزدق فيا عجبا حتى كليب تسبني كأن أباها نهشل أو مجاشع {وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} اَدْ وِنْدِي اَظَّكْظَنّينْ دَرَسْ أي استمر ذلك إلى غاية هي قول الرسول ومن معه أي

صاحبوه

صاحبوه في الإيمان وحتى بمعنى إلى وأن مضمرة أي إلى أن يقول وهي غاية لما تقدم من المس والزلزال وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم وأصبر وأضبط للنفس عند نزول البلايا وكذلك أتباعهم من المؤمنين {مَتَى نَصْرُ اللَّهِ} اَمِّيْدُوظَاصُو اَلنَّصَارَ نَ اللهُ وَدَانَ اِرْكَوَلْ اِتَوَنَّاصَنْضُو متى ظرف زمان لا ينصرف إلا بجره بحرف والرسول هنا قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل شعياء وقيل هو كل رسول بعث إلى أمتهقال قتادة نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب وهي غزوة الخندق أصاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وأصحابه بلاء وحصر وقيل نزلت في غزوة أحد وقيل غير ذلك وقال ابن عباس أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم والمعنى أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ الحال في الشدة إلى هذه الغاية واستبطؤوا النصر قيل لهم {أَلَا} اَيْكِنَاسْ {إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ} اِلْكَنَاسْ اَلنَّصَارَ نَ اللهُ {قَرِيبٌ} اِهُوظْ ءَاصَّاتِّيتْ إجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المسلمين كذلك وتحملوا الأذى والشدة والمشقة في طلب الحق فإن نصره سبحانه قريب إتيانه لا بعيد (٢١٤) {يَسْأَلُونَكَ} سَاسْطَانَنْكَيْ مِيدَاوَنَّكْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم إن خففت الهمزة ألقيت حركتها على السين ففتحتها وحذفت الهمزة فقلت يسلونك ونزلت الآية في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا فقال يا رسول الله إن مالي كثير فبماذا أتصدق وعلى من أنفق فنزلت {مَاذَا يُنْفِقُونَ} دَرَطْ وَازَانَافَّقَنْ اَوَاكْ اَدْنَافَّقَنْ ضَغْ اَوَدَاسَنْدُو لَمِّيضَنْ كُودّي اَلْحَرَامْ مي غَنْتَا اَدْ نَافَّقَنْ

اَلْحَلَالْ غَاسْ اَدْ وَقَلْ ثُوزَنَافَّقَنْ "ما" في موضع رفع بالابتداء و"ذا" الخبر وهو بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم أي ما الذي ينفقونه وإن شئت كانت"ما" في موضع نصب ب"ينفقون" و"ذا" مع "ما" بمنزلة شي واحد ولا يحتاج إلى ضمير قيل إن السائلين هم المؤمنون سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو أي ما قدره وما جنسه {قُلْ} اَنَّاصَنْ {مَا أَنْفَقْتُمْ} ءَاتَنْفَقَمْ {مِنْ خَيْرٍ} اِمُوصَنْ اَلْحَلَالْ اَدَرُوكِّدَا إلى آخره فَأُجِيبُوا ببيان الْمَصْرِفِ الذي يصرفون فيه تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد لأن الشيء لا يعتد به إلا إذا وضع في موضعه وصادف مصرفه وقيل إنه قد تضمن الآية بيان ما ينفقونه وهو كل خير"وما" شرطية وقيل موصولة والأول أولى لتوافق ما بعدها {فَلِلْوَالِدَيْنِ} ءَادِيزَ اَكْفَتُّو اِيمَرْوَنْ قدمهما لوجوب حقهما على الولد لأنهما السبب في وجوده قال مالك ليس عليه أن يزوج أباه وعليه أن ينفق على امرأة أبيه كانت أمه أو أجنبية وإنما قال مالك ليس عليه أن يزوج أباه لأنه رآه يستغني عن التزويج غالبا ولو احتاج حاجة ماسة لوجب أن يزوجه ولولا ذلك لم يوجب عليه أن ينفق عليهما فأما ما يتعلق بالعبادات من الأموال فليس عليه أن يعطيه ما يحج به أو يغزو وعليه أن يخرج عنه صدقة الفطر لأنها مستحقة بالنفقة والإسلام {وَالْأَقْرَبِينَ} اَدْ نَمّيهَظَنْ قدمهم لأن الإنسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم ولأنهم أبعاض الوالدين {وَالْيَتَامَى} اَدْ كُوكِيلَنْ لأنهم لا يقدرون على الكسب ولا لهم منفق{وَالْمَسَاكِينِ} اَدْ تَلَقَّاوِينْ {وَابْنِ السَّبِيلِ} اَدْ مَشُوكَالْ اَنْتَتَيْ أُوكِرْنِينْ ءَارَّايْ سَرَسْ أي هم أولى به وانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق كيف فصله ثم أتبعه بالإجمال فقال {وَمَا

تَفْعَلُوا} مِشَأْن ءَاتَمُوزَلَمْ {مِنْ خَيْرٍ} اِمُوصَنْ اَمَازَالْ اَنْ تَلِيلْتْ اَيْقَّلْ أي مع هؤلاء أو غيرهم طلباً لوجه الله ورضوانه {فَإِنَّ اللَّهَ} ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ {بِهِ عَلِيمٌ} اَمُوصَنْ ضَغَسْ دَاوَنِرَزْ فَلَّاسْ فيجازيكم عليهوقال ابن زيد هذا في النفل أي التطوع وهو ظاهر الآية فمن أحب التقرب إلى الله بالإنفاق فالأولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الأول فالأول ولم يذكر فيها السائلين والرقاب كما في الآية الأخرى اكتفاء بها أو بعموم قوله "وما تفعلوا من خير" فإنه شامل لكل خير وقع في أي مصرف قوله تعالى قل ما أنفقتم "ما" في موضع نصب ب"أنفقتم" وكذا "وما تنفقوا" وهو شرط والجواب "فللوالدين" وكذا "وما تفعلوا من خير" شرط وجوابه "فإن الله به عليم" (٢١٥) {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} اِتِيوَصَفْرَضْ فَلَّاوَّنْ اَنَمَنْقَا اَدْ كُوفَارْ {وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} سِكَّادِي اَنْتَ اِتِيوَكْصَنْ غُرْوَنْ ضَغْ تيزْنَيْ دَا فَلْ اَلْمَشَقَّةْ بين سبحانه أن هذا أي فرض القتال عليهم من جملة ما امتحنوا به والمراد بالقتال قتال الكفار والكره بالضم المشقة وبالفتح ما أكرهت عليه ويجوز الضم في معنى الفتح فيكونان لغتين وإنما كان الجهاد كرهاً لأن فيه إخراج المال ومفارقة الأهل والوطن والتعرض لذهاب النفس وفي التعبير بالمصدر وهو كره مبالغة قيل الجهاد فرض على كل مسلم ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً" أخرجه أبو داود بزيادة فيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا" وقيل الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم وبه قال الثوري والأوزاعي والأول أولى

والجمهور على أنه فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين وقيل فرض عين إن دخلوا بلادنا وفرض كفاية إن كانوا ببلادهم {وَعَسَى} اَنْتَ اِهَامِيجَا {أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا} اَتَّكْصَنَمْ اَرَطْ قيل عسى هنا بمعنى "قد" روي ذلك عن الأصم وقال أبو عبيدة عسى من الله إيجاب والمعنى عسى أن تكرهوا الجهاد طبعاً لما فيه من المشقة وأما شرعاً فهو محبوب وواجب {وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} سِيكَادِي اَنْتَ اُوفَا وَنْ فربما تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ومن مات شهيداً والواو للحال {وَعَسَى} اِهَامِيجَا {أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا} اَطِّيرِيمْ اَرَطْ أي الدعة وترك القتال {وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} سِكَادِي اَنْتَ اِمُوصْ اَلشَّرْ يَاوَنْ فربما يتقوى عليكم العدو فيغلبكم ويقصدكم إلى عقر دياركم فيحل بكم أشد مما تخافونه من الجهاد الذي كرهتم مع ما يفوتكم في ذلك من الفوائد العاجلة والآجلة {وَاللَّهُ} اللهُ {يَعْلَمُ} اِصَّانْ اَوُوفَنْ يَاوَنْ ما فيه صلاحكم وفلاحكم وما هو خير لكم وما في الجهاد من الغنيمة والأجر والخير فلذلك يأمركم به {وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} كَوَنِي وَرْتُوتَصّينَمْ ءَادِيزَ سَتْرَبَتْ سَوَسْكَوَنُومَرْ اللهُ ذلك ولذلك تكرهونه قيل إنها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين وقيل منسوخة لأن فيها وجوب الجهاد على الكافة والناسخ قوله تعالى "وما كان المؤمنون لينفروا كافة" وقيل إنها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها إيجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه، والمنسوخ إيجاب الجهاد على الكافة وقال الحسن في معنى الآية لا تكرهوا الملمات الواقعة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تحبه فيه عطبك (٢١٦) {يَسْأَلُونَكَ} سَاصْطَانَنْكَيْ كُوفَارْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ} فَلْ تَلِّيتْ تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه وروى أبو اليسار عن جندب بن

عبد الله

عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الحارث أو عبيدة بن الحارث فلما ذهب لينطلق بكى صبابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال ولا تكرهنّ أصحابك على المسير فلما بلغ المكان قرأ الكتاب فاسترجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله قال فرجع رجلان ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب فقال المشركون قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى "يسئلونك عن الشهر الحرام" الآية {قِتَالٍ فِيهِ} اَنَمَنْقًا ضَغَسْ اَدَرْكَيْصَاصْطَاَنْ "قتال" بدل عند سيبويه بدل اشتمال لأن السؤال اشتمل على الشهر وعلى القتال أي يسألك الكفار تعجبا من هتك حرمة الشهر فسؤالهم عن الشهر إنما كان لأجل القتال فيه {قُلْ} اَنَّاصَنْ {قِتَالٌ فِيهِ} اَنَمَنْقًا ضَغَسْ {كَبِيرٌ} اِيزُوَّرَنْ ضَغْ اَبَكَّاضْ غُرْ اللهُ ابتداء وخبر أي القتال فيه أمر كبير مستنكر والشهر الحرام المراد به الجنس وقد كانت العرب لا تسفك فيه دماء ولا تُغِيرُ على عدو والأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد {وَصَدٌّ} مِشَانْ ايويغْ وَاتَكَمْ اَيْتيدَنْ {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} فَلْ طَارّيتْ نَ اللهُ أي صدكم المسلمين عن الحج أو صدكم عن الإسلام من يريده {وَكُفْرٌ بِهِ} دَ اَلْكَفَرْ وَاتَكَمْ سَ اللهُ الضمير يعود إلى الله، وقيل إلى الحج {وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} دَويغْ وَاتَتَاكَّمْ فَلْ تَمَزْكِدًا تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه أي وصدكم عنه قاله الزمخشري {وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ} دَصَكِّمَضْ نَوَنْ مَصَّاوَصْ ضَغَسْ اَتَنَمُوصَنينْ النبي صلى الله عليه وسلم اَدْ مُومَنَنْ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وإنما جعلهم الله أهله

لأنهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين ومعنى الآية الذي ذهب إليه الجمهور إنكم يا قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام وما تفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام ومن الكفر بالله ومن الصد عن المسجد الحرام ومن إخراج أهل الحرم منه {أَكْبَرُ} أوكِرْ تَزَّوَّرْتْ جرماً {عِنْدَ اللَّهِ} غُرْ اللهُ ضَغْ اَبَكَّاضْ ضَغْ اَنَمَنْغَا ضَغَسْ وسبب النزول يشهد لهذا المعنى ويفيد أنه المراد فإن السؤال منهم المذكور في هذه الآية هو سؤال إنكار لما وقع من السرية التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الأمور أعظم ذنباً وأشد إثماً من القتال في الشهر الحرام {وَالْفِتْنَةُ} اَلْكَفَرْ وَاتَكِمْ {أَكْبَرُ} أوكِرْ تَزَّوَّرْتْ {مِنَ الْقَتْلِ} ضَغْ تَنَغَيْنَوَنْ ضَغْ تَلِّيتْ تَاتَلَتْ اَلْحُرْمَه المراد بالفتنة هنا الكفر والشرك قاله ابن عمر أي كفركم أكبر من القتل الواقع من السرية التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالفتنة الإخراج لأهل الحرام منه وقيل المراد بالفتنة هنا فتنتهم عن دينهم حتى يهلكوا أي فتنة المستضعفين من المؤمنين أو نفس الفتنة التي الكفار عليها وهذا أرجح من الوجهين الأولين لأن الكفر والإخراج قد سبق ذكرهما وإنهما مع الصد أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام واختلف العلماء في نسخ هذه الآية فالجمهور على نسخها وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح واختلفوا في ناسخها فقال الزهري نسخها "وقاتلوا المشركين كافة" وقيل نسخها غزو النبي صلى الله عليه وسلم ثقيفا في الشهر الحرام وإغزاؤه أبا عامر إلى أوطاس في الشهر الحرام قيل إنها محكمة وإنه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام إلا بطريق الدفع وقيل منسوخة بقوله "اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" وبقوله "قاتلوا المشركين

كافة" وبه قال الجمهور {وَلَا يَزَالُونَ} وَرْزَمَّزَيْنْ كُوفَارْ {يُقَاتِلُونَكُمْ} اِدَرْ وَنْ تِينَمَنْقِينْ يَا اِمُومَنَنْ ابتداء كلام يتضمن الإخبار عن الله عز وجل للمؤمنين بأن هؤلاء الكفار والمشركين لا يزالون مستمرين على قتالكم وعداوتكم {حَتَّى يَرُدُّوكُمْ} هَارْ كَوَنَسُّوغَلَنْ {عَنْ دِينِكُمْ} فَلْ الدِّينُّوَنْ سَ اَلْكَفَرْ أي الإسلام إلى الكفر {إِنِ اسْتَطَاعُوا} كُدْ اَفْرَاكِنْ ءَادِي ذلك وتهيأ لهم منكم والتقييد بهذا الشرط مشعر باستبعاد تمكنهم من ذلك وقدرتهم عليه ثم حذر الله سبحانه المؤمنين من الاغترار بالكفار والدخول فيما يريدونه من ردهم عن دينهم الذي هو الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين فقال {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ} اِيمَرْتَدَّنْ ضَغْوَنْ {عَنْ دِينِهِ} فَلْ اَدّينّيتْ {فَيَمُتْ} اِمُّوطْ {وَهُوَ كَافِرٌ} اَنْتَ اِمُوصْ اَكَافَرْ وَالعياذ بالله {فَأُولَئِكَ} وِنْدِي {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} اَبْطَالَنْ مَازَالَنْ نَّسَنْ وِنْهُوصِّينِينْ الردة الرجوع عن الإسلام إلى الكفر والتقييد بالكفر يفيد أن عمل من ارتد إنما يبطل إذا مات على الكفر وأما إذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من أحكام الردةوفي هذه الآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام {فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} ضَغْ الدّنيتْ دَ اَلاخِرَةْ وَرِيتَوَشِضِينْ سَرْسَنْ أي لا يبقى له حكم المسلمين في الدنيا فلا يأخذ شيئاً مما يستحقه المسلمون من الميراث وغيره ولا يظفر بحظ من حظوظ الإسلام ولا ينال شيئاً من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام ويستحقه أهله وقد اختلف أهل العلم في الردة هل تحبط العمل بمجردها أم لا تحبط إلا بالموت على الكفر والواجب حمل ما أطلقته الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من التقييدوفي القرطبي قال الشافعي إن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يحبط عمله ولا حجه الذي فرغ منه بل إن مات على الردة فحينئذ تحبط أعماله وقال مالك

تحبط بنفس الردة ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم فقال مالك يلزمه الحج لأن الأول قد حبط بالردة وقال الشافعي لا إعادة عليه لأن عمله باق واستظهر علماؤنا بقوله تعالى "لئن أشركت ليحبطن عملك" قالوا وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته لأنه عليه السلام يستحيل منه الردة شرعا{وَأُولَئِكَ} وِنْدِي {أَصْحَابُ النَّارِ} اَنْتَنَيْ مَصَّاوَصْ اَنْتَمْسَيْ يعني الذين ماتوا على الردة والكفر {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} اَنْتَنَيْ اَدَغْلَلَنْ ضَغَسْ أي لا يخرجون منها أبداً(٢١٧) {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} اِلّكَنَاسْ وِنْدِي اَظَّكِظَنّينْ {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا} اَدْ وِنْدِي اَهُّوجَرْنينْ اَقّبَنْ اِغَوْنَاتَنْ نَسَنْ فَلْ اللهُ {وَجَاهَدُوا} مَجَاهَدَنْ {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ طَارّيتْ نَ اللهُ فَلْ اَتْكُولْ اَنْ تَاوَالْتْ تَانْ اللهُ الهجرة معناها الانتقال من موضع إلى موضع وترك الأول لإيثار مكاني والهجر ضد الوصل والتهاجر التقاطع والمراد بها هنا الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام {أُولَئِكَ} وِنْدِيزَ {يَرْجُونَ} أُورْدَانْ أي يطمعون وإنما قال يرجون بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ والرجاء الأمل يقال رجوت فلاناً أرجوه رجاء وهو ضد اليأس وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قوله تعالى "ما لكم لا ترجون لله وقاراً" أي لا تخافون عظمة اللهقال قتادة أثنى الله على أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الثناء في هذه الآية وهم خيار هذه الأمة ثم جعلهم أهل رجاء ومن رجا طلب ومن خاف هرب {رَحْمَتَ اللَّهِ} ءَارُوزْ نَ اللهُ اتَّكِّرَوَنْ ضيغينْ أخبر أنهم على رجاء الرحمة وقد كتبت "رحمة" هنا بالتاء وهي في القرآن في سبعة مواضع {وَاللَّهُ} اللهُ {غَفُورٌ} اَنَصّيرَفْ يِمُومَنَنْ لذنوب عباده

{رَحِيمٌ} نَمَهِّينَنْ يَاسَنْ بهم بإجزال الأجر (٢١٨) {يَسْأَلُونَكَ} ربع
صَاصْطَانَنْكَيْ مِيدَاوَنَّكْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم {عَنِ الْخَمْرِ} فَلْ أُوسْمَدْ السائلون المؤمنون فقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن عمر أنه قال اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فإنها تذهب بالمال والعقل فنزلت يعني هذه الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت التي في سورة النساء "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فكان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة أن لا يقربن الصلاة سكران فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ فهل أنتم منتهون قال عمر انتهينا انتهينا والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر ومنه خمار المرأة وكل شيء غطى شيئاً فقد خمره ومنه "خمروا آنيتكم" وسمي خمرا لأنه يخمر العقل أي يغطيه ويستره {وَالْمَيْسِرِ} دَنَغْلَابْ صَاصْطَانَنْكَيْ دَ اَلْحَكُومْ نَسَنْ مصدر ميمي مأخوذ من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه يقال يسر لي كذا إذا وجب والياسر اللاعب بالقداح والمراد بالميسر في الآية قمار العرب بالأزلام قال جماعة من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كل شيء فيه قمار من نرد أو شطرنج أو غيرهما فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب إلا ما أبيح من الرهان في الخيل والقرعة في إفراز الحقوق وقال مالك الميسر ميسران ميسر اللهو وميسر القمار فمن ميسر اللهو النرد والشطرنج والملاهي كلها وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه وكل ما قومر به فهو ميسر كالطاب والمنقلة والطاولة وغيرها وسيأتي البحث مطولاً في هذا في

سورة المائدة عند قوله "إنما الخمر والميسر" إن شاء الله تعالى {قُلْ} اَنَّاصَنْ {فِيهِمَا} اِلَّيْ ضَغْ اِيكِي نَسَنْ طيصَّيْ نُوسْمَدْ دِيكِي نَ اَلْمَيْسِرْ {إِثْمٌ كَبِيرٌ} اَبَكَّاضْ زُوَّرَنْ يعني في الخمر والميسر فإثم الخمر أي إثم تعاطيها ينشأ من فساد عقل مستعملها فيصدر عنه ما يصدر عن فاسد العقل من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه وأما إثم الميسر أي إثم تعاطيه فما ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال في غير طائل والعداوة وإيحاش الصدور {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} اَطَّنْفَاوِينْ يَيْتِيدَنْ أما منافع الخمر فربح للتجارة فيها وقيل ما يصدر عنها من الطرب واللذة والنشاط والفرح وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة وقوة الباه وتصفية اللون وحمل البخيل على الكرم وزوال الهم وهضم الطعام وتشجيع الجبان وقد أشار شعراء العرب إلى شيء من ذلك في أشعارهم ومنافع الميسر مصير الشيء إلى الإنسان بغير تعب ولا كد وما يحصل من السرور والأريحية عند أن يصير له منها سهم صالح وسهام الميسر أحد عشر منها سبعة لها فروض على عدد ما فيها من الخطوط وهي الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافر والمسبل والمعلى والسفح والوغد والضعف والجزور ولا نطول بذكر علاماتها وأحوالها {وَإِثْمُهُمَا} اَبَكَّاضْ وَتِيلَّنْ ضَغْ اِيكِي نَسَنْ {أَكْبَرُ} أوكِرْ تَزَوَّرْتْ {مِنْ نَفْعِهِمَا} ضَغْ طَنْفَا نَّسَنْ أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر وإن كان فيهما نفع فالإثم الذي يلحق متعاطيهما أكثر من هذا النفع لأنه لا خير يساوي فساد العقل الحاصل بالخمر فإنه ينشأ عنه من الشرور ما لا يأتي عليه الحصر وكذلك لا خير في الميسر يساوي ما فيها من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر واستجلاب العداوات المفضية إلى سفك الدماء وهتك

الحرم

الحرم وقد وردت في تحريم الخمر ووعيد شاربها أحاديث كثيرة {وَيَسْأَلُونَكَ} صَاصْطَانَنْكَيْ {مَاذَا يُنْفِقُونَ} مَدَرُوكْدَا اَكيتْ وَازَنَافَّقَنْ ضَغْ تَكُوطَيْ عطف على يسألونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة أي أي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح أيضا سأل أولا من أي جنس ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانيا من أي أصنافها ننفق أمن خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منه فقيل {قُلِ} اَنَّاصَنْ {الْعَفْوَ} نَافَّقَتْ اَوَدِيكُّولَزَنْ دَفَّرْ اَلضَّرُورْ نَوَنْ قراءة الجمهور بالنصب وقرأ أبو عمرو وحده بالرفعوالعفو ما سهل وتيسر ولم يشق على القلب والمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تجهدوا فيه أنفسكم وقيل هو ما فضل عن نفقة العيال وقال جمهور العلماء هو نفقات التطوع وقيل إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة وقيل هي محكمة وفي المال حق سوى الزكاة {كَذَلِكَ} اَمَّكْ اَسْ دَاوَنِسَنَّفَالَنْ اللهُ اَوَدِّيتَّمَلَنْ دَا {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ} اَسْ دَاوَنِسِينَفِلِيلْ {الْآيَاتِ} اَلَايَتِينَّيتْ كُولْ أي مثل هذا التبيين الذي ذكرنا "يُبين" لكم الآيات حتى لا يترك لكم إشكالاً ولا وهماً {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} اَنْكِمَاكْ كَوَني اَتَّصَامَضْرَنَمْ بعقولكم وتأخذون بما يعود نفعه عليكم فتتفكرون (٢١٩) {فِي الدُّنْيَا} ضَغْ طَالْغَا تَانْ اَلدَّنيتْ {وَالْآخِرَةِ} اَتَّانْ اَلاخِرَةْ اَتَّتَاكِّيمْ اَرَطْ وَدَاوَنُوفَنْ ضَغَسْنَتْ أي في أمرهما فتحبسون من أموالكم ما تصلحون به معايش دنياكم وتنفقون الباقي في الوجوه المقربة إلى الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في الدنيا وزوالها وفي الآخرة وبقائها فترغبون عن العاجلة إلى الآجلة قال بعض الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من

طين يبقى لكان ينبغي للعاقل أن يختار ما يبقى على ما يفنى لا سيما والأمر بالعكس الدنيا من طين يفنى والآخرة من ذهب يبقى فلا يختار هذه الدار إلاَّ أحمق خسيس الهمة وبالله التوفيق {وَيَسْأَلُونَكَ} صَاصْطَانَنْكَيْ {عَنِ الْيَتَامَى} فَلْ كُوكِيلَنْ دَوَدَرْ طَامَنَايَنْ ضَغْ اَلْحَرَجْ ضَغْ طَالَغَانَّسَنْ {قُلْ} اَنَّاصَنْ {إِصْلَاحٌ لَهُمْ} اَمَكْنَوْ بِيكُوكِيلَنْ ضَغْ هَرْوَانْ نَسَنْ سَشِيتِي نَسَنْ دَ سَرْطِي دَرْسَنْ {خَيْرٌ} اَوْفَا ضَغْ شِيَّتْ نَادِي هذه الآية نزلت بعد نزول قوله تعالى "ولا تقربوا مال اليتيم" وقوله "إن الذين يأكلون أموال اليتامى" وقد ضاق على الأولياء الأمر فنزلت هذه الآية والمراد بالإصلاح هنا مخالطتهم على وجه الإصلاح لأموالهم فإن ذلك أصلح من مجانبتهم وفي ذلك دليل على جواز التصرف في أموال الأيتام من الأولياء والأوصياء بالبيع والمضاربة والإجارة ونحو ذلك وقيل أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع عليه من طعامه ولا يأخذ أجرة ولا عوضاً على إصلاح أمواله {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ} كُدْ تَصَّرْطَيَمْ اَلنَّفَقَةْ تَانَّوَنْ اَتَّنَّسَنْ {فَإِخْوَانُكُمْ} ءَادِيزَ اَنْتَنَيْ اِشَقَّاغَنْ نَوَنْدَا ءَامُوصَنْ اَشَقَّاغْ اَصَرْطِي دَيْتَاكِْ دَشَقَّاغْ خبر مبتدأ محذوف أي فهم إخوانكم والفاء جواب الشرط اختلف في تفسير المخالطة لهم فقال أبو عبيدة مخالطة اليتامى أن يكون لأحدهم المال ويشق على كافله أن يفرد طعامه عنه ولا يجد بداً من خلطه بعياله فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالتحري فيجعله مع نفقة أهله وهذا قد تقع فيه الزيادة والنقصان فدلت هذه الآية على الرخصة وقيل المراد بالمخالطة المعاشرة للأيتام وقيل المراد بها المصاهرة لهم والأولى عدم قصر المخالطة على نوع خاص بل يشمل كل مخالطة كما يستفاد من الجملة الشرطية والتقدير فهم إخوانكم في الدين {وَاللَّهُ} اللهُ {يَعْلَمُ

الْمُفْسِدَ} اِصَّانْ وَاسْ اَلنِّيَةْ نيتْ ءَاخْشُودْ نَهَرَيْ نِكُوكِيلْ لأموالهم بمخالطته {مِنَ الْمُصْلِحِ} ضَغْ وَاسْ اَلنِّيَةْ نيتْ اَمكْنَوْ نَهَرَيْ نِكُوكِيلْ اَدِيرَزْ يَكُلَّ نِيَنْ ضَغْسَنْ سَمَازَالْنيتْ بها تحذير للأولياء أي لا يخفى على الله من ذلك شيء فهو يجازي كل أحد بعمله من أصلح فلنفسه ومن أفسد فعليها ففيه وعد ووعيد خلا أن في تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} النَّارْ اِرَاللهُ ءَادِي {لَأَعْنَتَكُمْ} اَدِظَّكْرَظْ فَلَّاوَّنْ سَسَحْرَمْ نَصَرْطِي دَرْسَنْ أي جعل ذلك شاقاً عليكم ومتعباً لكم وأوقعكم فيما فيه الحرج والمشقة {إِنَّ اللَّهَ} اِلْكَنَاسْ اللهُ {عَزِيزٌ} اَنَاغْلِبْ فَلْ اَلْمَرْنيتْ أي لا يمتنع عليه شيء لأنه غالب لا يغالب {حَكِيمٌ} نَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكْ يتصرف في ملكه بما تقتضيه مشيئته وحكمته وليس لكم أن تختاروا لأنفسكم (٢٢٠) {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ} اَدْوَرْتَزَالَّفَمْ يَا اِنَسْلَمَنْ شِكُوفَارْ وَرْنَمُوصْ اَشَيِّتْ اَلْكَتَّابْ أي لا تتزوجوا والمراد بالنكاح العقد لا الوطء حتى قيل إنه لم يرد في القرآن بمعنى الوطء أصلاً {حَتَّى يُؤْمِنَّ} هَارْ اَظَّكِّظَنَّتْ حتى بمعنى إلى أي إلى أن يؤمنَّ وفي هذه الآية النهي عن نكاح المشركات فقيل المراد بها الوثنيات وقيل إنها تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية فقالت طائفة إن الله حرم نكاح المشركات فيها والكتابيات من الجملة ثم جاءت آية المائدة فخصصت الكتابيات من هذا العموم {وَلَأَمَةٌ} اَيْكَنَاسْ تَاكْلِيتْ {مُؤْمِنَةٌ} تَظِّيكْظَنَظْ {خَيْرٌ} طُوفَا {مِنْ مُشْرِكَةٍ} ضَغْ تَكَافَرْتْ اَنْ تَلَّيتْ أي ولرقيقة مؤمنة أنفع وأصلح وأفضل من حرة مشركة {وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ} وَلَاغَاسْ تَظِّيكْرَظْكَوَنْ فَلْ تَهُوصَّايْنيتْ دَهَرَيْنيتْ المشركة من جهة كونها ذات جمال أو مال أو نسب أو شرف

وهذه الجملة حالية قال السيوطي وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" {وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ} اَدْ وَرْتَزَازْلَافَمْ اِكُوفَارْ شِيمُومَنِينْ أي لا تزوجوا الكفار بالمؤمنات خطاب للأولياء {حَتَّى يُؤْمِنُوا} هَارْ اَظَّكِّظَنَنْ قال القرطبي وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام {وَلَعَبْدٌ} اَيْكِنَاس ءَاكْلِي{مُؤْمِنٌ} اِظِيكِّظَنَنْ {خَيْرٌ} أوفَا {مِنْ مُشْرِكٍ} ضَغْ اَكَافَرْ اِمُوصَنْ اَلّلِي {وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ} وَلَاغَاسْ اِظِّكِّرَظْكَوَنْ اَهَرَيْنيتْ اَتَّهُوصَّايْنِيتْ أي بحسنه وجماله ونسبه وماله {أُولَئِكَ} وِنْدِي اَتِنمُوصَنْ كَلْ اَلْكَفَرْ إشارة إلى المشركين والمشركات {يَدْعُونَ} غَارّنْ اَيْتِيدَنْ {إِلَى النَّارِ} سَمَازَالْ وَتَنْزَكِينْ ضَغْ تَمْسَيْ ضَغَادِي وَرِينَهَكَّا اَنْزَلَافْ دَرْسَنْ أي إلى الأعمال الموجبة للنار فكان في مصاهرتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن يتعرضوا له ويدخلوا فيه {وَاللَّهُ} اللهُ {يَدْعُو} اِغَارّو فَلْ اِلَسَاوَنْ اَنَّمُوزَالْنيتْ {إِلَى الْجَنَّةِ} سَمَازَالْ وَكَوَنْزَاوِيَنْ سَ اَلْجَنَّةْ {وَالْمَغْفِرَةِ} دَمَازَالْ وَسْدَاوَنْ زِصّورَفْ اللهُ سَسَّبَابْنِيت أي إلى الأعمال الموجبة للجنة {بِإِذْنِهِ} سَاطَّاصْنِيتْ ضَغْ ءَادِي تُوّدْجَبْ تَكَوينْتْ يَ اللهُ سَرَزْلَفْ نَلْوَلِيتَنّيتْ أي بأمره قاله الزجاج وقيل بتيسيره وتوفيقه قاله في الكشاف فتجب إجابته بالتزويج من أوليائه وهم المسلمون {وَيُبَيِّنُ} اِيسِينَفْلِيلْ اللهُ {آيَاتِهِ} اَلَايَتِينّيتْ {لِلنَّاسِ} يَيْتِيدَنْ {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} اَنْكِمَاكْ اَنْتَنَيْ اَدَابَظَنْ اَلْمَاعِظَا أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه لعلهم يتعظون (٢٢١) {وَيَسْأَلُونَكَ} صَاصْطَانَنْكَيْ {عَنِ الْمَحِيضِ} فَلْ اَلْحَيْضَ مَيْتَاوَكِّنْ اِيتَضُوضِينْ ضَغَسْ ذكر الطبري عن السدي أن السائل ثابت بن الدحداح وقيل أسيد بن

حضير

حضير وعباد بن بشر وهو قول الأكثرين وسبب السؤال فيما قال قتادة وغيره أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنّوا بسنة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها فنزلت هذه الآية والمحيض هو الحيض وهو مصدر ميمي يقال حاضت المرأة حيضاً ومحيضاً {قُلْ} اَنَّاصَنْ {هُوَ} اَنْتَ اَلْحَيْضَ {أَذًى} اِسَّكْلَافْ أي شيء يتأذى به أي برائحته والأذى كناية عن القذر {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ} اَسْلَكِتْ شِيضُوضِينْ {فِي الْمَحِيضِ} ضَغْ الزَّمَانْ وِنْ اَلْحَيْضَ أي فاجتنبوهن واتركوا وطأهن في زمان الحيض إن حمل المحيض على المصدر أو في محل الحيض إن حمل على الاسم والمراد من هذا الاعتزال ترك المجامعة لا ترك المجالسة أو الملابسة فإن ذلك جائز بل يجوز الاستمتاع منها بما عدا الفرج أو بما دون الإزار على خلاف في ذلكولا خلاف بين أهل العلم في تحريم وطء الحائض وهو معلوم من ضرورة الدينوأجمع العلماء على أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة لحديث معاذة قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية أنت قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة خرجه مسلم {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ} اَتَنْتَوْرْطِيهَاظَمْ بالجماع {حَتَّى يَطْهُرْنَ} هَارْ اِيزْدَاكِا ضَغْ اَلْحَيْضَ قرىء بالتخفيف والتشديد {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} ءَامَرْ اَشُّورَدْ نَتْ قال القرطبي واختلف علماؤنا في الكتابية هل تجبر على الاغتسال أم لا فقال مالك في رواية ابن القاسم نعم ليحل للزوج وطؤها قال الله تعالى "ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن" يقول بالماء ولم يخص مسلمة من غيرها وروى أشهب عن مالك أنها لا تجبر على الاغتسال من المحيض

لأنها غير معتقدة لذلك، لقوله تعالى "ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر" وهو الحيض والحمل وإنما خاطب الله عز وجل بذلك المؤمنات وقال "لا إكراه في الدين" {فَأْتُوهُنَّ} تَكّمْ تَنَطْ {مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} ضَغْ اَدكْ وَسْكَوَنُومَرْ اللهُ سَسَلُوكْ نيتْ ضَغْ الزَّمَانْ وِنْ اَلْحَيْضَ اَتَنَتْ وَرْطَكّيمْ سِيوَرِيمُوصْ أي فجامعوهن وهو أمر إباحة وكنى عنه بالإتيان والمراد أنهم يجامعوهن في المأتى الذي أباحه الله وهو القبل {إِنَّ اللَّهَ} اِلّكَنَاسْ اللهُ {يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} اِرَ وِينَمُوصْنينْ اِينُوتَبَنْ {وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} اِرَ وِنْ زَازْدَاكِّنينْ اِمَانَّصَنْ ضَغْ اَرطَنْ وِنْ وَرْنُوليغْ قيل المراد التوابون من الذنوب والمتطهرون من الجنابة والأحداث (٢٢٢) {نِسَاؤُكُمْ} شِيضُوضينْ نَوَنْ {حَرْثٌ لَكُمْ} ءَادِي شِوَكّاسْ نَوَنْ لفظ الحرث يفيد أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج الذي هو القبل خاصة إذ هو مزدرع الذرية كما أن الحرث مزدرع النبات فقد شبه ما يلقى في أرحامهم من النطف التي منها النسل بما يلقى في الأرض من البذور التي منها النبات بجامع أن كل واحد منهما مادة لما يحصل منه {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ} ءَاسَطْ تَوَكُوسْتْ نَوَنْ أي محل زرعكم واستنباتكم الولد وهو القبل وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالزرع {أَنَّى شِئْتُمْ} تَمَوِيتْ اَسْطَرَمْ ضَغْ تَبَدَّيْ مَدي تَغِيمِيتْ مَدي اَسَارَّادْ أي من أي جهة شئتم من خلف وقدام وباركةً ومستلقية ومضطجعة وقائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة إذا كان في موضع الحرث وإنما عبر سبحانه بكلمة أنى لكونها أعم في اللغة من أين وكيف ومتى وأما سيبويه ففسرها بكيف وقد ذهب السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة إلى ما ذكرناه من تفسير الآية وأن إتيان

الزوجة في دبرها حرام وروي عن سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وعبد الملك ابن الماجشون أنه يجوز ذلك حكاه عنهم القرطبي في تفسيره قال وحكي ذلك عن مالك في كتاب له يسمى كتاب السر وحذاق أصحاب مالك ومشايخهم ينكرون ذلك الكتاب ومالك أجل من أن يكون له كتاب سر ووقع هذا القول في العتبية وذكر ابن العربي أن ابن شعبان أسند جواز ذلك إلى زمرة كثيرة من الصحابة والتابعين وإلى مالك من روايات كثيرة عن كتاب جماع النسوان وأحكام القرآن قال القرطبي والصحيح في هذه المسألة ما بيناه وما نسب إلى مالك وأصحابه من هذا باطل وهم مبرءون من ذلك لأن إباحة الإتيان مختصة بموضع الحرث، لقوله تعالى "فأتوا حرثكم" ولأن الحكمة في خلق الأزواج بث النسل، فغير موضع النسل لا يناله مالك النكاح وهذا هو الحق {وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ} تَزُوزَرَمْ بِمَاتَّوَنْ اَمَازَالْ اِيهُوصَّيَنْ سِكِي اَنْ بِسْمِ اللهِ أي خيراً فحذف المفعول وقد صرح به في قوله تعالى "وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله" وقيل ابتغاء الولد والنسل لأن الولد خير الدنيا والآخرة فقد يكون شفيعا وجنة وقيل التزويج بالعفائف ليكون الولد صالحا طاهرا وقال ابن عباس وعطاء أي قدموا ذكر الله عند الجماع كما قال عليه السلام "لو أن أحدكم إذا أتى امرأته قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا" أخرجه مسلم {وَاتَّقُوا اللَّهَ} تِيكْصَاضَمْ اللهُ ضَغْ اَلَمَرْنيتْ دَ النَّهِينّيتْ فيه تحذير عن الوقوع في شيء من المحرمات {وَاعْلَمُوا} تَصَنَمْ {أَنَّكُمْ} ءَاسْ كَوَني {مُلَاقُوهُ} اَتَّمَنَيَمْ دَ اللهُ غُرْ تَنَكَرَ اِرَزَاوَنْ اَسْ مَازَالَنْ نَوَنْ بالبعث مبالغة في التحذير {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}

بَشَّرْ يِيمُومَنَنْ ونَكْصُوصْنينْ اللهُ سَ اَلْجَنَّةْ الذين اتقوه بالجنة تأنيس لمن يفعل الخير ويجتنب الشر (٢٢٣) ولما تكلم الحق جل جلاله على بعض أحكام النكاح أراد أن يتكلم على الإيلاء وهو الحلف على عدم مس المرأة وجماعها وقدّم على ذلك النهي عن كثرة الحلف لأنه هو السبب في الوقوع فى الإيلاء فقال {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ} اَدْ وَرْتَكِمْ تَاهُوضَيْ سَ اللهُ أي الحلف به قيل نزلت بسبب الصديق إذ حلف ألا ينفق على مسطح حين تكلم في عائشة رضي الله عنها كما في حديث الإفك وسيأتي بيانه إن شاء الله في"النور" عن ابن جريج {عُرْضَةً} تَسَنْكَفْتْ {لِأَيْمَانِكُمْ} تَكْدَالَتْ اَلْحَنَثْ اِيتَهُوضْ نَوَنْ سَحْنَسَتْ إِمَانَّوَنْ اَصِمُوصَاصْ اَلْحَنَثْ أُوفَ تَكَّصَمْ تَكَافَّارْتْ مَدييَاكْ اَدْوَرْتَكِيمْ ايصَمْ نَ اللهُ صَضَاصْ اِيتَهُوضْ نَوَنْ أُوزَالْ فَلْ اَلْسَاوَنْ نَوَنْ فَوْ تَهَّاضَمْ سَرَسْ فعلى المعنى الذي ذكره الجوهري أن العرضة النصبة كالغرفة يكون ذلك اسماً لما تعرضه دون الشيء أي تجعله حاجزاً له ومانعاً منه أي لا تجعلوا الله حاجزاً ومانعاً لما حلفتم عليه وذلك لأن الرجل كان يحلف على بعض الخير من صلة الرحم أو إحسان إلى الغير أو إصلاح بين الناس بأن لا يفعل ذلك ثم يمتنع من فعله معللاً لذلك الإمتناع بأنه قد حلف أن لا يفعله وهذا المعنى هو الذي ذكره الجمهور في تفسير الآية فنهاهم الله أن يجعلوه عرضة لأيمانهم أي حاجزاً لما حلفوا عليه ومانعاً منه وسمّي المحلوف عليه يميناً لتلبّسه باليمين وعلى هذا يكون قوله {أَنْ تَبَرُّوا} فَلْ تَكْصَضَا نَدْوَرْتَلِيلَمْ اللهُ {وَتَتَّقُوا} دَدْوَرْتُوتَكْصُوصَمْ {وَتُصْلِحُوا} دَدْوَرْتَكَنِيمْ {بَيْنَ النَّاسِ} كَرَيْتِيدَنْ عطف بيان لأيمانكم أي لا تجعلوا الله مانعاً للأيمان التي هي برُّكم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس ويتعلق قوله لأيمانكم بقوله لا تجعلوا أي

لا تجعلوا الله لأيمانكم مانعاً وحاجزاً ويجوز أن يتعلق بعرضة أي لا تجعلوا شيئاً معترضاً بينكم وبين البر وما بعده وأما على المعنى الآخر وهو قولهم فلان عرضة للناس فيكون معنى الآية عليه ولا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلونه بكثرة الحلف به ومنه "واحفظوا أيمانكم" وقد ذم الله المكثرين للحلف فقال "ولا تطع كل حلاّف مهين" وقد كانت العرب تتمادح بقلة الأيمان فيكون قوله "أن تبروا" علة للنهي أي لا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس لأن من يكثر الحلف بالله يجترىء على الحنث ويفجر في يمينه {وَاللَّهُ} اللهُ {سَمِيعٌ} اِسَالُو اِطَنَّاوينْ نَوَنْ أي لأقوال العباد {عَلِيمٌ} اِصَّانْ ضَغْ اَلْحَالَنْ نَوَنْ بما يصدر منهم وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفّر عن يمينه" (٢٢٤) {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ} وَرْكَوَنِيتِيبَظْ اللهُ {بِاللَّغْوِ} سَبِينَّانْ {فِي أَيْمَانِكُمْ} وَيْتَاوَقَّاعَنْ ضَغْ تَهُوضْ نَوَنْ اللغو مصدر لغا يلغو لغواً ولغا يلغي لغياً إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام أو بما لا خير فيه وهو الساقط الذي لا يعتد بهومعنى الآية لا يعاقبكم الله بالساقط من أيمانكم {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ} مِشَانْ اِيتَابَظْكَوَنْ أي يعاقبكم {بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} سَوُوتَصَنْ وَلَّنَوَنْ ضَغْ تَهُوضَاوِينْ ءَامَرْ تَحْنَسَمْ اَدِّي اِوَارْكَوَنْ اَتَّكَصَمْ تَكَافَّارْتْ أي اقترفته بالقصد إليه وهي اليمين المقصودة ومثله قوله تعالى "ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان" وقد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو فذهب ابن عباس وعائشة وجمهور العلماء إلى أنها قول الرجل لا والله وبلى والله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريد لها قال

المروزي هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء ويدل له الأحاديث وبه قال الشافعي وقال أبو هريرة وجماعة من السلف هو أن يحلف الرجل على الشيء لا يظن إلا أنه أتاه فاذا هو ليس ما هو ظنه وإلى هذا ذهب الحنفية وبه قال مالك في الموطأ ولا كفارة فيه ولا إثم عليه عنده {وَاللَّهُ} اللهُ {غَفُورٌ} اَمِيكِتْ نَصُورَفْ بِيمُومَنَنْ نَوَتِيمَلَنْ ضَغْ اَبِيتَّانْ {حَلِيمٌ} نَنَزْمُورْ سَتَّاخِيرْ نَ اَلْعَقُوبَةْ فَلْ وَتَتِسَتَّحَقَّنْ حيث لم يؤاخذكم بما تقولونه بألسنتكم من دون عمد أو قصد وأخذكم بما تعمدته قلوبكم وتكلمت به ألسنتكم وتلك هي اليمين المعقودة المقصودة (٢٢٥) {لِلَّذِينَ} اِلَّيْ اِيونْدِي {يُؤْلُونَ} اَكِنِينْ اَلِيلَا {مِنْ نِسَائِهِمْ} ضَغْ تَضُوضِينْ نَسَنْ {تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ} اَلتَّاخِيرْ نَكُّوظَتْ تَلِيلْ أي يحلفون والمصدر إيلاء وألية وألوة وقرأ ابن عباس للذين آلوا يقال آلى يولي ايلاء ويأتلي بالتاء ائتلاء أي حلف ومنه "ولا يأتل أولوا الفضل منكم" والإيلاء حقه أن يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمنه معنى البعد أي يحلفون متباعدين من نسائهم وقد اختلف أهل العلم في الإيلاء فقال الجمهور إن الإيلاء هو أن يحلف أن لا يطأ امرأته أكثر من أربعة أشهر فإن حلف على أربعة أشهر فما دونها لم يكن مولياً وكانت عندهم يميناً محضاً وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وقال الثوري والكوفيون الإيلاء أن يحلف على أربعة أشهر فصاعداً وهو قول عطاء وروي عن ابن عباس أنه لا يكون مولياً حتى يحلف أن لا يمسها أبداًوقوله "من نسائهم" يشمل الحرائر والإماء إذا كن زوجات وكذلك يدخل تحت قوله "للذين يؤلون" العبد إذا حلف من زوجته وبه قال أحمد والشافعي وأبو ثور قالوا وإيلاؤه كالحر وقال مالك والزهري وعطاء وأبو حنيفة وإسحق إن أجله شهران

وإنما وقت الله سبحانه بهذه المدة دفعاً للضرار عن الزوجة وقد كان أهل الجاهلية يؤلون السنة والسنتين وأكثر من ذلك يقصدون بذلك ضرار النساء وقد قيل إن الأربعة الأشهر هي التي لا تطيق المرأة الصبر عن زوجها زيادة عليها {فَإِنْ فَاءُوا} كُدْزَ اَكِنْ اَلْفَيْنَةْ اَقَلَنْدُو فَلْ تَهُوضْ نَسَنْ أي رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ومنه "حتى تفيء إلى أمر الله" أي ترجع وقد أوجب الجمهور على المولى إذا فاء بجماع امرأته الكفارة {فَإِنَّ اللَّهَ} ءَادِيزَ اِلْكَنَاسْ اللهُ {غَفُورٌ} اَنَصّيرَفْ يَاسَنْ اَوَاكِنْ ضَغْ تَكْمَا اَنْتَنْطُوطْ للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته {رَحِيمٌ} نَمَهّينَنْ يَاسَنْ لكل التائبين (٢٢٦) {وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ} كُدْ سَكَّتَكّينْ فَلْ اِيلُوفْ سَسْوَرَكِينْ اَلْفَيْنَةْ ءَادِيزَ سَوَّقَّعَنيتُّويقال عزم يعزم عزماً وعزيمة وعزماناً واعتزم فمعنى عزموا الطلاق عقدوا عليه قلوبهم بأن لم يفيئوا فليوقعوه والطلاق من طلقت المرأة تطلق كنصر ينصر طلاقاً فهي طالق وطالقة أيضاً والطلاق حل عقد النكاح وفي ذلك دليل على أنها لا تطلق بمضي أربعة أشهر كما قال مالك ما لم يقع إنشاء تطليق بعد المدة وأيضاً فإنه قال {فَإِنَّ اللَّهَ} فَلَاسْ اِلْكَنَاسْ اللهُ {سَمِيعٌ} اِسَالُّو اِتَنَّاوِينْ نَسَنْ لقولهم وسميع يقتضي مسموعاً بعد المضى{عَلِيمٌ} اِصَّانْ ضَغْ اَنِّيَطِينْ نَسَنْ بعزمه الذي دل عليه مضي أربعة أشهر والمعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق قوله تعالى "وإن عزموا الطلاق" دليل على أن الأمة بملك اليمين لا يكون فيها إيلاء إذ لا يقع عليها طلاق والله أعلم (٢٢٧) ثم ذكر الحق تعالى عدة الطلاق فقال{وَالْمُطَلَّقَاتُ} ثمن شِنُولَفِينْ أي المخلّيات من حبال أزواجهنّ والمطلقة هي التي أوقع الزوج عليها الطلاق {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ} تَاطَّفْنَتْ اِمَانَّصْنَطْ فَلْ اَزْلَافْ {ثَلَاثَةَ

قُرُوءٍ} تَمَصْكَطَا اَنْكَرَاضْ اَلِاقْرَاتَنْ تمضي من حين الطلاق تدخل تحت عمومه المطلقة قبل الدخول ثم خصصت بقوله تعالى "فما لكم عليهن من عدّة تعتدونها" فوجب بناء العام على الخاص وخرجت من هذا العموم المطلقة قبل الدخول وكذلك خرجت الحامل بقوله تعالى "وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن" وكذلك خرجت الآئسة بقوله تعالى "فعدتهن ثلاثة أشهر" والتربص الانتظار قيل هو خبر في معنى الأمر أي لتتربصاختلف أهل العلم في تعيين ما هو المراد بالقروء المذكورة في الآية فقال أهل الكوفة هي الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدى وأحمد بن حنبل وقال أهل الحجاز هي الأطهار وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري وأبان بن عثمان والشافعيوالجمهور من العلماء على أن عدة الأمة التي تحيض من طلاق زوجها حيضتان وروي عن ابن سيرين أنه قال ما أرى عدة الأمة إلا كعدة الحرة إلا أن تكون مضت في ذلك سنة فإن السنة أحق أن تتبع وقال الأصم عبد الرحمن بن كيسان وداود بن علي وجماعة أهل الظاهر إن الآيات في عدة الطلاق والوفاة بالأشهر والأقراء عامة في حق الأمة والحرة فعدة الحرة والأمة سواء {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ} وَرَاسْنَتْ حَلَالْ {أَنْ يَكْتُمْنَ} اَصْغْبَرْنَتْ {مَا خَلَقَ اللَّهُ} اَوَدّخْلَكْ اللهُ {فِي أَرْحَامِهِنَّ} صَغْ كِلَّا نَسْنَتْ اِمُوصَنْ ءَارَ مَدي اَلْحَيْضَ أي من الحيض قاله عكرمة والزهري والنخعي وقيل الحمل قاله عمر وابن عباس. وقال مجاهد الحيض والحمل معا وهذا على أن الحامل تحيض والمعنى المقصود من الآية أنه لما دار أمر العدة على الحيض والأطهار ولا اطلاع إلا من جهة النساء جعل القول قولها إذا ادعت انقضاء العدة أو عدمها

وجعلهن مؤتمنات على ذلك وهو مقتضى قوله تعالى "ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن"ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الاضرار بالزوج وإذهاب حقه فإذا قالت المطلقة حضت وهي لم تحض ذهبت بحقه من الارتجاع وإذا قالت لم أحض وهي قد حاضت ألزمته من النفقة ما لم يلزمه فأضرت به أو تقصد بكذبها في نفي الحيض ألا ترتجع حتى تنقضي العدة ويقطع الشرع حقه وكذلك الحامل تكتم الحمل لتقطع حقه من الارتجاع قال قتادة كانت عادتهن في الجاهلية أن يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الآية {إِنْ كُنَّ} كُتَّلَانَتْ {يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ} اَظِكِّظَنَّتْ سَ اللهُ {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} دَزَلْ اَيْلْكَمَنْ هذا وعيد عظيم شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب لأداء الأمانة في الإخبار عن الرحم بحقيقة ما فيه أي فسبيل المؤمنات ألا يكتمن الحق{وَبُعُولَتُهُنَّ} اِنَرَاكِّنْ اَنْ شِنْ اَمُوصَنْينْ الرَّجْعِيَاتْ البعولة جمع البعل وهو الزوج سمي بعلا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها{أَحَقُّ} أُوكِّرَنْ ءَارَّايْ {بِرَدِّهِنَّ} سَسُوغَلْ نَسْنَتْ كُودّي أُوكِّيْنَتْ أي بمراجعتهن قوله "وبعولتهن أحق" حكم خاص فيمن كان طلاقها دون الثلاث وأجمع العلماء على أن الحر إذا طلق زوجته الحرة وكانت مدخولا بها تطليقة أو تطليقتين أنه أحق برجعتها ما لم تنقض عدتها وإن كرهت المرأة فإن لم يراجعها المطلق حتى انقضت عدتها فهي أحق بنفسها وتصير أجنبية منه لا تحل له إلا بخطبة ونكاح مستأنف بولي وإشهاد ليس على سنة المراجعة وهذا إجماع من العلماء {فِي ذَلِكَ} ضَغْ الزَّمَانْ وِنْ اَلَّدَّتْ يعني في مدة التربص فإن انقضت مدة التربص فهي أحق بنفسها ولا تحل له إلا بنكاح مستأنف بولي وشهود ومهر جديد ولا خلاف في ذلك لفظ "أحق" يطلق عند تعارض حقين

ويترجح أحدهما فالمعنى حق الزوج في مدة التربص أحق من حقها بنفسها فإنها إنما تملك نفسها بعد انقضاء العدة ومثل هذا قوله عليه السلام "الأيم أحق بنفسها من وليها" {إِنْ أَرَادُوا} كُدْ اَطَاصَنْ {إِصْلَاحًا} اَمَكْنَوْ كِرِيسَّنْ دَرَسْنَتْ وَرْكِي اَصَلَّرَرْ نَسْنَتْ أُوطَصَنْ أي بالمراجعة أي إصلاح حاله معها وحالها معه فإن قصد الإضرار بها فهي محرمة لقوله تعالى "ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا" {وَلَهُنَّ} اِلَاسْنَتُو فَلْ نَرَاكِنْ {مِثْلُ الَّذِي} ثُلَاثْ نَادِي اَتِّلَنْ يَاسَنْ {عَلَيْهِنَّ} فَلَّاَسَّنَتْ {بِالْمَعْرُوفِ} سَرَطْ وَيْتَوَصَّنَنْ ضَغْ الشَّرِيعَ اَتِّمُوصَنْ اَصَهُّوصِّي نَهَرُوكْ أي ولهن من حقوق الزوجية على الرجل مثل ما للرجل عليهن فيحسن عشرتها بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه لنسائهم وهي كذلك تحسن عشرة زوجها بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من طاعة وتزين وتحبب ونحو ذلك {وَلِلرِّجَالِ} اِلَّيْ اِيمِيدَّنْ {عَلَيْهِنَّ} فَلْ طَضُوضِينْ {دَرَجَةٌ} شِكِرَاتْ ضَغْ اَلْحَقْ تَمُوصَتْ اَلْوَجُوبْ اَنْتِيلَالْتْ اَنْطَضُوضِينْ ميدَّنْ فَلْ اَوَاكْفَنْ ضَغْ تَاكِّالْتْ دَ النَّفَقَةْ أي منزلة ليست لهن وهي قيامه عليها في الإنفاق وكونه من أهل الجهاد والعقل والقوة وله من الميراث أكثر مما لها وكونه يجب عليها امتثال أمره والوقوف عند رضاه والشهادة والدية وصلاحية الإمامة والقضاء وله أن يتزوج عليها ويتسرّى وليس لها ذلك وبيده الطلاق والرجعة وليس شيء من ذلك بيدها ولو لم يكن من فضيلة الرجال على النساء إلا كونهن خلقن من الرجال لما ثبت أن حواء خلقت من ضلع آدم لكفى {وَاللَّهُ} اللهُ {عَزِيزٌ} اَنَاغْلِبْ فَلْ تَغْمَرْنيتْ اِتَاكْ ضَغَسْ اَوَصِرَ يقدر على الانتقام ممن يخالف أحكامه {حَكِيمٌ} نَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ اَوَيْتَادَبَّارْ اِتَخْلَكْ نيتْ يطوي شرائعه على الحكم والمصالح

(٢٢٨) {الطَّلَاقُ} اِيلُوفْ وَسْتَتَاكْ طَوَغْلَيْ دَفْرَسْ {مَرَّتَانِ} صَنَاطَتْ تَمَرَّهَلِينْ اَجِيَتْنِينْ مَدي تَمَرَّهَلْتْ دَفْرْ اِيَتْ أي عدد الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان فالمراد بالطلاق المذكور هو الرجعي بدليل ما تقدم في الآية أي الطلقة الأولى والثانية إذ لا رجعة بعد الثالثة وإنما قال سبحانه "مرتان" ولم يقل طلقتان إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة لا طلقتان دفعة واحدة كذا قال جماعة من المفسرين ولما لم يكن بعد الطلقة الثانية إلا أحد أمرين إما إيقاع الثالثة التي بها تبين الزوجة أو الإمساك لها واستدامة نكاحها وعدم ايقاع الثالثة عليها قال سبحانه {فَإِمْسَاكٌ} دَفْرَادِي اَمَّاغَاسْ اِيضُوفْ سَتَنَطَّقَّلَمْ أي بعد الرجعة لمن طلقها زوجها طلقتين {بِمَعْرُوفٍ} اِكَانْ سَ اَلْمَعْرُوفْ وَرِيهَا اَصَلَّرَرْ أي بما هو معروف عند الناس من حسن العشرة وحقوق النكاح {أَوْ تَسْرِيحٌ} مَدي شِيَّتْ {بِإِحْسَانٍ} تَكَاتْ سَصَهَّوصِي أي بإيقاع طلقة ثالثة من دون ضرار لها وقيل المراد إمساك بمعروف أي برجعة بعد الطلقة الثانية أو تسريح بإحسان أي بترك الرجعة بعد الثانية حتى تنقضي عدتها والأول أظهر قال أبو عمرو أجمع العلماء على أن التسريح هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين وإياها عنى بقوله "فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره" وقد اختلف أهل العلم في إرسال الثلاث دفعة واحدة هل تقع ثلاثا أو واحدة فقط فذهب إلى الأول الجمهور وذهب إلى الثاني من عداهم وقال القرطبي قال علماؤنا واتفق أئمة الفتوى على لزوم إيقاع الطلاق الثلاث في كلمة واحدة وهو قول جمهور السلف وشذ طاوس وبعض أهل الظاهر إلى أن طلاق الثلاث في كلمة واحدة يقع واحدة {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ} وَرَاوَنْ حَلَالْ يَاإِنْرَاكِنْ {أَنْ تَأْخُذُوا} اَطَّابَظَمْ {مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ} ضَغْ اَوَتَنَتَّكَفَمْ

ضَغْ تَاڲَالْتْ ءَامَرَاسْنَتَّلَفَمْ {شَيْئًا} ءَاتِّلَانْ الخطاب للأزواج أي لا يحل لهم أن يأخذوا مقابلة الطلاق مما دفعوه إلى نسائهم من المهر شيئاً على وجه المضارة لهن وتنكير شيء للتحقير أي شيئاً نزراً فضلاً عن الكثير وخص ما دفعوه إليهن بعدم حل الأخذ منه مع كونه لا يحل للأزواج أن يأخذوا من أموالهن التي يملكنها من غير المهر لكون ذلك هو الذي يتعلق به نفس الزوج ويتطلع لأخذه دون ما عداه مما هو في ملكها على أنه إذا كان أخذ ما دفعه إليها في مقابلة البضع عند خروجه عن ملكه لا يحل له كان ما عداه ممنوعاً منه بالأولى {إِلَّا أَنْ يَخَافَا} أُنْدَبَازَ اَدكْصُوضَنْ نَرَاكَنْ أي يعلم الزوجان من أنفسهما فيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة {أَلَّا يُقِيمَا} اَسْ وَرْزَاظَظَّلُولَغَنْ {حُدُودَ اللَّهِ} شِيسَبْدَادْ شِينِيكْ اللهُ اَتَنْتِمُوصَنْ اَهَرُوكْ اِهُوصَّيَنْ أي تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها ويخاف الزوج أنه إذا لم تطعه أن يعتدي عليها وقرأ حمزة يخافا بضم الياء أي إلا أن يعلم من حالهما والفاعل محذوف وهو الأئمة والولاة والحكام والقضاة واختاره أبو عبيد قال لقوله "فإن خفتم" فجعل الخوف لغير الزوجين وقد ضعّف النحاس اختيار أبي عبيد {فَإِنْ خِفْتُمْ} كُدْ تَكْصُوضَمْ يَا اَلْحُكَّامْ أي خشيتم وأشفقتم وقيل معناه ظننتم {أَلَّا يُقِيمَا} اَسْ وَرْزَظَظَّلُولَغَنْ نَرَاكَنْ {حُدُودَ اللَّهِ} شِيسَبْدَادْ شِينِيكَا اللهُ يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} ءَادِيزَ وَلَا اَبَكَّاضْ فَلَّاسَّنْ {فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} ضَغْ اَوَسْدُوتَفْدَا سَرَسْ إِمَانّيطْ ضَغْ اَهَرَيْنيتْ فَلْ اَدَاسِلَّفْ أي لا جناح على الرجل في الأخذ ولا على المرأة في الإعطاء بأن تفتدي نفسها من ذلك النكاح ببذل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لأجله وهذا

هو الخلع

هو الخلع وقد ذهب الجمهور إلى جواز ذلك للزوج وأنه يحل له الأخذ مع ذلك الخوف وهو الذي صرح به القرآن وقد اختلف أهل العلم في عدة المختلعة والراجح أنها تعتد بحيضة لما أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر امرأة ثابت بن قيس أن تعتد بحيضة ولما أخرجه الترمذي عن الربيع بنت معوذ بن عفراء أنها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تعتد بحيضة قال الترمذي الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة وفي الباب أحاديث ولم يرد ما يعارض هذا من المرفوع بل ورد عن جماعة من الصحابة والتابعين أن عدة المختلعة كعدة الطلاق وبه قال الجمهور قال الترمذي وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم واستدلوا على ذلك بأن المختلعة من جملة المطلقات فهي داخلة تحت عموم القرآن وقد اختلف أهل العلم إذا طلب الزوج من المرأة زيادة على ما دفعه إليها من المهر وما يتبعه ورضيت بذلك المرأة هل يجوز أم لا وظاهر القرآن الجواز لعدم تقييده بمقدار معين وبهذا قال مالك والشافعي وأبو ثور وروي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين وقال طاوس وعطاء والأوزاعي وأحمد وإسحق إنه لا يجوز لما ورد في ذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم {تِلْكَ} وِنْدِيدَ اَلْحَكُومَنْ اَدَّتَّمَلْنينْ اَدِّي {حُدُودُ اللَّهِ} اَنْتَتَيْ اِيَّاكَاطَنْ وِينِيكَا اللهُ ييكْلَانّيتْ {فَلَا تَعْتَدُوهَا} اَتَنْوَرْتَصَوَّرَفَمْ يعني هذه أوامر الله ونواهيه وهي ما تقدم من الأحكام فلا تجاوزوها بالمخالفة والرفض {وَمَنْ يَتَعَدَّ} اِيصَّورَفَنْ {حُدُودَ اللَّهِ} اِيَّاكَاطَنْ وِينِيكَا اللهُ ييكْلَانّيتْ أي أحكام النكاح والفراق المذكورة هي حدود الله التي أمرتم

بامتثالها فلا تعتدوها بالمخالفة لها فتستحقوا ما ذكره الله من التسجيل على فاعل ذلك بأنه ظالم {فَأُولَئِكَ} وِنْدِيزَ {هُمُ الظَّالِمُونَ} اَنْتَنَيْ اِنَاضْلَامَنْ اَنَمَّانْسَنْ أي لأنفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه وفيه وفيما قبله الإظهار في مقام الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروع في ذهن السامع وذكر هذا الوعيد بعد النهى عن تعديها للمبالغة في التهديد (٢٢٩) {فَإِنْ طَلَّقَهَا} كُدَاسِلَّفْ اَنَرَاكِْ دَفَّرْ صَنَاطَتْ تَمَرَّهَلينْ أي الطلقة الثالثة التي ذكرها سبحانه بقوله "أو تسريح بإحسان" أي فإن وقع منه ذلك فقد حرمت عليه بالتثليث سواء كان قد راجعها أم لا وسواء انقضت عدتها في صورة عدم الرجعة أم لا {فَلَا تَحِلُّ لَهُ} ءَادِيزَ وَرَاسْتَحَلَالْ {مِنْ بَعْدُ} دَفَّرْ اِيلُوفْ وَانْ كَرَاضْ الحكمة في شرع هذا الحكم الردع عن المسارعة إلى الطلاق وعن العود إلى الطلقة الثالثة والرغبة فيها {حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا} هَارْ تَزْلَفْ اَنَرَاكِْ اِيَنْ {غَيْرَهُ} وَرْنَمُوصْ وَدِي أي حتى تتزوج بزوج آخر غير المطلق بعد انقضاء عدتها من الأول فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعاً والمراد هنا الوطء وقد أخذ بظاهر الآية سعيد بن المسيب ومن وافقه قالوا كفى مجرد العقد لأنه المراد بقوله حتى تنكح زوجاً غيره وذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أنه لا بد مع العقد من الوطء لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتبار ذلك بقوله لامرأة رفاعة القرظي "أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عُسَيلته ويذوق عسيلتك" {فَإِنْ طَلَّقَهَا} كُدَاسِلَّفْ اَنَرَاكِْ وَانَّشِّينْ {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} ءَادِيزَ وَلَا اَبكَّاضْ فَلَّاسَّنْ {أَنْ يَتَرَاجَعَا} ضَغْ اَدْنَمَقَّلَنْ سَزَلَافْ دَفَّرْ اَرِيزْ نَلَّدَّتْ اَنْ وَانَّشِّينْ أي إن طلقها الزوج الثاني فلا جناح على الزوج الأول والمرأة أن يرجع كل واحد منها لصاحبه يعني بنكاح

جديد قال ابن المنذر أجمع أهل العلم على أن الحر إذا طلق زوجته ثلاثاً ثم انقضت عدتها ونكحت زوجاً ودخل بها ثم فارقها وانقضت عدتها ثم نكحها الزوج الأول أنها تكون عنده على ثلاث تطليقات {إِنْ ظَنَّا} كُدْ أُورْدَانْ علما وأيقنا وقيل إن رجوا لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى {أَنْ يُقِيمَا} اَدْ زَظَّلُولَغَنْ {حُدُودَ اللَّهِ} شِسَبْدَادْ شِينِيكَا اللهُ يَاسَنْ أي حقوق الزوجية الواجبة لكل منهما على الآخر {وَتِلْكَ} وِنْدِيدَ اَرَطَنْ اَدَّتَّمَلْنينْ اَدِّي {حُدُودُ اللَّهِ} اَنْتَنَيْ شِسَبْدَادْ شِينِيكَا اللهُ ييكْلاَنّيتْ إشارة إلى الأحكام المذكورة كما سلف {يُبَيِّنُهَا} اِيسِينَفلِيلْ تَنَتْ {لِقَوْمٍ} اِيميدَّنْ {يَعْلَمُونَ} وِنْ سَامَضْرَانّينْ ضَغْ تَسَلْكَمْت اَنْطَالْغوينْ خصهم مع عموم الدعوة للعالم وغيره ووجوب التبليغ لكل فرد لأنهم المنتفعون بذلك البيان قال ابن كثير في تفسيره وقد اختلف الأئمة رحمهم الله فيما إذا طلق الرجل امرأته طلقة أو طلقتين وتركها حتى انقضت عدتها ثم تزوجت بآخر فدخل بها ثم طلقها فانقضت عدتها ثم تزوجها الأول هل تعود إليه بما بقي من الثلاث كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وهو قول طائفة من الصحابة رضي الله عنهم أو يكون الزوج الثاني قد هدم ما قبله من الطلاق فإذا عادت إلى الأول تعود بمجموع الثلاث كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحجتهم أن الزوج الثاني إذا هدم الثلاث فلأن يهدم ما دونها بطريق الأولى والأحرى والله أعلم (٢٣٠) {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} ءَامَرْتَلَّفَمْ اِيطَضُوضينْ اِيلُوفْ وَادَا نَ الرَّجْعِيَا {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} تَبُكْ اَلَّدَتْ نَسْنَتْ يَرِيزْ البلوغ إلى الشيء معناه الحقيقي الوصول إليه ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة إلا مجازاً لعلاقة مع قرينة كما هنا فإنه لا يصح إرادة المعنى الحقيقي لأن المرأة إذا بلغت آخر جزء من

مدة العدة وجاوزته إلى الجزء الذي هو الأجل للانقضاء فقد خرجت من العدة ولم يبق للزوج عليها سبيل قال القرطبي في تفسيره إن معنى بلغن هنا قاربن بإجماع العلماء {فَأَمْسِكُوهُنَّ} ءَادِيزَ اَتَّفَطَّنَتْ سَتَنَتَّقَّلَمْ أي راجعوهن {بِمَعْرُوفٍ} سَ اَلْمَعْرُوفْ تيوَغْلَيْ وَرِيهَا اَصَلَّرَرْ وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء وقيل الإمساك بمعروف هو القيام بحقوق الزوجية وهو الظاهر قيل أعاده اعتناء بشأنه ومبالغة في إيجاب المحافظة عليه {أَوْ سَرِّحُوهُنَّ} مَدي تَيِّمْتَنَتْ {بِمَعْرُوفٍ} شِيَّتْ تَمُوصَتْ اَلْمَعْرُوفْ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن والمعنى إذا طلقتم النساء فقاربن آخر العدة فلا تضارّوهن بالمراجعة من غير قصد لاستمرار الزوجية واستدامتها بل اختاروا أحد أمرين إما الإمساك بمعروف من غير قصد لضرار أو التسريح بإحسان أي تركها حتى تنقضي عدتها من غير مراجعة ضراراً {وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ} اَتَنَتْ وَرْتَطَّفَمْ اَسْ تَوَغْلَيْ المعنى اَتَنَتْ وَرْتَقَّلَمْ {ضِرَارًا} فَلَاطَّاصْ نَصَلَّرَرْ نَسْنَتْ كما كانت تفعل الجاهلية من طلاق المرأة حتى يقرب انقضاء عدتها ثم مراجعتها لا عن حاجة ولا لمحبة ولكن لقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار ضراراً أي لقصد الاعتداء منكم عليهن والظلم بهن {لِتَعْتَدُوا} فَلْ التَّعَدِّيمْ فَلَّاسَّنَتْ {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} وَيْمُوزَلَنْ ءَادِي أي الإمساك المؤدي للضرار {فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} ءَادِيزَ اِكَّاسْ اِضْلَامْ اِمَانِّيتْ لأنه عرضها لعقاب الله وسخطه في ضمن ظلمه لهن {وَلَا تَتَّخِذُوا} اَدْ وَرْتَكِمْ {آيَاتِ اللَّهِ} اَلَايَتِينْ نَ اللهُ {هُزُوًا} اَرَطْ اَسْ تَتَادَّلَمْ تَتَامَزْرَايَمْ تَنَتْ أي بالإعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الأمر إنما أنت هازٍ كأنه نهى عن الهزو وأراد به الأمر بضده والمعنى لا تأخذوا أحكام الله

على طريقة الهزو فإنها جد كلها فمن هزل فيها فقد لزمته نهاهم سبحانه أن يفعلوا كما كانت الجاهلية تفعل فإنه كان يطلق الرجل منهم أو يعتق أو يتزوج ويقول كنت لاعباً قال القرطبي ولا خلاف بين العلماء أن من طلق هازلاً أن الطلاق يلزمه أخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة" {وَاذْكُرُوا} تَكْطِيمْ {نِعْمَتَ اللَّهِ} النّعْمَةْ نَ اللهُ {عَلَيْكُمْ} فَلّاوَّنْ سَ اَلاِسْلَامْ أي النعمة التي صرتم فيها بالإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية جهلاء وظلمات بعضها فوق بعض {وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ} دَوَدّيزَزَّبَّتْ فَلّاوَّنْ {مِنَ الْكِتَابِ} ضَغْ الْكتَابْ وهو القرآن {وَالْحِكْمَةِ} دَوَتّيهَنْ ضَغْ اَلْحَكُومَنْ قال المفسرون هي السنة التي سنّها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قال الشافعي {يَعِظُكُمْ} اِتَامَرْكَوَنْ اِرَاقَّمْ كَوَنْ {بِهِ} سَوَيْهَنْ اَلْكَتَّابْ نيتْ أي يخوفكم بما أنزل عليكم وأفرد الكتاب والحكمة بالذكر مع دخولهما في النعمة دخولاً أولياً تنبيهاً على خطرهما وعظم شأنهما {وَاتَّقُوا اللَّهَ} اِكْصَاضَطْ اللهُ يعني خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه {وَاعْلَمُوا} تَصّنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} اَمُوصَنْ اَيْمُوصْ ضَغْ اَكُلّ نَرَطْ وَرِكَّنْتَلْ فَلَّاسْ اَتّلَّانْ يخفى عليه شيء من ذلك فيؤاخذكم بأنواع العقاب (٢٣١) ثم نهى الحقّ تعالى عن منع النساء من التزوج إضرارا فقال {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} ءَامَرْ تَلَّفَمْ اِيتَضُوضينْ {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} هَارْتَرَزْ اَلّدّتْ نَسْنَتْ {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ} ءَادِيزَ اَدَاسْنَتْ وَرْتَكّدَلَمْ {أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} ضَغْ اَدَزْلَفْنَتْ اِنَرَاكّنْ نَسْنَتْ وِنَاضَّ دَاسْنَتْ اَلّفْنينْ دَا الخطاب في هذه الآية بقوله "وإذا طلقتم النساء" وبقوله "فلا تعضلوهن" إما أن

يكون للأزواج ويكون معنى العضل منهم أن يمنعوهن من أن يتزوجن من أردن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن لحمية الجاهلية كما يقع كثيراً من الخلفاء والسلاطين غيرة على من كن تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم لأنهم لما نالوه من رياسة الدنيا وما صاروا فيه من النخوة والكبرياء يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بني آدم إلا من عصمه الله منهم بالورع والتواضع وإما أن يكون الخطاب للأولياء ويكون معنى إسناد الطلاق إليهم أنهم سبب له لكونهم المزوجين للنساء المطلقات من الأزواج المطلقين لهن وبلوغ الأجل المذكور هنا المراد به المعنى الحقيقي أي نهايته لا كما سبق في الآية الأولى {إِذَا تَرَاضَوْا} ءَامَرْ نَمَرْضَنْ نَرَاكَِنْ دِي اَدْ طَضُوضِينْدِي {بَيْنَهُمْ} كَِرِيسَّنْ {بِالْمَعْرُوفِ} سَرَطْ وَيْمُوصَنْ اَلْمَعْرُوفْ ضَغْ الشَّرِيعَ اَتِّمُوصَنْ اَهَرُوكِّ اِهُوصَّيَنْ يعني إذا تراضى الخطّاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو أن يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة {ذَلِكَ} وَدِيدَا اَرَطْ اَتِّمُوصَنْ تَرَقِّيمْتْ فَلْ اَصَلَّرَرْ {يُوعَظُ بِهِ} اِتَاوَكِّ اَلْمَاعِظَا سَرَسْ اِيتَامَارْ سَرَسْ {مَنْ كَانَ مِنْكُمْ} وِنْتَلَّنِينْ ضَغُوَنْ {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} اَظِّيكِْظَنَنْ سَ اللهُ {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} دَزَلْ اَيْلْكَمَنْ إشارة إلى ما فصل من الأحكام والمعنى أن المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره {ذَلِكُمْ} وَدِيدَا شِيَّتْ نَصَلَّرَرْ محمول على لفظ الجمع خالف سبحانه ما بين الإشارتين امتناناً {أَزْكَى لَكُمْ} اَنْتَ اَدَاوَنُوفَنْ أنمى وأنفع {وَأَطْهَرُ} اُكَِرْضَغِينْ اَزَزْدَكِّ نَوَنْ كَوَنِي دَرْسَنْ لكم من الأدناس وأطيب عند الله لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما {وَاللَّهُ} اللهُ {يَعْلَمُ} اِصَّانْ اَوَسْتُوتَلَّا ضَغَسْ

آلقصحة

اَلْمَصْلِحَةْ {وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} كَونـي وَرْتُوتَصّينَمْ تِيلَالَتْ اَوَسْكَونُومَرْ ما لكم فيه الصلاح قيل سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل كما رواه الحاكم واسمها جميلة واسم زوجها عاصم بن عدي فلما نزلت هذه الآية كفَّرَ عن يمينه وأنكحها إياه وتمام القصة في البخاري وفيه دليل أن المرأة لا تُزَوج نفسها خلافاً لأبي حنيفة (٢٣٢) {وَالْوَالِدَاتُ} شِمَارَاوينْ {يُرْضِعْنَ} اِوّدْجَبْ فَلَّاسَّنَتْ اَدسَّنْكَصْنَتْ {أَوْلَادَهُنَّ} اَرَاطَنْ نَسْنَتْ لما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق ذكر الرضاع لأن الزوجين قد يفترقان وبينهما ولد ولهذا قيل إن هذا خاص بالمطلقات وقيل هو عام وقوله "يرضعن" قيل هو خبر بمعنى الأمر للدلالة على تحقق مضمونه وليس أمر إيجاب وإنما هو أمر ندب واستحباب وقيل هو خبر على بابه {حَوْلَيْنِ} هَارَاكِينْ اَشّينيلَانْ وِنَزَّارْنينْ {كَامِلَيْنِ} اَنْدَانينْ تأكيد للدلالة على أن هذا التقدير تحقيقي لا تقريبيذلك {لِمَنْ أَرَادَ} اِيوُوطَصَنْ {أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} اَدسَّنْدُو تَمَصْكَطَا نَصَنْكَصْ فيه دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتماً بل هو التمام ويجوز الاقتصار على ما دونه وليس له حد محدود وإنما هو على مقدار إصلاح الطفل وما يعيش به {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ} اِلّيْ فَلْ وَسِطَوَارَوْ يَاسْ بَرَارْ اَتّمُوصَنْ اَلَابْ أي على الأب الذي يولد له {رِزْقُهُنَّ} اَشَتْشِي نَسْنَتْ طيفيرْتْ فَلْ اَصَنْكَصْ المراد بالرزق هنا الطعام الكافي المتعارف بين الناس ويطلق الرزق بالكسر على المرزوق وعلى المصدر {وَكِسْوَتُهُنَّ} اَتّلَسَّيْ نَسْنَتْ المراد بالكسوة ما يتعارفونه أيضاً {بِالْمَعْرُوفِ} سَكيتْ اَنْفَرّيكِتْ نيتْ كُدَاسْ نَتِتيولّفْ اَلْبَاينْ أي على قدر الميسرة وفي ذلك دليل على وجوب ذلك على الآباء للأمهات المرضعات وهذا في المطلقات طلاقاً بائناً وأما غير

المطلقات فنفقتهن وكسوتهن واجبة على الأزواج من غير إرضاعهن لأولادهن وفي هذه الآية دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لعجزه وضعفه ونسبه تعالى للأم لأن الغذاء يصل إليه بواسطتها في الرضاع وأجمع العلماء على أنه يجب على الأب نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم {لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ} وَرْتَتَوَسَكَلّيفْ طَمينْتْ {إِلَّا وُسْعَهَا} ءَارْ فَرّيكَتْ نيتْ هو تقييد لقوله بالمعروف أي هذه النفقة والكسوة الواجبتان على الأب بما يتعارفه الناس لا يكلف منهما إلا ما يدخل تحت وسعه وطاقته لا ما يشق عليه ويعجز عنه {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ} اَدْوَرْ تَتَاوَكْمُو تَمَارُوتْ {بِوَلَدِهَا} سَسَّبَابْ نَارَانّيتْ سَتّتَوَدَنْكِي فَلْ اَسَنْكَصْنيتْ ءَامَرْ تُوكَيْ {وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ} اَدْوَرْ اِتَاوَكْمُو ضغينْ اَمَارَاوْ {بِوَلَدِهِ} سَسَّبَابْ نَارَانّيتْ سَدِ تَاوَسَكَلّافْ أُوكَرَنْ فَرّيكَتْ نيتْ أي لا تضر والدة بولدها فتسيء تربيته أو تقصر في غذائه ولا والد بولده وقدمها لفرط شفقتها وأضيف الولد تارة إلى الأب وتارة إلى الأم للاستعطاف لأن كل واحد منهما يستحق أن ينسب إليه مع ما في ذلك من الاستعطاف وهذه الجملة تفصيل للجملة التي قبلها وتقرير لها أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه فلا يضارّه بسبب ولده {وَعَلَى الْوَارِثِ} اِلّيْ فَلْ اَمَكَّاصُو نَ اَلَابْ اَتّمُوصَنْ بَرَارْ اِمَانّيتْ ضَغْ اَهَرَيْنيتْ {مِثْلُ ذَلِكَ} تُلَاتْ نَادِيدَا اَتَلّنْ فَلْ اَلَابْ اِيتَمَارُوتْ ضَغْ طَفيرْتْ اَتّلَسَّيْ معطوف على قوله "وعلى المولود له" وما بينهما تفسير للمعروف أو تعليل له معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل المراد بالوارث المذكور في الآية هو الصبي نفسه أي عليه من ماله إرضاع نفسه إذا مات أبوه وورث من ماله {فَإِنْ أَرَادَا} كُدْ أُوطَصَنْ مَارَاوَنْ {فِصَالًا} اِكُوصْ اَنْ بَرَارْ ضَغْ فَفَانْ دَاتْ اَشّينْ الَانْ الضمير

للوالدين والفصال الفطام عن الرضاع أي التفريق بين الصبي والثدي ومنه سمي الفصيل لأنه مفصول عن أمه {عَنْ تَرَاضٍ} اِمُوصْ ءَادِي اَرَطْ اِكَّانْ فَلْ اَنَمَرْضَا {مِنْهُمَا} ضَغْسَنْ ءَابَّا دَانًّا أي صادراً عن تراض من الأبوين وعلى اتفاق من الوالدين إذا كان الفصال وفطام الولد قبل الحولين {وَتَشَاوُرٍ} دَنَمَشَوَّارْ كَرِيسَّنْ أي يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} ءَادِيزَ وَلَا اَبَكَّاضْ فَلَّاسَّنْ ضَغَادِي في ذلك الفصال لما بين الله سبحانه أن مدة الرضاع حولان كاملان قيد ذلك بقوله "لمن أراد أن يتم الرضاعة" وظاهره أن الأب وحده إذا أراد أن يفصل الصبي قبل الحولين كان ذلك جائزاً له وهنا اعتبر سبحانه تراضي الأبوين وتشاورهما فلا بد من الجمع بين الأمرين بأن يقال إن الإرادة المذكورة في قوله "لمن أراد أن يتم الرضاعة" لابد أن تكون منهما أو يقال إن تلك الإرادة إذا لم يكن الأبوان للصبي حيين بأن كان الموجود أحدهما أو كانت المرضعة للصبي ظئراً غير أمه والتشاور استخراج الرأي فلابد لأحد الأبوين إذا أراد فصال الرضيع أن يراضي الآخر ويشاوره حتى يحصل الاتفاق بينهما على ذلك {وَإِنْ أَرَدْتُمْ} كُوتُوتَصَمْ يَا ءَابَّتَّنْ خطاب للآباء وزاد بعضهم الأمهات وفيه خروج من الغيبة إلى الخطاب {أَنْ تَسْتَرْضِعُوا} اَتَّكِمِيَمْ شِيمَسَّنْكَاصْ {أَوْلَادَكُمْ} اِيمَدَّانُوَنْ وَرْنَمُوصْ مَطِيصَّنْ قال الزجاج التقدير أن تسترضعوا لأولادكم غير الوالدة وعن سيبويه المعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ءَادِيزَ وَلَا اَبَكَّاضْ فَلَّاوَّنْ ضَغَادِي {إِذَا سَلَّمْتُمْ} ءَامَرْ تَنَتَّكْفَمْ {مَا آتَيْتُمْ} اَوَسْطُوطَصَمْ دَاسْنَتُّو تَكْفِيمْ بالمد أي أعطيتم والمعنى أنه لا بأس عليكم أن تسترضعوا أولادكم غير أمهاتكم إذا

سلمتم إلى الأمهات أجرهن بحساب ما قد أرضعن لكم أي وقت إرادة الاسترضاع قاله سفيان الثوري ومجاهد وقال قتادة والزهري إن معنى الآية إذا سلمتم ما آتيتم من إرادة الاسترضاع أي سلم كل واحد من الأبوين ورضي كان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وإرادة معروف من الأمر وعلى هذا فيكون قوله "سلّمتم" عاماً للرجال والنساء تغليباً وعلى القول الأول الخطاب للرجال فقط وقيل المعنى إذا سلمتم لمن أردتم استرضاعها أجرها فيكون المعنى إذا سلمتم ما أردتم إيتاءه أي إعطاءه إلى المرضعات وليس هذا قيداً لصحة الإجارة فإن تعجيل الأجرة لا يشترط وإنما هو قيدُ كمال لأنه أطيب لنفوسهن {بِالْمَعْرُوفِ} تيهَكَّيْ تَكّاتْ اَسْ شِيظَاضَا اَمَّانْ أي بما يتعارفه الناس من أجر المرضعات من دون مماطلة لهن أو حط بعض ما هو لهن من ذلك فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بأمر الصبي والتفريط في شأنه والمعنى أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيّبين لأنفس المراضع بما أمكن {وَاتَّقُوا اللَّهَ} طِكْصَاضَمْ اللهُ أي خافوه فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم للمراضع ولأولادكم {وَاعْلَمُوا} تَصَّنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} اِصَّانْ ضَغْ اَوَاتَتَامَازَالَمْ اِهَانَّيْتُو لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فإنه تعالى يراها ويعلمها (٢٣٣) {وَالَّذِينَ} ونْدِي {يُتَوَفَّوْنَ} اَصَطَّرْمَصَنْ مَاتَّصَنْ {مِنْكُمْ} ضَغْوَنْ {وَيَذَرُونَ} أوينْدُو {أَزْوَاجًا} شِنَرَاكِّينْ {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ} شِنْدِي اِوِدْجَبْ فَلَّاسَّنَتْ اَدطَّفْنَتْ اِمَانَّسْنَتْ فَلْ اَزْلَافْ {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} اَكُّوظَطْ تَلِيلْ اَدْ مَرَاوَضَانْ لما ذكر سبحانه عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الإرضاع عقب ذلك بذكر عدة الوفاة لئلا

يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق وأصل التوفي أخذ الشيء وافياً فمن مات فقد استوفى عمره كاملاً والمراد بالأزواج هنا النساء لأن العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة والمعنى الذين يموتون ويتركون النساء ينتظرن بأنفسهن قدر هذه المدة ووجه الحكمة في جعل العدة للوفاة هذا المقدار أن الجنين الذكر يتحرك في الغالب لثلاثة أشهر والأنثى لأربعة فزاد الله سبحانه على ذلك عشراً لأن الجنين ربما يضعف عن الحركة فتتأخر حركته قليلاً ولا يتأخر عن هذا الأجل وظاهر هذه الآية العموم وإن كان من مات عنها زوجها تكون عدتها هذه العدة ولكنه قد خصص هذا العموم قوله تعالى "وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن" وإلى هذا ذهب الجمهور وروي عن بعض الصحابة وجماعة من أهل العلم أن الحامل تعتد بآخر الأجلين جمعاً بين العام والخاص وإعمالاً لهما والحق ما قاله الجمهور وظاهر الآية عدم الفرق بين الصغيرة والكبيرة والحرة والأمة وذات الحيض والآيسة وأن عدتهن جميعاً للوفاة أربعة أشهر وعشر وقيل إن عدة الأمة نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام قال ابن العربي إجماعاً إلا ما يحكى عن الأصم فإنه سوّى بين الحرة والأمة وقال الباجي ولا نعلم في ذلك خلافاً إلا ما يروى عن ابن سيرين أنه قال عدتها عدة الحرة وليس بالثابت عنه والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن التربص في الوفاة إنما هو بإحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطيب ونحوه وهذا قول جمهور العلماء وقال الحسن بن أبي الحسن ليس الإحداد بشيء إنما تتربص عن الزوج ولها أن تتزين وتتطيب وهذا ضعيف لأنه خلاف السنة على ما نبينه إن شاء الله تعالى وثبت أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال للفريعة بنت مالك بن سنان وكانت متوفى عنها "امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله" قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا وهذا حديث ثابت أخرجه مالك عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة رواه عنه مالك والثوري ووهيب بن خالد وحماد بن زيد وعيسى بن يونس وعدد كثير وابن عيينة والقطان وشعبة وقد رواه مالك عن ابن شهاب وحسبك قال أبو عمر وقضى به في اعتداد المتوفى عنها في بيتها وهو حديث معروف مشهور عند علماء الحجاز والعراق أن المتوفى عنها زوجها عليها أن تعتد في بيتها ولا تخرج عنه وهو قول جماعة فقهاء الأمصار بالحجاز والشام والعراق ومصر وكان داود يذهب إلى أن المتوفى عنها زوجها ليس عليها أن تعتد في بيتها وتعتد حيث شاءت لأن السكنى إنما ورد به القرآن في المطلقات وقال القرطبي أيضا المسألة الحادية عشرة ويجوز لها أن تخرج في حوائجها من وقت انتشار الناس بكرة إلى وقت هدوئهم بعد العتمة ولا تبيت إلا في ذلك المنزل {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} ءَامَرْ تَغْرَدْ طَمَصْكَطَا تَنَسَكِّدْ نَسْنَتْ المراد بالبلوغ هنا انقضاء العدة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ءَادِيزَ وَلَابَكَّاضْ فَلَّاوَّنْ يَا وِنْدَا اَلْوَلِيتَنْ الخطاب للأولياء لأنهم هم الذين يتولون العقد وقيل المخاطب جميع المسلمين {فِيمَا فَعَلْنَ} ضَغْ اَوَامُّوزَلْنَتْ {فِي أَنْفُسِهِنَّ} ضَغْ مَانَّسْنَتْ ضَغْ اَدْلُوكِ دَسَلْكَضْ بِيتَنَتِيكِّمَيَنْ من التزين والتعرض للخطاب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه وقيل عنى بذلك النكاح خاصة والأول أولى {بِالْمَعْرُوفِ} سَرَطْ وَيَمُوصَنْ اَلْمَعْرُوفْ ضَغْ الشَّرِيعَ الذي لا يخالف شرعاً ولا عادة مستحسنة وقد استدل بذلك على وجوب الإحداد على المعتدة عدة الوفاة والإحداد ترك الزينة من الطيب ولبس الثياب الجيدة والحلي

وغير ذلك

وغير ذلك ولا خلاف في وجوب ذلك في عدة الوفاة ولا خلاف في عدم وجوبه في عدة الرجعية واختلفوا في عدة البائنة على قولين ومحل ذلك كتب علم الفروع واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة وأجيب بأنه خطاب للأولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطباً {وَاللَّهُ} اللهُ {بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} اِصَّانْ ضَغْ اَلْبَاطِنْ نَوَاتَتَامَازَالَمْ اَمَّكْ اَسِصَّنْ ضَغْ اَظَّاهِرْنِيتْ دَاوَنِيرَزْ فَلَّاسْ لا يخفى عليه خافية (٢٣٤) {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} وَلَابَكَّاضْ فَلَّاوَنْ {فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ} ضَغْ اَوَسْتَكِمْ تَانْكَالْتْ سَرَسْ ضَغْ اَلَّدَتْ {مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} اِمُوصَنْ ايطَّارْ اَنْطَضُوضِينْ شِينَسَبَا اِينَرَاكِنْ نَسْنَتْ المتوفَّى عنهن أزواجهن في العدة وكذا المطلقات طلاقاً بائناً وأما الرجعيات فيحرم التعريض والتصريح بخطبتهن ففي المفهوم تفصيل والجناح الإثم أي لا إثم عليكم والتعريض ضد التصريح {أَوْ أَكْنَنْتُمْ} مَدي تَغْبَرَمْتُ معناه سترتم وأضمرتم من التزويج بعد انقضاء العدة والإكنان التستر والإخفاء يقال أكننته وكننته وهما بمعنى واحد وأو هنا للإباحة أو التخيير أو التفصيل أو الإبهام على المخاطب {فِي أَنْفُسِكُمْ} ضَغْ مَانَّوَنْ ضَغَاطَّاصْ نَزَلَافْ نَسْنَتْ يعني من قصد نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويسلم ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء {عَلِمَ اللَّهُ} اِصَّانْ اللهُ {أَنَّكُمْ} ءَاسْ كَونِي {سَتَذْكُرُونَهُنَّ} اَتَّكِيمْ بَاتُونَسْنَتْ سيطَّارْ اِسْحْلَلَاوَنْ تَانْكَالْتْ أي لا تصبرون عن النطق لهن برغبتكم فيهن فرخص لكم في التعريض دون التصريح {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ} مِشَانْ اَدَوَرْ تَتِينَمَرْكَوِيلَمْ دَرَسْنَتْ {سِرًّا} اَزَلَافْ قد اختلف العلماء في معنى السر فقيل معناه نكاحاً أي لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجيني بل يعرض تعريضاً وقد ذهب إلى أن هذا معنى الآية

جمهور العلماء وقيل السر الزنا أي لا يكون منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزويج بعدها قاله جابر بن زيد وأبو مجلز والحسن وقتادة والضحاك والنخعي واختاره ابن جرير الطبري والاستدراك بقوله "لكن" من مقدر دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سراً ولا تصرحوا بالخطبة بأن تذكروا صريح النكاح وقال ابن عطية أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو رفث من ذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز وقال ابن عباس المواعدة سراً أن يقول لها إني عاشق وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ونحو هذا {إِلَّا أَنْ تَقولُوا} مِشَانْ اَطَّنِيمْ قيل هو استثناء منقطع بمعنى لكن لأن القول هو التعريض والمستثنى منه المراد به التصريح وهذا هو شأن المنقطع يفسر بلكن وبه قال السيوطي ومنع صاحب الكشاف أن يكون منقطعاً وقال هو مستثنى من قوله لا تواعدوهن أي مواعدة مّا قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعاً وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح فجعله على هذا استثناء متصلاً مفرغاً {قَوْلًا مَعْرُوفًا} طَنَّا تَتِيوَصَّنَطْ تَمُوصَطْ تَانْكَالْتْ تَدِي غَاسْ اَدَاوَنْ تَتَوَسَحْلَلَتْ أي تعريضاً وقال ابن عباس هو قوله إن رأيت أن لا تسبقيني بنفسك أو يقول إنك لجميلة {وَلَا تَعْزِمُواعُقْدَةَ النِّكَاحِ} اَدْوَرْتَسَاوَقَّاعَمْ تَمَرْكِيصْتْ نَزَلَافْ قد ثمّ تقدم الكلام في معنى العزم يقال عزم الشيء وعزم عليه والمعنى هنا لا تعزموا على عقدة النكاح في العدة لأن العزم عليه بعدها لا بأس به ثم حذف على قال سيبويه والحذف في هذه الآية لا يقاس عليه {حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ} هَارَاوَضْ اَرَطْ وَيْتَوَكْتَبَنْ ضَغْ اَلَّدَتْ {أَجَلَهُ} تَمَاصْطَاِنْتْ نيتْ حتى غاية للنهي أي تنقضي العدة والكتاب هنا هو الحد والقدر الذي رسم من المدة سماه كتاباً لكونه محدوداً ومفروضاً كقوله تعالى "إن الصلاة كانت

على المؤمنين كتاباً موقوتاً" وهذا الحكم أعني تحريم عقد النكاح في العدة مجمع عليه والمراد بالأجل آخر مدة العدة {وَاعْلَمُوا} تَصَّنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {يَعْلَمُ} اِصَّانْ {مَا فِي َأَنْفُسِكُمْ} اَوَتِّلَّنْ ضَغْ مَاتُّوَنْ من العزم على ما لا يجوز {فَاحْذَرُوهُ} اِكْصَاضَطُّو أي عقابه إذا عزمتم على عقدة النكاح في العدة {وَاعْلَمُوا} تَصَّنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {غَفُورٌ} اَنصّيرَفْ اِيوَتِّكْصُوضَنْ {حَلِيمٌ} نَنَزْمُورْ سَتَّاخِيرْ نَ اَلْعَذَابْ فَلْ وَتِيسَتَّحَقَّنْ لا يعاجلكم بالعقوبة على الجهر بالمعصية بل يسترها (٢٣٥) {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} وَلَاَابَكَّاضْ فَلَّاوَّنْ المراد بالجناح هنا التبعة من المهر ونحوه فرفعه رفع لذلك أي لا تبعة عليكم بالمهر ونحوه {إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} كُدْ تَلَّفَمْ اِيطَضُوضِينْ وَرْتِلَّا فَلَّاوَّنْ اَتَنَتَّكْفِيمْ وَلَا {مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ} اِيكِيتْ وَرْتَنَطَّضِيصَمْ أي مدة عدم مسيسكم وقال أبو البقاء والمعنى إن اطلقتموهن غير ماسّين لهن فعلى الأولى "ما" مصدرية ظرفية وعلى الثاني شرطية وقيل إنها موصولة أي إن طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن أي ما لم تجامعوهن وقرأ ابن مسعود من قبل أن تجامعوهن وقرأ غيره تماسّوهن من المفاعلة {أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً} مَدي تَقَّدَّرَمَاسْنَتْ تَاَكَّالْتُو اعلم أن المطلقات أربع مطلقة مدخول بها مفروض لها وهي التي تقدم ذكرها قبل هذه الآية وفيها نهي الأزواج عن أن يأخذوا مما آتوهن شيئاً وأن عدتهن ثلاثة قروء ومطلقة غير مفروض لها ولا مدخول بها وهي المذكورة هنا فلا مهر لها بل المتعة وبين في سورة الأحزاب أن غير المدخول بها إذا طلقت فلا عدة عليها ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها وهي المذكورة بقوله سبحانه "وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة" ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها

وهي المذكورة في قوله تعالى "فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن" والمراد بالفريضة هنا تسمية المهر وفيها وجهان أظهرهما أنها مفعول به والتقدير شيئاً مفروضاً والثاني أن تكون منصوبة على المصدر بمعنى فرضاً واستجود أبو البقاء الوجه الأول {وَمَتِّعُوهُنَّ} اكِتَاسنَتْ اَلْمُتْعَةْ غَاسْ شِنْدِي اَكْفَتَّنَتْ اَرطِيَّنْ أي أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن وظاهر الأمر الوجوب وبه قال علي وابن عمر والحسن البصري وسعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وقتادة والضحاك ومن أدلة الوجوب قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهم من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً" وقال مالك وأبو عبيد والقاضي شريح وغيرهم إن المتعة للمطلقة المذكورة مندوبة لا واجبة لقوله تعالى "حقاً على المحسنين" ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين وقوله {عَلَى الْمُوسِعِ} اِلَّيْ فَلْ وَيْرْزَكِّنْ ضَغْوَنْ {قَدَرُهُ} اَكيتْ نَرَزّيكْنيتْ {وَعَلَى الْمُقْتِرِ} اِلَّيْ فَلْ وَيْمُوصَنْ اَمَكُّونْطَيْ ضَغْوَنْ {قَدَرُهُ} اَكيتْ اَنْفَرّيكِتْ نيتْ يدل على أن الاعتبار في ذلك بحال الزوج فالمتعة من الغني فوق المتعة من الفقير والموسع هو الذي اتسعت حاله وقرىء الموسّع بالتشديد وقرىء قدره بسكون الدال فيهما وبفتح الدال فيهما وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر "قدره" بسكون الدال في الموضعين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتح الدال فيهما قال الأخفش وغيره هما لغتان فصيحتان {مَتَاعًا} اِيمُوصْ ءَادِي اِيسَتَّمْتَاعْ مصدر مؤكد أي متعوهن متاعاً {بِالْمَعْرُوفِ} اَكَانينْ سَ اَلْمَعْرُوفْ ما عرف في الشرع والعادة الموافقة له وقوله {حَقًّا} اِيمُوصْ ءَادِي اَلْحَقْ اِيصَصَنْ

علي المحسنين

{عَلَى الْمُحْسِنِينَ} فَلْ وِينْ سِيهُوصِينِينْ بِمَانَّسَنْ وصف لقوله متاعاً أو مصدر لفعل محذوف أي حق ذلك حقاً (٢٣٦) {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ} كُدَاسْ نَتَّلَفَمْ {مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ} هَرْوَ وَرْتَنَطَّضِيصَمْ {وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً} ضَغْ اَلْحَالَاسْ اِكَاسْ دَاسْنَتَّمَالَمْ تَاكَّالْتْ {فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} ءَادِيزَ اِيوّدْجَبْ ءَاسْنَتْ النَّصَفْ نَوَدَاسْ نَتَّمَلَمْ فيه دليل على أن المتعة لا تجب لهذه المطلقة لوقوعها في مقابلة المطلقة قبل البناء والفرض التي تستحق المتعة أي فالواجب عليكم نصف ما سميتم لهنّ من المهر وهذا مجمع عليه وقد وقع الاتفاق أيضاً على أن المرأة التي لم يدخل بها زوجها ومات وقد فرض لها مهراً تستحقه كاملاً بالموت ولها الميراث وعليها العدة واختلفوا في الخلوة هل تقوم مقام الدخول وتستحق المرأة بها كمال المهر كما تستحقه بالدخول أم لا فذهب إلى الأول مالك والشافعي في القديم والكوفيون والخلفاء الراشدون وجمهور أهل العلم وتجب أيضاً عندهم العدة {إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ} اَنْدَبَازَ اَدَصُّورَفْنَتْ تَنَرَاكِينْ فَلَّاسْ اَيّينَتُّو يِنَرَاكِنْ أي المطلقات ومعناه يتركن ويصفحن وهو استثناء مفرغ من أعم العام وقيل منقطع ومعناه يتركن النصف الذي يجب لهنّ على الأزواج و"يعفون" معناه يتركن ويصفحن ووزنه يفعلن والمعنى إلا أن يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج ولم تسقط النون مع "أن" لأن جمع المؤنث في المضارع على حالة واحدة في الرفع والنصب والجزم فهي ضمير وليست بعلامة إعراب فلذلك لم تسقط ولأنه لو سقطت النون لاشتبه بالمذكر {أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي} مَدي اَدِيصَّورَفْ وَيدِي {بِيَدِهِ} اَسْتِلَّ ضَغْ اَفُوصْنيتْ {عُقْدَةُ النِّكَاحِ} تَمَرْكِيصْتْ نَزَلَافْ اَتّمُوصَنْ اَلْوَلِي مَدي اَنَرَاكِ سَدَيُو تَاكَّالْتْ كُولْ اِيتَنَرَاكْ معطوف على محل قوله "إلا

أن يعفون" لأن الأول مبني وهذا معرب قيل هو الزوج وبه قال جبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وشريح وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعكرمة ونافع وابن سيرين والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وجابر بن زيد وأبو مجلز والربيع بن أنس وإياس بن معاوية ومكحول ومقاتل بن حيان وهو الجديد من قولي الشافعي وبه قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي، ورجحه ابن جريروقيل المراد بقوله "أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح" هو الولي وبه قال النخعي وعلقمة والحسن وطاوس وعطاء وأبو الزناد وزيد بن أسلم وربيعة والزهري والأسود بن يزيد والشعبي وقتادة ومالك والشافعي في قوله القديم {وَأَنْ تَعْفُوا} اَتَّصُّورَفَمْ والأصل تعفووا أسكنت الواو الأولى لثقل حركتها ثم حذفت لالتقاء الساكنين {أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} اَنْتَ اُوكِرَنْ اَهَاظِي سَ التَّقْوَى قيل هو خطاب للرجال والنساء تغليباً أي وعفو بعضكم أيها الرجال والنساء أقرب للتقوى أي من عدم العفو الذي فيه التنصيف والمراد بالتقوى الألفة وطيب النفس من الجانبين وعليه قراءة الجمهور بالتاء الفوقية {وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ} اَدِينْوَرْطَظَّوِيمْ اَنَيَنْفَي {بَيْنَكُمْ} كِرِيوَّنْ اِهُوصَّيْ اَدَيُّو اِيَّنْ ضَغْوَنْ اِيوَاهَضَنْ اَلْحَقْنيتْ المعنى أن الزوجين لا ينسيان التفضل من كل واحد منهما على الآخر ومن جملة ذلك أن تتفضل المرأة بالعفو عن النصف ويتفضل الرجل عليها بإكمال المهر وهو إرشاد للرجال والنساء من الأزواج إلى ترك التقصي على بعضهم بعضاً والمسامحة فيما يستغرقه أحدهما على الآخر للوصلة التي قد وقعت بينهما من إفضاء البعض إلى البعض وهي صلة لا تشبهها وصلة فمن رعاية حقها ومعرفتها حق معرفتها الحرص منهما على التسامح {إِنَّ

اللَّهَ}

اللَّهَ} اِلّكَنَاسْ اللهُ {بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} اِهَانَّيْ اَوَاتَتَامَازَالَمْ دَاوَنِرَزْ فَلَّاسْ فيه من ترغيب المحسن وترهيب غيره ما لا يخفى (٢٣٧) {حَافِظُوا} اَحْفَظَطْ {عَلَى الصَّلَوَاتِ} فَلْ مَدَّنْ ءَانْصَمّوصْ اَتَنْتَهَاكِّيمْ ضَغْ اَلْوَقَنْ نَسَنْ سَشَّرَضَنْ نَسَنْ المحافظة على الشيء المداومة والمواظبة عليه أي داوموا وواظبوا على الخمس المكتوبات بجميع شرائطها وحدودها وإتمام أركانها وفعلها في أوقاتها المختصة بها ولعل الأمر بالصلوات وقع في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها {وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} تَحْفَظَمْ فَلْ اَمُودْ ءَانْ اَلْوُسْطَى الوسطى تأنيث الأوسط وأوسط الشيء ووسطه خياره ومنه قوله تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً"وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر بعد دخولها في عموم الصلوات تشريفاً لها وقد اختلف أهل العلم في تعيينها على ثمانية عشر قولاًوأرجح الأقوال وأصحها ما ذهب إليه الجمهور من أنها العصر لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث علي قال كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراًوأما ما روي عن علي وابن عباس أنهما قالا إنها صلاة الصبح كما أخرجه مالك في الموطأ عنهما وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وكذلك غيره عن ابن عمر وأبي أمامة فكل ذلك من أقوالهم وليس فيها شيء من المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي القول الثاني أنها العصر لأن قبلها صلاتي نهار وبعدها صلاتي ليل {وَقُومُوا لِلَّهِ} تَبْدَدَمْ يَ اللهُ {قَانِتِينَ} اَلْحَالْ اَنَّميلْنَوَنْ تَلِّيلَمْتُو القنوت قيل هو الطاعة أي قوموا في صلاتكم طائعين قاله جابر بن زيد وعطاء وسعيد بن جبير والضحاك

والشافعي وقيل هو الخشوع قاله ابن عمر ومجاهد وقيل هو الدعاء وبه قال ابن عباس وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهراً يدعو على رعل وذكوان وقال قوم إن القنوت طول القيام وقيل معناه ساكتين قاله السدى وقد اختلفت الأحاديث في القنوت المصطلح عليه هو قبل الركوع أو بعده وهل هو في جميع الصلوات أو بعضها، وهل هو مختص بالنوازل أم لا (٢٣٨) {فَإِنْ خِفْتُمْ} كُدْ تَكْصُوضَمْ ضَغْ مَلُّوكِا مَدي بَرْوَقَّاسْ {فَرِجَالًا} ءَادِيزَ تَمُّودِيمْ تَجِيوَنْكِيمْ {أَوْ رُكْبَانًا} مَدي تَمُّودِيمْ تَوَانَمْ الخوف هو الفزع والرجال جمع رجل {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} ءَامَرْتَفْلَسَمْ تَكْمَضْ كَوَنْء طَصَا أي إذا زال خوفكم بعد وجوده أو لم يكن أصلاً فارجعوا إلى ما أمرتم به إتمام الصلاة مستقبلين القبلة قائمين بجميع شروطها وأركانها وهو قوله {فَاذْكُرُوا اللَّهَ} ءَادِيزَتَمُّودِيمْ {كَمَا عَلَّمَكُمْ} فَلْ تَمَويتْ تَدِي اَكَوَنِيصُّوصَنْ أي ذكراً مثل ما علمكم من الشرائع أن يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه والكاف صفة لمصدر محذوف أي ذكراً كائناً كتعليمه إياكم أو مثل تعليمه إياكم {مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} تَدِي اَسْتُووَرْتَلّيمْ تَصَّانَمْطَتْ دَاتَاوَى فيه إشارة إلى إنعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا تعليمه إيانا لم نعلم شيئاً ولم نصل إلى معرفة شيء فله الحمد على ذلك (٢٣٩) {وَالَّذِينَ} وِنْدِي {يُتَوَفَّوْنَ} اَصَطَّرْمَصَنْ مَانَّصَنْ {مِنْكُمْ} ضَغْوَنْ {وَيَذَرُونَ} أُوِيَّنْدُو {أَزْوَاجًا} شِنَرَاكِينْ أي يقربون من الوفاة إذ المتوفى بالفعل لا يتصوّر منه وصية وهذا عود إلى بقية الأحكام المفصلة فيما سلف وقد اختلف السلف ومن تبعهم من المفسرين في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فذهب الجمهور إلى أنها منسوخة بالأربعة الأشهر والعشر كما تقدم وأن الوصية المذكورة فيها

منسوخة

منسوخة بما فرض الله لهنّ من الميراث وقد حكى ابن عطية والقاضي عياض أن الإجماع منعقد على أن الحول منسوخ وأن عدتها أربعة أشهر وعشر {وَصِيَّةً} اِلَّيْ فَلَّاسَّنْ اَصَمَّطَرْ {لِأَزْوَاجِهِمْ} اِيتَنَرَاكِينْ نَسَنْ قرىء بالنصب على تقدير فعل محذوف أي فليوصوا وصية أو أوصى الله وصية أو كتب الله عليهم وصية وقرىء بالرفع ومعناه وصية الذين يتوفون وصية أو حكم الذين يتوفون وصية قرأ نافع وابن كثير والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر "وصية" بالرفع على الابتداء وخبره "لأزواجهم" وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر "وصية" بالنصب وذلك حمل على الفعل أي فليوصوا وصية والمعنى فيجب عليهم أن يوصوا لأزواجهم بثلاثة أشياء النفقة والكسوة والسكنى وهذه الثلاثة تستمر سنة وحينئذ يجب على الزوجة ملازمة المسكن وترك التزين والإحداد هذه السنة {مَتَاعًا} اِمُوصَنْ اَرَطْ اَزَّسَاتَمْتَاعْنَتْ ضَغْ النَّفَقَةْ اَتَّلَسَّيْ {إِلَى الْحَوْلِ} هَارْ تَمَدُوتْ نَوَطَيْ اَدِّينْطَانْ غُرْ طَمَطَّانْتْ نَسَنْ أي متعوهن متاعاً أو جعل الله لهن ذلك متاعاً والمتاع هنا نفقة السنة والمعنى أنه يجب على الذين يتوفّون أن يوصوا قبل نزول الموت بهم لأزواجهم أن يمتعن بعدهم حولاً كاملاً بالنفقة والسكنى من تركتهم {غَيْرَ إِخْرَاجٍ} اَلْحَالْ اَنَّميلْ نَسْنَتْ وَرْزَتَوَصَكْمَضْنَتْ ضَغْ اَهَنْ دِي معناه ليس لأولياء الميت ووارثي المنزل إخراجها اَمَطيرْدِي دَ التَّاخِيرْ نَوَطَيْدِي تِيوَنْسَخَنِينْ اَلْمَسْكَنْ غَاسْ اَدِنْوَرْنَتَوَنْسَخْ [6] {فَإِنْ خَرَجْنَ} كُدْ اَكْمَضْنَتْ باختيارهن قبل الحول {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ءَادِيزَ وَلَا اَبَكَّاضْ فَلَّاوَّنْ يَا اَلْوَلِيتَنْ أي على الولي والحاكم

[6] ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات احدهم، مكثت زوجته في بيته حوْلاً، ينفق عليها من ميراثه فإذا تم الحول خرجت إلى باب بيتها ومعها بعرة فرمت به كلباً وخرجت بذلك من عدتها (زاد المسير ١/ ٢٨٦)

{فِي مَا فَعَلْنَ} ضَغْ اَوَاَمّوزَلْنَتْ {فِي أَنْفُسِهِنَّ} ضَغْ مَانَّصْنَتْ ضَغْ اَدْلُوكْ دَسَلْكَاضْ بِيتَنَتِكْمَيَنْ من التعرض للخطاب والتزين لهم وترك الإحداد {مِنْ مَعْرُوفٍ} اِمُوصْ اَرَطْ اِيتِيوَصَّنَنْ ضَغْ الشَّرِيعَ أي بما هو معروف في الشرع غير منكر وفيه دليل على أن النساء كن مخيرات في سكنى الحول وليس ذلك بحتم عليهن قال القرطبي معناه فإن خرجن بإختيارهن قبل الحول لأنه لا يجب عليها المقام في بيت زوجها حولا انتهى وقال السمرقندي يحتمل أنه أراد الخروج بعد مضي السنة ويحتمل الخروج في السنة إذا خرجت بعذر في أمر لا بد لها منه {وَاللَّهُ} اللهُ {عَزِيزٌ} اَمَصَّرْنَيْ اَيْمُوصْ ضَغْ تَغْمَرْنيتْ أي غالب قوي في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده {حَكِيمٌ} نَمَظَّليلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكْ فيما شرعه من الشرائع وبينه من الأحكام (٢٤٠) {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ} اِلَّيْ اِيتَنُولَفينْ {مَتَاعٌ} اِسَتَّمْتَاعْ اَزَّتُوَكْفِينَتْ المعنى اَلْمُتْعَةْ {بِالْمَعْرُوفِ} سَكيتْ وَيْمَّكَّنَنْ قد اختلف المفسرون في هذه الآية فقيل هي المتعة وأنها واجبة لكل مطلقة وقيل إن هذه الآية خاصة بالثيّبات اللواتي قد جومعن لأنه قد تقدم قبل هذه الآية المتعة واللواتي لم يدخل بهن الأزواج وقد قدمنا الكلام على هذه المتعة والخلاف في كونها خاصة بمن طلقت قبل البناء والفرض أو عامة المطلقات وقيل إن هذه الآية شاملة للمتعة الواجبة وهي متعة المطلقة قبل البناء والفرض وغير الواجبة وهي متعة سائر المطلقات فإنها مستحبة فقط وقيل المراد بالمتعة هنا النفقة {حَقًّا} اِيمُوصْ ءَادِي اَرَطْ اِلّكَنَنْ {عَلَى الْمُتَّقِينَ} فَلْ مِيكْصَدَنْ نَ اللهُ يعني الذين يتقون الشرك (٢٤١) {كَذَلِكَ} اَمَّكْ اَزْدَاوَنْ اِسَنَّفَالَلْ اَوَدِّيتَمَلَنْدَ {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ} اَزْدَاوَنْ اِسِينَفِلِيلْ اللهُ {آيَاتِهِ} اَلايَتينّيتْ أي ما يلزمكم ويلزم أزواجكم والذي يجب

ويلزم أزواجكم والذي يجب لبعضكم على بعض {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} اَنْكِمَاكْ كَوَنِي اَتَّصَامَضْرَانَمْ ضَغَسْنَتْ أي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والأحكام وما فيهُ صلاح دينكم ودنياكم (٢٤٢) {أَلَمْ تَرَ} ءَاكْ وَرْزَاتَصَّنَا تَاجَبَا {إِلَى الَّذِينَ} اَلْقِصَّةْ اَنوِنْدِي {خَرَجُوا} اَكِّمَضْنِينْ {مِنْ دِيَارِهِمْ} ضَغْ غَوْنَاتَنْسَنْ الاستفهام هنا للتقرير والرؤية المذكورة هي رؤية القلب لا رؤية البصر والمعنى عند سيبويه تنبَّه إلى أمر الذين خرجوا ولا تحتاج هذه الرؤية إلى مفعولين كذا قيل وحاصله أن الرؤيةَ هنا التي بمعنى الإدراك مضمّنة معنى التنبيه ويجوز أن تكون بمعنى الرؤية البصرية أي ألم تنظر إلى الذين خرجوا وهم قوم من بني إسرائيل جعل الله سبحانه قصة هؤلاء لما كانت بمكان من الشيوع والشهرة يحمل كل أحد على الإقرار بها بمنزلة المعلومة لكل فرد أو المبصَرة لكل مبصر لأن أهل الكتاب قد أخبروا بها ودوّنوها وأشهروا أمرها والخطاب هنا لكل من يصلح له والكلام جار مجرى المثل في مقام التعجب ادعاء لظهوره وجلائه بحيث يستوي في إدراكه الشاهد والغائب قاله السعد التفتازاني وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة والعموم أولى {وَهُمْ أُلُوفٌ} ضَغْ اَلْحَالَاسْ اَنْتَنَيْ اَمُوصَنْ اِكِيمَنْ {حَذَرَ الْمَوْتِ} فَلْ تَكْصَضَا اَنْطَمَطَّانْتْ أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل إنهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ} اِنَّاصَنْ اللهُ {مُوتُوا} مَطَطْ اَمّينْ اَدِّيدَا أمر تكوين وتحويل وهو عبارة عن تعلق إرادته بموتهم دفعة أو تمثيل لإماتته سبحانه إياهم ميتة نفس واحدة كأنهم أمروا فأطاعوا فماتوا {ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} دَفَّرَادِي اِسْوَدَرْتَنْدُو دَفَّرْ اَطَّامَضَانْ مَدي اَتَنُوكَّرَنْ سَسَّبَابْ اَنْطَوَاطْرَيْ نَ النَّبِي نَسَنْ اَدَّرَنْ الزَّمَانْ اَكُّوتْنِينْ اِلَّيْ فَلَّاسَّنْ اَدرِيزْ

ربع

اَنْطَمَطَّانْتْ يعني بعد موتهم بدعاء نبيهم حزقيل بعد ثمانية أيام أو أكثر فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن واستمرّ في أسباطهم {إِنَّ اللَّهَ} اِلْكَنَاسْ اللهُ {لَذُو فَضْلٍ} مَشِيسْ اَنْ مَكَّتْ التنكير للتعظيم أي لذو فضل عظيم {عَلَى النَّاسِ} فَلْ اَيْتِيدَنْ اِلَّيْ ضَغْ مَكَّتْنِيتْ اَسُودَرْ اَدّيكَا وِنْدَا فَلْ اَدَابَظَنْ اَلْمَاعِظَا جميعاً فيجب عليهم شكره أما هؤلاء الذين خرجوا فلكونه أحياهم ليعتبروا وأما المخاطبون فلكونه قد أرشدهم إلى الاعتبار والاستبصار بقصة هؤلاء قال ابن عباس كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله موتوا فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه فأحياهم وإن القرية التي خرجوا منها داوردان قيل هو حزقيل ويقال له ابن العجوز ويقال له ذو الكفل وهو ثالث خليفة في بني إسرائيل لأن موسى بعده يوشع ثم كالب ثم حزقيل وقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم النهي عن الفرار من الطاعون وعن دخول الأرض التي هو بها من حديث عبد الرحمن بن عوف {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} مِشَانْ اَلْكُثَرْ نَيْتيدَنْ اَتِنمُوصَنْ اِكُوفَارْ {لَا يَشْكُرُونَ} وَرَكّوضَيَنْ يَ اللهُ النِّعْمَتْ نيتْ يعنى أن أكثر من أنعم الله عليه لا يشكر (٢٤٣) {وَقَاتِلُوا} نَمَنْقِيوَتْ اَدْ كُوفَارْ {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ طَارَّيْتْ تَانَّ اللهُ فَلْ اَتْكُولْ اَنْتَاوَلْتْ تَانَّ اللهُ هو معطوف على مقدر كأنه قيل اشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا هذا إذا كان الخطاب بقوله "وقاتلوا" راجعاً إلى المخاطبين بقوله "ألم تر إلى الذين خرجوا" كما قاله جمهور المفسرين وعلى هذا يكون إيراد هذه القصة لتشجيع المسلمين على الجهاد وقيل إن الخطاب للذين أحيوا من

بني إسرائيل

بني إسرائيل فيكون عطفاً على قوله "موتوا وفي الكلام محذوف تقديره وقال لهم قاتلوا وقال ابن جرير لا وجه لقول من قال إن الأمر بالقتال للذين أُحيوا {وَاعْلَمُوا} تَصَنَمْ {أَنَّ اللَّهَ} ءَاسْ اللهُ {سَمِيعٌ} إِسَالُو اِطَنَّاوِينْ نَّوَنْ لما يقوله المتعلل عن القتال {عَلِيمٌ} إِصَانْ ضَغْ اَلْحَالَنْ نَوَنْ بما يضمره وفيه وعد لمن بادر بالجهاد ووعيد لمن تخلف عنه (٢٤٤) {مَنْ ذَا الَّذِي} مَنِي وَدِي {يُقْرِضُ اللَّهَ} اَزِّيزَبَنينْ يَ اللهُ {قَرْضًا حَسَنًا} اَزَبَنَا اِهُوصَّيَنْ اِكَانْ اَسْ تَرَضُوتْ اَنْ مَانْ اِكَا فَلَّ اللهُ {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} إِسَنَّطْفَصَاصْطُو قرأ عاصم وغيره "فيضاعفه" بالألف ونصب الفاء {أَضْعَافًا} اِنَطْفُوصَنْ {كَثِيرَةً} اَكُوتْنينْ لما أمر سبحانه بالقتال والجهاد أمر بالإنفاق في ذلك وإقراض الله مَثَل لتقديم العمل الصالح الذي يستحق به فاعله الثواب واستدعاء القرض في الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغني الحميد شبّه عطاء المؤمن ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء وقد اختلف في تقدير هذا التضعيف على أقوال وقيل لا يعلمه إلا الله وحده قاله السدي وهذا هو الأولى وإنما أبهم الله ذلك لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود وقيل إلى سبعمائة ضعف وقيل غير ذلك {وَاللَّهُ} اللهُ {يَقْبِضُ} اِطَاكْرَاطْ اَرَّطَغْ فَلْ وَصِرَ اِصَّنْ اَدِيطَظِّيضَرْ مي {وَيَبْسُطُ} إِسَارَّدْتْ يوَصِرَ اِصَّنْ اَدِيكُّوضِي مي حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم كيلا تبدل أحوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للإيماء إلى أنه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء هذا عام في كل شيء فهو القابض الباسط والقبض التقتير والبسط التوسيع وفيه وعيد بأن

بخل من البسط يوشك أن يبدل بالقبض ولهذا قال {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} اَنْتَ اَزْتَتَوَصُوغَلَمْ ضَغْ اَلاخِرَةْ اِرْزَاوَنْ اَسْ مَازَالَنْ نَوَنْ أي هو يجازيكم بما قدمتم عند الرجوع إليه فإن أنفقتم مما وسع به عليكم أحسن إليكم وإن بخلتم عاقبكم وقيل المعنى أن الله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الإنفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والإنفاق في البر وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بينْ أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم مصرّف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك" أخرجه مسلم قال الخازن وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها والسكوت عنها وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا إثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الأمة (٢٤٥) {أَلَمْ تَرَ} ءَاكْ وَرْزَاتَصَوْضَا تَاجَبَا {إِلَى الْمَلَإِ} سَ اَلْقِصَّةْ نَ اَلْجَمَاعَةْ {مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} ضَغْ بَنُواِسْرَائِيلْ الكلام فيه كالكلام في قوله "ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم" وقد قدمناه والملأ الأشراف من الناس كأنهم مُلِئُوا شرفاً قال الفراء الملأ الرجال في كل القرآن ويجمع على أملاء مثل سبب وأسباب ذكر الله سبحانه في التحريض على القتال قصة أخرى جرت في بني إسرائيل بعد القصة المتقدمة وقوله من بعد موسى من ابتدائية وعاملها مقدر أي كائنين {مِنْ بَعْدِ مُوسَى} دَفَّرْ اَلِفَاتَ اَنْ مُوسَى أي بعد وفاته {إِذْ قَالُوا} اَدِّي اَدَنَّنْ {لِنَبِيٍّ لَهُمُ} يَ النَّبِي نَسَنْ اَتَمُوصَنْ شِمْوِيلْ قيل هو شمويل بن بالي ابن علقمة ويعرف بابن العجوز ويقال فيه شمعون قال السدى وإنما قيل ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا

فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها ويقال له سمعون لأنها دعت الله أن يرزقها الولد فسمع دعاءها فولدت غلاما فسمته "سمعون" تقول سمع الله دعائي والسين تصير شينا بلغة العبرانية وهو من ولد يعقوب وقيل من نسل هرون {ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا} اَكَانَا اَمَنُوكَالْ {نُقَاتِلْ} اَزَّنَنَمَنْقُو دَرَسْ بالنون والجزم وقراءة جمهور القراء على جواب الأمر{فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ اَبَرَقَّا نَ اللهُ تَكْفَصْ سَرَسْ اَلْكَلِمَةْ نَنَا المراد بالملك الأمير أي نرجع إليه ونعمل على رأيه {قَالَ} اِتَّاصَنْ النَّبِي نَسَنْ {هَلْ عَسَيْتُمْ} ميقَّلْ اِهَامِجَاسْ كَوَنِي و"عسيتم" بالفتح والكسر لغتان وبالثانية قرأ نافع والباقون بالأولى وهي الأشهر {إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} كُدِّيتَوَصَفْرَضْ فَلَاوَنْ اَنَمَنْقَا {أَلَّا تُقَاتِلُوا} اَسْ وَرْزَتَنَمَنْغِيمْ عسى من أفعال المقاربة أي فهل قاربتم أن لا تقاتلوا وإدخال الاستفهام على فعل المقاربة لتقرير ما هو متوقع عنده والإشعار بأنه كائن وفصل بين عسى وخبرها بالشرط للدلالة على الاعتناء به {قَالُوا} اَتَّنَاصْ {وَمَا لَنَا} اَنْسْتَاغَرَ تَنَا مَدَانَغِكِرَوَنْ {أَلَّا نُقَاتِلَ} اَسْ وَرْزَ نَنَمَنْقُو {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ضَغْ اَبَرَقَّا نَ اللهُ قيل المعنى وأي شيء لنا أن لا نقاتل وقيل غير ذلك قال النحاس وهذا أجودها {وَقَدْ أُخْرِجْنَا} نَكَّنَيْ اِكَاسْ نِتِيوِكَّصْ {مِنْ دِيَارِنَا} ضَغْ نَانْ نَنَا {وَأَبْنَائِنَا} اَدْ مَدَّانَنَا تِوَكْفَلَنْ تِوَنْقَنْ إفراد الأولاد بالذكر لأنهم الذين وقع عليهم السبي أو لأنهم بمكان فوق مكان سائر القرابة وهذا كلام عام والمراد منه خاص لأن القائلين لنبيهم ما ذكر كانوا في ديارهم وإنما أخرج بعض آخر غيرهم ثم أخبر سبحانه أنهم تولّوا لما فرض عليهم القتال لاضطراب نياتهم وفتور عزائمهم فقال {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ} اَسْدِ طَوَصَفْرَضْ فَلَّاسَنْ اَنَمَنْقَا {تَوَلَّوْا} بَرَكِّوَلَنْ فَلْ اَنَمَنْقَا اَبَكِّبَكِّنْ

بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته {إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ} اَنْدَبَا ءَادَرُوسَنْ ضَعْسَنْ وِنَاصُورَقْنِينْ اَعْزَرْ زُونْ اَوَدُو ظَاصِينْ واختلف في عدد قليل الذين استثناهم الله سبحانه وهم الذين اكتفوا بالغرفة {وَاللَّهُ} اللهُ {عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} اَمُوصَنْ اَيْمُوصْ ضَغْ الظَّالِمَنْ أي عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال وهم بقية السبعين ألفاً وهم من عدا القليل المذكور (٢٤٦) {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ} اِنَّاصَنْ النَّبِي نَسَنْ شروع في تفصيل ما جرى بينهم وبين نبيهم من الأقوال والأفعال {إِنَّ اللَّهَ} اِلْكَنَاسْ اللهُ {قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ} اِكَاسْ دَاوَنِكَا طَالُوتْ {مَلِكًا} اَمْنُوكَالْ وهو اسم أعجمي وكان سقاءً وقيل راعياً وقيل دباغاً وقيل مكارياً واسمه بالعبرانية شاول ابن قيس وجعله فعلوتاً من الطول تعسف يدفعه منع صرفه {قَالُوا} اَنَّنَاصْ {أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ} مَانَمَّكْ نَسْدَازْتُوزَا تَمَلْ تَغْمَرْ {عَلَيْنَا} فَلَّانَا أي كيف يكون ذلك وكيف يستحقه ولم يكن من بيت الملك {وَنَحْنُ} نَكَّنَيْ {أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ} نُوكِّرْ ءَارَّايْ ضَغَسْ اَسْ تَمْغَرْ فَلَّاسْ اَنْتَ وَرْدِكْمِيضْ ايهَنْ وَانْ تَنَّبُوَا وَلَاوَانْ تَمْغَرْ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوى ابن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام فلهذا أنكروا كونه ملكاً لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم {وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ} وِرِيتَوَكْفَا اِلْوِي ضَغْ اَهَرَيْ أي ولا هو ممن أوتي سعة من المال حتى نتبعه لشرفه أو لماله بل هو فقير والملك يحتاج إلى المال {قَالَ} اِنَّاصَنْ النَّبِي نَسَنْ يعني شمويل النبي {إِنَّ اللَّهَ} اِلْكَنَاسْ اللهُ {اصْطَفَاهُ}

اِفْرَنْطُو {عَلَيْكُمْ} فَلَاوَنْ اِيتَمْغَرْ أي اختاره وخصه بالملك واختيار الله هو الحجة القاطعة ثم بين لهم مع ذلك وجه الاصطفاء وقال {وَزَادَهُ} اِشُوتَاسْ {بَسْطَةً} اِلْوِي أي فضيلة وسعة {فِي الْعِلْمِ} ضَغْ مَصْنَطْ الذي هو ملاك الإنسان ورأس الفضائل وأعظم وجوه الترجيح وكان من أعلم بني إسرائيل وقيل هو العلم بالحرب وبالملك وقيل به وبالديانات {وَالْجِسْمِ} اَتَّغَسَّا الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها فكان قوياً في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر لأشرف النسب فإن فضائل النفس مقدمة عليهوكان طالوت أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان من أجملهم وقيل المراد به القوة لأن العلم بالحروب والقوة على الأعداء مما فيه حفظ المملكة {وَاللَّهُ} اَنْتَ اللهُ {يُؤْتِي مُلْكَهُ} اِهَاكُو تَغْمَرْ نيتْ {مَنْ يَشَاءُ} وَصِرَ اَدَاسْتَتَكْفُو فالملك ملكه والعبيد عبيده فما لكم والإعتراض على شيء ليس هو لكم ولا أمره إليكم؟ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله هذا من قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو من قول نبيهم شمويل وهو الأظهر قال لهم ذلك لما علم من تعنتهم وجدالهم في الحجج فأراد أن يتمم كلامه بالقطعي الذي لا اعتراض عليه وقيل من كلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم {وَاللَّهُ} اللهُ {وَاسِعٌ} مَشْيِسْ اَنْمَكَّتْ تيلْوَاتْ أي واسع الفضل يوسع على من يشاء من عباده {عَلِيمٌ} نَمُوصَنْ ضَغْ وَيْمُوصَنْ اَمَهُورْ دَرَسْ بمن يستحق الملك ويصلح له (٢٤٧) {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ} إِنَّاصَنْ النَّبِي نَسَنْ اَصَّغَا ثمن اَدغَسْ اَكِّمَيَنْ اَلْعَلَامَةْ فَلْ تَغْمَرْنيتْ {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ} اِلْكَنَاسْ اَلْعَلَامَةْ اَنْتَغْمَرْ نيتْ {أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ} اَكَوَنْدَاصُو التَّابُوتْ الصَّنْدُوقْ التابوت فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنهم يرجعون إليه أي علامة ملكه إتيان التابوت

الذي أخذ منكم أي رجوعه إليكم وهو صندوق التوراة قيل وكان من خشب الشمشاد وهو الذي تتخذ منه الأمشاط طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين {فِيهِ سَكِينَةٌ} اَسْتِلَّاضَغَسْ اَدْرُورْ بِيوَلَّنْ نَوَنْ {مِنْ رَبِّكُمْ} اَدِفَالَنْ اَمَلِي نَّوَنْ السكينة فعيلة مأخوذة من السكون والوقار والطمأنينة أي فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت وقيل الضمير للإتيان أي في إتيانه سكون لكم أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة قال ابن عطية الصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتتقوى {وَبَقِيَّةٌ} اِلَّيْ ضَغَسْ اَكُولَزْ {مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى} ضَغْ اَوَدُّويًا مُوسَى {وَآلُ هَارُونَ} اَدْ هَارُونْ اختلف في البقية فقيل هي عصا موسى ورضاض الألواح وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هرون وعمامته وقفيز من المن وكان عند بني اسرائيل يتوارثونه قرناً بعد قرن فلما عصوا وأفسدوا سلّط عليهم العمالقة فغلبوهم عليه وأخذوه منهم وقيل غير ذلك وقيل المراد بآل موسى وهرون هما أنفسهما أي مما ترك موسى وهرون ولفظ آل مقحمة لتفخيم شأنهما {تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ} اَلْحَالْ اَنَّمِيلْ نيتْ ايوَايَنْتِيدْ اَنْ كَلُوسَنْ كَرْ جَنَّاوَنْ دَ مَضَالْ اَصْوَاضَنْ ضَغَسْ هَارْ تَصَنَّنْصَنْ غُرْ طَالُوتْ اَدِّي اَدَقَّرَنْ اَسْ تَغْمَرْنيتْ أي تسوقه قال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فلما رأوا ذلك قالوا نعم فسلموا له الرياسة وملكوه وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموا التابوت بين أيديهم ويقولون إن آدم نزل بذلك التابوت وبالركن وبعصا موسى من الجنة وبلغني أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة

وقال قتادة كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فأقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فأصبح في داره فأقروا بملكه {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ} اِلْكَنَاسْ اِلَّيْ ضَغَادِي اَدِتَّمَلَنْ اَدِي أي في مجيء التابوت {لَآيَةً} تَجَاجَبْتْ {لَكُمْ} يَاوَنْ اَكَوَنْ تَصِينَرَطْ فَلْ تَغْمَرْنيتْ أي علامة ودلالة على صدقي ما أخبرتكم به {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} كُتُوتَلَّامْ تَظَكْظَنَمْ يعني مصدقين قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهبوا للخروج إلى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا معه (٢٤٨) وذلك قوله تعالى {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ} اَسِقَّبْ طَالُوتْ {بِالْجُنُودِ} اَدْ كِنَانْ تَكِا تُوكَصَيْ تَصَصَتْ اَكْمَيَنْ ضَغَسْ ءَامَانْ فصل معناه خرج بهم يقال فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع والمعنى قطع مستقره شاخصاً إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة وعشرون ألفاً ولم يتخلف عنه إلا كبير لكبره أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا إلى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا إن المياه لا تحملنا فادع الله أن يجري لنا نهراً {قَالَ} اِنَّاصَنْ طالوت {إِنَّ اللَّهَ} اِلْكَنَاسْ اللهُ {مُبْتَلِيكُمْ} اَكَوَنَجَرَّبْ {بِنَهَرٍ} سَغَزَرْ أي مختبركم والإبتلاء الاختبار قال قتادة النهر الذي ابتلاهم الله به هو نهر بين الأردن وفلسطين وأردن موضع ذو رمل قريب من بيت المقدس وقرأ الجمهور "بنهر" بفتح الهاء والمراد بهذا الابتلاء اختبار طاعتهم فمن أطاع في ذلك الماء أطاع فيما عداه ومن عصى في هذا وغلبته نفسه فهو في العصيان في سائر الشدائد أحرى {فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ} اِيشْوَنْ ضَغَسْ قليلاً كان أو كثيراً {فَلَيْسَ مِنِّي} وِدِيزَ وَرْتِلَّ ضَغْ مِيدَاوَنِينْ وِنْدِيزَلْكَمْنينْ أي ليس من أهلِ ديني

وطاعتي {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ} وَتُووَرْنَريمْ أي لم يذقه يعني الماء أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً {فَإِنَّهُ مِنِّي} وَدِي اَنْتَ اَتَلَّنْ ضَغْ مِدَاوَنِينْ وِنْدِيزَلْكَمْنينْ {إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ} اَنْدبَازَ وَدُوكِمَنْ {غُرْفَةً} تَاكَّامْتْ اِيَدَّا {بِيَدِهِ} سَفُوصَنْيتْ اِكْدَا سَرَسْ رخص لهم في الغرفة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال وفيه أن الغرفة تكف سَوْرة العطش عند الصابرين على شظف العيش الدافعين أنفسهم عن الرفاهية فالمراد بقوله "فمن شرب منه" أي كرع ولم يقتصر على الغرفة {فَشَرِبُوا مِنْهُ} اَشْوَنْ ضَغَسْ اَسْتِيضُوصَنْ كيتْنَسَنْ أي من النهر {إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ} اَنْدَبَ ءَادَرُوسَنْ ضَغْسَنْ غَاسْ اَيْزَّكْزَلَنْ اَسْ تَاكَّامْتْ اِيَدَّا وهم المذكورون في قوله "ومن لم يطعمه" قال القرطبي إن القليل لم يشرب أصلاً قال سعيد بن جبير القليل ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً عدة أهل بدر وعن ابن عباس قال كانوا ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثة عشر فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فردهم طالوت ومضى ثلثمائة وثلاثة عشر {فَلَمَّا جَاوَزَهُ} اَسِيصُورَفْ اَغْزَرْ {هُوَ} اَنْتَ أي جاوز النهر طالوت {وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} اَدْ وِنْدِي اَظَّكْظَنِّينْ دَرَسْ وهم القليل الذين أطاعوه واقتصروا على الغرفة وقال القرطبي هم الذين لم يذوقوا الماء أصلاً {قَالُوا} اَنَّنْ وِينَشْوَنينْ ضَغَسْ أي الذين شربوا {لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ} وَرَانَقُّوتَلَّا فَرِيكَتْ اَزَلَادَا {بِجَالُوتَ} اِي جَالُوتْ {وَجُنُودِهِ} اَدْ كِنَاتِيتْ اَبَكْبَكَنْ وَرَزْكِيرَنْ اَغْزَرْ اَنْتَنَيْ أي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلاً عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قال القرطبي قيل وكانوا مائة ألف رجل شاكي السلاح وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع

طالوت

طالوت ورأوا جالوت وجنوده فرجعوا منهزمين قائلين هذه المقالة وبعض المفسرين على أن العصاة لم يعبروا النهر بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التخلف منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين الذين معه لا طاقة لنا اليوم الخ {قَالَ الَّذِينَ} اَنَّنْ وِنْدِي {يَظُنُّونَ} سَلَّاكَنّينْ أي يتيقنون رداً على المتخلفين والظن هنا بمعنى اليقين ويجوز أن يكون شكا لا علما أي قال الذين يتوهمون أنهم يقتلون مع طالوت فيلقون الله شهداء فوقع الشك في القتل {أَنَّهُمْ} ءَاسْ اَنْتَنَيْ {مُلَاقُو اللَّهِ} اَدَمَّنَيَنْ دَ اللهُ اَسْ تَنَكْرَ اَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ أي أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله صرح به القاضي كالكشاف {كَمْ مِنْ فِئَةٍ} تَكَّتْ اَلْجَمَاعَةْ {قَلِيلَةٍ} دَرُوسَتْ الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه والقطعة منهم من فأوت رأسه بالسيف أي قطعته {غَلَبَتْ} تَغْلَبَتْ {فِئَةً كَثِيرَةً} اَلْجَمَاعَةْ تَكّيتْ {بِإِذْنِ اللَّهِ} سَاطَّاصْ نَ اللهُ أي بقضاء الله وإرادته {وَاللَّهُ} اللهُ {مَعَ الصَّابِرِينَ} اِلَّيْ دَرْ وِنْ ظَظَّيْضَرْنينْ اَسْ تَدْهَلْتْ دَ النَّصَارَي بالنصر والعون وهذه من جملة مقولهم ويحتمل أنها من كلام الله تعالى أخبر بها عن حال الصابرين فلا محل لها من الإعراب (٢٤٩) {وَلَمَّا بَرَزُوا} اَسَقَّبَنْ {لِجَالُوتَ} اَسْ جَالُوتْ وكان جالوت أمير العمالقة وملكهم ظله ميل ويقال إن البربر من نسله {وَجُنُودِهِ} اَدْ كِنَاتِيتْ اَكَنْ الصَّفَنْ وِنَّ اَمَكِرْ أي صاروا في البراز وهو المتسع من الأرض وما انكشف منها واستوى ومنه سميت المبارزة في الحرب لظهور كل قرن إلي صاحبه والمعنى ظهروا لقتالهم وتصافحوا {قَالُوا} اَنَّنْ أي جميع من معه من المؤمنين {رَبَّنَا} اَمَلِينَّنَا {أَفْرِغْ عَلَيْنَا} تَقَّايَا فَلَّانَا أي أصبب علينا {صَبْرًا} تَظَيْضَارْتْ الإفراغ يفيد معنى الكثرة {وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} تَتِيتَيَا اِيتَفْرَانَّنَا عبارة عن كمال

القوة والرسخ وعدم الفشل والتزلزل عند المقاومة يقال ثبت قدم فلان على كذا إذا استقر له ولم يزل عنه وثبت قدمه في الحرب إذا كان الغلب له والنصر معه وليس المراد تقررها في مكان واحد {وَانْصُرْنَا} تَنْصَارَغَانَا {عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} فَلْ ميدَّنْ وِنَمُوصنْينْ اِكُوفَارْ هم جالوت وجنوده ووضع الظاهر موضع المضمر إظهاراً لما هو العلة الموجبة للنصرة عليهم وهي كفرهم (٢٥٠) {فَهَزَمُوهُمْ} اَرْظَنْطَنْ {بِإِذْنِ اللَّهِ} سَاطَّاصْ نَ اللهُ الهزم الكسر ومنه سقاء منهزم أي انثنى بعضه على بعض مع الجفاف ومنه ما قيل في زمزم إنها هزمة جبريل أي هزمها برجله فخرج الماء والهزم ما يكسر من يابس الحطب وتقدير الكلام فأنزل الله عليهم النصر فهزموهم بأمر الله وإرادته {وَقَتَلَ دَاوُدُ} اِنْغَا دَوُودَ اَتِلَّانْ ضَغْ اَلْعَسْكَرْ وَانْ طَالُوتْ {جَالُوتَ} جَالُوتْ اَمَنُوكَالْ نَسَنْ هو داود بن إيشاوجمع الله له بين النبوة والملك بعد أن كان راعياً وكان أصغر أخوته اختاره طالوت لمقابلة جالوت فقتله وكان يومئذ صغيراً لم يبلغ الحلم سقيماً أصفر اللون يرعى الغنم فهذه الواقعة قبل نبوته وأن أباه كان من جملة جيش طالوتوقد ذكر المفسرون أقاصيص كثيرة من هذا الجنس فالله أعلم {وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} اَكْفَا اللهُ دَاوُودْ طَغْمَرْ اَنْ بَنُو اِسْرَئِيلْ دَفَّرْ طَالُوتْ الكامل سبع سنين بعد موت طالوت {وَالْحِكْمَةَ} اَذْ تَنَّبُوَ دَفَّرْ شِمْوِيلْ وَرَرْطَايَنْ اِيوَلِيَّنْ دَاتَسْ والمراد بالحكمة هنا النبوة وقيل هي تعليمه صنعة الدروع من الحديد وكان يلين في يده وينسجه كنسج الغزل ومنطق الطير والألحان أي فهم أصواته وكذا البهائم {وَعَلَّمَهُ} اِصَّوصَنْطُو {مِمَّا يَشَاءُ} ضَغْ اَوَصِرَ زُونْ الصِنْعَةْ نَ الدَّرَعَنْ دَوَا لَاقَّضَنْ كَضَاضْ ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فجمع الله

لداود

لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل ولم يجتمعا لأحد قبله بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط ثم جمع الله له ذلك ولابنه سليمان بين الملك والنبوة {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ} اَنْدَبَا اَرَغَامْ اَيْتَاكْ اللهُ اَيْتيدَنْ كذا قراءة الجماعة إلا نافعا فإنه قرأ "دفاع" ويجوز أن يكون مصدرا لفعل كما يقال حسبت الشيء حسابا وآب إيابا ولقيته لقاء ومثله كتبه كتابا ومنه "كتاب الله عليكم" النحاس وهذا حسن فيكون دفاع ودفع مصدرين لدفع وهو مذهب سيبويه وقال أبو حاتم دافع ودفع بمعنى واحد و"دفاع" مرفوع بالابتداء عند سيبويه "الناس" مفعول {بَعْضَهُمْ} ايديسْ نَسَنْ {بِبَعْضٍ} سَديسْ المعنى اَرَغَامْ اَيْتَاكْ اِكُوفَارْ اَسْ مُومَنَنْ وبعضهم بدل من الناس وهم الذين يباشرون أسباب الشر والفساد ببعض آخر منهم وهم أهل الإيمان الذين يكفّونهم عن ذلك ويردونهم عنه {لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} اَدِخْشَدْ اَمَضَالْ سَدَغْلَبَنْ كُوفَارْ اِيمُومَنَنْ جَبَّرَجّينْ شِيمَزْكِدَّاوينْ اِيطَوَنَّا اَلْمَعْنَاتَيتْ اَنْدَبَا اَرَغَامْ نَ اللهُ اَسْ مُومَنَنْ دَ اَلَابْرَارْ فَلْ كُوفَارْ دَ اَلْفُجَّارْ اَدِهْلَكْ اَمَضَالْ دَوَتِلَّنْ ضَغَسْ لتغلب أهل الفساد عليها وإحداثهم الشرور التي تهلك الحرث والنسل قال القرطبي واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم فقيل هم الأبدال وهم أربعون رجلا كلما مات واحد أبدل آخر فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق وروي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا يستقى بهم الغيث وينصرهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء» ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول» قال ابن عباس يدفع الله بمن يصلي

عمن لا يصلي وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكي عمن لا يزكي {وَلَكِنَّ اللَّهَ} مِشَانْ اللهُ {ذُو فَضْلٍ} مَشِيسْ اَمَجَّتْ التنكير للتعظيم {عَلَى الْعَالَمِينَ} فَلْ تَخَلَّاكْ اِرْغَمْ اديسْ نَسَنْ سَديسْ أي عمّ فضله الناس كلهم (٢٥١) {تِلْكَ} شِنْضَغْدَا اَلايَتينْ ابتداء {آيَاتُ اللَّهِ} اَلايَتينْ نَ اللهُ هي ما اشتملت عليه هذه القصة من الأمور المذكورة خبره وإن شئت كان بدلا والخبر {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ} غَارَّقَنَتْ فَلَّاكْ {بِالْحَقِّ} اَسْتِيدَتْ والمراد بالحق هنا الخبر الصحيح الذي لا ريب فيه عند أهل الكتاب والمطلعين على أخبار العالم {وَإِنَّكَ} اِلّكَنَاسْ كَيْ ضيغينْ تُولَسْ {لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} تَلّيقُو ضَغْ نَمُّوزَالْ خبر إن أي وإنك لمرسل إخبار من الله سبحانه بأنه من جملة رسل الله سبحانه تقوية لقلبه وتثبيتاً لجنانه وتشييداً لأمره وأن الذي يخبر به من الأخبار العجيبة والقصص القديمة وحي من الله من غير أن يعرفها بقراءة كتب ولا استماع أخبار فدل ذلك على رسالتك (٢٥٢) {تِلْكَ الرُّسُلُ} وِنْدِيدَ اِنَمُّوزَالْ {فَضَّلْنَا} سَصَّافَا {بَعْضَهُمْ} اديسْ نَسَنْ {عَلَى بَعْضٍ} فَلْ اَديسْ قيل هو إشارة إلى جميع الرسل فيكون الألف واللام للاستغراق وقيل هو إشارة إلى الأنبياء المذكورين في هذه السورة وقيل إلى الأنبياء الذي بلغ علمهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بتفضيل بعضهم على بعض أن الله سبحانه جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلاً والآخر مفضولاً وكما دلت هذه الآية على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض كذلك دلت الآية الأخرى عليه وهي قوله تعالى "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً" قال الخازن أجمعت الأمة على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء لعموم رسالته وهو قوله "وما أرسلناك إلا كافة

للناس

للناس بشيراً ونذيراً" وقد استشكل جماعة من أهل العلم الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ "لا تفضلوني على الأنبياء" وفي لفظ آخر "لا تفضلوا بين الأنبياء" وفي لفظ "لا تخيروا بين الأنبياء" فقال قوم إن هذا القول منه صلى الله عليه وسلم كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل وأن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل وقيل إنه قال صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع كما قال لا يقل أحدكم أنا خير من يونس بن متى تواضعاً مع علمه أنه أفضل الأنبياء كما يدل عليه قوله "أنا سيد ولد آدم" {مِنْهُمْ} اِلَّيْ ضَغْسَنْ تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً {مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ} اِيسِيشَيوَلْ اللهُ شِوَرْ اَلْوَاسِطَةْ زُونْ مُوسَى أي بغير واسطة وهو موسى كلمه في الطور ونبينا سلام الله عليهما كلمه ليلة الإسراء {وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ} اِيثْكَلْ ايديسْ نَسَنْ {دَرَجَاتٍ} سَ الدَّرَاجَتينْ اَتَمُوصَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم فَلْ اِيوَرِيمُوصْ هذا البعض يحتمل أن يراد به من عظمت منزلته عند الله سبحانه من الأنبياء ويحتمل أن يراد به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة مزاياه المقتضية لتفضيله ويحتمل أن يراد به إدريس لأن الله سبحانه أخبرنا بأنه رفعه مكاناً علياً وقيل إنهم أولو العزم وقيل إبراهيم {وَآتَيْنَا} اَكْفي {عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} عِيسَى اَكْ مَرْيَمَ {الْبَيِّنَاتِ} تَلْمُعْجِزَاتينْ زُونْ اَسُودَرْ اَتَّمَطَّانْ أي الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الأموات وإبراء المرضى من الأكمه والأبرص وغير ذلك {وَأَيَّدْنَاهُ} زَظَّويقُّو أي قويناه {بِرُوحِ الْقُدُسِ} اَسْ تَمينْتْ تَازَدِيكِتْ اَتَتِمُوصَنْ جِبْرِيلْ اِشْوكَلَنْ دَرَسْ اَكِنَّا اِسِشْوكَلْ هو جبريل وكان يسير معه حيث سار إلى أن رفعه الله إلى عنان السماء السابعة {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} اَنَّارْ اِرَ اللهُ اَصَنَرْ نَيْتيدَنْ

كيتْنَسَنْ {مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ} كُدْ نَمَنْقَنْ وِنْدِي أي ما اختلف فأطلق الاقتتال وأراد سببه وهو الاختلاف الذين {مِنْ بَعْدِهِمْ} دَقَّرْ نَمّوزَالْ المعنى شِمَاتِيوينْ نَسَنْ أي من بعد الرسل وقيل من بعد موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأن الثاني مذكور صريحاً والأول والثالث وقعت الإشارة إليهما بقوله "منهم من كلم الله" أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا فمفعول المشيئة محذوف على القاعدة وقيل أن لا يؤمروا بالقتال وقيل أن يصيرهم إلى الإيمان وكلها متقاربة {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} دَقَّرْ اَسْتَنْضُوصَانْ الدَّلِيلَنْ نِفَالَلْنينْ أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه {وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا} مِشَانْ اَمَّزَرَيَنْ فَلَاسْ ءَادِيدَا أُوطَصْ اللهُ استثناء من الجملة الشرطية أي ولكن الاقتتال ناشىء عن اختلافهم اختلافاً كثيراً حتى صاروا مللاً مختلفة والمعنى لو شاء الله الاتفاق لاتفقوا ولكن شاء الاختلاف فاختلفوا {فَمِنْهُمْ} اِلَّيْ ضَغْسَنْ {مَنْ آمَنَ} اِيرْكِّكَنْ فَلْ اَطْكِّطَانَيتْ {وَمِنْهُمْ} اِلَّيْ ضَغْسَنْ {مَنْ كَفَرَ} اِيكْفَارَنْ زُونْ النَّصَارَى دَقَّرْ اَلْمَسِيحْ أي ثبت على إيمانه أو تعمد الكفر بعد قيام الحجة كالنصارى بعد المسيح {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} اَتَّارْ اِرَ اللهُ عدم اقتتالهم بعد هذا الاختلاف {مَا اقْتَتَلُوا} وَرْزَانَمَنْقِينْ تأكيد {وَلَكِنَّ اللَّهَ} مِشَانْ اللهُ {يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} اِتَامَازَالْ اَوَيْرَ من توفيق من شاء وخذلان من شاء لا رادّ لحكمه ولا مبدل لقضائه فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض عليه في ملكه وفعله (٢٥٣) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَا وِنْدِي اَطَّكِّطَنّينْ هَا {أَنْفِقُوا} نَافَّقَتْ {مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} ضَغْ اَوَكَنَكْفِي ظاهر الآية الوجوب وقد حمله جماعة على صدقة الفطر لذلك ولما في آخر الآية من الوعيد الشديد وقيل إن هذه الآية تجمع زكاة الفرض

والتطوع

والتطوع {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ} هَرْوَ وَرْضُوصَا فَلَّاوَنْ ازَلْ {لَا بَيْعٌ فِيهِ} سَرْمَاتُّوطَهَا شِنّيكِي أي أنفقوا ما دمتم قادرين وقدموا لأنفسكم اليوم من الأموال من قبل أن يأتي ما لا يمكنكم الإنفاق فيه وهو يوم لا يتبايع الناس فيه ولا تجارة فيكتسب الإنسان من يفتدي به نفسه من العذاب {وَلَا خُلَّةٌ} وَلَاتَمِيدُوَا تَهَاطَنْفَا والخلة خالص المودة والخلة بالفتح الحاجة والفقر أخبر سبحانه أنه لا خلة في يوم القيامة نافعة ولا مودة ولا صداقة {وَلَا شَفَاعَةٌ} وَلَاشِنَاغِينْ اَزَّاتَوِيغِنينْ سَاوَرْنَمُوصْ تُورَاكِّتْ نَ اللهُ مؤثرة إلا لمن أذن الله له قيل وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بالإذن بين المؤمنين هذا عام مخصوصاً {وَالْكَافِرُونَ} اِيكُوفَارْ مَدي وِنَكْفَرْنِينْ سَوَيْ تَوَصَفْرَضَنْ فَلَّاسَّنْ ابتداء {هُمُ الظَّالِمُونَ} اَنْتَنَيْ ءَاضْلَمْنِينْ اِمَانَّصَنْ سَصَنْصِي نَسَنْ اَلْمَرْ نَ اللهُ صَغَاوَرْنَمُوصْ ايدَكِّنيتْ "هم" ابتداء ثان "الظالمون" خبر الثاني وإن شئت كانت "هم" زائدة للفصل و"الظالمون" خبر "الكافرون" فيه دليل على أن كل كافر ظالم لنفسه ومن جملة من يدخل تحت هذا العموم مانع الزكاة منعاً يوجب كفره لوقوع ذلك في سياق الأمر بالإنفاق وعن عطاء قال الحمد لله الذي قال "والكافرون هم الظالمون" ولم يقل والظالمون هم الكافرون (٢٥٤) {اللَّهُ} اللهُ {لَا إِلَهَ} وَرْتِلَّ اَمَتَّوَعْبَادْ سَ اَلْحَقْ {إِلَّا هُوَ} ءَارْ اَنْتَ غَاسْ أي لا معبود بحق إلا هو هذه آية الكرسي سيدة آي القرآن وأعظم آية كما تقدم بيانه في الفاتحة ونزلت ليلا ودعا النبي صلى الله عليه وسلم زيدا فكتبها روي عن محمد ابن الحنفية أنه قال لما نزلت آية الكرسي خر كل صنم في الدنياوعن علي رضي الله عنه قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول وهو على أعواد المنبر "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم

يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله" وهذه الآية تضمنت التوحيد والصفات العلا وهي خمسون كلمة وفي كل كلمة خمسون بركة وهي تعدل ثلث القرآن ورد بذلك الحديث ذكره ابن عطية وقال ابن عباس أشرف آية في القرآن آية الكرسي قال بعض العلماء لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمر وظاهر ثماني عشرة مرة {الْحَيُّ} اَيْمُوصْ اَمُودَرْ وَاوَرْنَقْبِيلْ طَمَطَّانْتْ {الْقَيُّومُ} اُكَايْ اَمَاكُو ضَغْ تَبَدَّيْ دَتَّدْبِيرْ اَنْتَخَلَّاكْنِيتْ نعت لله عز وجل وإن شئت كان بدلا من "هو" وإن شئت كان خبرا بعد خبر وإن شئت على إضمار مبتدإ ويجوز في غير القرآن النصب على المدح و"الحي" اسم من أسمائه الحسنى يسمى به ويقال إنه اسم الله تعالى الأعظم ويقال إن عيسى ابن مريم عليه السلام كان إذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بهذا الدعاء ياحي يا قيوم ويقال إن آصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان دعا بقوله ياحي يا قيوم والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقيل القائم بذاته المقيم لغيره وقيل القائم بتدبير الخلق وحفظهوأصل قيوم قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياء {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ} وَرْتِيتِيبَظْ اَنَدَّمْ {وَلَا نَوْمٌ} وَليطَصْ هذا كالتعليل لقوله القيوم السِنة النعاس في قول الجمهور والنعاس ما يتقدم النوم من الفتور وانطباق العينين فإذا صار في القلب صار نوماًوالمراد أنه لا يعتريه شيء منهما وقدّم السنة على النوم لكونها تتقدمه في الوجود فهو على حد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها {لَهُ} اِلَّاسْتُو {مَا فِي السَّمَاوَاتِ} اَوَتِلَّنْ ضَغْ جَنَّاوَنْ {وَمَا فِي

الأرض

الْأَرْضِ} دَوَتِلَّنْ ضَغْ اَمَضَالْ يعني أنه تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وخلقه وهم في ملكه وأجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ "ما" دون "من" واللام إما للقهر وإما للملك وإما للإيجاد {مَنْ ذَا الَّذِي} مَنِي وَدِي "من" رفع بالابتداء و"ذا" خبره و"الذي" نعت ل"ذا" وإن شئت بدل ولا يجوز أن تكون "ذا" زائدة كما زيدت مع "ما" لأن "ما" مبهمة فزيدت "ذا" معها لشبهها بها {يَشْفَعُ} اَزَّاغِنْ شِنَاغِينْ { عِنْدَهُ} غُورَسْ {إِلَّا بِإِذْنِهِ} ءَارْ اَسْتُورَاكِّتْنِيتْ في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى كما قال "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" قال ابن عطية والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين أو وصل ولكن له أعمال صالحةالقرطبي فدلت هذه الأحاديث على أن شفاعة المؤمنين وغيرهم إنما هي لمن دخله النار وحصل فيها أجارنا الله منها وقول ابن عطية "ممن لم يصل أو وصل" يحتمل أن يكون أخذه من أحاديث أخر والله أعلم {يَعْلَمُ} اِصَّانْ {مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} اَوَادَاتْسَنْ {وَمَا خَلْفَهُمْ} دَوَادَفَّرْسَنْ ضَغْ تَالْغِوِينْ شِنْ الدَّنيتْ اَدْ شِنْ اَلاخِرَةْ الضميران لما في السموات والأرض بتغليب العقلاء على غيرهم وما بين أيديهم وما خلفهم عبارة عن المتقدم عليهم والمتأخر عنهم أو عن الدنيا والآخرة وما فيهما {وَلَا يُحِيطُونَ} وَرَسَفَّرَكِّنَتْ تَخَلَّاكْ {بِشَيْءٍ} يَاتِّلَّانْ {مِنْ عِلْمِهِ} ضَغْ مَصْنَطِّينيتْ قد تقدم معنى الإحاطة والعلم هنا بمعنى المعلوم أي لا

يحيطون بشيء من معلوماته {إِلَّا بِمَا شَاءَ} ءَارْ اَوَصِرَ أن يطلعهم عليه بأخبار الأنبياء والرسل ليكون دليلاً على نبوتهم وليس ذلك إليهم بل إليه قال القرطبي العلم هنا بمعنى المعلوم أي ولا يحيطون بشيء من معلوماته وهذا كقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور في البحر ما نقصى علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر فهذا وما شاكله راجع إلى المعلومات لأن علم الله سبحانه وتعالى الذي هو صفة ذاته لا يتبعض» ومعنى الآية لا معلوم لأحد إلا ما شاء الله أن يعلمه {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ} ايوَايْ اَلْكُورَسْ نَ اللهُ ويقال فلان يسع الشيء سعة إذا احتمله وأمكنه القيام بهوالكرسي هنا الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطأوا في ذلك خطأً بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً وقال بعض السلف إن الكرسي هنا عبارة عن العلم قالوا ومنه قيل للعلماء كراسي وقيل كرسيُّه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسياً أي ما يعمده وقيل إن الكرسي هو العرشوقيل هو عبارة عن الملك والسلطان مأخوذ من كرسي العالم والملك والمراد بكونه وسع {السَّمَاوَاتِ} اِجَنَّاوَنْ {وَالْأَرْضَ} دَ مَضَالْ أنها صارت فيه وأنه وسعها ولم يضق عنها لكونه بسيطاً واسعاً{وَلَا يَئُودُهُ} وَرْ فَلَّاسْ اِشَقَّا {حِفْظُهُمَا} اَلْحِفَاظَ نَسَنْ اَنْتَنَيْ دَوَتَنِهَنْ معناه لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض يقال آدني بمعنى أثقلني وتحملت منه مشقة وقال الزجاج يحتمل أن يكون الضمير في قوله يؤوده لله سبحانه ويجوز أن يكون للكرسي لأنه من أمر الله {وَهُوَ} اَنْتَ اللهُ {الْعَلِيُّ} اَمَتْكُولْ اَيْمُوصْ {الْعَظِيمُ} مَقَّرَنْ العلي يراد به علو القدر

والمنزلة

والمنزلة لا علو المكان لأن الله منزه عن التحيز قاله القرطبيوقيل علا من أن يحيط به وصف الواصفين وحكى الطبري عن بعضهم أنهم قالوا هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه قال ابن عطية وهذا قول جهلة مجسمين وكان الواجب أن لا يحكى انتهى "العظيم" صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف لا على معنى عظم الأجرام (٢٥٥) {لَا إِكْرَاهَ} وَرْتُوتَلَّا تَدَانْكِتْ {فِي الدِّينِ} فَلْ اِكُوزْ ضَغْ الدِّينْ {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ} اِكَّاسْ تَنِيفَالَلْ تَنُورَيْ {مِنَ الْغَيِّ} ضَغْ اَخْرُوكْ الاية تَتِيوَنْسَخِينْ مَدي تَمّيوَيْ فَلْ وِنَكْفَنينْ صُوصَيْ الرشد هنا الإيمان والغي الكفر أي قد تميز أحدهما من الآخر وأصل الغي بمعنى الجهل إلا أن الجهل في الاعتقاد والغي في الأعمال وهذا استئناف يتضمن التعليل لما قبله اختلف العلماء في معنى هذه الآية على ستة أقوال (الأول) قيل إنها منسوخة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام قاله سليمان بن موسى قال نسختها "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين" وروي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين. (الثاني) ليست بمنسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية والذين يكرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام فهم الذين نزل فيهم "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين" هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية أسلمي أيتها العجوز تسلمي إن الله بعث محمدا بالحق قالت أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب فقال عمر اللهم اشهد وتلا "لا إكراه في الدين" {فَمَنْ يَكْفُرْ} اِيكْفَرَنْ {بِالطَّاغُوتِ} سَ الشَّيْطَانْ

مَدي سَ الصَّنَمَنْ الطاغوت فعلوت من طغى يطغى ويطغو إذا جاوز الحد قال سيبويه هو اسم مذكر مفرد أي اسم جنس يشمل القليل والكثير قاله سيبويه وقال أبو علي الفارسي إنه مصدر كرهبوت وجبروت يوصف به الواحد والجمع وقلبت لامه إلى موضع العين وعينه موضع اللام كجبذ وجذب فقلبت الواو ألفا لتحركها وتحرك ما قبلها فقيل طاغوت واختار هذا القول النحاس قال الجوهري والطاغوت الكاهن والساحر والشيطان وكل رأس في الضلال وكل ما عبد من دون الله وقد يكون واحداً قال تعالى "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به" وقد يكون جمعاً قال تعالى "أولياؤهم الطاغوت" والجمع الطواغيت أي فمن يكفر بالشيطان أو الأصنام أو أهل الكهانة ورؤس الضلالة أو بالجميع {وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} اِظَّكِّظَنْ سَ اللهُ عز وجل بعدما تميز له الرشد من الغي والحق عن الباطل والهدى عن الضلالة وإنما قدّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله لأن الشخص ما لم يخالف الشيطان ويترك عبادة غيره تعالى لم يؤمن بالله كما قالوا إن التخلية مقدمة على التحلية {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ} وَدِي اِكَّاسْ اِطَّافْ {بِالْعُرْوَةِ} سَصَاضَفْ(الْوُثْقَى} وَيْظَظَّوِينْ أي فقد فاز وتمسّك بالحبل الوثيق المحكم والوثقى فعلى من الوثاقة تأنيث الأوثق وجمعها وثق مثل الفضلى والفضل وهذه الآية تشبيه واختلفت عبارة المفسرين في الشيء المشبه به فقال مجاهد العروة الإيمان وقال السدى الإسلام وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير والضحاك لا إله إلا الله وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد ثم قال {لَا انْفِصَامَ لَهَا} وَرْتِلَّا اَمَكَكِي يَاسْ اَنْكِمْ اَقَّتَسْ الانفصام الانكسار من غير بينونة قال الجوهري فصم الشيء كسره من غير أن يبين وأما القصم بالقاف فهو الكسر مع

البينونة

البينونة وفسر صاحب الكشاف الانفصام بالانقطاع والمعنى أن المتمسك بالدين كالمتمسك بالشيء الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه والجملة مستأنفة أو حالية {وَاللَّهُ} الله {سَمِيعٌ} إسالُو يَويْطَاوَنّينْ {عَلِيمٌ} اِصَّانْ ضَغْ اَوَيْتَاوَمَازَالَنْ يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين، والجملة اعتراض تذييلي حامل على الإيمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد (٢٥٦) {اللَّهُ} الله {وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} اَمَانْصَارْ اَنْونْدِي اَظَكّظَنّينْ الولي فعيل بمعنى فاعل وهو الناصر {يُخْرِجُهُمْ} إسَاكِّمَاظَنْ {مِنَ الظُّلُمَاتِ} ضَغْ شِيَّايْ آنْ اَلْكَفَرْ {إِلَى النُّورِ} سَ النُّورْ ءَانَّظَكّظَانْ تفسير للولاية أو حال من الضمير في ولي وهذا يدل على أن المراد بقوله "الذين آمنوا" الذين أرادوا الإيمان لأن من قد وقع منه الإيمان قد خرج من الظلمات إلى النور إلا أن يراد بالإخراج إخراجهم من الشبهة التي تعرض المؤمنين فلا يحتاج إلى تقدير الإرادة قيل كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد به الكفر والإيمان غير الذي في سورة الأنعام فالمراد به الليل والنهار وإفراد النور لوحدة الحق وجمع الظلمات لتعدد فنون الضلال {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وِنْدِي اَكْفَرْنينْ {أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ} إمَارَايَنْ سَرْسَنْ الشَّيَاطِينَنْ {يُخْرِجُونَهُمْ} طَاكَّصَنْطَنْ {مِنَ النُّورِ} ضَغْ النُّورْ ءَانَّظَكّظَانْ {إِلَى الظُّلُمَاتِ} اَشَيَّايْ آنْ اَلْكَفَرْ المراد بالنور ما جاء به أنبياء الله من الدعوة إلى الدين فإن ذلك نور للكفار أخرجهم أولياؤهم منه إلى ظلمة الكفر أي قرّرهم أولياؤهم على ما هم عليه من الكفر بسبب صرفهم عن إجابة الداعي إلى الحق من الأنبياء وقيل المراد بالذين كفروا هنا الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم يخرجهم أولياؤهم من الشياطين ورؤس الضلال من النور الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى

ظلمات الكفر التي وقعوا فيها بسبب ذلك الإخراج {أُولَئِكَ} وِنْدِي {أَصْحَابُ النَّارِ} اَنْتَنَيْ مَصَّاوَصْ اَنْتَمَسَيْ {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} اَنْتَنَيْ ادَغْلَلَنْ ضَغَسْ يعني الكفار والطاغوت أي هم ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم ماكثون فيها أبداً (٢٥٧) (أَلَمْ تَرَ) ءَاكْ وَرْزَتَصْوَضَا تَاجَبَا (إِلَى الَّذِي) ضَغْ اَلْقِيصَتْ اَنْوَدِي (حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ) اِظَمَّظَغَنْ اِبْرَاهِيمْ (فِي رَبِّهِ) ضَغْ اَمَلِينَيْتْ في هذه الآية استشهاد على ما تقدم ذكره من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وهمزة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي أي ألم ينته علمك أو نظرك إلى هذا الذي صدرت منه هذه المحاجة وألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام قال الفراء ألم تر بمعنى هل رأيت أي هل رأيت الذي حاج إبراهيم وهو النمرود بن كوش ابن كنعان بن سام بن نوح وقيل إنه النمرود بن فالخ بن شانج بن أرفخشد ابن سام وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية وكان ابن زنا وكان إهلاكه لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن فتح الله تعالى عليه بابا من البعوض فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة منها في دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك فبقي في البلاء أربعين يوما (أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) قَلْ اَسْتِكْفَا اللهُ طَغْمَرْ أي لأن آتاه الله أو من أجل أن آتاه الله على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لأني أحسنت إليك واختلفوا في وقت المحاجة فقيل لما كسر إبراهيم الأصنام وقيل بعد إلقائه في النار وكان مدة ملكه أربعمائة سنة

(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ) اَدّي اَضِينًا اِبْرَاهِيمْ اَصَّغَا اَضِينَا مَيْمُوص اَمَلِينَّكْ وَزْدَانَاتَغَارًا (رَبِّيَ) اَمَلِينِينْ (الَّذِي) اَنْتَدّي (يُحْيِي) اِسُودُورَنْ (وَيُمِيتُ) اِنَاقُّو أراد إبراهيم عليه السلام أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد وأراد الكافر أنه يقدر على أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة فكان هذا جواباً أحمق لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم لأنه أراد غير ما أراده الكافر فلو قال له ربي الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهل تقدر على ذلك لبهت الذي كفر بادىء بدء وفي أول وهلة ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى أوضح منها تنفيساً لخناقه وإرسالاً لعنان المناظرة (قَالَ) اِنَّاصْ نَمْرُوزْ (أَنَا) نَكْدَا (أُحْيِي) سِيدُورَا (وَأُمِيتُ) نَاقًّا (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) اِنَّاصْ اِبْرَاهِيمْ اَصَّغَا وَتِينَيْ اِمُوصْ اَلْبَلِيدْ وَرِيلَا اَكِرّي (فَإِنَّ اللَّهَ) اِلْكَنَاسْ اللهُ (يَأْتِي) اِطَاصَضُو (بِالشَّمْسِ) اَطَّفُوكْ (مِنَ الْمَشْرِقِ) ضَغْ دَنَّكْ (فَأْتِ بِهَا) ءَاصَضُو دَرَسْ كَيْ (مِنَ الْمَغْرِبِ) ضَغْ اَطَرَامْ لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة وتمويهاً وتلبيساً على العوام (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) اَدّي اَدِيكِّلَاكِّلْ وَدِي اِكْفَرَنْ بهت الرجل وبهت وبهت إذا انقطع وسكت متحيراً وقيل هذا الفعل من جملة الأفعال التي جاءت على صورة المبني للمفعول والمعنى فيها على البناء للفاعل والبهت الانقطاع والحيرة وهو مبهوت لا باهت ولا بهيت (وَاللَّهُ) اللهُ (لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وَرِيصَنِيرْ ميدَّنْ اَمُوصَنِينْ الظَّالِمَنْ سَ اَلْكَفَرْ اَسْ تَارّيتْ تَانْ مَصَنَطْ نَلْهِيكًّا تذييل مقرر لمضمون الجملة التي قبله (٢٥٨) (أَوْ كَالَّذِي) مَدي تَصَوَضَا تَاجَبَا ضَغْ وَدِي (مَرَّ) اِزْكِّرَنْ (عَلَى قَرْيَةٍ) فَلْ تَغْرَمْتْ اِيَّتْ اَتَتِمُوصَنْ بَيْتَ اَلْمَقْدِسْ أي ألم تر إليه كيف هداه الله

وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود واختلف في ذلك المار فقال ابن عباس وعبد الله بن سلام وسليمان وبريدة والضحاك وقتادة وعكرمة والسدي هو عزير بن شرخيا وقال ابن عبيد ووهب بن منبه هو أرمياء بن حلقياء من سبط هرون وهو الخضر بعينه وعن رجل من أهل الشام أنه حزقيل ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله على إحياء خلقه بعد إماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار قال وهب وعكرمة والربيع إن القرية هي بيت المقدس بعد تخريب بخت نصر لها (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ضَغْ اَلْحَالَاسْ اَنْتَ تَفِيطَقَتْ (عَلَى عُرُوشِهَا) فَلْ فيلَنَّيتْ تَبِرَجَّتْ أي ساقطة يعني سقط السقف ثم سقطت الحيطان عليه قاله السدي .واختاره ابن جرير وقيل معناه خالية من الناس والبيوت قائمة والظاهر القول الأول بدلالة قوله "على عروشها" من خوى البيت إذا سقط وخوت الأرض إذا انهدمت قال ابن عباس خاوية أي خراب وقال قتادة خاوية أي ليس فيها أحد وقال الضحاك العروش السقوف (قَالَ) اِنَا أي ذلك المار (أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ) مَانَمَّكْ نَزْدُوزِيسُّودَرْ اللهُ تَادَغْدَا طَاغْرَمْتْ (بَعْدَ مَوْتِهَا) دَقَّرْ طَمَطَّانْتْ نيتْ أي متى يحيي أو كيف يحيي وهو استبعاد لإحيائها وهي على تلك الحالة المشابهة لحالة الأموات المباينة لحالة الأحياء وقيل قال ذلك استعظاماً لقدرته تعالى قاله السيوطي وعبارة أبي السعود قال ذلك تلهفاً عليها وتشوقاً إلى عمارتها مع استشعار اليأس منها ولما قال المار هذه المقالة مستبعداً لإحياء القرية المذكورة بالعمارة لها والسكون فيها ضرب الله له المثل في نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه فقال (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ) اِنْقَيْ اللهُ (مِائَةَ عَامٍ) هَارِكٍ طيميضَيْ نَوَطَيْ والعام السنة أصله مصدر كالعوم سمي به هذا القدر من الزمان والعوم هو

السباحة

السباحة سميت السنة عاماً لأن الشمس تعوم في جميع بروجها (ثُمَّ بَعَثَهُ) دَفْرَادِي إِسْوِدَرْتِيدْ فَلْ اَتَّصَكْنُو تَمويتْ نَادِي أي أحياه ليريه كيفية ذلك وإيثار البعث على الإحياء للدلالة على سرعته قال علي فأول ما خلق الله عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ثم نفخ فيه الروح قال علي فأتى مدينته وقد ترك جاراً له إسكافاً شاباً فجاء وهو شيخ كبير (قَالَ) اِتَّاصْ اللهُ (كَمْ لَبِثْتَ) مَنَكيتْ تَظْضَغَا ضَغْ اَدَّيًا (قَالَ) اِتَّاصْ (لَبِثْتُ يَوْمًا) اَظْضَاغَا اَزَلْ اِيَنْدَا (أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) مَدي اَكِّنَا نَزَلْ اختلف في فاعل قال فقيل هو الله عز وجل وقيل ناداه بذلك ملك من السماء قيل هو جبريل وقيل غيره وقيل إنه نبي من الأنبياء وقيل رجل من المؤمنين من قومه شاهده عند أن أماته الله وعمر إلى حين بعثه والأول أولى لقوله فيما بعد "وانظر إلى العظام كيف ننشزها" وإنما قال "يوماً أو بعض يوم" بناء على ما عنده وفي ظنه فلا يكون كاذباً ومثل قول أصحاب الكهف "قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم" ومثله قوله صلى الله عليه وسلم في قصة ذي اليدين "لم تقصر ولم أنس" وهذا مما يؤيد قول من قال إن الصدق ما طابق الاعتقاد والكذب ما خالفه وقيل إن الله أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال "لبثت يوماً" وهو يرى أن الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال "أو بعض يوم" وقيل إن أو بمعنى بل التي للإضراب وهو قول ثابت وقيل هي للشك والأول أولى (قَالَ) اِتَّاصْ اللهُ (بَلْ لَبِثْتَ) بَاتَّارْ تَظْضَاغَ ضَغْ اَدَّيًا (مِائَةَ عَامٍ) طيميضَيْ نَوطَيْ هو استئناف أيضاً كما سلف أي ما لبثت يوماً أو بعض يوم بل لبثت مائة عام (فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ) اَصْوَضْ ضَغْ طَطَّيْنَّكْ (وَشَرَابِكَ) اَطَصَّيْنَّكْ (لَمْ يَتَسَنَّهْ)

وَرَمَّطَّيَنْ دَرْ تَزَّكْرَتْ نَ الزَّمَانْ الطعام هو التين الذي كان معه والشراب هو العصير والمعنى لم يتغير ولم ينتن فكان التين كأنه قد قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته أمره الله أن ينظر إلى هذا الأثر العظيم من آثار القدرة وهو عدم تغير طعامه وشرابه مع طول تلك المدة والتسنّه مأخوذ من السنة أي لم تمر عليه السنون أي المائة سنة لبقائه على حاله وعدم تغيره مع طول الزمان مع أن شأنه التغير سريعاً وقرأ الجمهور بإثبات الهاء في الوصل إلا الأخوين حمزة والكسائي فإنهما يحذفانها ولا خلاف أن الوقف عليها بالهاء (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ) تَصْوَضَا ضَغْ اَجَضْ نَكْ اِصْوَضْ ضَغَسْ اِمَّوطْ اَكِيغَاكْ ءَادِي فَلْ اَطَّصَّنَا اختلف المفسرون في معناه فذهب الأكثر إلى أن معناه انظر إليه كيف تفرقت أجزاؤه ونخرت عظامه وتقطعت أوصاله ثم أحياه الله وعاد كما كان لتشاهد كيفية الإحياء فالنظران مختلفان وقال الضحاك ووهب بن منبه انظر إلى حمارك قائماً في مربطه لم يصبه شيء بعد أن مضت عليه مائة عام ويؤيد القول الأول قوله تعالى "وانظر إلى العظام كيف ننشزها" ويؤيد القول الثاني مناسبته لقوله "فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه" وإنما ذكر سبحانه عدم تغير طعامه وشرابه بعد إخباره أنه لبث مائة عام مع أن عدم تغير ذلك الطعام والشراب لا يصلح أن يكون دليلاً على تلك المدة الطويلة بل على ما قاله من لبثه يوماً أو بعض يوم لزيادة استعظام ذلك الذي أمات تلك المدة فإنه إذا رأى طعامه وشرابه لم يتغير مع كونه قد ظن أنه لم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم زادت الحيرة وقويت عليه الشبهة فإذا نظر إلى حماره عظاماً نخرة تقرر لديه أن ذلك صنع من تأتي قدرته بما لا تحيط به العقول فإن الطعام والشراب سريع التغير وقد بقي

هذه المدة

هذه المدة الطويلة غير متغير والحمار يعيش المدة الطويلة وقد صار كذلك فتبارك الله أحسن الخالقين (وَلِنَجْعَلَكَ) اَدْ فَلْ اَكَيكِا (آيَةً) تَجَاجَبْتْ (لِلنَّاسِ) يِيْتيدَنْ وعبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله الفراء وقال الأعمش كونه آية هو أنه جاء شاباً على حاله يوم مات فوجد الأبناء والحفدة شيوخاً (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ) تَصَوَضَا ضَغْ غَسَانْ نَ جَضْ نَكْ (كَيْفَ نُنْشِزُهَا) اَمَكْ وَسْتَنْدُوزَ اَسُودَرَ قرأ الكوفيون بالزاي والباقون بالراءفمعنى القراءة بالزاي نرفعها ومنه النشز وهو المرتفع من الأرض أي نرفع بعضها إلى بعض وأما معنى القراءة بالراء فواضحة من أنشر الله الموتى أي أحياهم (ثُمَّ) دَقَرَادِي (نَكْسُوهَا لَحْمًا) اَسَلْسَقَنْ اِصَانْ اِصْوَاضْ ضَغَسْ اَسِنَّغْرَفْ اَكِّزَنْتُو مَانْ اِيرُو أي نسترها به كما يستر الجسد باللباس (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) اَسْ دَاسِنَفَالَنْ ءَادِي سَ اَلْمُشَاهَدَةَ ما تقدم ذكره من الآيات التي أراه الله سبحانه وأمره بالنظر إليها والتفكر فيها التي استغربها قال ابن جرير لما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً في قدرة الله عنده قبل عيانه من إحياء القرية (قَالَ) إِنَّا (أَعْلَمُ) اَدَغَصَّنَا أي علم مشاهدة بعد العلم اليقيني الحاصل بالفطرة والأدلة العقلية قال أبو علي الفارسي معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته (أَنَّ اللَّهَ) ءَاسْ اللهُ (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اَمَرْنِي اَيْمُوصْ فَلْ اَكُلْ نَرَطْ لا يستعصي عليه شيء من الأشياء ويدخل تحته الإماتة والإحياء دخولاً أولياً (٢٥٩) (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ) تَكْطَا تَمَلَ اَدِّي اَدِنَّا اِبْرَاهِيمْ (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (أَرِنِي) صَكْنِي (كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) اَمَكْ وَزْدُو تَسُودُورَ اِنَمَطَّانْ إذ ظرف منصوب بفعل محذوف أي اذكر وقت قول إبراهيم وإنما كان الأمر بالذكر موجهاً إلى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة لأن طلب

وقت الشيء يستلزم طلبه بالأولى وهكذا يقال في سائر المواضع الواردة في الكتاب العزيز بمثل هذا الظرف وقوله "ربّ" آثره على غيره لما فيه من الاستعطاف الموجب لقبول ما يرد بعده من الدعاء قال الأخفش لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين وكذا قال غيره ولا يصح أن يراد به الرؤية القلبية هنا لأن مقصود إبراهيم أن يشاهد الإحياء لتحصل له الطمأنينة (قَالَ) اِنَّاصْ اللهُ (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) ظَكِّطَانْ ءَاوَرْتَكِي اَسْ تَرْنَانِنْ فَلْ اَسُودَرْ أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته (قَالَ) اِنَّاصْ اِبْرَاهِيمْ (بَلَى) اَوَلَّا اَظَكِّطَنَا علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك (وَلَكِنْ) مِشَانْ اَكِمَايَ ضَغَكْ ءَادِي سألت (لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) فَلْ اَدِيدْرَرْ اَوَلِينْ سَ اَلْمُعَايَنَة باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان أي سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا وقد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم لم يكن شاكاً في إحياء الموتى قط وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أُخبرت عنه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "ليس الخبر كالمعاينة" (قَالَ) اِنَّاصْ اللهُ (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ) اَبَظْضُو اَكُوظْ كِّصَاصْ أي إن أردت ذلك فخذ والطير اسم جمع لطائر كركب لراكب وهو مذهب أبي الحسن أو جمع نحو تاجر وتجر أو مصدر قاله أبو البقاء وخص الطير بذلك قيل لأنه أقرب أنواع الحيوان إلى الإنسان شبهاً في تدوير الرأس والمشي على الرجلين وقيل إن الطير همته الطيران في السماء والخليل كانت همته العلو وقيل غير ذلكقال ابن عباس والطير الذي أخذ وزّ ودال وديك وطاوس وروي نحوه عن قتادة والحسن وعنه قال الغرنوق والطاوس والديك والحمامة وقال مجاهد الغراب بدل الغرنوق (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ)

اَنَا وَيَقَّنَدْ و

تَاوِيَقْنْدُو اَسْ مَانَّكْ تَيَقَّنْ طَانْكَتْ طَانْكَتْ تَصَرْطِيَا إِصَانَّسَنْ اَتَّسَبَّادْ تَسَنْ أي اضممهن إليك وأملهن واجمعهن يقال رجل أصور إذا كان مائل العنق ويقال صار الشيء يصوره يصيره أماله أو قطعه فاللغتان لفظ مشترك بين هذين المعنيين والقراءتان تحتملهما معاً وقرىء فصرهن بضم الصاد وكسرها وقيل معناه قطعهن وبه قال ابن عباس (ثُمَّ اجْعَلْ) دَفَّرَادِي تَيَّا (عَلَى كُلِّ جَبَلٍ) فَلْ اَكَلَّ نَضْغَاغْ (مِنْهُنَّ) ضَغْسَنْ (جُزْءًا) تَدَكَّرْتْ فيه الأمر بالتجزئة لأن جعل كل جزء على جبل يستلزم تقدم التجزئة قال الزجاج المعنى ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً والجزء النصيب (ثُمَّ ادْعُهُنَّ) دَفَّرَادِي طَغْرَقَّنْ أي قل لهن تعالين بإذن الله تعالى (يَأْتِينَكَ) اَكَيْ ضَاصِينْ إتياناً سريعاً (سَعْيًا) أوزَالَنْ نصب على الحال والمراد بالسعي الإسراع في الطيران أو المشي وقيل السعي هو الحركة الشديدة وقيل العدو وقيل الطيران وفيه أنه لا يقال للطائر إذا طار سعى فالحكمة في السعي دون الطيران أن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور أو أن أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة (وَاعْلَمْ) تَصَّنَا (أَنَّ اللَّهَ) ءَاسْ اللهُ (عَزِيزٌ) اَمَصَّرْنَيْ وَرْتِلَّا اَتَّزِيعْجَزَنْ (حَكِيمٌ) اَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكْ في صنعه أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال وضعهن على سبعة أجبل وأخذ الرؤوس بيده فجعل ينظر إلى القطرة تلقى القطرة والريشة تلقى الريشة حتى صرن أحياء ليس لهن رؤوس فجئن إلى رؤوسهن فدخلن فيها وناهيك بالقصة دليلاً على فضل الخليل وحسن الأدب في السؤال حيث أراه ما سأل في الحال وأرى العُزَيْر ما أراه بعد إماتته مائة عام (٢٦٠) ولما كانت حياة الروح متوقفة على أمرين بذل النفوس ودفع الفلوس وقدم الإشارة إلى الأول

بقوله وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أشار إلى الثاني بقوله (مَثَلُ الَّذِينَ) اَلْمِتَالْ نَ تَّفقَتينْ اَنونْدِي مبتدأ و"كمثل" خبر ولا بد من حذف مضاف إما من المبتدأ أو الخبر أي مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو مثل الذين ينفقون كمثل باذر حبة الخ (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) نَافَّقْتينْ اِهَرْوَانَّسَنْ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ضَغْ طَارّيتْ تَانْ اللهُ قيل المراد به الإنفاق في الجهاد وقيل في جميع وجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع (كَمَثَلِ حَبَّةٍ) دَانْ اَلْمِتَالْ اَنْ تَبْلَالْتْ اِيَدَّا (أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ) ضَغْ دَكْمَضْنَتْ اَصَّايَطْ تَغْغَنينْ (فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ) اِلَّيْ ضَغْ اَكُّلْ اَنْتَغْغَنْتْ (مِائَةُ حَبَّةٍ) طيميضَيْ اَنْ تَبْلَالَتْ اَمَّكَدّزَ اَنَّفَقَتينْ نَسَنْ تَانَطْفَاصْنَطْ هَارْ اَصَّايَطْ طَمَاضْ نَنَتْفُوصْ المراد بالسبع السنابل هي التي تخرج في ساق واحد يتشعب منه سبع شعب في كل شعبة سنبلة والحبة اسم لكل ما يزدرعه ابن آدم وقيل المراد بالسنابل هنا سنابل الذرة والدخن فهو الذي يكون منهما في السنبلة هذا العدد وقال القرطبي إن سنبل الدخن يجيء في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعفين وأكثر على ما شاهدنا قال ابن عطية وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة وأما في سائر الحبوب فأكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر والذي ينبغي الاعتماد عليه في هذه الآية وأمثالها أن المقصود بها مجرد تمثيل زيادة الأجر وكثرة الثواب دون وجود ذلك (وَاللَّهُ) اللهُ (يُضَاعِفُ) اِصَانَطْفَاصْ أوكَرَنْ ءَادِي (لِمَنْ يَشَاءُ) اِيوَصِرَ يحتمل أن يكون المراد يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء أو يضاعف هذا العدد فيزيد عليه أضعافه لمن يشاء لا لكل الناس وهذا هو الراجح (وَاللَّهُ) اللهُ (وَاسِعٌ) مَتّيس اَنْمَكَّتْ تيلْوَاتْ (عَلِيمٌ) اَموصَنْ ضَغْ وَيْستَحَقَّنْ اَنَطْفُوصْو أخرج أحمد من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل

عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله يقول الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" وأخرجه أيضاً مسلم وقد وردت الأحاديث الصحيحة في أجر من جهّز غازياً وأخرج أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف" (٢٦١) (الَّذِينَ) وِنْدِي (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) نَافَقْتِينْ إِهَرْوَانَّسَنْ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ضَغْ طَارِّيتْ نَ اللهُ هذه الجملة متضمنة لبيان كيفية الإنفاق الذي تقدم أي هو إنفاق الذين ينفقون قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ) دَفْرَادِي وَرْسَلْكِيمَنْ (مَا أَنْفَقُوا) يَوَانْ فَقَنْ (مَنًّا) اَنيغْنيغْ فَلْ وَسَنْفَقَنْ فَلَّاسْ (وَلَا أَذًى) وَلَاضيغينْ تَكْمَا زُونْ اميلْ نَلنْفَاقْ فَلَّاسْ غُورْ إِسْوَرِيرَ اَدَاسْتُوتَمَلَا المن هو ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها وقيل المن التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه والمن من الكبائر كما ثبت في صحيح مسلم وغيره أنه أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم والأذى السب والتطاول والتشكي قال في الكشاف ومعنى "ثم" إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وإنّ تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الإستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله "ثم استقاموا" انتهى (لَهُمْ أَجْرُهُمْ) وِنْدِيزَ اِلَّاسَنْتُو اَرُوزْ نَلنْفَاقْ نَسَنْ يعني ثوابهم في الآخرة (عِنْدَ رَبِّهِمْ) غُورْ اَمَلِينَّسَنْ فيه تأكيد وتشريف (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) وَلَاطَصَا فَلَّاسَنْ يعني يوم القيامة (وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ) وَرْتَلّينْ اَدْمَغَلْشينْ ضَغْ اَلاخِرَةْ يعني على ما خلّفوا من الدنيا وظاهر الآية نفي الخوف عنهم في الدارين كما تفيده النكرة الواقعة في سياق النفي من الشمول وكذلك نفي الحزن يفيد دوام انتفائه عنهم وقد وردت الأحاديث الصحيحة في النهي عن المن والأذى وفي فضل الإنفاق في سبيل الله وعلى الأقارب وفي وجوه الخير ولا حاجة إلى التطويل بذكرها فهي معروفة في مواطنها قال عبد الرحمن بن يزيد كان أبي يقول إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهارها والمن بها والأذى ما

ربع يصل إلى الإنسان من ضرر بقول أو فعل (٢٦٢) (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) طَنَّا تَتِيوَصَّنَطْ تَمُوصَتْ اَصُوغَلْ نَمَانْصَايْ سَاوَالْ لَمِيضَنْ قيل الخبر محذوف أي أولى وأمثل ذكره النحاس قال ويجوز أن يكون خبراً عن مبتدأ محذوف أي الذي أمرتم به قول معروف أي كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عِدَة حسنة توعده بها (وَمَغْفِرَةٌ) دَصُورَفْ يَاسْ ضَغْ مَانْصَايْ له في الحاجة مبتدأ أيضاً وخبره (خَيْرٌ) أوفَا (مِنْ صَدَقَةٍ) ضَغْ تَكُوطَيْ وجاز الإبتداء بالنكرتين لأن الأولى تخصصت بالوصف والثانية بالعطف والمعنى أن القول المعروف من المسؤول للسائل وهو التأنيس والترجية بما عند الله والرد الجميل خير من الصدقة التي (يَتْبَعُهَا أَذًى) اَسْتَلْكَامْ تَكْمَا تَمُوصَتْ اَنيغْنيغْ مَدي اَسَعْيَبْ نيتْ اَسْ مَانْصَايْ وقد ثبت في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم "الكلمة الطيبة صدقة" وأن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق والمراد بالمغفرة الستر للخلة وسوء حالة المحتاج والعفو عن السائل إذا صدر منه من الإلحاح ما يكدّر صدر المسؤول قال الضحاك قول معروف رد جميل تقول يرحمك الله ويرزقك

الله

الله ولا تنهره ولا تغلظ له القول (وَاللَّهُ) اللهُ (غَنِيٌّ) اَمَغْنِي فَلْ تَكُوطَيْ نيكْلَاتَيتْ عن صدقة العباد لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤنة المن والأذى ويرزقهم من جهة أخرى (حَلِيمٌ) نَنْزُمُورْ سَ التَّاخِيرْ نَ اَلْعَذَابْ فَلْ وَيْتَاكَّنْ اَنيغْنيغْ اَدْ وَيْتَاكَّنْ طَكْمَا يَمَانْصَايْ بتأخير العقوبة عن المانّ والموذي لا يعاجلهم بها لا أنهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبله مشتملة على الوعد والوعيد مقررة لاعتبار الخيرية بالنسبة إلى السائل قطعاً (٢٦٣) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يَا وَنْدِي اَظَكّطَنّينْ هَا (لَا تُبْطِلُوا) اَدْوَرْ تَبَاطَّلَمْ (صَدَقَاتِكُمْ) ءَارُوزْ اَنْ تُكُوطَاوينْ نَّوَنْ يعني أجورها والإبطال للصدقات إذهاب أثرها وإفساد منفعتها أي لا تبطلوها (بِالْمَنِّ) سَنيغْنيغْ (وَالْأَذَى) دِكِّي اَنْ تَكْمَا يَمَانْصَايْ أو بأحدهما يعني على السائل الفقير (كَالَّذِي) زُونْ اَلْبُطْلَا اَيْكَا اَلانْفَاقْ اَنْ وَدِي أي كإبطال الذي (يُنْفِقُ مَالَهُ) إنَافَّقَنْ ايهَرَيْنّيتْ (رِئَاءَ النَّاسِ) فَلِيكِي اَنْصُوكْنِي يِيْتيدَنْ أي لأجل الرياء أو مرائياً لا يقصد بذلك وجه الله وثواب الآخرة بل يفعل ذلك رياء للناس وسمعة واستجلاباً لثنائهم عليه ومدحهم له قيل والمراد به المنافق بدليل قوله (وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) وَرِيظَكّطَنْ سَ اللهُ اَظَكّطَانْ إنْدَانْ (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) دَزَلْ اَيْلْكَمَنْ سَصِمُوصْ اَلْمُنَافِقْ مَدي اَنَسْلَمْ نَنْمّيزْرِي قال ابن عباس لا يدخل الجنة منان وذلك في كتاب الله يعني هذه الآية (فَمَثَلُهُ) وَدِي اَلْمِتَالَانّيتْ أي مثل الذي ينفق رئاء الناس أو المانّ المعطي وقد عدل من خطاب إلى غيبة ومن جمع إلى إفراد (كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) زُونْ اَلْمِتَالْ اَنْتَسَلِيتْ تَسْلَلْتْ الصفوان الحجر الكبير الأملس الصلب وقال الأخفش صفوان جمع صفوانة وقال الكسائي صفوان واحد وجمعه صِفْوَانٌ وَصُفِيٌّ وَصِفِيٌّ وأنكره المبرد وَقَالَ إِنَّمَا صُفِيٌّ جَمْعُ صَفًا كَقَفًا وَقُفِيٍّ وقال النحاس يجوز

أن يكون جمعاً وأن يكون واحداً وهو أولى لقوله (عَلَيْهِ تُرَابٌ) فَلْتِلَا اَمَضَالْ أي استقر على الصفوان (فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) اِوَتَّتْ اَلْوَابِلْ أي الصفوان أو التراب "وابل" أي مطر والوابل المطر الشديد العظيم القطر والمطر أوله رشّ ثم طشّ ثم طلّ ثم نضح ثم هطل ثم وبل يقال وبلت السماء وبلاً ووبولاً اشتد مطرها (فَتَرَكَهُ) أُوبِّيتْ أي الصفوان يعني بقي (صَلْدًا) تَيِغَاسَتْ وَرْتَتِويرْ اَتِّلَانْ ضَغْ اَمَضَالْ اَلْمِتَالْ نَ النَّفَقَتِينْ نَسَنْ اَدِّيدَا أي أجرد نقياً من التراب الذي كان عليه وأملس ليس عليه شيء من الغبار أصلاً وكذلك حال هذا المرائي يوم القيامة فإن نفقته لا تنفع (لَا يَقْدِرُونَ) وَرُورْنينْ (عَلَى شَيْءٍ) فَلْ ءَاتِّلَانْ (مِمَّا كَسَبُوا) ضَغْ اَوَاكْرَزَنْ وَرِنْزَاكِظَنْ يَاسْ اَيْمُوصَنْ ءَارُوزْ أي على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا مستأنفة كأنه قيل ماذا يكون حالهم فقيل لا يقدرون الخ (وَاللَّهُ) اللهُ (لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) وَرِيصَنِيرْ مَيدَّنْ اَمُوصَنِينْ اِكُوفَارْ ضَغْ مَصَنْطَنِيتْ يعني الذي سبق في علمه أنهم يموتون على الكفر وفيه تعريض بأن المن والأذى والرياء من خصال الكفار وعن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إنما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيراً" رواه البغوي بسنده (٢٦٤) ثم ذكر الحق تعالى ضد هؤلاء وهم المخلصون فقال (وَمَثَلُ الَّذِينَ) اَلْمِتَالَ نَ النَّفَقَتِينْ اَنْونْدِي (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ) نَافَقْتِينْ اِيهَرْوَانْ نَسَنْ (ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) فَلْ اَكِمَايْ اَنْتَرُضُوتْ نَ اللهُ ابتغى معناه طلب ومرضاة مصدر رضي يرضى (وَتَثْبِيتًا) دَسَرْكِكْ نَرُوزْ فَلْ اَلانْفَاقْ دِي معناه يثبتون (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)

اَدِكْمَاضَنْ ضَغْ مَانَّصَنْ ببذل أموالهم على الإيمان وسائر العبادات رياضة لها وتدريباً وتمريناً أو يكون التثبيت بمعنى التصديق أي تصديقاً للإسلام ناشئاً من جهة أنفسهم و"ابتغاء مَرْضات الله" و"تثبيتاً" حالان من الواو في "ينفقون" أو مفعولان له وقيل معناه أن أنفسهم لها بصائر فهي تثبتهم على الإنفاق في طاعة الله تثبيتاً قاله الشعبي (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) زُونْ اَلْمِتَالْ اَنْتَفَرَاكْ (بِرَبْوَةٍ) تَهَاطْ تَفَالَّاتْ تَدِيوَيْلَلَتْ تُوكْدَاتْ الجنة البستان وهي أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها مأخوذ من لفظ الجن والجنين لاستتارها والربوة بالحركات الثلاث المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً "ربوة" بضم الراء وبها قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع وأبو عمرو و"بربوة" بفتح الراء وبها قرأ عاصم وابن عامر والحسن وإنما خص الربوة لأن نباتها يكون أحسن من غيره (أَصَابَهَا وَابِلٌ) اِنَّهَلْ اَلْوَابِلْ قال الخليل الوابل المطر الشديد (فَآتَتْ أُكُلَهَا) تَكَفَدُّو طيطِّينَيتْ بضم الهمزة الثمرة التي تؤكل كقوله تعالى "تؤتى أكلها كل حين" وإضافته إلى الجنة إضافة اختصاص كسرج الفرس وباب الدار (ضِعْفَيْنِ) تَمُوصْ صَنَاطَطْ تُولَاتينْ اَنْتِينَيْ تَاتَاكُّو تَاوَرْتمَوُصْ أي مثل ما كانت تثمر بسبب الوابل فالمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ) كُوتَتْ وَرِينَّهَلْ اَلْوَابِلْ (فَطَلٌّ) اِوَاتَّتْ اَزُوزّارْ اَدَاسِكْدَانْ أي فإن الطل يكفيها وهو الطش أي المطر الضعيف الخفيف قال المبرد وغيره تقديره فطلّ يكفيها وقال الزجاج تقديره فالذي يصيبها طل والمراد أن الطل ينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين (وَاللَّهُ) اللهُ (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) إِهَاتّيْ اَوَاتَتَامَازَالَمْ دَاوَنِيرَزْ فَلَّاسْ أي عملاً ظاهراً قلبياً "بصير" لا يخفى عليه من شيء وفي هذا ترغيب لهم بالإخلاص مع ترهيب من الرياء

ونحوه فهو وعد ووعيد (٢٦٥) ثم حذَّر الحق تعالى من طوارق الخلل بعد تمام العمل فقال (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ) اَوَاكْ تُوزْدَامَاسْ اِرَ اِيَنْ ضَغُوَنْ (أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) اَدَاسْتُوتَلَّا تَفَرَاكْ لَانْبُو (مِنْ نَخِيلٍ) تَكَّاتْ ضَغْ تَلَظْضَغِينْ (وَأَعْنَابٍ) دَلْعِينَبَنْ الود الحب للشيء مع تمنيه والهمزة الداخلة على الفعل لإنكار الوقوع والجنة تطلق على الشجر الملتف وعلى الأرض التي فيها الشجر والأول أولى هنا لقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) اَنْكَّايَنْ غَزْرَانْ دَاوْ ايشْكَاتّيتْ بإرجاع الضمير إلى الشجر من دون حاجة إلى مضاف محذوف وأما على الوجه الثاني فلا بد من تقديره أي من تحت أشجارها وهكذا قوله الآتي فاحترقت لا يحتاج إلى تقدير مضاف على الوجه الأول وأما على الثاني فيحتاج إلى تقديره أي فاحترقت أشجارها وخص النخيل والأعناب بالذكر مع قوله (لَهُ فِيهَا) اِلَّاسْتُو ضَغَسْ (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) اَلنَّوعْ ضَغْ اَكُلَّ اَنْتِينَاوينْ لكونهما أكرم الشجر وأشرف الفواكه جامعين لفنون المنافع لما فيهما من الغذاء والتفكه وهذه الجمل صفات للجنة والنخيل اسم جمع واحده نخلة أو جمع نخل الذي هو اسم جنس والأعناب جمع عنب الذي هو جنس واحده عنبة (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) تَنَّهَلْتُو تُوشَرَيْ الواو للحال حملاً على المعنى بتقدير قد وقيل غير ذلك وهذا أرجح وكبر السن هو مظنة شدة الحاجة لما يلحق صاحبه من العجز عن تعاطي الأسباب والمعنى كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ) اَلَّا نَاسْتُو بَرَارَنْ (ضُعَفَاءُ) مَضْرُورْنينْ اَرْكَمْنينْ حال من الضمير في "أصابه" أي والحال أن له أولاداً صغاراً عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر فإن من جمع بين كبر السن وضعف الذرية كان تحسّره على تلك الجنة في غاية الشدة (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ) اِنَّهَلْتَتْ

آكِتَّ تُوشْ

اَكِلَّالُوسْ الإعصار الريح الشديدة المرتفعة التي تهبّ من الأرض إلى السماء كالعمود وهي التي يقال لها الزوبعة قاله الزجاج وقال الجوهري الزوبعة رئيس من رؤساء الجن ومنه سمّي الإعصار زوبعة (فِيهِ نَارٌ) طَهَا تَمْسَيْ (فَاحْتَرَقَتْ) تَمَمَّكَطْ أُوضَنْطَطْ ضَغْ اَلْحَالْ وَدَغُوكِرْ اَضَرُورْ سَرَسْ اَمَكَدِّي النَّفَقَتِينْ اَنْكَلْ صُوكْنِي اَدْمَكَّانْ نَنيغْنيغْ عطف على قوله "فأصابها" وهذه الآية تمثيل لمن يعمل خيراً ويضم ما يحبطه فيجده يوم القيامة عند شدة حاجته إليه لا يسمن ولا يغني من جوع بحال من له هذه الجنة الموصوفة وهو متصف بتلك الصفة (كَذَلِكَ) اَمَكْ اَزْدَاوَنِسَنَّفَالَنْ اللهُ اَوَدِيتَّمَلَنْدَا أي كما بين ما ذكر من أمر النفقة المقبولة وغيرها (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) اَزْدَاوَنْ اِسِينَفِيلِيلْ اللهُ اَلَايَتِينَّيتْ قال ابن عباس يعني في زوال الدنيا وإقبال الآخرة (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) اَنْكِمَاكْ كَوَني اَتَصَامَّضْرَنَمْ ضَغَسْنَتْ تَبَظَمْ اَلْمَاعِظَ أي تعتبرون (٢٦٦) ثم رغّب الحق تعالى في الصدقة من الكسب الطيب فرضا ونفلا فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يا وِنْدِي اَظَّكِّظَنِينْ هَا (أَنْفِقُوا) تَاكَّصَتْ تَمَصَّضَكْ هذا خطاب لجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم واختلف العلماء في المعنى المراد بالإنفاق هنا فقيل الزكاة المفروضة لأن الأمر للوجوب وقيل صدقة التطوع وقيل الفرض والنفل جميعاً (مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) ضَغْ مِيظَضَنْ نَوَاتَكْرَزَمْ المعنى ضَغْ مَهُوصَّايْ أي من جيّد ما كسبتم وخياره كذا قال الجمهور وقال جماعة إن معنى الطيبات هنا الحلال ولا مانع من اعتبار الأمرين جميعاً لأن جيد الكسب ومختاره إنما يطلق على الحلال عند أهل الشرع وإن أطلقه أهل اللغة على ما هو جيد في نفسه حلالاً كان أو حراماً فالحقيقة الشرعية مقدمة على اللغويةقيل وفيه دليل على إباحة الكسب وفي الحديث عن

المقدام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال "ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده" أخرجه البخاري (وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ) اَضَغْ مِيظَضَنْ نَوَدَاوَنْ دَصَكِّمَضَا (مِنَ الْأَرْضِ) ضَغْ اَمَضَالْ ضَغْ تَبَظَاظْ اَتِينَاوِينْ "ومما" أي من طيبات ما "أخرجنا لكم من الأرض" وحذف لدلالة ما قبله عليه وهي النباتات والمعادن والركازوظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض لكن الجمهور خصصوا هذا العموم وتفصيل ذلك في كتب الفروع (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ) اَدْ وَرْتَتَاكِّيمْ اَرَطْ وُوكَلَنْ ضَغَسْ (تُنْفِقُونَ) اَتُوتَنَافَّقَمْ ضَغْ تَمَصَّضَكْ أي لا تقصدوا المال الرديء وفي الآية الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن الآية في الصدقة المفروضة وذهب آخرون إلى أنها تعم صدقة الفرض والتطوع وهو الظاهر وسيأتي من الأدلة ما يؤيد هذا وتقديم الظرف يفيد التخصيص أي لا تخصوا الخبيث بالإنفاق أي لا تقصدوا المال الخبيث مخصصين الإنفاق به قاصرين له عليه (وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ) اَنْتَ وَرْتُوتَلِّيمْ اَتُوتَبَظَمْ ضَغْ وَدَاوَنْتِكْفَنْ ضَغْ اَلْحَقَنْ وِنَوَنْ أي والحال أنكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الأوقات هكذا بيّن معناه الجمهور (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ) ءَارْ سَتَقَّانَمْ ضَغَسْ شِطَّاوِينْ نَّوَنْ كذا قراءة الجمهور من أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل ورضي ببعض حقه وتجاوز وغض بصره عنهوالمعنى لستم بآخذيه في حال من الأحوال إلا في حال الإغماض (وَاعْلَمُوا) تَصَّنَمْ (أَنَّ اللَّهَ) ءَاسْ اللهُ (غَنِيٌّ) اِغْنَا فَلْ اَلنَّفَقَتِينْ نَوَنْ عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج إليها بل لنفعكم بها واحتياجكم لثوابها فينبغي لكم أن تتحروا فيها الطيب (حَمِيدٌ) اِمُوصْ اَمَتَّوَدَوَا فَلْ اَكُلَّ نَ اَلْحَالْ محمود في أفعاله

= على طل حال

على كل حال من التعذيب والإثابة (٢٦٧) ثم حذّر من الشّحّ فقال (الشَّيْطَانُ) اَلشَّيْطَانُ (يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) اِصَاكْصَاضْ كَوَنْ اَشّيلْ اَسْ تَكَطَمْويعدكم معناه يخوفكم بالفقر لئلا تنفقوا فهذه الآية متصلة بما قبلها (وَيَأْمُرُكُمْ) اِتَامَرْكَوَنْ (بِالْفَحْشَاءِ) سَ اَلْبَخَلْ دَكِدَالْ اَنْ تَمَصَّضَكْ أي الخصلة الفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها والبخل عن الإنفاق في الطاعات قال في الكشاف والفاحش عند العرب البخيل انتهى ولكن العرب وإن أطلقته على البخيل فذلك لا ينافي إطلاقهم على غيره من المعاصي وقد وقع كثيراً في كلامهم والمعنى يحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فالمراد به الزنا إلا هذا الموضع (وَاللَّهُ) اللهُ (يَعِدُكُمْ) اِرَاكَّوَلَاوَنْ فَلْ اَلِانْفَاقْ (مَغْفِرَةً مِنْهُ) اَصُورَفْ اَتِيدِيفَالَنْ اَنْ بَكَّاضَنْ نَّوَنْ (وَفَضْلًا) دَ اَرَّظَغْ اِمُوصَنْ تَزَزْرِيتْ بسبب الإنفاق كقوله "إن الحسنات يذهبن السيئآت" وقوله "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه" والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد فقد يقيد تارة بالخير وتارة بالشر ومنه قوله تعالى ("النار وعدها الله الذين كفروا"ومنه

أيضاً ما في هذه الآية من تقييد وعد الشيطان بالفقر وتقييد وعد الله سبحانه بالمغفرة والفضل (وَاللَّهُ) اللهُ (وَاسِعٌ) مَشِّيسْ اَنْمَكَّتْ تيلْوَاتْ أي غني قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه (عَلِيمٌ) نَمُوصَنْ ضَغْ وَيْنْفَقَنْ دَرَطْ وَيْنْفَقْ بإنفاقكم لا تخفى عليه خافية عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال "ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان لأن يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر أعط ممسكاً تلفاً" أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث (٢٦٨) (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ) إِهَاكُّو اَلْحِكْمَةْ اَتَتِمُوصَنْ مَصْنَطْ تَاتَهَا طَنْفَا تَاتَتَاوَيَتْ سَمَازَالْ (مَنْ يَشَاءُ) اِيوَصِرَ أي يعطيها لمن يشاء من عباده واختلف العلماء في الحكمة هنا فقال السدي هي النبوة ابن عباس هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره وقال قتادة ومجاهد الحكمة هي الفقه في القرآن وقال مجاهد الإصابة في القول والفعل وفي البخاري "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" وقال هنا "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" وكرر ذكر الحكمة ولم يضمرها اعتناء بها وتنبيها على شرفها وفضلها وذكر الدارمي أبو محمد في مسنده حدثنا مروان بن محمد حدثنا رفدة الغساني

قال أخبرنا ثابت بن عجلان الأنصاري قال كان يقال إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض فإذا سمع تعليم المعلم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم قال مروان يعني بالحكمة القرآن (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ) وَيْتَوَكْفَنْ اَلْحِكْمَةْ (فَقَدْ أُوتِيَ) وَدِي اِكَّاسْ اِتِيوَكْفَا (خَيْرًا كَثِيرًا) اَلْخَيْرْ أَكِّينوقراءة الجمهور على البناء للمفعول أي من أعطاه الله الحكمة أي العلم النافع المؤدي إلى العمل الصالح فقد أعطاه خيراً عظيماً قدره جليلاً خطره لمصيره إلى السعادة الأبدية والتنكير للتعظيم (وَمَا يَذَّكَّرُ) وَرْظَابَظْ اَلْمَاعِظَ (إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ءَارْ مَصَّاوَصْ اَنْتِيتْوِينْ شِنَنْدَنِينْ والألباب العقول واحدها لُبّ أي الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه وفيه من الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى والجملة إما حال وإما اعتراض تذييلي وقال بعض الحكماء من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليلا فقال "قل متاع الدنيا قليل "وسمى العلم والقرآن" خيرا كثيرا" (269) (وَمَا أَنْفَقْتُمْ) ءَاتَنْفَقَمْ (مِنْ نَفَقَةٍ) اِمُوصَنْ النَّفَقَةْ تَمُوصَتْ تَمَصَّضَكْ مَدي تَاكُوطَيْ (أَوْ نَذَرْتُمْ) مَدي تَضْوَلَمْتُو (مِنْ نَذْرٍ) ضَغْ اَضَّوَالْ تَسَّنْدَمْ سَرَسْ (فَإِنَّ اللَّهَ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ (يَعْلَمُهُ) اِصَّانْ ضَغَادِي دَاوَنِرَزْ فَلَّاسْ ما شرطية ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف أي الذي أنفقتموه وهذا بيان لحكم كلي عام يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة وكل نذر مقبول وغير مقبول وفيه معنى الوعد لمن أنفق ونذر على الوجه المقبول والوعيد لمن جاء بعكس ذلك (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) وَرْتِلَّا يِنَاضْلَامَنْ اَمَّانَّصَنْ سَكّدَالْ اَن تَمَصَّضَكْ اَتْشِيَّتْ نَسَنْدِي نَضَّوَالْ دَ اَلِانْفَاقْ ضَغْ اَوَرْنَمُوص

ايدَكْنيتْ أنفسهم بما وقعوا فيه من الإثم بمخالفة ما أمر الله به من الإنفاق في وجوه الخير (مِنْ أَنْصَارٍ) اَيْمُوصَنْ اِمَاكِاظَنْ اَتَنُوكَظْنينْ ضَغْ اَلْعَذَابْ نَ اللهُ ينصرونهم ويمنعونهم من عقاب الله بما ظلموا به أنفسهم والأولى الحمل على العموم من غير تخصيص بما يفيده السياق أي ما للظالمين بأي مظلمة كانت من أنصار وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في نذر الطاعة والمعصية في الصحيح وغيره ما هو معروف كقوله صلى الله عليه وسلم "لا نذر في معصية الله" وقوله "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه" وقوله "النذر ما ابتغى به وجه الله" (270) (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ) كُدْ تَسَنَّفَالَلَمْ شِكُوطَاونْ نَّوَنْ شِنوَرْ نَمُوصْ تَمَصَّضَكْ (فَنِعِمَّا هِيَ) ءَادِيزَ شِهُوصَّايْ نَرَطْ تَكَامْتُو واختلف القراء في قوله "فنعما هي" فقرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش وعاصم في رواية حفص وابن كثير "فنعما هي" بكسر النون والعين وقرأ أبو عمرو أيضا ونافع في غير رواية ورش وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل "فنعما" بكسر النون وسكون العين (وَإِنْ تُخْفُوهَا) مِشَانْ كُتَنَتَسَكَّنْتَلَمْ (وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ) تَكْفَمْتَنَتْ يِمَكِّنْظَا ضَغْ اَكَنْتُولْ (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) ءَادِيزَ أُوفَا يَاوَنْ ضَغْ اَسَنَّفِيلَلْ نَسْنَتْ اَمَّا تَمَصَّضَكْ تَدِي اَسَنَّفِيلَلْ نيتْ أُوفَا طيهَكَّيْ نيتْ يِمَكِّنْظَا تَعِّيَنْ في هذا نوع تفصيل لما أجمل في الشرطية المتقدمة ولذا ترك العطف بينهما أي إن تظهروا الصدقات فنعم شيئاً إظهارها وإن تخفوها وتصيبوا بها مصارفها من الفقراء فالإخفاء خير لكم وقد ذهب جمهور من المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع لا في صدقة الفرض فلا فضيلة للإخفاء فيها بل قد قيل إن الإظهار فيها أفضل وقالت طائفة إن الإخفاء في الفرض

والتطوع

والتطوعوقد ورد في فضل صدقة السر أحاديث صحيحة مرفوعة (وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ) اَكَّصَا فَلَاوَّنْ اختلف القراء في قراءته فقرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وقتادة وابن أبي إسحاق "ونكفر" بالنون ورفع الراء وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون والجزم في الراء (مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ) اَرَطْ ضَغْ بَكَّاضَنْ نَّوَنْ مِن للتبعيض أي شيئاً من سيآتكم لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئآت كذا قدره أبو البقاء وحكى الطبري عن فرقة أنها زائدة وذلك على رأي الأخفشوالسيئآت جمع سيئة ووزنها فَيعَلة وعينها واو قال ابن عباس جميع سيئاتكم (وَاللَّهُ) اللهُ (بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) اَمُوصَنْ اَيْمُوصْ ضَغْ اَلْبَاطِنْ نَوَاتَتَامَازَالَمْ اَمَّكْ اَسِصَّنْ ضَغْ اَلظَّاهِرْنيتْ دَاوَنِرَزْ فَلَّاسْ يعني من إظهار الصدقات وإخفائها وفيه ترغيب في الإسرار (271) والهداية كلها بيد الله ليس لغيره منها شيء كما أبان ذلك الحقّ جلّ جلاله بقوله (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ) وَرْتِلَّا فَلَّاكْ اَصنَرْ نَيْتيدَنْ سِكُوزْ ضَغْ اَلِاسْلَامْ اَتِلَّنْ فَلَّاكْ اَشَشّيوَضْ أي ليس بواجب عليك أن تجعلهم مهتدين قابلين لما أمروا به ونهوا عنه فالهدى مصدر مضاف للمفعول أو ليس عليك أن يهتدوا فيكون مضافاً لفاعله (وَلَكِنَّ اللَّهَ) مِشَانْ اللهُ (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) اِصَانَارْ وَصِرَ سِيكُوزْ ضَغْ اَلِاسْلَامْ هداية توصله إلى المطلوب وفي هذا رد على القدرية وطوائف من المعتزلة كما تقدم فالأمور كلها بيد الله خيرها وشرها ولكن من جهة الأدب مَّآ أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وهذه الجملة معترضة وفيها الإلتفات (وَمَا تُنْفِقُوا) ءَاتَنْفَقَمْ (مِنْ خَيْرٍ) اِمُوصَنْ ايهَرَيْ ايقَّلْ (فَلِأَنْفُسِكُمْ) ءَادِيزَ ءَارُوزْنيتْ اِقَّالْدُ اِمَانَّوَنْ أي كل ما يصدق عليه اسم الخير كائناً ما كان ولو على كافر ولكن هذا في غير صدقة الفرض (وَمَا

نصف الحزب

تُنْفِقُونَ) اَتُوَرْتَنَافَّقَمْ خبر بمعنى نهي (إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) ءَارْ فَلْ اَكِّمَايْ نُودَمْ نَ اللهُ استثناء من أعم العلل أي علم الله أنكم لا تريدون بنفقتكم إلا طلب مرضاة الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله أو هذا نفي معناه النهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله قال الزجاج هذا خاص للمؤمنين وقال بعضهم لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك ويرده حديث لا يأكل طعامك إلا تقي وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك قال ابن العربي فأما المسلم العاصي فلا خلاف أن صدقة الفطر تصرف إليه إلا إذا كان يترك أركان الإسلام من الصلاة والصيام فلا تدفع إليه الصدقة حتى يتوب وسائر أهل المعاصي تصرف الصدقة إلى مرتكبيها لدخولهم في اسم المسلمين وفي صحيح مسلم أن رجلا تصدق على غني وسارق وزانية وتُقُبِّلَت صدقَتُه على ما يأتي بيانه إن شا الله في آية الصدقات قاله القرطبي (وَمَا تُنْفِقُوا) ءَاتَنْفَقَمْ (مِنْ خَيْرٍ) اِمُوصَنْ ايهَرَيْ ايقَّلْ (يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) دَاوَنْتَتَوَسَنْدُو مَارُوزَتْنيتْ أي يرد إليكم أجره وثوابه على الوجه الذي تقدم ذكره من التضعيف قال عطاء الخراساني إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ضَغْ اَلْحَلَاسْ كَوَنْي وَرْزَتَتَوَضْلَمَمْ ضَغَسْ سَتِّلَانْ أي لا تنقصون شيئاً من ثواب أعمالكم (272) (لِلْفُقَرَاءِ) شِمَصَّضَاكْ اَتَّكُوطَاوِينْ اَدَّتَمَلْنينْ دَا اَلَّانَتُّو بِيمَكِّنْطَا اللام متعلقة بقوله "وما تنفقوا من خير" وقيل بمحذوف تقديره الإنفاق أو الصدقة للفقراء قال السدي ومجاهد وغيرهما المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ثم تتناول الآية كل من دخل تحت

صفة الفقراء غابر الدهر وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم وهم أهل الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل وذلك أنهم كانوا يقدمون فقراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لهم أهل الصفة قال أبو ذر كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤتى النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه ونتعشى معه فإذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ناموا في المسجد" ثم بين الله سبحانه من أحوال أولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنوّ عليهم بقوله تعالى (الَّذِينَ) وِنْدِي (أُحْصِرُوا) اَطَّقْنينْ اِمَانَّسَنْ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ضَغْ اَبَرَقًّا نَ اللهُ اَلْجِهَادْ (لَا يَسْتَطِيعُونَ) وَرَفْرِيكِنْ (ضَرْبًا) اَشِيكَلْ (فِي الْأَرْضِ) ضَغْ اَمَضَالْ اِيتَتِيكِّيرْتْ وَلَ اَكِمَايْ اَنْسُودَارْ للتكسب بالتجارة والزراعة ونحو ذلك بسبب ضعفهم قال مجاهد هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم أمروا بالصدقة عليهم وقال سعيد بن جبير هم قوم أصابتهم الجراحات في سبيل الله فصاروا زمنى فجعل لهم في أموال المسلمين حقاً وقيل كل من يتصف بالفقر وما ذكر معه (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) اِتَارْدِينْ وَيْجْهَلَنْ يَ اَلْحَالْ نَسَنْ (أَغْنِيَاءَ) اَمُوصَنْ اِمَكَّرْكَاسْ (مِنَ التَّعَفُّفِ) فَلْ تَدَميلْتْ نَرغَامْ اَمَّانَّسَنْ ذكر سبحانه من صفة أولئك الفقراء ما يوجب الحنوّ عليهم والشفقة بهم وهو كونهم متعففين عن المسئلة وإظهار المسكنة بحيث يظنهم الجاهل بهم ومن لم يختبر حالهم أنهم أغنياء والتعفف تفعّل من العفة وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه عن طلبه وفي

"يحسبهم" لغتان فتح السين وكسرها (تَعْرِفُهُمْ) اَتَنْتَزْدِيَا اَسْ تَنْتَنَيَ أي تعرف فقرهم (بِسِيمَاهُمْ) سَ اَلْعَلَامَةْ نَسَنْ اَتَمُوصَنْ اَلتَّوَاضُعْ دَدَرِيزْ نَرْكَنَايْ أي برثاثة ثيابهم من الضرّ وصفرة ألوانهم من الجوع وضعف أبدانهم من الفقر وكل ما يشعر بالفقر والحاجة وقيل التواضع والخضوع والأول أولى والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح للمخاطبة والسيما مقصورة العلامة وقد تمد وهي مقلوبة لأنها مشتقة من الوسم فهى من السمة أي العلامة (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ) وَرْتِنْصِيَنْ اَيْتِيدَنْ ءَامَضَالْ (إِلْحَافًا) اَنْكِمْ كَكَّدِينْتَنْ اَكَكَّدِي الإلحاف الإلحاح في المسئلة وهو مشتق من اللحاف سمى بذلك لاشتماله على وجوه الطلب في المسئلة كاشتمال اللحاف على التغطية والمعنى أنهم لا يسألونهم البتة لا سؤال إلحاح ولا سؤال غير إلحاح وبه قال الطبري والزجاج وإليه ذهب جمهور المفسرين وقيل المراد أنهم إذا سألوا سألوا بتلطف ولا يلحفون في سؤالهم وهذا وإن كان هو الظاهر من توجه النفي إلى القيد دون المقيد لكن صفة التعفف تنافيه وأيضاً كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياء لا يكون إلا مع عدم السؤال ألبتة وقد ورد في تحريم المسئلة أحاديث كثيرة إلا من ذي سلطان أو في أمر لا يجد منه بداً (وَمَا تُنْفِقُوا) ءَاتَنْفَقَمْ (مِنْ خَيْرٍ) اِمُوصَنْ ايهَرَيْ ايقَّلْ (فَإِنَّ اللَّهَ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ (بِهِ عَلِيمٌ) اَمُوصَنْ ضَغَسْ دَاوَنِيرَزْ فَلَّاسْ أي يعلم مقادير الإنفاق يجازي عليه وفيه حث على الصدقة والإنفاق في الطاعة لا سيما على هؤلاء (273) (الَّذِينَ) وِنْدِي (يُنْفِقُونَ) نَافَّقْنِينْ (أَمْوَالَهُمْ) اِهَرْوَانَّسَنْ (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ايهَضْ ايزَلْ (سِرًّا) ضَغْ اَكَنْتُولْ (وَعَلَانِيَةً) دَنَفِيلَالْ يفيد زيادة رغبتهم في الإنفاق وشدة حرصهم عليه حتى أنهم لا يتركون ذلك

ليلاً ولا نهاراً ويفعلونه سراً وجهراً عند أن تنزل بهم حاجة المحتاجين وتظهر لديهم فاقة المفتاقين في جميع الأزمنة على جميع الأحوال وفي الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) وِنْدِي الَّاسَنْتُو اَرُوزْ نَسَنْ (عِنْدَ رَبِّهِمْ) غُورْ اَمَلِينَّسَنْ الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل هي للعطف (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) وَلَاطَصَا فَلَّاسَّنْ (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وَرْتَلّينْ اَدْ مَغَلْشينْ ضَغْ اَلَاخِرَةْ أي يوم القيامة أو في الدارين (274) ولما رغَّب في الصدقة وكانت في الغالب لا يتوصل إليها إلا بتعاطي أسباب المال وهو البيع والشراء حذر من الربا لئلا يتساهل الناس في المعاملة به حرصاً على الصدقة فقال (الَّذِينَ) وِنْدِي (يَأْكُلُونَ الرِّبَا) تَابَظّْنينْ الرَّبِ اَتّمُوصَنْ اَشِيتِي فَلْ اَوَتَنِيكْمَضَنْ سُودَمْ حَرَامَنْ الربا في اللغة الزيادة مطلقاً يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وفي الشرع يطلق على شيئين على ربا الفضل وربا النسيئة حسب ما هو مفصل في كتب الفروع وغالب ما كانت تفعله الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين قال من هو له لمن هو عليه أتَقْضي أم تُرْبي فإذا لم يقض زاد مقداراً في المال الذي عليه وأخر له الأجل إلى حين وهذا حرام بالاتفاق وقياس كتابة الربا بالياء للكسرة في أوله وقد كتبوه في المصحف بالواو وليس المراد بالذين يأكلون الربا اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله بل هو عام لكل من يعامل بالربا فيأخذه ويعطيه وإنما خص الأكل لزيادة التشنيع على فاعله ولكونه هو الغرض الأهم فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه رواه مسلم (لَا يَقُومُونَ) وَرُوبَدّدَنْ ضَغْ ظكْوَانَّسَنْ اَزَلْ ءَانْتَبَدّيْ أي يوم القيامة

من قبورهم الجملة خبر الابتداء وهو "الذين" (إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي) ءَارْ زُونْ تَبَدَّيْ اَنْوَدِي (يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ) اِبَاضَّغْ الشَّيْطَانْ (مِنَ الْمَسِّ) فَلْ اَسْتِيضَصْ اَلْجَيْنْ وبهذا فسره جمهور المفسرين قالوا إنه يبعث كالمجنون عقوبة له تمقيتاً عند أهل المحشر قوله "إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس" أي إلا قياما كقيام الذي يتخبطه أي يصرعه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وقد وردت أحاديث كثيرة في تعظيم ذنب الربا منها حديث عبد الله بن مسعود عند الحاكم وصححه والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم" (ذَلِكَ) ءَادِيزَ اِيكَا (بِأَنَّهُمْ) سَسَّبَابْ نَاسْ اَنْتَنَيْ (قَالُوا) اَنَّنْ ذلك إشارة إلى ما ذكر من حالهم وعقوبتهم بسبب قولهم (إِنَّمَا الْبَيْعُ) اِلْكَنَاسْ اَنَزِّي (مِثْلُ الرِّبَا) أُولَا دَالرَّبِي اِنَّا اللهُ تعالى ضَغْ اَصُوغَلْ فَلَّاسَّنْ أي إنهم جعلوا البيع والربا شيئاً واحداً أي اعتقدوا مدلول هذا القول وفعلوا مقتضاه أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين وإنما شبهوا البيع بالربا مبالغة بجعلهم الربا أصلاً والبيع فرعاً أي إنما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله فإن العرب كانت لا تعرف رباً إلا ذلك وهذا من عكس التشبيه مبالغة وهو

أعلى مراتبه نحو قولهم القمر كوجه زيد والبحر ككفه إذ صار المشبَّه مشبهاً به فرد الله عليهم بقوله (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) اِسَيحْلَلْ اللهُ اَنَزِّي (وَحَرَّمَ الرِّبَا) اِسَيحْرَمْ الرَّبِي أي إن الله تعالى أحل البيع وحرم نوعاً من أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل والبيع مصدر باع يبيع وقد ذكر المفسرون في هذا المقام سبب تحريم الربا واختلاف أهل العلم في عللها وأحكامها ومسائل القرض وإنما محلها كتب الفروع (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ) اِضُوطُوصَا طَرَقِّيمْتْ وسقطت علامة التأنيث في قوله تعالى "فمن جاءه" لأن تأنيث "الموعظة" غير حقيقي وهو بمعنى وعظ (مِنْ رَبِّهِ) اَدُوتَفَالَتْ اَمَلِينّيتْ أي من بلغته موعظة من الله من المواعظ التي تشتمل عليها الأوامر والنواهي ومنها ما وقع هنا من النهي عن الربا والموعظة والعظة والوعظ معناها واحد وهو الزجر والتخويف وتذكير العواقب والاتعاظ القبول والامتثال (فَانْتَهَى) اِيرَزْ فَلْ طَطّيْ نَ الرَّبِي عن أكله أي فامتثل النهي الذي جاء وانزجر عن المنهى عنه واتعظ وقبل (فَلَهُ مَا سَلَفَ) ءَادِيزَ اِلّاسْتُ اَوَدّزَارَنْ دَاتْ تَّرَقّيمْتْ وَرْتِيدُزِيسّوغَلْ أي ما تقدم منه من الربا لا يؤاخذ به لأنه فعله قبل أن يبلغه تحريم الربا أو قبل أن تنزل آية تحريم الربا (وَأَمْرُهُ) طَالْغَانّيتْ ضَغْ اَصُورَفْ فَلّاسْ أي أمر الربا (إِلَى اللَّهِ) طَقَّالْ سَ اللهُ في تحريمه على عباده واستمرار ذلك التحريم وقيل الضمير عائد إلى ما سلف أي أمره إلى الله في العفو عنه وإسقاط التبعة فيه وقيل الضمير يرجع إلى المُرْبى أي أمر من عامل بالربا إلى الله في تثبيته على الانتهاء أو الرجوع إلى المعصية وقيل إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه (وَمَنْ عَادَ) اِيقّلَنْ اَسْطَطّيْ نَ الرَّبِي دَفّرْ تَرَقّيمْتْ إلى أكل

الربا والمعاملة به (فَأُولَئِكَ) ونْدِي (أَصْحَابُ النَّارِ) اَنْتَنَيْ مَصَّاوَصْ اَنْتَمْسَيْ (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) اَنْتَنَيْ اَدَغْلَلَنْ ضَغَسْ الإشارة إلى من عاد وجمع أصحاب باعتبار معنى مَنْ وقيل إن معنى من عاد هو أن يعود إلى القول بأنما البيع مثل الربا وأنه يكفر بذلك فيستحق الخلود وعلى التقدير الأول يكون الخلود مستعاراً على معنى المبالغة كما تقول العرب مُلك خالد أي طويل البقاء والمصير إلى هذا التأويل واجب للأحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحّدين من النار (275) (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا) إِمَّاصْ اللهُ اَلرَّبِي وَرْطِيهَا اَلْبَرَاكَا أي يذهب بركته في الدنيا وإن كان كثيراً فلا يبقى بيد صاحبه وقيل يمحق بركته في الآخرة قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجاً ولا جهاداً ولا صلة (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) إِشَاتُو شِيكُوطَاوِينْ إِصَانَطْفَاصْ ءَارُوزْ نَسْنَتْ أي يزيدها ويثمرها يعني يزيد في المال الذي أخرجت صدقته وقيل يبارك في ثواب الصدقة ويضاعفه ويزيد في أجر المتصدق ولا مانع من حمل ذلك على الأمرين جميعاً (وَاللَّهُ) اللهُ (لَا يُحِبُّ) وَرِيرَا أي لا يرضى لأن الحب مختص بالتوابين (كُلَّ كَفَّارٍ) اَمِيكّتْ نَ اَلْكَفَرْ اِسّيحْلَلَنْ الرَّبِي (أَثِيمٍ) نَ اَلْفَاجِرْ إِطَاطَّنْ الرَّبِي فيه تشديد وتغليظ عظيم على من أربى حيث حكم عليه بالكفر ووصفه بأثيم للمبالغة (276) (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) اِلْكَنَاسْ وِنْدِي اَظّكْظَنّينْ سَوَدّيزَزّبَتْ اللهُ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) اَمُوزَلَنْ إِمَازَالَنْ وِنْهُوصَّينِينْ (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ظَظّلَالَغَنْ ءَامُودْ (وَآتَوُا الزَّكَاةَ) اَكْفَنْ تَمَصَّضَكْ (لَهُمْ أَجْرُهُمْ) وِنْدِي اِلَاسَانْتُو اَرُوزْ نَسَنْ (عِنْدَ رَبِّهِمْ) غُورْ اَمَلِينَّسَنْ قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا والعموم أولى والإيمان التصديق بالله ورسوله والعمل الصالح الذي أمرهم الله به ومن جملته ترك الربا والصلاة والزكاة هما المفروضتان

(ولا خوف عليهم)

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) وَلَاطَصَا فَلَّاسَّنْ من مكروه يأتي في المستقبل (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وَرْتَلّاينْ اَدْمَغَلْشينْ ضَغْ اَلَاخِرَةْ فَلْ اَوَتَنَفَاتَنْ ضَغْ الدَّنيثْ على أمر محبوب فَاتَهُمْ في الماضي (277) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) يَاوِنْدِي اَظَّكْظَنّينْ هَا (اتَّقُوا اللَّهَ) اِكْصَاضَطْ اللهُ (وَذَرُوا) تَيِّيمْ (مَا بَقِيَ) اَوَدِينِكُّولَزَنْ (مِنَ الرِّبَا) ضَغْ الرِّبِي وَاطَرْوَصَمْ اَيْتيدَنْ أي قوا أنفسكم من عقابه واتركوا البقايا التي بقيت لكم من الربا وظاهره أنه أبطل من الربا ما لم يكن مقبوضاً قال السدي نزلت في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية يسلفان الربا إلى ناس من ثقيف في الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله هذه الآية (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) كُتوُتَلَّامْ تَدِيتّيمْ ضَغْ اَظَكْظَانَّوَنْ سَ اللهُ وقيل إنْ بمعنى إذ قال ابن عطية وهو مردود لا يعرف في اللغة والظاهر أن المعنى إن كنتم مؤمنين على الحقيقة فإن ذلك يستلزم امتثال أوامر الله ونواهيه (278) (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) كُدْ وَرْتَمُّوزَلَمْ اَوَسْتَتَوَامَرَمْ سَرَسْ يعني ما أمرتم به من الاتقاء وترك ما بقي من الربا (فَأْذَنُوا) ءَادِيزَ طَصَّنَمْ قريء بكسر الذال والمد على وزن آمِنوا ومعناه فأعلموا بها غيركم من آذن بالشيء إذا أعلم به وقيل هو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرىء بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا (بِحَرْبٍ) فَلْ اَكِيزَّارْ (مِنَ اللَّهِ) اَدِّفَالَنْ اللهُ (وَرَسُولِهِ) دَنَمَّازُولْ نيثْ يَاوَنْ قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني الحرب هنا السيف وقيل المراد بهذه المحاربة المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل نفس الحرب وذلك إن كان آكل الربا ذا شوكة لا ينزع عنه فحق على الإمام أن يحاربه والأول أولى وقد دلت هذه الآية على أن

أكل الربا والعمل به من الكبائر ولا خلاف في ذلك وتنكير الحرب للتعظيم وزادها تعظيماً نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله الذي هو أشرف خليقته (وَإِنْ تُبْتُمْ) كُدْ تَتُوبَمْ من الربا (فَلَكُمْ) ءَادِيزَ اِلَّاوَنْتُو (رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ) اَلَاصَلْ اَنْهَرْوَانَّوَنْ وَكَوَنِيكُمَضَنْ تأخذونها دون الزيادة (لَا تَظْلِمُونَ) وَرْتَضْلِيمَمْ وَلِيَّنْ سَكِّمَايْ نَشِيتِي غرماءكم بأخذ الزيادة مستأنفة أو حال من الكاف في لكم (وَلَا تُظْلَمُونَ) وَرْتَتَوَضْلَمَمْ سَفَنَاظْ أنتم من قبلهم بالمطل والنقص والجملة حالية أو استئنافية وفي هذا دليل على أن أموالهم مع عدم التوبة حلال لمن أخذها من الأئمة ونحوهم ممن ينوب عنهم وقرأ جميع القراء "لا تظلمون" بفتح التاء "ولا تظلمون" بضمها

ثمن (279) (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ) كُدِينِتَوَاكِّظْ مَشِّيسْ نَكِّنْظُو اِمُوصَنْ اَمَتَّوَرْوَاصَادَا (فَنَظِرَةٌ) ءَادِيزَ اِلَّيْ فَلَّاوَنْ دَاسْ تَسَوَّخَرَمْ (إِلَى مَيْسَرَةٍ) هَارْ اَلْوَقْ ضَغْ اِرْزَكْ وقرأ نافع وحده "ميسرة" بضم السين والجمهور بفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد لما حكم سبحانه لأهل الربا برؤوس أموالهم عند الواجدين للمال حكم في ذوي العسرة بالنظِرة إلى يسار والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال ومنه جيش العسرة والنظِرة التأخير والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو بكان التامة التي بمعنى وجد وهذا قول سيبويه وأبي علي الفارسي وغيرهما وفي مصحف أُبيّ وإن كان ذا عسرة على معنى وإن كان المطلوب ذا عسرة (وَأَنْ تَصَدَّقُوا) اَتَّكَطَمْ فَلْ اَمَكُّونْظَيْ تَسَبَّرِيمْتُو وقرأ عاصم وأن تصدقوا بتخفيف الصاد وقرأ الباقون بالتشديد لأن التاء أدغم في الصاد وأصله تتصدقوا (خَيْرٌ لَكُمْ) أُوفَاوَنْ أي على معسري غرمائكم بالإبراء من كل الدين أو بعضه وفيه الترغيب لهم بأن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر وجعل

تحرك

ذلك خيراً من إنظاره قاله السدى وابن زيد والضحاك (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) كُتُوتَلَّامْ تَصَّانَمْ ءَاسْ اُوفَاوَنْ ءَادِي تَكِيمْتُو جوابه محذوف أي إن كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتم به وفي الحديث "من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" رواه مسلم (280) (وَاتَّقُوا يَوْمًا) تِكْصَاضَمْ اَزَلْ (تُرْجَعُونَ فِيهِ) اَزَّاتَتَوَصُوغَلَمْ ضَغَسْ (إِلَى اللَّهِ) سَ اللهُ هو يوم القيامة وتنكيره للتهويل وذهب قوم إلى أن هذا اليوم المذكور هو يوم الموت وذهب الجمهور إلى أنه يوم القيامة كما تقدم قرىء ترجعون بفتح التاء أي تصيرون فيه إلى الله وقرىء بضمها وفتح الجيم أي تردون فيه إليه و"يوما" منصوب على المفعول لا على الظرف (ثُمَّ تُوَفَّى) دَفَّرَادِي اِتَوَسَنْدُو ضَغَسْ (كُلُّ نَفْسٍ) يَكُّلُّ اَنْطَمينْتْ من النفوس المكلفة (مَا كَسَبَتْ) مَارُوزَتْ نَوَاتَكْرَزْ أي جزاء ما كسبت يعني عملت من خير أو شر (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ضَغْ اَلْحَالَاسْ اَنْتَنَيْ وَرْزَتَوَضْلَمَنْ سَتِّلَّانْ اِمُوصَنْ اَفْنَاظْ نَمَرْكيدْ وَلَ اَشِيتِي نَبَّاضْ أي في ذلك اليوم والجملة حالية وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء كما أن الإفراد أنسب بحال الكسب وهذه الآية فيها الموعظة الحسنة لجميع الناس وفيها وعيد شديد وزجر عظيم عن ابن عباس قال آخر آية نزلت من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحد وثمانون يوماً وعن سعيد بن جبير أنه عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال ثم مات وقيل سبعاً وقيل ثلاث ساعات ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول في يوم الإثنين حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة قال الخفاجي وكون هذه الآية آخر آية مذكور في كتب الحديث مصحح (281) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا) يَاوِنْدِي اَظَّكِظَنِينْ هَا (إِذَا تَدَايَنْتُمْ) ءَامَرْ تَكَمْ اَلْمُعَامَلَ (بِدَيْنٍ) إِيمُوصَنْ اَمَارْوَاصْ تُولَاتْ نَ السَّلَمْ دَ زَبَنَا هذا شروع في بيان حال المداينة الواقعة بين الناس بعد بيان حال الربا أي إذا داين بعضكم بعضاً وعامله بذلك سواء كان معطياً أو آخذاً وذكر الدين بعد ما يغني عنه من المداينة لقصد التأكيد مثل قوله "ولا طائر يطير بجناحيه"والدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً والآخر في الذمة نسيئة فإن العين عند العرب ما كان حاضراً والدين ما كان غائباً وقد بين الله سبحانه هذا المعنى بقوله (إِلَى أَجَلٍ) هَارْ تَمَاصْطَانْطْ (مُسَمًّى) تَتِيوَصَّنَطْ يعني إلى مدة معلومة الأول والآخر مثل السنة والشهر والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السَّلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الأجل وقد استدل به على أن الأجل المجهول لا يجوز وخصوصاً أجل السَّلم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم "من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم إلى أجل معلوم" وقد قال بذلك الجمهور واشترطوا توقيته بالأيام أو الأشهر أو السنين قالوا ولا يجوز إلى الحصاد أو الدراس أو رجوع القافلة أو نحو ذلك وجوزه مالك قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السَّلم (فَاكْتُبُوهُ) ءَادِيزَ اَكْتَبَتُّو فَلْ تَسَفْلَسْتْ دَغْتَاسْ اَنْتَمَظَاقْ أي الدين بأجله بيعاً كان ذلك أو سلماً أو قرضاً لأنه أدفع للنزاع وأقطع للخلاف قال ابن عباس نزلت يعني هذه الآية في السلم في كيل معلوم إلى أجل معلوم قال القرطبي وروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل "إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه" إلى آخر الآية "إن أول

من جحد آدم عليه السلام أن الله أراه ذريته فرأى رجلا أزهر ساطعا نوره فقال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود قال يا رب فما عمره قال ستون سنة قال يا رب زده في عمره فقال لا إلا أن تزيده من عمرك قال وما عمري قال ألف سنة قال آدم فقد وهبت له أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة جاءته الملائكة قال إنه بقي من عمري أربعون سنة قالوا إنك قد وهبتها لابنك داود قال ما وهبت لأحد شيئا فأخرج الله تعالى الكتاب وشهد عليه ملائكته في رواية وأتم لداود مائة سنة ولآدم عمره ألف سنة" خرجه الترمذي أيضا (وَلْيَكْتُبْ) اِيكْتَبْ شِيرُوتْ تَانْ اَمَارْوَاصْ (بَيْنَكُمْ) ڴرِيوَّنْ (كَاتِبٌ) اَنَاكْتِيبْ هو بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وظاهر الأمر الوجوب وبه قال عطاء والشعبي وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وأوجبوا على الكاتب أن يكتب إذا طلب منه ذلك ولم يوجد كاتب سواه وقيل الأمر للندب والاستحباب وبه قال الجمهور (بِالْعَدْلِ) سَرَطْ وَيْمُوصَنْ اَلْحَقْ اَدْ وَرِيشْيِتُو ضَغْ اَهَرَيْ وَلَا تَمَاصْطَانْطْ اَتَنْوَرِيفْنَظْ ضيغينْ صفة لكاتب أي كاتب كائن بالعدل أي يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص ولا يميل إلى أحد الجانبين وهو أمر للمتداينين باختيار كاتب منصف بهذه الصفة لا يكون في قلبه وقلمه هوادة لأحدهما على الآخر بل يتحرى الحق بينهم والعدالة فيهم (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ) اَدْ وَرُوكِي اَنَاكْتِيبْ (أَنْ يَكْتُبَ) ضَغْ اَدِيكْتَبْ ءَامَرْ اِيطَوَغْرَ سَكَتَابْ (كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) اَمَّكْ اَسْتِيصَّوصَنْ اللهُ اَكَتَابْ النكرة في سياق النفي مشعرة بالعموم أي لا يمتنع أحد من الكتاب من أن يكتب كتاب التداين على الطريقة التي علّمه الله من الكتابة (فَلْيَكْتُبْ) اِيكْتَبيتْ بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخيره بل يكتب ما

يصلح أن يكون حجة عند الحاجة ويكون كل واحد منهما آمناً من إبطال حقه وأن يحترز من الألفاظ التي يقع النزاع فيها (وَلْيُمْلِلِ) اَمَكْرَدْ الإملال والإملاء لغتان الأولى لغة أهل الحجاز وبني أسد والثانية لغة بني تميم فهذه الآية جاءت على اللغة الأولى وجاء على اللغة الثانية قوله تعالى "فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً" والإدغام في مثل ذلك جائز لا واجب (الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) وَسْتِلَّا فَلَّاسْ اَلْحَقْ اِيوَيْكَاتَّبَنْ سَمَارْوَاصْ اِيمَلَاسْ اَكيتْنيتْ هو من عليه الدين أمره الله تعالى بالإملاء لأن الشهادة إنما تكون على إقراره بثبوت الدين في ذمته (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ) اِكْصَاضْ اللهُ الذي عليه الحق (رَبَّهُ) دِيمُوصَنْ اَملِينّيتْ ضَغْ ءَامَكْرَدْ نيتْ أمره بالتقوى فيما يمليه على الكاتب فلا يجحد جميع الحق والبعض(وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا) اَدْ وَرِيفْنَظْ ضَغْ اَلْحَقْ ءَاتِّلَانْ (فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) كُدْ تِلَّا وَدِي اَسْتِلَّا فَلَّاسْ اَلْحَقْ إظهار في مقام الإضمار لزيادة الكشف والبيان لا لأن الأمر والنهي لغيره (سَفِيهًا) اِيمُوصْ السَّفِيهَ اِغَاشَّدَنْ ايهَرَيْنيتْ السفيه هو الذي لا رأي له في حسن التصرف فلا يحسن الأخذ ولا الإعطاءوالعرب تطلق السفه على ضعف العقل تارة وعلى ضعف البدن أخرى وبالجملة فالسفيه هو المبذّر إما لجهله بالتصرف أو لتلاعبه بالمال عبثاً مع كونه لا يجهل الصواب وقيل الطفل أي جاهلاً بالإملاء (أَوْ ضَعِيفًا) مَدي اِمُوصْ اَنَرْكُومْ فَلْ تَمَّضْرِيتْ مَدي تُوشَرَيْ وهو الشيخ الكبير أو الصبي قال أهل اللغة الضعف بضم الضاد في البدن وفتحها في الرأي لعيه أو جنون (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ) مَدي وَرِيفْرِيكْ (أَنْ يُمِلَّ هُوَ) اَدَمَّكْرَدْ اَنْتَ سَصِيمُوصْ ءَاكَّنَاوْ مَدي اِجْهَالْ يَلُّوغَتْ يعني لخرس أو عِيّ أو عُجمة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بماله وعليه أو لا يقدر على

التعبير كما ينبغي فهؤلاء كلهم لا يصح إقرارهم فلا بد أن يقوم غيرهم مقامهم(فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ) ءَادِيزَ اَمَّكْرَديتْ اَلْوَلِينّيتْ اَمَارَايْ اَسْ طَالْغِوينّيتْ الضمير عائد إلى الذي عليه الحق فيمل عن السفيه وليّه المنصوب عنه بعد حجره عن التصرف في ماله ويمل عن الصبي وصيه أو وليه وكذلك يمل عن العاجز الذي لا يستطيع الإملال لضعفه وليه لأنه في حكم الصبي أو المنصوب عنه من الإمام أو القاضي ويمل عن الذي لا يستطيع وكيله إذا كان صحيح العقل وعرضت له آفة في لسانه أو لم تعرض ولكنه جاهل لا يقدر على التعبير كما ينبغي (بِالْعَدْلِ) سَ اَلْعَدَالَةَ أي الصدق من غير زيادة ولا نقص (وَاسْتَشْهِدُوا) تَسَكِّيّيمْ فَلْ اَمَارْوَاصْ (شَهِيدَيْنِ) صَنَاطَطْ تَكِيّوينْ الاستشهاد طلب الشهادة وسمّاهما شهيدين قبل الشهادة أي باعتبار ما يؤول إليه أمرهما من الشهادة (مِنْ رِجَالِكُمْ) ضَغْ مَيدَّنْ نَّوَنْ اَللَّانْ اَنَّسْلَمَنْ أي كائنين من المسلمين فيخرج الكفار ولا وجه لخروج العبيد عن هذه الآية فهم إذا كانوا مسلمين من رجال المسلمين وبه قال شريح وعثمان البتي وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو ثور وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي وجمهور العلماء لا تجوز شهادة العبد لما يلحقه من نقص الرق وقال الشعبي والنخعي تصح في الشيء اليسير دون الكثير واستدل الجمهور على عدم جواز شهادة العبد بأن الخطاب في هذه الآية مع الذين يتعاملون بالمداينة والعبيد لا يملكون شيئاً تجري فيه المعاملة ويجاب عن هذا بأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأيضاً العبد تصح منه المداينة وسائر المعاملات إذا أذن له مالكه بذلك وقد اختلف الناس هل الإشهاد واجب أو مندوب وذهب الشعبي والحسن ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه أنه مندوب (فَإِنْ

لَمْ يَكُونَا) كُدْ تُووَرَلّينَتْ تَكِيَّاوينْ (رَجُلَيْنِ) اَمُوصنْنَطْ مَيدَّنْ اَشّينْ أي الشاهدان (فَرَجُلٌ) ءَادِيزَ ءَالَسْ (وَامْرَأَتَانِ) اَدْ سَنَاطَطْ تَضُوضينْ ءَازّكِّيَتْنينْ أي فليشهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون كائنون "فرجل" رفع بالابتداء "وامرأتان" عطف عليه والخبر محذوف أي فرجل وامرأتان يقومان مقامهما ويجوز النصب في غير القرآن أي فاستشهدوا رجلا وامرأتين (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ) ضَغْ شِنَسْطَرْضَمْ دينهم وعدالتهم حال كونهم (مِنَ الشُّهَدَاءِ) ضَغْ تَكِيّوينْ سَ الدِّينّيتْ دَ اَلْعَدَالاَنّيتْ وفيه أن المرأتين في الشهادة برجل وأنها لا تجوز شهادة النساء إلا مع الرجل لا وحدهن إلا فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة واختلفوا هل يجوز الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعي كما جاز الحكم برجل مع يمين المدعي فذهب مالك والشافعي إلى أنه يجوز ذلك لأن الله سبحانه قد جعل المرأتين كالرجل في هذه الآية وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا يجوز ذلك وهذا يرجع إلى الخلاف في الحكم بشاهد مع يمين المدعي (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) التَّعَدُّدْ اَنْ طَضُوضينْ دِيزَ اِكّا فَلْ اَدِنْ طَطُّوْ اِيَّتْ ضَغَسْنَتْ تَكِيّا فَلْ اَفَنَاطْ اَنْتيثْوينْ نَسْنَتْ قال أبو عبيد معنى تضل تنسى أي لنقص عقلهن وضبطهن والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء (فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا) تَصَّكْتَضُو اِيَّتْ ضَغَسْنَتْ اَتَنِمُوصَنْ تَاتَكَاطِطْ أي الذاكرة (الْأُخْرَى) تَاهَضَطْ تَضِينْطَطُّوَطْ أي الناسيةوهذه الآية تعليل لاعتبار العدد في النساء أي فليشهد رجل ولتشهد امرأتان عوضاً عن الرجل الآخر لأجل تذكير إحداهما الأخرى إذا ضلت (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ) اَدْوَرُوكِينَتْ تَكِيّوينْ (إِذَا مَا دُعُوا) ءَامَرْ تَوَغْرَنْ سَاكَّايْ اَنْتَكِيَّا مَدي طيهَكّيْ نيتْ أي لأداء الشهادة التي قد تحملوها من قبل وقيل إذا ما دعوا

للتحمل

لتحمل الشهادة وتسميتهم شهداء مجاز وظاهر هذا النهي أن الامتناع من أداء الشهادة حرام (وَلَا تَسْأَمُوا) اَدْوَرْتُونَّارَمْ أي لا تملوا ولا تضجروا والخطاب للمؤمنين أو للمتعاملين أو للشهود (أَنْ تَكْتُبُوهُ) ضَغْ اَتَّكَاتَّبَمْ اَوَسْتَتَاكِيّيمْ فَلَّاسْ أي الدين الذي تداينتم به وقيل الحق وقيل الشاهد وقيل الكتاب، نهاهم الله سبحانه عن ذلك لأنهم ربما ملوا من كثرة المداينة أن يكتبوا ثم بالغ في ذلك فقال (صَغِيرًا) كَرْزَ اِمُوصْ اَرَطْ دَرُوسَنْ (أَوْ كَبِيرًا) مَدي اِمُوصْ اَرَطْ اَكِّينْ أي لا تملوا في حال من الأحوال سواء كان الدين كثيراً أو قليلاً وعلى أي حال كان الكتاب مختصراً أو مشبعاً (إِلَى أَجَلِهِ) اَكْتَبَتُّوهَارْ اَلْوَقْ وَنْتَمَدُوتْ اَنْ تَمَاصْطَانْتْ اِرْظَمْ امَرَنْ أي إلى محل الدين أو الحق (ذَلِكُمْ) وَدِيدَا اَكَتَابْ أي المكتوب المذكور في ضمير قوله أن تكتبوه (أَقْسَطُ) اَنْتَ أوكِرَنْ اَظَلُولَغْ (عِنْدَ اللَّهِ) غُورْ اللهُ أي أعدل وأحفظ وأصح من القسط بالكسر والقسوط الجور والعدول عن الحق (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) أوكِرْ ضيغينْ تَادْهَلْتْ فَلْ اَظَظَّلُولَغْ اَنْتَكِيَّا فَلَاسْ اَتَضَّصَّكْطُو أي أعون على إقامة الشهادة وأثبت لها وهو مبني من أقام وكذلك أقسط مبني من فعله أي أقسط وقد صرح سيبويه بأنه قياسي أي بناء أفعل التفضيل (وَأَدْنَى) أُوكِرْ اَظَهَظْ (أَلَّا تَرْتَابُوا) سَدْوَرْتَكِيمْ الشَّكْ ضَغْ اَكيتْ نَ اَلْحَقْ دَكيتْ اَنْ تَمَاصْطَانْتْ أي أقرب لنفي الريب في معاملاتكم أي الشك وذلك أن الكتاب الذي يكتبونه يدفع ما يعرض لهم من الريب كائناً ما كان (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً) اَنْدَبَازَ اَتَّوَقَّعْ شِنّيكِي أي تقع أو توجد تجارة على أن كان تامة والتجارة تقليب الأموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالأرباح والاستثناء منقطع أي لكن وقت تبايعكم وتجارتكم فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها وقال أبو البقاء إنه متصل والأول أولى

وقرىء بالنصب على الناقصة أي تكون التجارة تجارة (حَاضِرَةً) تَمّيكْنيتْ وَرِيهَا اَمَارْوَاصْ بحضور البدلين وهي تعم المبايعة بعين أو دين (تُدِيرُونَهَا) اَزَّتَسَوَّقَّعَمْ (بَيْنَكُمْ) كَرِيوَّنْ سَبَجَانْ وَرْتَتَّهَا طَمَاصَطَانْتْ أي تتعاطونها يداً بيد، فالإدارة التعاطي والتقابض فالمراد التبايع الناجز يداً بيد (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) تَدِيزَ وَرْتِلَّا فَلَّاوَّنْ اَبَكَّاضْ (أَلَّا تَكْتُبُوهَا) ضَغْ اَتَتْوَرْتَكْتِيبَمْ أي فلا حرج عليكم إن تركتم كتابته وإنما رخص الله في ترك الكتابة في هذا النوع من التجارة لكثرة جريانه بين الناس فلو كلفوا الكتابة فيه لشق عليهم ولأنه إذا أخذ كل واحد حقه في المجلس لم يكن هناك خوف الجحود فلا حاجة إلى الكتابة(وَأَشْهِدُوا) تَسَكِّيِيمْ (إِذَا تَبَايَعْتُمْ) ءَامَرْ تَنَمَكَّمْ شِنّيكِيدِي اَسَكِّيِي اَنْتَ أُوكَرَنْ اَرَغَامْ نَمَزْرِي قيل معناه هذا التبايع المذكور هنا وهو التجارة الحاضرة على أن الإشهاد فيها يكفي وقيل معناه أي تبايع كان حاضراً أو كالِئاً لأن ذلك أدفع لمادة الخلاف وأقطع لمنشأ الشجار وهذا وما قبله أمر ندب وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف في كون هذا الإشهاد واجباً أو مندوباً (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ) اَدْوَرِيكَامُّو اَنَاكْتِيبْ اَدْوَرْ اِتَاوَكْمُو ضيغينْ (وَلَا شَهِيدٌ) وَلَاضغينْ اَمَكِّيِي اَدْوَرْ اِكَامُّو اَدْوَرْ اِطَاوَكْمُو ضيغينْ يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل أو للمفعول فعلى الأول معناه لا يضار كاتب ولا شهيد من طلب ذلك منهما إما بعدم الإجابة أو بالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان في كتابته ويدل على هذا قراءة عمر وابن عباس وغيرهما "لا يضارِر" بكسر الراء الأولى وعلى الثاني لا يضارَر كاتب ولا شهيد بأن يدعيا إلى ذلك وهما مشغولان بمهم لهما ويضيق عليهما في الإجابة ويؤذَيا إن حصل منهما التراخي أو يطلب منهما الحضور من مكان بعيد ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود "لا

يضارر

يضارر" بفتح الراء الأولى وصيغة المفاعلة تدل على اعتبار الأمرين جميعاً (وَإِنْ تَفْعَلُوا) كُدْ تَمُّوزَلَمْ اَوَسْتَتَوَرْغَمَمْ فَلَّاسْ أي ما نهيتم عنه من المضارة (فَإِنَّهُ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ ءَادِي أي فعلكم هذا (فُسُوقٌ) تَلْفَسُوقِيَا (بِكُمْ) تَزّيبّيتْ ضَغْوَنْ خروج عن الطاعة إلى المعصية ملتبس بكم (وَاتَّقُوا اللَّهَ) تِكْصَاضَمْ اللهُ ضَغْ اَلامَرْنيتْ اَطَّرَقّيمْتْ نيتْ في فعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) اِصُّوصَنْكَوَنْ اللهُ اَلْمَصَالِحَنْ اَنْ طَاْلْغِوينَّوَنْ ما تحتاجون إليه من العلم حال مقدرة أو مستأنفة وفيه الوعد لمن اتقاه أن يعلمه ومنه قوله تعالى "إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" وقال القرطبي وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه (وَاللَّهُ) الله (بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) اَمُوصَنْ اَيْمُوصْ ضَغْ اَكُلٌّ نَرَطْ اَدِيرَزْ يَكُّلٌّ نِيَّنْ سَوَيْوَقَّعَنْ ضَغَسْ هذا آخر آية الدَّين وقد حث الله سبحانه فيها على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سبباً لمصالح المعاش والمعاد (282) (وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ) كُتُوتَلَّامْ تَمُوصَمْ اِمَشُّوكَالْ ربع تَكّمْ اَلْمُعَامَلَةْ نَمَارْوَاصْ (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا) وَرْتَكْرِيوَمْ اَنَاكْتِيبْ اَتِّكْتَبَنْ (فَرِهَانٌ) ءَادِيزَ الرَّهَنَنْ (مَقْبُوضَةٌ) اَطّيرْمَصْنينْ اَنْتَنَيْ اَزَّتَكّيمْ تَسَفْلَسْتْ لما ذكر سبحانه مشروعية الكتابة والإشهاد لحفظ الأموال ودفع الريب عقب ذلك بذكر حالة العذر عن وجود الكاتب ونص على حالة السفر فإنها من جملة أحوال العذر ويلحق بذلك كل عذر يقوم مقام السفر وجعل الرهان المقبوضة قائمة مقام الكتابة أي فإن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتباً في سفركم فرهان مقبوضة و"على" هنا بمعنى في قال أهل العلم الرهن في السفر ثابت بنص التنزيل وفي الحضر بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وسلم رهن درعاً

له من يهودي وأفاد قوله "مقبوضة" اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله وقرأ الجمهور "كاتباً" أي رجلاً يكتب لكموقراءة الجمهور "فرهان" قال الزجاج يقال في الرهن رهنت وأرهنت وكذا قال ابن الأعرابي والأخفش وقال أبو علي الفارسي يقال أرهنت في المعاملات وأما في القرض والبيع فرهنتوالمرتهن الذي يأخذ الرهن والشيء مرهون ورهين وقد ذهب الجمهور إلى أنه يصح الارتهان بالإيجاب والقبول من دون قبض (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) كُدْ إِفْلَسْ اَديسْنَوَنْ ايديسْ فَلْ اَلْحَقْنيثْ اِيقِّيمْ وَرَاسِكَا الرَّهَنْ أي الدائن المديون على حقه فلم يرتهنه يعني إن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق لحسن ظنه به وأمانته واستغنى بأمانته عن الارتهان (فَلْيُوَدِّ) ءَادِيزَ اَكْفيثْ من الأداء مهموز وهو جواب الشرط ويجوز تخفيف همزه فتقلب الهمزة واوا ولا تقلب ألفا ولا تجعل بين بين لان الالف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا وهو أمر معناه الوجوب بقرينة الإجماع على وجوب أداء الديون (الَّذِي اؤْتُمِنَ) وَدِي اِتَوَفْلَسَنْ اَتّمُوصَنْ اَلْمَدِينْ وهو المديون (أَمَانَتَهُ) اَمَارْوَاصْ وَطِّيهَنْ أي الدين الذي عليه والأمانة مصدر سُمي به الذي في الذمة وأضافها إلى الذي عليه الدين من حيث أن لها إليه نسبة (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ) اِكْصَاضْ اللهُ (رَبَّهُ) دِيمُوصَنْ اَمَلِينّيثْ ضَغْ طَهَكَّيى نّيثْ اَتُووَرْ اِصَكَّرَضْ في أن لا يكتم من الحق شيئاً وفي أداء الحق عند حلول الأجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ) اَدْوَرْ تَغَابَّرَمْ تَكِيَّا ءَامَرْ تَتَوَغْرَمْ اَسْ تَهَكَّيْ نّيثْ نهي للشهود أن يكتموا ما تحملوه من الشهادة إذا دعوا لإقامتها وهو في حكم التفسير لقوله "ولا يضار كاتب"

أي لا يضارر

أي لا يضارِر بكسر الراء الأولى على أحد التفسيرين المتقدمين (وَمَنْ يَكْتُمْهَا) اِيتَتِغْبَرَنْ يعني الشهادة (فَإِنَّهُ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اَنْتَ (آثِمٌ قَلْبُهُ) اِبِّيكَّضْ اَوَلْنيتْ أي فاجر قلبه خص القلب بالذكر لأن الكتم من أفعاله ولكونه رئيس الأعضاء وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله وإسناد الفعل إلى الجارحة التي تعمله أبلغ وهو صريح في مؤاخذة الشخص بأعمال القلب وارتفاع القلب على أنه فاعل أو مبتدأ وآثم خبره على ما تقرر في علم النحو ويجوز أن يكون قلبه بدلاً من آثم بدل البعض من الكل (وَاللَّهُ) اللهُ (بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) اَمُوصَنْ اَيْمُوصْ ضَغْ اَوَاتَتَامَازَالَمْ وَرْفَلّاسْ اِكَّنْتَلْ اَتِّلّانْ فيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها ويقال لهذه الآية آية الدين وعن سعيد ابن المسيب أنه بلغه أن أحدثَ القرآن بالعرش آية الدين وعن ابن شهاب قال آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين (283) (لِلَّهِ) اِلّيْ يَاللهُ (مَا فِي السَّمَاوَاتِ) اَوَتِّلَّنْ ضَغْ جَنَّاوَنْ (وَمَا فِي الْأَرْضِ) دَوَتِّلَّنْ ضَغْ اَمَضَالْ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا ملكاً وأهلهما له عبيد وهو مالكهم (وَإِنْ تُبْدُوا) كُدْ تَسَنَّفَالَلَمْ (مَا فِي أَنْفُسِكُمْ) اَوَيْهَنْ اِمَاتَّوَنْ ضَغْ تَلّابَسْتْ دَسَكَّتَكّي فَلّاسْ (أَوْ تُخْفُوهُ) مَدي تَغْبَرَمْتُو (يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) اَكَوَنْ اِحْسَبْ اللهُ فَلّاسْ اَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ ظاهره أن الله يحاسب العباد على ما أضمرته أنفسهم وأظهرته من الأمور التي يحاسب عليها (فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) اِصّورَفْ اِيوَصِرَ منهم ما يغفره منها (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) اَعَذَّبْ وَصِرَ منهم بما أسر وأظهر منها هذا معنى الآية على مقتضى اللغة العربية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي "فيغفر- ويعذب" بالجزم عطف على الجواب وقرأ ابن عامر وعاصم بالرفع فيهما على القطع أي فهو يغفر ويعذب وقد اختلف

أهل العلم في هذه الآية على أقوال منها أن هذه الآية منسوخة قاله ابن مسعود وعائشة وأبو هريرة والشعبي وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وهو مروي عن ابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين وهذا هو الحق لما سيأتي من التصريح بنسخها ولما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله غفر لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها وعلى كل حال فبعد الأحاديث المصرحة بالنسخ والناسخ لم يبق مجال لمخالفتها ومما يؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين والسنن الأربع من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به" وقيل محكمة لأنه إذا حمل ما في الأنفس على خصوص العزم لم يكن نسخ لأنه مؤاخذ به وقد نظم بعضهم مراتب القصد بقوله، مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... وخاطر فحديث النفس فاستمعا ... يليه هم فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعاً ... (وَاللَّهُ) اللهُ (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اَمَرْنِي اَيْمُوصْ فَلْ اَكُلّْ نَرَطْ فيغفر للمؤمنين فضلاً ويعذب الكافرين عدلاً (284) (آمَنَ الرَّسُولُ) اَسِيدَتَّتْ اَنَمَّازُولْ نَ اللهُ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ) اَرَطْ وَدِّيتَوَزَزَبّينْ سَرَسْ (مِنْ رَبِّهِ) غُورْ اَمَلِينّيتْ اَتّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ (وَالْمُؤْمِنُونَ) اَدْ مُومَنَنْ اَنْتَنيدَا سِيدَتّينْتُو أي بجميع ما أنزل إليه قال الزجاج لما ذكر الله سبحانه في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصيام وبيّن أحكام الحج والجهاد وحكم الحيض والطلاق والإيلاء وأقاصيص الأنبياء وبيّن حكم الربا ذكر تعظيمه ثم ذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر تصديق جميع المؤمنين ذلك فقال "آمن الرسول" أي صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي

جرى ذكرها وكذلك المؤمنون (كُلٌّ) اَكُلٌّ نِيَّنْ ضَغْسَنْ (آمَنَ بِاللَّهِ) اِظَيْكِظَنْ سَ اللهُ (وَمَلَائِكَتِهِ) دَنْكِلُوسَنّيتْ (وَكُتُبِهِ) دَلْكَتَّابَنّيتْ (وَرُسُلِهِ) اَدْ نَمّوزَالْ نيتْ كِاتّيِنْ أفرد الضمير في آمن لأن المراد إيمان كل فرد منهم من غير اعتبار الإجتماع كما اعتبر ذلك في قوله "وكل أتوه داخرين" وهذه أربع مراتب من أصول الدين وضرورياته وقوله "وملائكته" أي من حيث كونهم عباده المكرمين المتوسطين بينه وبين أنبيائه في إنزال كتبه وقوله "وكتبه" لأنها المشتملة على الشرائع التي تعبد بها عباده وقوله "ورسله" لأنهم المبلغون لعباده ما نزل إليهم (لَا نُفَرِّقُ) وَرْنَزَمَزِّي وقرأ جمهور الناس "لا نفرق" بالنون والمعنى يقولون لا نفرق فحذف القول وحذف القول كثير قال الله تعالى "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم" أي يقولون سلام عليكم (بَيْنَ أَحَدٍ) كِرْ وَلِيَّنْ (مِنْ رُسُلِهِ) ضَغْ نَمّوزَالْ نيتْ اِقَّلَاسْ نَظِيكِظَنْ سَديسْ نَكْفَارْ سَديسْ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له إن بيت ثابت بن قيس بن شماس يَزْهَرُ كل ليلة بمصابيح قال "فلعله يقرأ سورة البقرة" فسئل ثابت قال قرأت من سورة البقرة "آمن الرسول" نزلت حين شق على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما توعدهم الله تعالى به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال "فلعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو إسرائيل" قالوا بل سمعنا وأطعنا فأنزل الله تعالى ثناء عليهم "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه" فقال صلى الله عليه وسلم "وحق لهم أن يؤمنوا" (وَقَالُوا) اَنَّنْ مُومَنَنْ (سَمِعْنَا) نَسَالُّو يَوَسْنَتَوَامَرْ تيسَلي تَانْ اَلْقَبُولْ (وَأَطَعْنَا) نَرْضَا سَرَسْ أي أدركناه

بأسماعنا وفهمناه وأطعنا ما فيه وقيل معنى سمعنا أجبنا دعوتك (غُفْرَانَكَ) نَكْمَيْ ضَغَكْ اَصُورَفْ نَكْ مصدر كالكفران والخسران والعامل فيه فعل مقدر تقديره اغفر غفرانك قال الزجاج وغيره نطلب أو أسأل غفرانك (رَبَّنَا) اَمَلِينَّنَا وقدم السمع والطاعة على طلب المغفرة لكون الوسيلة تتقدم على المتوسل إليه (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) كَيْ اَزَّاتَكُو طَوَغْلَيْ اَنْتَخَلَّاكْ اَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ أي المرجع والمآب بالبعث والوقوف بين يدي الله تعالى وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية قال له جبريل "إن الله قد أحل الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه" فسأل إلى آخر السورة (285) (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ) وَرِيسَكَلِّيفْ اللهُ (نَفْسًا) طيمينْتْ (إِلَّا وُسْعَهَا) ءَارْ فَرِّيكَتْ نيتْ أي ما تسعه قدرتها فضلاً منه ورحمةوهذه جملة مستقلة جاءت عقب قوله سبحانه "إن تبدوا ما في أنفسكم" الآية لكشف كربة المسلمين ودفع المشقة عليهم في التكليف بما في الأنفس وهي كقوله سبحانه "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وفي معنى هذه الآية ما حكاه أبو هريرة رضي الله عنه قال ما وددت أن أحدا ولدتني أمه إلا جعفر بن أبي طالب فإني تبعته يوما وأنا جائع فلما بلغ منزله لم يجد فيه سوى نِحْيِ سَمْنٍ قَدْ بَقِيَ فِيهِ أَثَارَةٌ فشقّه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما فيه من السمن والرُّبِّ [7] وهو يقول: ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد (لَهَا مَا كَسَبَتْ) اِلَّيْ اِيطَمينْتْ ءَارُوزْ نَوَاتَكْرَزْ ضَغْ مَازَالَنْ وِنُولَغْنينْ (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) اِلَّيْ فَلَّاسْ اَبَكَّاضْ نَوَاتَكْرَزْ ضَغْ مَازَالَنْ وِنَوْرْنُوليغْ فيه ترغيب وترهيب أي لها ثواب

---

7 الرب (بالضم): دبس التمر إذا طبخ

ما كسبت من الخير وعليها وزر ما اكتسبت من الشر وتقديم لها وعليها على الفعلين يفيد أن ذلك لها لا لغيرها وعليها لا على غيرها وهذا مبني على أن "كسب" للخير فقط واكتسب للشر فقط كما قاله صاحب الكشاف وغيره وقيل اللام للخير وعلى للمضرة ولكن ينقض هذا بقوله تعالى "ولهم اللعنة" و"عليهم صلوات" اللهم إلا أن يقال هما يقتضيان ذلك عند الإطلاق بلا ذكر الحسنة والسيئة أو أنهما يستعملان لذالك عند تقاربهما كما في هذه الآيةوقال المهدوي وغيره وقيل معنى الآية لا يؤاخذ أحد بذنب أحد قال ابن عطية وهذا صحيح في نفسه ولكن من غير هذه الآية (رَبَّنَا) طَنِّيمْ يَا اَمَلِينَّنَا (لَا تُؤَاخِذْنَا) اَدَانَاوَرْ طَابَظَا سَ اَلْعَذَابْ (إِنْ نَسِينَا) كُدْ نَمُّوزَلْ اَرَطْ اَسْ طَطَاتْ (أَوْ أَخْطَأْنَا) مَدي نَمُّوزَلْتُو سَ اَلْخَطَا اَمَّكْ اَسْ تَبَظَا سَرَسْ وِنْدَاتْنَا أي لا تؤاخذنا بإثم ما يصدر منا من هذين الأمرين وقد استشكل هذا الدعاء جماعة من المفسرين وغيرهم قائلين إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما فما معنى الدعاء بذلك فإنه من تحصيل الحاصل وأجيب عن ذلك بأن المراد طلب عدم المؤاخذة بما صدر عنهم من الأسباب المؤدية إلى النسيان والخطأ من التفريط وعدم المبالاة لا من نفس النسيان والخطأ فإنه لا مؤاخذة بهما كما يفيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وسيأتي تخريجه وقيل إنه يجوز للإنسان أن يدعو بحصول ما هو حاصل له قبل الدعاء لقصد استدامته وقيل إنه وإن ثبت شرعاً أنه لا مؤاخذة بهما فلا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاًوالآية تعليم من الله لعباده كيفية الدعاء وهذا من غاية الكرم حيث يعلمهم الطلب ليعطيهم المطلوب (رَبَّنَا) يَا اَمَلِينَّنَا (وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا) اَدَانَاوَرْ تَسَكَّلْفَا (إِصْرًا) اَرَطْ اَسِشْيقًّا فَلَّانَّا اَدبَالْ

نيثْ تكرير النداء للإيذان بمزيد التضرّع واللجوء إلى الله سبحانه والإصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به هنا التكليف الشاق والأمر الغليظ الصعبومعنى الآية أنهم طلبوا من الله سبحانه أن لا يحملهم من ثقيل التكاليف ما حمل الأمم قبلهم (كَمَا حَمَلْتَهُ) اَمَّكْ اَسْتُوتَسَّدْبَلَا (عَلَى الَّذِينَ) اِيوِنْدِي (مِنْ قَبْلِنَا) اَلَّنِينْ دَاتْنَا اَتَنِمُوصَنْ بَنُو اِسْرَئِيلْ يعني اليهود وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الأثقال والآصار (رَبَّنَا) امَلِينَّنَا (وَلَا تُحَمِّلْنَا) وَرَانَا تَسَكَّلَّفَا (مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) اَرَطْ اَزْدَانَقُّو وَرْتَلَّا فَرِّيكِّتْ ضَغْ اِكِينّيتْ تكرير النداء للنكتة المذكورة قبل هذا والمعنى لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق (وَاعْفُ عَنَّا) طَمَاصَا اِبَكَّاضَنْ نَنَا ضَغْ شِيرَانَّنَا أي عن ذنوبنا يقال عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه عليه (وَاغْفِرْ لَنَا) تَصْطَارَا اِبَكَّاضَنْ نَنَا فَلْ شِيطَّاوِينْ اَنْ تَخَلَّاكْ أى استر على ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة والغفر الستر (وَارْحَمْنَا) تَهُّونَنَغَانَا أي تفضل برحمة منك علينا وتعطف بنا (أَنْتَ مَوْلَانَا) كَيْ اَمَلِينَّنَا اَمَارَايْ اَسْ طَالْغِوِينْ نَّنَا أي ولينا وناصرنا وخرج هذا مخرج التعليم كيف يدعون وقيل معناه أنت سيدنا ونحن عبيدك روي عن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذا السورة قال آمين قال ابن عطية هذا يظن به أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم فان كان ذلك فكمال وإن كان بقياس على سورة الحمد من حيث هنالك دعاء وهنا دعاء فحسن وقال على بن أبي طالب ما أظن أن أحدا عقل وأدرك الإسلام ينام حتى يقرأهما (فَانْصُرْنَا) تَنْصَارَ غَانَا (عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فَلْ ميدَّنْ

آمُوصُبْنَّنْ

اَمُوصْنينْ اِكُوفَارْ سَسَبْدَدْ نَلْهِيكًا دَلْغُولْبَا فإن من حق المولى أن ينصر عبيده والمراد عامة الكفرة وفيه إشارة إلى إعلاء كلمة الله بالجهاد في سبيله (286) وقد قدمنا في شرح الآية التي قبل هذا أنه ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات "قد فعلت" فكان ذلك دليلاً على أنه سبحانه لم يؤاخذهم بشيء من الخطأ والنسيان ولا حمل عليهم شيئاً من الإصر الذي حمله على من قبلهم ولا حمَّلهم ما لا طاقة لهم به وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين والحمد لله رب العالمينوقد ثبت عند الشيخين وأهل السنن وغيرهم عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"

سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية هي مدنية قال القرطبي بإجماع ومما يدل على ذلك أن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية نزل في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة واسمها في التوراة طيبة حكاه النقاش

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم) اللهُ غَاسْ اَيْصَنَّنْ اَوُوطَصْ اَسْوِنْدَا اَلْحَرَفَنْ الله أعلم بمراده بذلك مفتوح الميم موصول عند العامة وإنما فتح الميم لالتقاء الساكنين حرك إلى أخف الحركاتقال الأخفش سعيد ويجوز "الم الله" بكسر الميم لالتقاء الساكنين قال الزجاج هذا خطأ ولا تقوله العرب لثقله قال النحاس القراءة الأولى قراءة العامة وقد تكلم فيها النحويون القدماء فمذهب سيبويه أن

الميم فتحت لالتقاء الساكنين واختاروا لها الفتح لئلا يجمع بين كسرة وياء وكسرة قبلها هذه السورة ورد في فضلها آثار وأخبار فمن ذلك ما جاء أنها أمان من الحيات وكنز للصعلوك وأنها تحاجّ عن قارئها في الآخرة ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة إلى غير ذلك (1) (اللَّهُ) اللهُ ابتداء وما بعده خبر والحي القيوم نعت له (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَرْتِلَّا اَمَتَوَعْبَادْ سَ اَلْحَقْ ءَارْ اَنْتَ غَاسْ (الْحَيُّ) اِمُوصْ اَمُودَرْ وَاوَرْنَقْبِيلْ طَمَطَّانْطْ (الْقَيُّومُ) دِيوُكَيَنْ اَمَاكُو ضَغْ تَبَدَّيْ دَتَّدْبِيرْ اَنْ تَخَلَّاكْنيتْ سَوَصِرَ الجملة مستأنفة أي هو المستحق للعبودية لا يستحقها أحد سواه والحي هو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت والقيوم هو القائم بذاته وبتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم وهو فيعول من قام (2) (نَزَّلَ عَلَيْكَ) اِزَزَّبَدُّو فَلَّاكْ فيه أن وقت نزول هذه الآية لم يكن القرآن تكامل نزوله لأن صيغة التفعيل للدلالة على التنجيم (الْكِتَابَ) اَلْكَتَّابْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم اَتِّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ الكتاب القرآن وقدم الظرف على المفعول للاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والمراد في الماضي والمستقبل (بِالْحَقِّ) اِميسَلْسَا اَتِّيدَتْ ضَغْ سَلَانّيتْ أي متلبساً به في أخباره والحق الصدق وقيل الحجة (مُصَدِّقًا) اَلْحَالْ اَنّميلْنيتْ إِسِيدَتَّتْ حال آخر من الكتاب مؤكدة وبهذا قال الجمهور وجوز بعضهم أن تكون الحال منتقلة على معنى أنه مصدق لنفسه ولغيره (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) اَوَيْلَّنْ دَاتَسْ ضَغْ اَلْكَتَّابَنْ أي من الكتب المنزلة وهو من مجاز الكلام لأن ما بين يديه هو ما أمامه فسمى ما مضى بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره واللام في "لما" دعامة لتقوية العامل (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ) اِزَزَّبَدُّو التَّوْريةْ فَلْ مُوسَى (وَالْإِنْجِيلَ) دَ اَلِانْجِيلْ فَلْ عِيسَى إنما قال هنا أنزل

وفيما تقدم

وفيما تقدم نزّل لأن القرآن نزل منجماً مفصلاً في أوقات كثيرة والكتابان نزلا دفعة واحدة ولم يذكر في الكتابين من أنزلا عليه وذكر فيما تقدم أن الكتاب نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن القصد هنا ليس إلا ذكر الكتابين لا ذكر من نزلا عليه وهما اسمان عبرانيان وقيل سريانيان كالزبور وقيل التوراة مشتقة من قولهم ورى الزند إذا قدح فظهر منه نار وقيل من وريت في كلامي من التورية وهي التعريض والإنجيل مشتق من النجل وهو التوسعة والأول أولى (3) (مِنْ قَبْلُ) دَاتْ اَلْقُرَانْ أي قبل تنزيل الكتاب يعني القرآن (هُدًى) اَلْحَالْ اَتَّميلْ نَسَنْ اَمُوصَنْ طَانُورَيْ حال أو مفعول له (لِلنَّاسِ) يَبْتيدَنْ وِنْ تَنَلّيلْنينْ ضَغْ اَخْرُوكْ والمراد بالناس أهل الكتابين أو ما هو أعم لأن هذه الأمة متعبدة بما لم ينسخ من الشرائع قال ابن فورك للناس المتقين (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) اِرْزَّبَدُّو اَلْكَتَّابَنْ وِنْزَامَزَّيْنينْ كَرْ اَلْحَقْ اَدْ بَاطِيلْ اَمُوصَنْنينْ وِنْدَا اَدْ وِيَّاضْ الفارق بين الحق والباطل وهو القرآن وكرر ذكره تشريفاً له مع ما يشتمل عليه هذا الذكر الآخر من الوصف له بأنه يفرق بين الحق والباطلوقيل أراد بالفرقان جميع الكتب المنزلة من الله تعالى على رسله وقيل الزبور لاشتماله على المواعظ الحسنة والأول أولى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) اِلّكَنَاسْ وِنْدِي اَكْفَرْنينْ قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل إن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله (بِآيَاتِ اللَّهِ) سَلَايَتينْ نَ اللهُ اَلْقُرَانْ دَاوَرِيمُوصْ أي بما يصدق عليه أنه آية من الكتب المنزلة وغيرها (لَهُمْ) اِلَّاسَنْتُو بسبب هذا الكفر (عَذَابٌ) اَلْعَذَابْ (شَدِيدٌ) اِيصَصَنْ أي عظيم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالخلود في النار (وَاللَّهُ) اللهُ (عَزِيزٌ) اَنَاغْلِبْ

فَلْ طَالْغَانّيتْ وِرْتِلَّا ادَارِّكْدَلَنْ ضَغْ اَسَكَّتَكّي نَرْكَوَالْ نيتْ دَدُوميمْ نيتْ لا يغالبه مغالب (ذُو انْتِقَامٍ) اِمُوصْ مَشّيسْ نَظَظَلْ ضَغْ زَنْكَانّيتْ عظيم النقمة والسطوة يقال انتقم منه إذا عاقبه بسبب ذنب قد تقدم منه (4) (إنَّ اللَّهَ) اِلّكَنَاسْ اللهُ (لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ) وَرِيكَّنْتَلْ فَلّاسْ ءَاتِّلّانْ (فِي الْأَرْضِ) ضَغْ اَمَضَالْ (وَلَا فِي السَّمَاءِ) وَلاَضَغْ جَنَّاوَنْ هذه الجملة استئنافية لبيان سعة علمه وإحاطته بالمعلومات لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي (5) (هُوَ) اَنْتَ اللهُ (الَّذِي) اَنْتَدّي (يُصَوِّرُكُمْ) اَكَوَنْ اِصَانَغْرَافَنْ (فِي الْأَرْحَامِ) ضَغْ نَرَ اِيكَلَّا أصل اشتقاق الصورة من صاره على كذا أي أماله إليه فالصورة مائلة إلى شبه وهيئة والتصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والأرحام جمع رحم وأصل الرحم من الرحمة لأنه مما يتراحم به وهذه الجملة مستأنفة مشتملة على بيان إحاطة علمه وإن من جملة معلوماته ما لا يدخل تحت الوجود وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم من نطف آبائهم (كَيْفَ يَشَاءُ) اَمَّكْ وَصِرَ ضَغْ تِشْيِيتْ اَنْيَيْ مَدي تَنْتَيْ اَتَّكَّوَلْتْ اَتَّمَلَّيْ دَاوَرْنَمُوصْ ءَادِي من حسن وقبيح وأسود وأبيض وطويل وقصير وذكر وأنثى وكامل وناقص قيل وقد كان عيسى ممن صور في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل والمعنى أنه الذي يصوركم في ظلمات الأرحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون متفاوتة في الخلقة وذلك من نطفة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَرْتِلَّا اَمَتَّوَعْبَادْ سَ اَلْحَقْ ءَارْ اَنْتَ (الْعَزِيزُ) اَمَصَّرْنَيْ ضَغْ تَغْمَرْنيتْ وَرْتِلَّا اَدَاظَّرْنِينْ (الْحَكِيمُ) اَمَظَّليلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكْ لا يعجزه شيء ولا يخرج عن دائرة علمه شيء لا موجود سواه ولا نعبد إلا إياه وبالله التوفيق وهو الهادي إلى

سواء

سواء الطريق (6) (هُوَ) اَنْتَ اللهُ (الَّذِي) اَنْتَدِّي (أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) اَدِّيزَزَّبِّينْ فَلَّاكْ اَلْكَتَّابْ اَتِمُوصَنْ اَلْقُرَانْ أي القرآن واللام للعهد وقدم الظرف وهو عليك لما يفيده من الاختصاص قال القرطبي خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب" قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم" (مِنْهُ) اَلَّانَتُّو ضَغَسْ (آيَاتٌ) اَلَايَتِينْ (مُحْكَمَاتٌ) اَسِنِيفَالَلْ اَرَطْ وَفَلْ اَصَّنَرْنَطْ (هُنَّ) سَنْتَنَتَيْ (أُمُّ الْكِتَابِ) تَادْرَ نَ اَلْكَتَّابْ تَسِتَاوَسَهَدُّو فَلَّاسْ ضَغْ اَلْحَكُومَنْ وِنْ الدِّينْ اَدْ وِنَ الدَّنيتْ (وَأُخَرُ) اَدْ شِيَّاضْ اَلَايَتِينْ جمع أخرى ولم يصرفه لأنه معدول عن الأُخْر مثل عمر وزفر (مُتَشَابِهَاتٌ) مِيسَلْسَنِينْ اَسْ وَرِينَفَالَلْ اَلْمَعْنَى نَسْنَتْ وَرِيطَوَصَّنْ وقال القرطبي اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة فقال جابر بن عبد الله وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه (فَأَمَّا الَّذِينَ) اَمَّازَ وِنْدِي (فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) اَسْتِلَّا فَرُّوغْ ضَغْ وَلَّنْ نَسَنْ الذين رفع بالابتداء والخبر "فيتبعون ما تشابه منه" والزيغ الميل ومنه زاغت الشمس وزاغت الأبصار ويقال زاغ يزيغ زيغا إذا ترك القصد ومنه قوله تعالى "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" وهذه الآية تعم

كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران وقال قتادة في تفسير قوله تعالى "فأما الذين في قلوبهم زيغ" إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا أدري من هم قلت أي القرطبي قد مر هذا التفسير عن أبي أمامة مرفوعا وحسبك (فَيَتَّبِعُونَ) ونْدِيزَ اَتِّيلَالَنْ (مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) اَوَيْمَسَلْسَنْ ضَغَسْ (ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) فَلْ اَكِمَايْ نَ اَلْفِتْنَةْ يَ اَلْجُهَّالْ نَسَنْ (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) دَكِمَايْ نَ التَّاوِيلْ نيتْ قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع تعالى الله عن ذلك أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها أو كما فعل صبيغ [8] حين أكثر على عمر فيه السؤال فهذه أربعة أقسام الأول لا شك في كفرهم وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة الثاني الصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عبّاد الأصنام والصور ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد الثالث اختلفوا في جواز ذلك بناء على الخلاف في جواز تأويلها وقد عرف أن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها فيقولون أمروها كما جاءت وذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل منها الرابع الحكم فيه الأدب البليغ كما فعله عمر

---

[8] صبيغ (وزان أمير) بن شريك بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل (بكسر العين) بن عمرو بن يربوع التميمي، وقد ينسب إلى جده الأعلى فيقال: صبيغ بن عمل. راجع القاموس وشرحة مادة" صبغ وعسل"

بصبيغ ١١٣

بصبيغ وقال أبو بكر الأنباري وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلات في القرآن لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب إذ أوجد للمنافقين الملحدين في ذلك الوقت سبيلا إلى أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن عن مناهج التنزيل وحقائق التأويل فمن ذلك ما حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي أنبأنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل فلما حضر قال له عمر من أنت قال أنا عبد الله صبيغ فقال عمر رضي الله عنه وأنا عبد الله عمر ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي وقد اختلفت الروايات في أدبه وسيأتي ذكرها في "الذاريات" إن شاء الله ثم إن الله تعالى ألهمه التوبة وقذفها في قلبه فتاب وحسنت توبته ومعنى "ابتغاء الفتنة" طلب الشبهات واللبس على المؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم ويردوا الناس إلى زيغهم (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) اَنْتَ وَرِيصّينْ التَّاوِيلْ نيتْ (إِلَّا اللَّهُ) ءَارْ اللهُ غَاسْ (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) وِنْدِي اَتِّيتينينْ ضَغْ مَصْنَطْ (يَقُولُونَ) كَانَّنْ (آمَنَّا بِهِ) نَظِّيكْظَنْ سَ اَلْمُتَشَابِهْ نَصَّانْ ءَاسْ اللهُ اَدِّيفَلْ مِشَانْ وَرْنَصّينْ اَلْمَعْنَانّيتْ اختلف العلماء في "والراسخون في العلم" هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو

للجمع فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله وأن الكلام تم عند قوله "إلا الله"وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس و"يقولون" على هذا خبر "الراسخون"ورجح ابن فورك أن الراسخين يعلمون التأويل وأطنب في ذلكوقد قال ابن عباس أنا ممن يعلم تأويله وقرأ مجاهد هذه الآية وقال أنا ممن يعلم تأويله حكاه عنه إمام الحرمين أبو المعاليوفي قوله عليه السلام لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" ما يبين لك ذلك أي علمه معاني كتابك والوقف على هذا يكون عند قوله "والراسخون في العلم" قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر وهو الصحيح فإن تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب وفى أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع لكن المتشابه يتنوع فمنه ما لا يعلم ألبتة كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيبه وهذا لا يتعاطى علمه أحد لا ابن عباس ولا غيره فمن قال من العلماء الحذاق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تأويله المستقيم ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم كقوله في عيسى "وروح منه" إلى غير ذلك فلا يسمى أحد راسخا إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له فإن قيل كيف كان في القرآن متشابه والله يقول "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" فكيف لم يجعله كله واضحا قيل له الحكمة في ذلك والله أعلم أن يظهر فضل العلماء لأنه لو كان كله واضحا لم يظهر فضل بعضهم على بعض وهكذا يفعل من يصنف

تصنيفا يجعل بعضه واضحا وبعضه مشكلا ويترك للجثوة موضعا لأن ما هان وجوده قل بهاؤه والله أعلم (كُلٌّ) اَكُّلٌ نِيّنْ ضَغْ اَلْمُحْكَمْ دَ اَلْمُتَشَابِهْ (مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) اَمَلِينَّنَا اَدِّيفَلْ فيه ضمير عائد على كتاب الله تعالى محكمه ومتشابهه والتقدير كله من عند ربنا وحذف الضمير لدلالة "كل" عليه إذ هي لفظة تقتضي الإضافة ثم قال (وَمَا يَذَّكَّرُ) وَرِيطِيبَظْ اَلْمَاعِظَا (إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ءَارْ مَصَّاوَصْ اَنْتِيتْوِينْ شِينَنْدنينْ أي ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابه إلا ذو لب وهو العقل ولب كل شي خالصه فلذلك قيل للعقل لب و"أولوا" جمع ذو (7) (رَبَّنَا) كَّاتِّينْ ضيغينْ ءَامَرَنَيَنْ وَيْلّيلَنْ اَلْمُتَشَابِهْ اَمَلِينَّنَا (لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) اَدْ وَرْتَصَّفْرَغَا اِيوَلَّنْ تَّنَا فَلْ اَلْحَقْ (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) دَفَّرْ اَزْدَانَا تَصِّينَرَ سَ اَلْحَقْ في الكلام حذف تقديره يقولون وهذا حكاية عن الراسخين ويجوز أن يكون المعنى قل يا محمد ويقال إزاغة القلب فساد وميل عن الدين أفكانوا يخافون وقد هدوا أن ينقلهم الله إلى الفساد فالجواب أن يكونوا سألوا إذ هداهم الله ألا يبتليهم بما يثقل عليهم من الأعمال فيعجزوا عنه، نحو "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم" (وَهَبْ لَنَا) تَكْفيغَانَا (مِنْ لَدُنْكَ) غُورَكْ (رَحْمَةً) الرَّحْمَةْ اَتَتِمُوصَنْ اَرَكُوكْ فَلْ اَلْحَقْ أي من عندك ومن قبلك تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل أي كائنة من عندك ومن لابتداء الغاية وفي هذا استسلام وتطارح وفي "لدن" أربع لغات ولعل جهال المتصوفة وزنادقة الباطنية يتشبثون بهذه الآية وأمثالها فيقولون العلم ما وهبه الله ابتداء من غير كسب والنظر في الكتب والأوراق حجاب وهذا مردود ومعنى الآية هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة لأن الرحمة راجعة إلى صفة الذات فلا يتصور فيها الهبة (إِنَّكَ) اِلّكَنَاسْ كَيْ

(أَنْتَ الْوَهَّابُ) كَيْ اَمِيكِّتْ اَنْطَهَكْ وَيْهَاكَّنْ دَاتْ مَانْصَايْ لكل مسؤول تعليل للسؤال أو لإعطاء المسؤول (8) (رَبَّنَا) اَمَلِينَّنَا (إِنَّكَ) اِلّكَنَاسْ كَيْ (جَامِعُ النَّاسِ) اَدُوتَشِّيدُوَا اَيْتِيدَنْ أي باعثهم ومحييهم بعد تفريقهم وهو من إضافة الفاعل إلى المفعول وفي هذا إقرار بالبعث ليوم القيامة (لِيَوْمٍ) ضَغْ اَزَلْ هو يوم القيامة أي لحساب يوم أو لجزاء يوم على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه (لَا رَيْبَ فِيهِ) اَسْ وَلَ الشَّكْ ضَغَسْ اَتّمُوصَنْ اَزَلْ ءَانْ تَبَدَّيْ تَرَزَغَاسَنْ اَسْ مَازَالَنْ نَّسَنْ زُونْ اَوَادَ دَاسَنْ تَرْكُوَلَا أي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحساب والجزاء والريب الشك (إِنَّ اللَّهَ) اِلّكَنَاسْ اللهُ (لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) وَرْزَمَّرْرَيْ اَرْكَوَالْ وَيْكّا اَسْ تَنَكْرَا تعليل لمضمون ما قبلها أي إن الوفاء بالوعد شأن الإله سبحانه وخُلفُه يخالف الألوهية كما أنها تنافيه وإظهار الاسم الجليل لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشىء من ذكر اليوم المهيب الهائل والميعاد مِفعال من الوعد بمعنى المصدر لا الزمان والمكان قاله أبو البقاء وإليه أشار في التقرير وفيه التفات من الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها أخرج ابن النجار في تاريخه عن جعفر بن محمد الخلدي قال روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من قرأ هذه الآية على شيء ضاع منه رده الله عليه ويقول بعد قراءتها يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين مالي إنك على كل شيء قدير (9) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) اِلّكَنَاسْ وِنْدِي اَكْفَرْنِينْ اَضّوبَظَنْ غُرْ تِزَارَتْ نَزَّمَانْ هَاْر لَكُّومَتْ نَسَنْ المراد بالذين كفروا جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف وقيل وفد نجران وقيل قريظة وقيل النضير وقيل مشركو العرب

(لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ) وَرْزَرْغَمَنْ فَلَّاسَّنْ أي لن تنفع ولن تدفع عنهم (أَمْوَالُهُمْ) هَرْوَانَّسَنْ (وَلَا أَوْلَادُهُمْ) وَلَادَ ءَارَاطَنْ نَّسَنْ (مِنَ اللَّهِ) ضَغْ اَلْعَذَابْ نَ اللهُ أي من عذابه (شَيْئًا) ءَاتِّلَانْ أي شيئاً من الإغناء ومن لابتداء الغاية مجازاً أي لا تغني عند الله شيئا قاله أبو عبيد (وَأُولَئِكَ) وِنْدِي (هُمْ) اَنْتَنَيْ (وَقُودُ النَّارِ) اِصُوكَا اَنْتَمْسَيْ وِنَزَّطَرْغُو الوقود اسم للحطب أي هم حطب جهنم الذي تُسَعَّر به والجملة مستأنفة مقررة لقوله "لن تغنى عنهم أموالهم" الآية وقرىء وُقود بضم الواو وهو مصدر أي هم أهل وقود وخرج ابن المبارك من حديث العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى تخاض البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن فإذا قرءوه قالوا من أقرأ منا من أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه فقال هل ترون في أولئكم من خير" قالوا لا قال "أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار" (10) (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) اَلْعَدَتْ اَنْميدَّنَّكْ زُونْ اَلْعَدَتْ اَنْميدَّنْ ءَانْ فِرْعَوْنَ الدأب الحال والعادة والشأن ودأب الرجل في عمله يدأب دأبا ودءوبا إذا جد واجتهد وَأَدْأَبْتُهُ أَنَا وَأَدْأَبَ بَعِيرَهُ إذا جَهِدَهُ في السير والدائبان الليل والنهار والمراد هنا كعادة آل فرعون وشأنهم وحالهم وقال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر واختلفوا في الكاف فقيل دأبهم كدأب آل فرعون مع موسى وقال الفراء كفرت العرب ككفر آل فرعون وأنكره النحاس والقول الأول هو الذي قاله جمهور المحققين ومنهم الأزهري فأما قوله في سورة الأنفال "كدأب آل فرعون" فالمعنى جوزي هؤلاء بالقتل والأسر كما جوزي آل فرعون بالغرق والهلاك (وَالَّذِينَ) اَدْونْدِي (مِنْ قَبْلِهِمْ)

دَاتْسَنْ أي من قبل آل فرعون من الأمم الكافرة الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم أي وكدأب الذين من قبلهم (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) سَبَّهَوَنْ اَلايَتينِينْ لما جاءتهم بها الرسل يحتمل أن يراد بالآيات المتلوة ويحتمل أن يراد بها الآيات المنصوبة للدلالة على الوحدانية ويصح إرادة الجميع وقال في الأنفال "كذبوا" وفي موضع آخر منها "كفروا" تفننا جريا على عادة العرب في تفننهم في الكلام (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أُوبَظْطَنْ اللهُ سَ اَلْعَذَابْ (بِذُنُوبِهِمْ) سَسَّبَابْ اَنْ بَكَّاضَنْ نَّسَنْ أي فعاقبهم بسبب تكذيبهم أو المراد سائر ذنوبهم التي من جملتها تكذيبهم (وَاللَّهُ) اللهُ (شَدِيدُ الْعِقَابِ) اَمِيصَصْ نَ اَلْعَذَابْ اِيوَتِّمَزْرَيَنْ أي شديد عقابه فالإضافة غير محضة وقيل المعنى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الماضية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم (11) (قُلْ) اَنُّو يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) اِيونْدِي اَكْفَرْنينْ اَكَّانينْ ضَغْ اَلْيَهُودَنْ (سَتُغْلَبُونَ) شِيتَكِّتْ اَتَّتَوَغْلَبَمْ كَوَنَيْدَا ضَغْ الدَّنيتْ ءَادَا (وَتُحْشَرُونَ) تَتَوَشِيدَوَمْدُو ضَغْ اَلاخِرَةْ (إِلَى جَهَنَّمَ) اَسْ جَهَنَّمَ تَكَّزَمْتَتْ قيل هم اليهود وقيل هم مشركو مكة وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على سائر اليهود ولله الحمد (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) تَلَّابَسْتْ نَصَفْطَغْ تَمُوصَطُو جَهَنَّمْ يعني جهنم هذا ظاهر الآية يحتمل أن يكون من تمام القول الذي أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوله لهم ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة تهويلاً وتفظيعاً أي بئس ما مهد لهم في النار والمهاد الفراش وقال مجاهد المعنى بئس ما مهدوا لأنفسهم فكأن المعنى بئس فعلهم الذي أداهم إلى جهنم (12) (قَدْ

كَانَ لَكُمْ) اِكَاسْ دَاوَنْتِلَّا (آيَةٌ) اَلْمَاعِظَا أي علامة عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم وهذه الجملة من تمام القول المأمور به لتقرير مضمون ما قبله والخطاب لليهود وقيل لجميع الكفار وقيل للمؤمنين وعلى الأخيرين تكون الآية مستأنفة غير مرتبطة بما قبلها ولم يقل "كانت" لأن التأنيث غير حقيقي ومعنى الآية قد كان لكم عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون (فِي فِئَتَيْنِ) ضَغْ صَنَاطَطْ اَلْجَمَاعَتينْ أي فرقتين وأصلها فيء الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض أي يرجع والفئة الجماعة ولا واحد لها من لفظتها وجمعها فئات وقد تجمع بالواو والنون جبراً لما نقص وسميت الجماعة من الناس فئة لأنه يفاء إليها أي يرجع في وقت الشدة قاله القرطبي وقال الزجاج الفئة الفرقة مأخوذ من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته (الْتَقَتَا) اَمّنينينْ اَزَلْ وَانْ بَدَرْ يَنَمَنْقَا يعني المسلمين والمشركين يوم بدر لا خلاف في أن المراد بالفئتين هما المقتتلتان يوم بدر وإنما وقع الخلاف في المخاطب بهذا الخطاب فقيل المخاطب به المؤمنون وبه قال ابن مسعود والحسن وقيل اليهود وفائدة الخطاب للمؤمنين تثبيت نفوسهم وتشجيعها وفائدته إذا كان مع اليهود عكس الفائدة المقصودة بخطاب المسلمين وقيل هو خطاب لكفار مكة (فِئَةٌ) اَلْجَمَاعَةْ اِيَّتْ (تُقَاتِلُ) تَمّيكَرْ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ضَغْ اَبَرَقًا نَ اللهُ تَلِيلْتْ نيتْ اَتَمُوصَنْ النبي صلى الله عليه وسلم اَدْمِيدَاوَنّيتْ أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيراً وفرسان وكان من السلاح ستة أدرع

وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة (وَأُخْرَى) اَلْجَمَاعَةْ تَاهَضَطْ (كَافِرَةٌ) تَكْفَارْ سَ اللهُ تَمِّيكِرْ فَلْ اَكِمَايْ نَصَمَّكِي نَ النُّورْ ءَانْ اَظَكِّطَانْ وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة وكان فيها مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وفي الكلام شبه احتباك تقديره فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ومن الثاني ما يفهم من الأول (يَرَوْنَهُمْ) هَانَّيَنْ كُوفَارْ اِيمُومَنَنْ (مِثْلَيْهِمْ) اَمُوصَنْ صَنَاطَطْ تُولاَتينْ نَسَنْ اَقَّلَنْ سَرْسَنْ اَرَطْ اَكِّينْ (رَأْيَ الْعَيْنِ) ضَغْ اَنَايْ اَنْشَطْ اِكَّا اللهُ ءَادِي اَلسَّبَابْ نَ النَّصَارَ اَنَّسْلَمَنْ قال أبو علي الفارسي الرؤية في هذه الآية رؤية العين ولذلك تعدت إلى مفعول واحد ويدل عليه قوله "رأي العين" والمراد أنه يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين أو مثلي عدد المسلمين وقد ذهب الجمهور إلى أن فاعل يرون هم المؤمنون والمفعول هم الكفار والضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمشركين أي يرى المسلمون المشركين مثلَي ما هم عليه من العدد وفيه بُعد إذ يلزم أن يكثر الله المشركين في أعين المسلمين وقد أخبرنا أنه قللهم في أعين المؤمنين ويحتمل أن يكون للمسلمين فيكون المعنى يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين ليطمعوا فيهم وقد كانوا علموا من قوله تعالى "فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين" أن الواحد يغلب الإثنين وهذا على قراءة الجمهور بالياء التحتية وأما نافع وَدِي اَيْكَّانُّو تَرَوْنَهُمْ اَدِّي اَلْمَعْنَانِّيتْ تَهَانَّيَمْ اِكُوفَارْ يَا اِمُومَنَنْ اَمُوصَنْ صَنَاطَطْ تُولاَتينْ اَنَّسْلَمَنْ مِشَانْ اِنْصَرْكَوَنْ اللهُ فَلاَسَّنْ وأما على قراءة نافع بالفوقية ففيها وجهان

"الأول" أن يكون الخطاب في ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب فيه للكافرين والضمير المجرور في مثليهم أيضاً للمسلمين بطريق الالتفات فيكون المعنى ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم فقلل الله المشركين في أعين المسلمين فأراهم إياهم مثلي عِدتهم لتقوى أنفسهم "والثاني" أن يكون الضمير المنصوب أيضاً للمسلمين أي ترون أيها المسلمون أنفسكم مثلي ما أنتم عليه من العدد لتقوى بذلك أنفسكم.

وقد قال من ذهب إلى التفسير الأول أعني أنّ فاعل الرؤية المشركون وأنهم رأوا المسلمين مثلي عددهم أنه لا يناقض هذا ما في سورة الأنفال من قوله تعالى "ويقللكم في أعينهم" بل قللوا أولا في أعينهم ليلاقوهم ويجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا ورأي العين مصدر مؤكد لقوله "يرونهم" أي رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها (وَاللَّهُ) اللهُ (يُؤَيِّدُ) اِظَاظَوَاطْ (بِنَصْرِهِ) سَنَّصَارَانّيتْ (مَنْ يَشَاءُ) وَصِرَ أي يقوي من يشاء أن يقويه ولو بدون الأسباب العادية ومن جملة ذلك تأييد أهل بدر بتلك الرؤية (إِنَّ فِي ذَلِكَ) اِلّكَنَاسْ اِلَّيْ ضَغَادِي اَدِيتَّمَلَنْ اَدّي أي في رؤية القليل كثيراً (لَعِبْرَةً) تَظَابَظْتْ نَ اَلْمَاعِظَا فعلة من العبور كالجلسة من الجلوس والمراد الاتعاظ والتنكير للتعظيم أي عبرة عظيمة وموعظة جسيمة (لِأُولِي الْأَبْصَارِ) اِيمَصَّاوَصْ اَنْتَصَوَاضينْ شِنْوَلّنْ عن الربيع يقول قد كان لكم في هؤلاء عبرة وتفكّر أيدهم الله ونصرهم على عدوهم يوم بدر كان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً (13) (زُيِّنَ لِلنَّاسِ) اِتِيوَدْلَكِ يَيْتِيدَنْ (حُبُّ الشَّهَوَاتِ) طَرَا نَّوَارَنْ مَانّسَنْ كلام مستأنف

لبيان حقارة ما تستلذه الأنفس في هذه الدار وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عند اللهوالمراد بالناس الجنس والشهوات جمع شهوة وهي نزوع النفس إلى ما تريده وتوقان النفس إلى الشيء المشتهى والمراد هنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مرغوباً فيها أو تحقيراً لها لكونها مسترذلة عند العقلاء من صفات الطبائع البهيمية ووجه تزيين الله سبحانه لها ابتلاء عباده كما صرح به في الآية الاخرى واتباع الشهوات مرد وطاعتها مهلكة وفي صحيح مسلم "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات" رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها وأن النار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها (مِنَ النِّسَاءِ) اِيمُوصَنْ شِيضُوضِينْ بدأ بالنساء لكثرة تشوق النفوس إليهن والإستئناس والإلتذاذ بهن لأنهن حبائل الشيطان وأقرب إلى الافتتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء" أخرجه البخاري ومسلم ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء ويقال في النساء فتنتان وفي الأولاد فتنة واحدة فأما اللتان في النساء فإحداهما أن تؤدي إلى قطع الرحم لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات والثانية يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام وأما البنون فإن الفتنة فيهم واحدة وهو ما ابتلي بجمع المال لأجلهم (وَالْبَنِينَ) ضَارَاطَنْ عطف على ما قبله وواحد من البنين ابن خصهم دون البنات لعدم الاطراد في محبتهن ولأن حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى (وَالْقَنَاطِيرِ) اَدْ تَدَبِيدَبَايْ (الْمُقَنْطَرَةِ) دِيبَيْدَبينِينْ القناطير جمع قنطار كما قال تعالى "وآتيتم إحداهن قنطارا" وهو العقدة

الكبيرة من المال وقيل هو اسم للمعيار الذي يوزن به كما هو الرطل وقال ابن جرير الطبري معناها المضعفة وقال القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وقال الفراء القناطير جمع القناطر والمقنطرة جمع الجمع فيكون تسعة قناطير وقيل المقنطرة المكملة كما يقال بَدْرَةٌ مُبَدَّرَةٌ وَأُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ وبه قال مكي وحكاه الهرويوفي نونه قولان "أحدهما" وهو قول جماعة أنها أصلية وأن وزنه فِعلال كقرطاس "والثاني" أنها زائدة ووزنه فنعال (مِنَ الذَّهَبِ) اَكِّانينْ ضَغْ أُورَغْ (وَالْفِضَّةِ) دَظْرَفْ من بيانية وإنما بدأ بالذهب والفضة من بين سائر أصناف الأموال لأنهما قيم الأشياء قيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي تتفرق (وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ) دَكِّسَانْ وِنْهُوصّينينْ عطف على النساء قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط بل مفرده فرس وسميت الأفراس خيلاً لاختيالها في مشيتها وقيل لأن الخيل لا يركبها أحد إلا وجد في نفسه مخيلة أي عجباًواختلفوا في معنى المسومة فقيل هي المرعية في المروج والمسارح يقال سامت الدابة والشاة إذا سرحت وقيل هي المعدة للجهاد وقيل المعلمة من السومة وهي العلامة أي التي يجعل عليها علامة لتتميز عن غيرها وقال عكرمة تسويمها حسنها أي الغرة والتحجيل وقال ابن كيسان البلق (وَالْأَنْعَامِ) اَتَمَنَاسْ هي الإبل والبقر والغنم فإذا قلت نعم فهي الإبل خاصة قاله الفراء وابن كيسان (وَالْحَرْثِ) اَتَّوَكّاسْ اسم لكل ما يحرث وهو مصدر سمي به المحروث تقول حرث الرجل حرثاً إذا أثار الأرض فيقع على الأرض والحرث والزرع قال ابن الإعرابي الحرث التفتيش وفى الحديث "احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا" وفي حديث عبد الله "احرثوا هذا القرآن" أي فتشوه وفي الحديث

"أصدق الأسماء الحارث "لأن الحارث هو الكاسب واحتراث المال كسبه وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مسلم غرس غرسا أو زرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" قال العلماء ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس أما الذهب والفضة فيتمول بها التجار وأما الخيل المسومة فيتمول بها الملوك وأما الأنعام فيتمول بها أهل البوادي وأما الحرث فيتمول بها أهل الرساتيق [9] فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول فأما النساء والبنون ففتنة للجميع (ذَلِكَ) ءَادِيزَ اَدِّيتَّمَلَنْ اَدِّي كيتْنيتْ المذكور (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) اَسَتَّمْتَاعْ اَنْتَمَدُّورْتْ تَانْ الدَّنيتْ غَاسْ اَدِيتَوَسَتَمْتَعْ سَرَسْ اِكْمَضْ طَرْمَاضْ أي ما يتمتع به ثم يذهب ولا يبقى وفيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة روى ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شي أفضل من المرأة الصالحة" وفي الحديث "ازهد في الدنيا يحبك الله" أي في متاعها من الجاه والمال الزائد على الضروري قال صلى الله عليه وسلم "ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف [10] الخبز والماء" أخرجه الترمذي من حديث المقدام بن معد يكرب وسئل سهل بن عبد الله بم يسهل على العبد ترك الدنيا وكل الشهوات قال بتشاغله بما أمر به (وَاللَّهُ) اللهُ (عِنْدَهُ) اِلَّاغُورَسْ (حُسْنُ الْمَآبِ) اَهَنْصَاغَلْ وَيْهُوصَّيَنْ اَتِّمُوصَنْ اَلْجَنَّةْ اِنِيهَكَّا تَجَّضَا ضَغَسْ اَدَّلَانْ ءَاوَرِيمُوصْ ابتداء وخبر والمآب المرجع وهو الجنة يقال آب يؤب إياباً

إعراب

9 الرساتيق: السواد والقرى واحدها رستاق، وفي ز: البساتين

10 الجلف (بكسر فسكون): الخبز وحده لا أدم معه، وقيل: هو الخبز الغليظ اليابس

إذا رجع وأصل مآب مأوب قلبت حركة الواو إلى الهمزة وأبدل من الواو ألف، مثل مقال وفيه إشارة إلى أن من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لأنها السعادة القصوى (14) (قُلْ) اَنَّاصَنْ (أَؤُنَبِّئُكُمْ) ءَاكْ وَرَاوَنْزَمَّكِرْدَا اَمَّكِرْدَغيتَاوَنْ أي أخبركم استفهام تقرير (بِخَيْرٍ) صُوفَانْ (مِنْ ذَلِكُمْ) ضَغْ اَوَدِيتَّمَلَنْ اَدِّي من الذي تقدم أي بما هو خير لكم من تلك المستلذات ومتاع الدنيا وإبهام الخير للتفخيم، ثم بينه بقوله (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) اَتِّمُوصَنْ ءَاسْ اِلَّيْ اِيونْدِي اَسْلَكِّنينْ اَلْكَفَرْ (عِنْدَ رَبِّهِمْ) غُورْ اَمَلِينَّسَنْ (جَنَّاتٌ) اَلْجَنَّتينْ (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) اَسَنْكَّايَنْ غَزْرَانْ دَوْكَرُّوسَنْ نَّسْنَتْ خص المتقين لأنهم المنتفعون بذلك ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (خَالِدِينَ فِيهَا) اَلْحَالْ اَنَّميلْنَسَنْ اَضَغْلَلَنْ ضَغَسْنَتْ أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها (وَأَزْوَاجٌ) اَتَّنَرَاكِينْ (مُطَهَّرَةٌ) تِيوَزَزْدَكِّنينْ ضَغْ سَكِّلَافْ ءَاقَّلَنْ من الحيض والنفاس والمنى والبزاق وغيرها مما يستقذر منتهى الاستفهام عند قوله "من ذلكم" "للذين اتقوا" خبر مقدم و"جنات" رفع بالابتداء وقيل منتهاه "عند ربهم" و"جنات" على هذا رفع بابتداء مضمر تقديره ذلك جنات ويجوز على هذا التأويل "جنات" بالخفض بدلا من "بخير" ولا يجوز ذلك على الأول (وَرِضْوَانٌ) اَطَّرَضُوتْ تَكِّيتْ والرضوان مصدر من الرضا بكسر أوله وضمه لغتان وقد قرىء بهما في السبع في جميع القرآن إلا في المائدة فإنه بالكسر باتفاق السبعة وهو قوله "من اتبع رضوانه" وهما بمعنى واحد وإن كان الثاني سماعياً والأول قياسياً والتنوين للتكثير أي رضاً كثيراً (مِنَ اللَّهِ) اَدُوتَفَالَتْ اللهُ وهو أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى لهم "تريدون شيئا أزيدكم" فيقولون يا ربنا وأى شيء

أفضل من هذا فيقول "رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا" خرجه مسلم (وَاللَّهُ) اللهُ (بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) إِهَانَّيْ ايكْلَانّيتْ اَدِيرَزْ يَكُّلُّ نِيَّنْ سَمَازَالْ نيتْ أي عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازى كُلاًّ على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الأعمال وقيل بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنات (15) (الَّذِينَ) اَتِنمُوصَنْ وِنْدِي بدل من قوله "للذين اتقوا" وإن شئت كان رفعا أي هم الذين أو نصبا على المدح (يَقُولُونَ) كَاتّنينْ (رَبَّنَا) اَمَلِينَّنَا أي يا ربنا (إِنَّنَا) اِلّكَنَاسْ نَكّنَيْ (آمَنَّا) نَظِيكْظَنْ سَرَكْ كَيْ دَ نَمَّازُولْنَكْ أي صدقنا (فَاغْفِرْ لَنَا) صُورَفَانَا (ذُنُوبَنَا) اِبَكَّاضَنْ نَنَا دعاء بالمغفرة (وَقِنَا) طُوكَظَغَانَا (عَذَابَ النَّارِ) ضَغْ اَلْعَذَابْ اَنْتَمْسَيْ في ترتيب هذا السؤال على مجرد الإيمان دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة وفيه رد على أهل الاعتزال لأنهم يقولون إن استحقاق المغفرة لا يكون بمجرد الإيمان قاله الكرخي (16) ثم وصف المتقين بقوله (الصَّابِرِينَ) اَمَّظَظّيضَارْ فَلْ تَلِيلْتْ اَدْ فَلْ شِيَّتْ اَنْ تَمَازْرِيينْ يعني عن المعاصي والشهوات وقيل على الطاعات (وَالصَّادِقِينَ) اَدْوِينَكّنينْ تِيدَتْ ضَغْ اَظَكّظَانْ نَسَنْ أي في الأفعال والأقوال (وَالْقَانِتِينَ) اَدْوِينَلّيلْنينْ اللهُ الطائعين (وَالْمُنْفِقِينَ) اَدْوِينَّافّقْنينْ ضَغْ هَرْوَانْ نَّسَنْ تَاكَّصَنْ طَمَصَّضَكْ اَكَّاطَنْ اِتَلَقَّاوِينْ يعني في سبيل الله ففسر تعالى في هذه الآية أحوال المتقين الموعودين بالجنات واختلف في معنى قوله تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ) اَدْوِينْ كَامَّيْنينْ اَصُورَفْ ضَغْ اللهُ (بِالْأَسْحَارِ) ضَغْ اَلْوَقْ وَانْ دَاتَزَلْ فقال أنس بن مالك هم السائلون المغفرة قتادة المصلون قلت ولا تناقض فإنهم يصلون ويستغفرون وخص السحر بالذكر لأنه مظان القبول ووقت إجابة الدعاء يقال سحر وسحر بفتح الحاء وسكونها وقال

الزجاج

الزجاج السحر من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني وقال ابن زيد السحر هو سدس الليل الأخر قلت أي القرطبي أصح من هذا ما روى الأئمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر" في رواية "حتى ينفجر الصبح" لفظ مسلم وقد اختلف في تأويله وأولى ما قيل فيه ما جاء في كتاب النسائي مفسرا عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا فيقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى" صححه أبو محمد عبد الحق وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال وأن الأول من باب حذف المضاف أي ينزل ملك ربنا فيقول وقد روي "ينزل" بضم الياء وهو يبين ما ذكرنا وبالله توفيقنا وقد أتينا على ذكره في "الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى" الاستغفار مندوب إليه وقد أثنى الله تعالى على المستغفرين في هذه الآية وغيرها فقال "وبالأسحار هم يستغفرون" وقال أنس بن مالك أمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين استغفارة وقال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم" والمختار من لفظ الاستغفار ما رواه البخاري عن شداد بن أوس وليس له في الجامع غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت

أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليله قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة" (17) (شَهِدَ اللَّهُ) اِكِّيَتْ اللهُ اِسِنَفَالَلْ اِيتَخَلَّاكْنيتْ سَ الدَّلِيلَنْ أي بين الله وأعلم كما يقال شهد فلان عند القاضي إذا بين وأعلم لمن الحق أو على من هو قال الزجاج الشاهد هو الذي يعلم الشيء ويبينه فقد دلنا الله على وحدانيته بما خلق وبين (أَنَّهُ) ءَاسْ طَالْغَا اَتَتِمُوصَنْ ءَاسْ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَرْتِلَّا اَمَتَّوَعْبَادْ سَ اَلْحَقْ ءَارْ اَنْتَ سئل بعض الإعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال إن البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير وفي القرآن من دلائل التوحيد كثير طيب وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله (وَالْمَلَائِكَةُ) اَكِّيينْ ضيغينْ اَنْكِلُوسَنْ سَادِي اَنْتَنيدَا عطف على الاسم الشريف وشهادتهم إقرارهم بأنه لا إله إلا هو (وَأُولُو الْعِلْمِ) اَدْ كَلْ مَصْنَطْ وِنْ النَّبِيتَنْ اَدْ وِنْ مُومَنَنْ كيتْنَسَنْ صِيمَرْكَصَنْ ءَادِي معطوف أيضاً على ما قبله وشهادتهم بمعنى الإيمان منهم وما يقع من البيان للناس على ألسنتهم وعلى هذا لا بد من حمل الشهادة على معنى يشمل شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم [11] وقد اختُلف في أولي العلم هؤلاء من هم فقيل هم الأنبياء وقيل المهاجرون والأنصار قاله ابن كيسان وقيل مؤمنو أهل الكتاب قاله مقاتل وقيل المؤمنون كلهم قاله السدى والكلبي

[11] وروى ابن السائب أن حبرين من أحبار الشام قدما النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة. فقالا: أنت محمد. قال نعم. قالا: وأحمد. قال: نعم. قالا: نسألك عن الشهادة فإن أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك. فقال: سلاني. فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتب الله .... فنزلت هذه الآية. فأسلما

وهو الحق إذ لا وجه للتخصيص وفي ذلك فضيلة لأهل العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقرنهم باسمه واسم ملائكته والمراد بأولي العلم هنا علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما إذ لا اعتداد بعلم لا مدخل له في العلم الذي اشتمل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة (قَائِمًا بِالْقِسْطِ) اَلْحَالْ اَنَّميلْ نَ اللهُ اِضِّيلَلْ اَتَّبَدَّيْ دَ اَلْعَدَالَ بالعدل في جميع أموره أو مقيماً له وانتصاب قائماً على الحال من الاسم الشريف (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَرْتِلَّا اَمَتَّوَعْبَادْ سَ اَلْحَقْ ءَارْ اَنْتَ كرّر لأن الأولى حلت محل الدعوى والشهادة الثانية حلت محل الحكم وقيل كرره للتأكيد وفائدة تكريرها الاعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فإنه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات وقوله (الْعَزِيزُ) دِيمُوصَنْ اَمَصَّرْنَيْ ضَغْ طَغْمَرْنيتْ اِتَّگَانْ اَوَصِرَ (الْحَكِيمُ) اِمُوصْ اَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكْ لتقرير معنى الوحدانية (18) (إِنَّ الدِّينَ) اِلِّكَنَاسْ الدِّينْ وَسِتَوَرْضَا سَرَسْ (عِنْدَ اللَّهِ) غُرْ اللهُ جملة مستأنفة وآية مستقلة على قراءة كسر "إن" وأما على قراءة فتحها فهو من بقية الآية السابقة (الْإِسْلَامُ) اَلِاسْلَامْ اَتِّمُوصَنْ يعني الدين المرضي هو الإسلام المبني على التوحيد كما قال تعالى "ورضيت لكم الإسلام دينا" قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه والإسلام هو الدخول في السلم وهو الإنقياد في الطاعة وقد ذهب الجمهور إلا أن الإسلام هنا بمعنى الإيمان وإن كانا في الأصل متغايرين كما في حديث جبريل الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم معنى الإسلام والإيمان وصدقه جبريل وهو في الصحيحين وغيرهما ولكن قد يسمى كل واحد منهما باسم الآخر وقد ورد ذلك في الكتاب والسنةوعن الضحاك قال لم يبعث

الله رسولاً إلا بالإسلام وعن الأعمش قال أنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عند الله وقرأ "إن الدين عند الله الإسلام قالها مراراً" قلت وأنا أيضاً أشهد كما شهد الأعمش وبالله التوفيق (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ) وَرَمَّزْرَيَنْ وِنْدِي (أُوتُوا الْكِتَابَ) تَوَكْفَنينْ اَلْكَتَّابْ اَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ دَ النَّصَارَي ضَغْ الدِّينْ (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) ءَارْ دَفَّرْ اَسْتَنْضُوطُوصَا مَصْنَطْ اَنْ تِيشِيتْ نَ اللهُ غَاسْنيتْ (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) فَلْ تَضْلَمْتْ اَدْ مَنْجَاغْ اِلَّانْ كِرِيسَّنْ فيه الإخبار بأن اختلاف اليهود والنصارى كان لمجرد البغي بعد أن علموا بأنه يجب عليهم الدخول في دين الإسلام بما تضمنته كتبهم المنزلة إليهم والكتاب هو التوراة والإنجيل والمراد بهذا الخلاف الواقع بينهم هو خلافهم في كون نبينا صلى الله عليه وسلم نبياً أم لا وقيل في دين الإسلام فقال قوم إنه حق وقال قوم إنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقاًوقيل في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل اختلافهم في نبوة عيسى وقيل اختلافهم في ذات بينهم حتى قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (وَمَنْ يَكْفُرْ) اِيكْفَرَنْ (بِآيَاتِ اللَّهِ) سَلَايَتينْ نَ اللهُ ءَادِيزَ التَّعَذَّبْ اللهُ الدالة على أن الدين عند الله الإسلام أو بأي آية كانت(فَإِنَّ اللَّهَ) فَلَاسْ اِلّكَنَاسْ اللهُ (سَرِيعُ الْحِسَابِ) اَنَسّيتْرَبْ اَمَّارُوزَتْ يَاسْ يجازيه ويعاقبه على كفره بآياته والإظهار في قوله "فإن الله" مع كونه مقام الإضمار للتهويل عليهم والتهديد لهم (19) (فَإِنْ حَاجُّوكَ) كُوكَيْ ظَمَّظَغَنْ كُوفَارْ ضَغْ الدِّينْيا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي خاصموك وجادلوك اليهود والنصارى بالشبه الباطلة والأقوال المحرفة بعد قيام الحجة عليهم في أن الدين عند

الله هو

الله هو الإسلام (فَقُلْ) طَنَّغَاسَنْ (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ) نَكْ اَسْلَامَا أودَمِينْ اَكِّارَ اَسَالْوَايْ (لِلَّهِ) يَ اللهُ أي أخلصت ذاتي لله وانقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وعبر بالوجه عن سائر الذات لكونه أشرف أعضاء الإنسان وأجمعها للحواس وقيل الوجه هنا بمعنى القصد (وَمَنِ اتَّبَعَنِ) نَكْ اَدْ وِنْدِيَلْكَمْ نينْ عطف على فاعل أسلمت وجاز للفصل وقال الزمخشري الواو بمعنى مع (وَقُلْ) اَنُّو يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم (لِلَّذِينَ) اِيوِنْدِي (أُوتُوا الْكِتَابَ) تَوَكْفَنينْ اَلْكَتَّابْ اَتَنِمُوصَن اَلْيَهُودَنْ دَ النَّصَارَي يعني اليهود والنصارى (وَالْأُمِّيِّينَ) دَيْثْ اَلْأمٌّ اَتَنِمُوصَنْ اَلْمُشْرِيكَنْ نَارَابَنْ أي الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب وقال ابن عباس هم الذين لا يكتبون (أَأَسْلَمْتُمْ) كَوَنيكْ اَسْلَمَتْ استفهام تقريري يتضمن الأمر أي أسلموا كذا قال ابن جرير وغيره(فَإِنْ أَسْلَمُوا) كُدْزَ اَسْلَمَنْ (فَقَدِ اهْتَدَوْا) ءَادِيزَ اِكّاسْ اَنَارَنْ دخلت قد على الماضي مبالغة في تحقق وقوع الفعل وكأنه قرب من الوقوع "اهتدوا" أي ظفروا بالهداية التي هي الحظ الأكبر وفازوا بخيري الدنيا والآخرة (وَإِنْ تَوَلَّوْا) كُدْ بَرَكّولَنْ فَلْ اَظَكّطَانْ أي أعرضوا عن قبول الحجة ولم يعملوا بموجبها (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) ءَادِيزَ وَرْتِلَّا فَلَّاكْ ءَارْ اَشَتْيوَضْ وَدِي تَكِّيغَاسَنْتُو أي إنما عليك أن تبلغهم ما أنزل إليك ولست عليهم بمسيطر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والبلاغ مصدر بمعنى التبليغ قيل الآية محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل منسوخة بآية السيف (وَاللَّهُ) اللهُ (بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) اِهَاتَّيْ ايكْلَاتّيتْ اَدَاسَنِيرَزْ اَسْ مَازَالَنْ نَّسَنْ فيه وعد ووعيد لتضمنه أنه عالم بجميع أحوالهم (20) (إِنَّ الَّذِينَ) اِلّكَنَاسْ وِنْدِي (يَكْفُرُونَ) اَكْفَرْنينْ (بِآيَاتِ اللَّهِ) سَلَايَتينْ نَ اللهُ ظاهره عدم الفرق بين

آية وآية وهم اليهود والنصارى (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) نَاقَّنْ النَّبِيتَنْ يعني اليهود قتلوا الأنبياء (بِغَيْرِ حَقٍّ) تينَغَيْ اَصَصَّانَنْ ءَاسْ وَرْتَمُوصْ اَلْحَقْ إنما قيد بذلك للإشارة إلى أنه كان بغير حق في اعتقادهم أيضاً فهو أبلغ في التشنيع عليهم (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ) نَاقَّنْ وِنْدِي (يَأْمُرُونَ) اَتَنْتَامَرْنينْ بالمعروف وينهون عن المنكر (بِالْقِسْطِ) سَ اَلْعَدَالَ أي العدل (مِنَ النَّاسِ) ضَغْ اَيْتيدَنْ اَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ قال المبرد كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون فدعوهم إلى الله فقتلوهم فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمروهم بالإسلام فقتلوهم ففيهم أنزلت الآية قال القرطبي وعن درة بنت أبي لهب قالت جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال من خير الناس يا رسول الله قال "آمَرُهُمْ بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأَوْصَلُهُمْ لِرَحِمِهِ"(فَبَشِّرْهُمْ) وِنْدِي بَشَّرَاسَنْ (بِعَذَابٍ) سَ اَلْعَذَابْ (أَلِيمٍ) نَمَصّيصْنَنْ خبر لقوله "إن الذين يكفرون" وذهب بعض النحاة إلى أن الخبر قوله "أولئك الذين حبطت أعمالهم" ومنهم سيبويه والأخفش وذكر البشارة تهكم بهم (21) (أُولَئِكَ) وِنْدِي (الَّذِينَ) اَنْتَنَيْ وِنْدِي (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) اَسَبْطَلَنْ مَازَالَنْ نَسَنْ وِنْهُوصّينينْ أي بطلت أعمالهم كصدقة وصلة رحم (فِي الدُّنْيَا) ضَغْ الدّنيتْ (وَالْآخِرَةِ) دَ اَلاخِرَةْ أي إنه لم يبق لحسناتهم أثر في الدنيا حتى يعاملوا فيها معاملة أهل الحسنات لعدم الإسلام بل عوملوا معاملة أهل السيئات فلعنوا وحل بهم الخزي والصغار ولهم في الآخرة عذاب النار (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) وَرْتَلّينْ يَاسَنْ مَاكَاظَنْ اَتَنُوكَظْنينْ ضَغْ اَلْعَذَابْ يمنعونهم من العذاب (22) (أَلَمْ تَرَ) ءَاكَ وَرْزَطَصْوَضَا تَاجَبَا (إِلَى الَّذِينَ) ضَغْ وِنْدِي (أُوتُوا نَصِيبًا) تَوَكْفَنينْ تَدَكّرْتْ (مِنَ الْكِتَابِ) ضَغْ اَلْكَتَّابْ

ثمن
وراثا ثلثا

التَّوْريةْ فيه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من تصح منه الرؤية من حال هؤلاء وهم أحبار اليهود والكتاب التوراة وتنكير النصيب للتعظيم أي نصيباً عظيماً كما يفيده مقام المبالغة والمراد بذلك النصيب ما بين لهم في التوراة من العلوم والأحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقية الإسلام فلم ينتفعوا بذلك وذلك بأنهم (يُدْعَوْنَ) تَاوَغْرِينْ (إِلَى كِتَابِ اللَّهِ) سَ اَلْكَتَّابْ نَ اللهُ الذي أوتوا نصيباً منه وهو التوراة قال ابن عباس هذه الآية نزلت بسبب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إني على ملة إبراهيم" فقالا فإن إبراهيم كان يهوديا فقال النبي صلى الله عليه وسلم "فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم|" فأبيا عليه فنزلت الآية (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) فَلْ اَديحْكَمْ كَِريسَّنْ إضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثُمَّ) دَفَّرَادِي (يَتَوَلَّى) اَتِّيبَرَكُوِلَنْ عن مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وثم للاستبعاد لا للتراخي في الزمان (فَرِيقٌ مِنْهُمْ) اِيَّاضْ ضَغْسَنْ يعني الرؤساء والعلماء (وَهُمْ مُعْرِضُونَ) ضَغْ اَلْحَالَاسْ سِكَامَينْ فَلْ اَلْقَبُولْ نَ اَلْحَكُومْ نيثْ أي والحال أنهم معرضون عن الإجابة إلى ما دعوا إليه مع علمهم به واعترافهم بوجوب الإجابة إليه قال السيوطي نزلت في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا (23) (ذَلِكَ) اَسَكُّومِي دِيزَ اِيكَا أي ما مرّ من التولي والإعراض (بِأَنَّهُمْ) سَسَّبَابْ نَاسْ اَنْتَنَيْ (قَالُوا) اَنَّنْ ضَغْ مَنَّانْ نَّسَنْ (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ)

وَرَانَاظَا طَضَصْ تَمْسَيْ (إِلَّا أَيَّامًا) ءَارْ ضَغْ جِلَانْ (مَعْدُودَاتٍ) دَرُوسْنينْ أُوكْدَانينْ دَمَاضِينْ وَاكِنْ مَرْوَنَّنَا اَعْبَادَنْ اَبَرْكَوْ أي أربعين يوماً وهي مقدار عبادتهم العجل (وَغَرَّهُمْ) إِغْدَرْتَنْ (فِي دِينِهِمْ) ضَغْ الدِّينْ نَّسَنْ (مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) اَوَسْتَلَّنْ كَالَّظَنْتِيدْ اَتِّمُوصَنْ طَنَّانَسَنْ وَرَانَازَ تَضَصْ تَمْسَيْ ءَارْ ضَغْ اَرَطْ نَصَانْ من الأكاذيب التي من جملتها هذا القول أو قالوا إن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذّب أولادُه إلا تحلة القسم معنى يفترون يكذبون ويحلفون (24) (فَكَيْفَ) مَنِي إِيسَلَانْ نَسَنْ (إِذَا جَمَعْنَاهُمْ) ءَامَرْ تَنْ دَشّيدَوَا (لِيَوْمٍ) ضَغْ اَزَلْ (لَا رَيْبَ فِيهِ) ءَاسْ وَلَ الشَّكْ ضَغَسْ هو رد عليهم وإبطال لما غرهم من الأكاذيب باستعظام ما سيقع لهم وتهويل لما يحيق بهم من الأهوال أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا يرتاب مرتاب في وقوعه فإنهم يقعون لا محالة فيه ويعجزون عن دفعه بالحيل والأكاذيب قال الكسائي اللام في قوله ليوم بمعنى "في" وقال البصريون والمعنى لحساب يوم وقال ابن جرير الطبري المعنى لما يحدث في يوم (وَوُفِّيَتْ) إِيتَوَسَنْدُو (كُلُّ نَفْسٍ) يَكُلُّ اَنْطَمينْتْ من أهل الكتاب وغيرهم (مَا كَسَبَتْ) مَارُوزَتْ نَوَاتَمُّوزَلْ كِرْزَاَلْخَيْرْ وَلَ الشَّرْ أي جزاء ما كسبت من خير وشر على حذف المضاف (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ضَغْ اَلْحَالَاس اَنْتَنَيْ اَيْتيدَنْ كيتْنَسَنْ وَرْزَ تُوضْلَمَنْ سَفَنَاظْ نَمَرْكيدْ وَلَ اَشِيتِي نَبَكَّاضْ بزيادة سيئةولا نقص حسنة من أعمالهم والمراد كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (25) (قُلِ) اَنُّو يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ) يَا اللهُ اختلف النحويون في تركيب لفظة "اللهم" بعد إجماعهم أنها مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة وأنها منادى قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين إن أصل اللهم يا ألله

جاها الله محمد

فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو"يا" جعلوا بدله هذه الميم المشددة فجاءوا بحرفين وهما الميمان عوضا من حرفين وهما الياء والألف والضمة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد وقال الكوفيون إنه قد يدخل حرف النداء على "اللهم" وأنشدوا على ذلك قول الراجز إني إذا ما حدث ألما ... أقول يا اللهم يا اللهما قالوا فلو كان الميم عوضا من حرف النداء لما اجتمعا قال الزجاج وهذا شاذ ولا يعرف قائله ولا يترك له ما كان في كتاب الله وفي جميع ديوان العرب، قال النضر ابن شميل من قال "اللهم" فقد دعا الله بجميع أسمائه وقال الحسن "اللهم" تجمع الدعاء (مَالِكَ الْمُلْكِ) دِيمُوصَنْ مَشِّيسْ اَنْ طَغْمَرْ جنس الملك على الإطلاق ومالك العباد وما ملكوا وقيل المعنى مالك الدنيا والآخرة (تُؤْتِي الْمُلْكَ) تَهَاگَا تَغْمَرْنَكْ (مَنْ تَشَاءُ) وَصنْطَرِي ضَغْ تَخَلَّاكْ نَكْ (وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ) تَطَابَطَا تَغْمَرْنَكْ (مِمَّنْ تَشَاءُ) ضَغْ وَصنْطَرِي المراد بما يؤتيه من الملك وينزعه هو نوع من آنواع ذلك الملك العام قيل نزل لما وعد صلى الله عليه وسلم أمته ملك فارس والروم عن ابن عباس قال اسم الله الأعظم "قل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب" وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني عن معاذ "أنه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم دَيناً عليه فعلمه أن يتلو هذه الآية ثم يقول رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي من تشاء منهما وتمنع من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك اللهم أغنني من الفقر واقض عني الدين" وأخرجه الطبراني في الصغير عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ "ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأداه الله عنك" فذكره وإسناده جيد (وَتُعِزُّ) تَظَاظَوِي (مَنْ

تَشَاءُ) وَصَطَرِي اَسْ تَهَكَّيْ نّيتْ تَغْمَرْ (وَتُذِلُّ) تَزَازَلَّا (مَنْ تَشَاءُ) وَصَطَرِي سَابَّاظْنيتْ ضَغَسْ أي في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما يقال عز إذا غلب ومنه "وعزني في الخطاب" ويقال ذل يذل ذلاً إذا غلب وقهر (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) اَلْخَيْرُ دَ الشَّرْ كُولْ اَلّانْتُو ضَغْ طَرْنَاتَّكْ أي النصر والغنيمة وقيل الألف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات وتقديم الخبر للتخصيص أي بيدك الخير لا بيد غيرك وذكر الخير دون الشر لأن الخير تفضل محض بخلاف الشر فإنه قد يكون جزاء لعمل من وصل إليه وقيل لأن كل شر من حيث كونه من قضائه سبحانه هو متضمن للخير فأفعاله كلها خير قاله القاضي كالكشاف وقيل إنه حذف كما حذف في قوله "سرابيل تقيكم الحر" قاله البغوي وأصله بيدك الخير والشر وقيل خص الخير لأن المقام مقام دعاء (إِنَّكَ) اِلّكَنَاسْ كَيْ (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اَمَرْنِي ءَاطَمُوصَا فَلْ اَكُلَّ نَرَطْ تعليل لما سبق وتحقيق له (26) (تُولِجُ اللَّيْلَ) تَزِيكُوزَ ايهَضْ (فِي النَّهَارِ) ضَغْ اَزَلْ اَدتِيتِّي اَزَلْ وهو أن تجعل الليل قصيراً وما نقص منه زائداً في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وفيه دلالة على أن من قدر على أمثال هذه الأمور العظام المحيرة للعقول والأفهام فقدرته على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم أهون عليه من كل هين يقال ولج يلج من باب وعد ولوجاً ولجة كعدة والولوج الدخول والإيلاج الإدخال (وَتُولِجُ النَّهَارَ) تَزِيكُوزَ ايزَلْ (فِي اللَّيْلِ) ضَغْ اَهَضْ اَدتِيتِّي اَهَضْ أي تدخل ما نقص من أحدهما في الآخر حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ)

تَصَاكِمَاضَاضُو اَرَطْ اِدَّارَنْ (مِنَ الْمَيِّتِ) ضَغْ اِيَّنْ اَمّينْ (وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ) تَصَاكِمَاضَاضُو اَرَطْ اَمّينْ (مِنَ الْحَيِّ) ضَغْ اِيَّنْ اِدَّارَنْ قيل المراد إخراج الحيوان وهو حي من النطفة وهي ميتة وإخراج النطفة وهي ميتة من الحيوان وهو حي وقيل المراد إخراج الطائر وهو حي من البيضة وهي ميتة وإخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية وقال عكرمة النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة وعن الحسن قال المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد قلت ويدل له قوله تعالى "أو من كان ميتاً فأحييناه" وأخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن حاتم وابن مردويه عن عبيد الله بن عبد الله أن خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث دخلت على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فقال من هذه قيل خالدة بنت الأسود قال سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافراً وأخرج ابن سعد عن عائشة مثله (وَتَرْزُقُ) تَرَاظَّغَا (مَنْ تَشَاءُ) اِيوَصْطَري (بِغَيْرِ حِسَابٍ) اَرَّظَغْ وَرْنَلَا دَدِّيقَّلْ أي بغير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه عليه كما تقول فلان يعطى بغير حساب إذ المحسوب يقال للقليل (27) (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ) اَدْوَرَكِينْ مُومَنَنْ (الْكَافِرِينَ) اِكُوفَارْ (أَوْلِيَاءَ) اِمَارَاينْ سَرْسَنْ دَرِكَانْ اَلْمُوَالَ فيه النهي للمؤمنين عن موالاة الكفار بسبب من أسباب المصادقة والمعاشرة كقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية ومثله قوله تعالى "لا تتخذوا بطانة من دونكم" الآية وقوله "ومن يتولهم منكم فإنه منهم" وقوله "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" (مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) اَدِّلَانْ

إِمُومَنَنْ أي متجاوزين المؤمنين إلى الكافرين استقلالاً أو اشتراكاً (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) اِيمُوزَلَنْ ءَادِي اِكَا اَلْمَوَالَا اَدْكُوفَارْ كِرْزَ اِيكِيْ اَدْ مُومَنَنْ وَلَا وَرْتِيكَا دَرْسَنْ الاتخاذ المدلول عليه بقوله لا يتخذ (فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ) وَدِي وَرْتِلَّا ضَغْ الدِّينْ نَ اللهُ أي فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شي (فِي شَيْءٍ) ضَغْ اَتِّلَانْ وَرِيمُوصْ اَنَسْلَمْ من الأشياء هو منسلخ عنه بكل حال وهذا أمر معقول إذ موالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ) اَنْدَبَازَ اَتَّكْصُوضَمْ ضَغْسَنْ (تُقَاةً) تَكْصَضَا اَدِيزَ تَلَامْ سَ اَلْمَوَالَا دَرْسَنْ سِيلَسْ غَاسْ اَدِيلَّانْ اَوَلْ على صيغة الخطاب بطريق الالتفات أي إلا أن تخافوا منهم أمراً يجب اتقاؤه وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال وتقاة مصدر واقع موقع المفعول به وهو ظاهر قول الزمخشري "تُقاة" مصدر تَقَى على وزن فَعَل وله مصدران آخران تُقى وتَقِيَّة بتشديد الياء وأمال حمزة والكسائي "تقاة" وفخم الباقون الباقون وأصل "تقاة" وُقَيَةٌ على وزن فعلة لأنه من الوقاية قلبت الواو تاء والياء ألفا ويجمع على تُقى كرطبة ورطب قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم وأخرج عبد بن حميد والبخاري عن الحسن قال التقية جائزة إلى يوم القيامة والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم ومن أكره على الكفر فالصحيح أن له أن يتصلب ولا يجيب إلى التلفظ بكلمة الكفر بل يجوز له ذلك على ما يأتي بيانه في "النحل" إن شاء الله تعالى وقيل إنها نزلت في عمار بن ياسر حين تكلم ببعض ما أراد منه المشركون (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ) اِسِيكْصَضْكَوَنْ اللهُ (نَفْسَهُ) إِمَانِّيطْ ضَغْ اَكَوَنِيكْيَضْ اَسْتَكَمْ اَلْمَوَالَا اَدْ كُوفَارْ أي ذاته المقدسة أن

تعصوه بأن ترتكبوا النهي عنه أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله وإطلاق النفس عليه سبحانه جائز في المشاكلة كقوله "تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك" وفي غيرها وذهب بعض المتأخرين إلى منع ذلك إلا مشاكلة وقال الزجاج معناه يحذركم الله إياه ثم استغنوا عن ذلك بهذا وصار المستعمل (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) اللهُ اَزَّاتَكُو تُوكَارْتْ اَنْ تَخَلَّاْك اِيرزْ يَكُّلَّ نَّيَنْ سَمَازَالْ نيتْ أي وإلى جزاء الله المصير وفيه إقرار بالبعث وفي هذه الآية تهديد شديد وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه (28) (قُلْ) اَنَّاصَنْ (إِنْ تُخْفُوا) كُدْ تَسَكَّنْتَلَمْ (مَا فِي صُدُورِكُمْ) اَوَتِّيلَّنْ ضَغْ وَلَّنْ نَّوَنْ ضَغْ اَلْمَوَالَا اَدْ كُوفَارْ (أَوْ تُبْدُوهُ) مَدي تَسَنَّفَالَلَمْتُو (يَعْلَمْهُ اللَّهُ) ضَغْ اللهُ اِصَّانْ ضَغَسْ دَاوَنِيرَزْ فَلَّاسْ فيه أن كل ما يضمره العبد ويخفيه أو يظهره ويبديه فهو معلوم لله سبحانه لا يخفى عليه منه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة (وَيَعْلَمُ) اَنْتَ اللهُ اِصَّانْ (مَا فِي السَّمَاوَاتِ) اَوَتِّيلَنْ ضَغْ جَنَّاوَنْ (وَمَا فِي الْأَرْضِ) دَوَتِّيلَّنْ ضَغْ اَمَضَالْ وَرْفَلَّاسْ اِيكَّنْتَلْ وَلَا مما هو أعم من الأمور التي يخفونها أو يبدونها فلا يخفى عليه ما هو أخص من ذلك (وَاللَّهُ) اللهُ (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اَمَرْنِي اَيْمُوصْ فَلْ اَكُّلَّ نَرَطْ فيكون قادراً على عقوبتكم (29) (يَوْمَ) طَكْطَا تَمَلَا اَزَلْ (تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ) اَدِينْ ظَاطَاكَظْ اَكّلَّ اَنْطَمينْطْ (مَا عَمِلَتْ) اَوَاتَمُّوزَلْ (مِنْ خَيْرٍ) اِمُوصَنْ اَمَازَالْ وَيْهُوصَّيَنْ "يوم" منصوب متصل بقوله "ويحذركم الله نفسه" "يوم تجد" وقيل هو متصل بقوله "وإلى الله المصير" "يوم تجد" وقيل هو متصل بقوله "والله على كل شيء قدير يوم تجد" ويجوز أن يكون منقطعا على إضمار اذكر ومثله قوله "إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل

الأرض" (مُحْضَرًا) اِمّيكْنَتْ تَكُّولَفْ صَنَيْنّيتْ يوم القيامة ولم يبخس منه شيء قال قتادة محضراً موفراً و"محضرا" حال من الضمير المحذوف من صلة "ما" تقديره يوم تجد كل نفس ما عملته من خير محضرا هذا على أن يكون "تجد" من وجدان الضالة (وَمَا عَمِلَتْ) اَوَاتَمُّوزَلْ (مِنْ سُوءٍ) اِمُوصَنْ اَرَطْ وَالَبَاسَنْ محضراً (تَوَدُّ) وَدِي اَتَّسَدّيرَنْ (لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ) اَدِمُوصَاصْ اِلَّا كَّريسْ دَرَسْ (أَمَدًا بَعِيدًا) تَمَصْكَطَا تَكُّوكّتْ وَرْنَلَا دَذُوتَقَّلْ الأمد الغاية وجمعه آماد قال السدى أي مكاناً بعيداً قال السيوطي أي غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها اهـ وهو أعم من المكان والزمان وعبارة الخازن أي مكاناً بعيداً كما بين المشرق والمغرب (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ) اِصّيكْصَصْ كَوَنْ اللهُ (نَفْسَهُ) اِمَاتّيطْ كرر للتأكيد وللاستحضار ليكون هذا التهديد العظيم على ذكر منهم لا يغفلون عنه قيل والأحسن ما قاله التفتازاني أن ذكره أولاً للمنع من موالاة الكافرين وثانياً للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر (وَاللَّهُ) اللهُ (رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) اَمِيكّتْ اَنْطَاهَانِينْطْ بيكْلَانّيتْ ومن رأفته بهم أنه حذرهم نفسه قاله الحسن وفيه دليل على أن هذا التحذير الشديد مقترن بالرأفة منه سبحانه لعباده لطفاً بهم وما أحسن ما يحكى عن بعض العرب أنه قيل له إنك تموت وتبعث وترجع إلى الله فقال أتهددونني بمن لم أر الخير قط إلا منه (30) (قُلْ) اَنَّاصَنْ (إِنْ كُنْتُمْ) كُتُوتَلَّامْ (تُحِبُّونَ اللَّهَ) طَرَامْ اللهُ (فَاتَّبِعُونِي) ءَادِيزَ تِلَالَمِي (يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) اَكَوَنِيرُ اللهُ اِرزَاوَنْ الحُبّ والمحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه قال الأزهري محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران قيل العبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو

من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عبادته والحث على مطاوعته قاله القاضي وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية والحاكم عن عائشة قالت "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض في الله قال الله تعالى "قل إن كنتم تحبون الله" الآية والمعنى قل إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لأوامره وأوامر رسوله مطيعين لهما فإن اتباع الرسول من محبة الله وطاعته وفيه حث على اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم وإشارة إلى ترك التقليد عند وضوح النص من الكتاب والسنة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) اِصّورَفاوَنْ (ذُنُوبَكُمْ) اِبَكَّاضَنْ نَّوَنْ يعني أن من غفر له أزال عنه العذاب (وَاللَّهُ) اللهُ (غَفُورٌ) اَميكَتْ نَصُورَفْ اِيوَتِّلِيلَنْ (رَحِيمٌ) نَمَهينَنْ يَاسْ يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه وهذا تذييل مقرر لما قبله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث وأداء الأمانة وألا يؤذي جاره" (31) (قُلْ) اَنَّاصَنْ لقريش (أَطِيعُوا اللَّهَ) اِلَالَتْ اللهُ (وَالرَّسُولَ) دَنَمَّازُولْ نيتْ ضَغْ اَوَسْكَوَنْ اِتَامَرْ ضَغْ اَسَوَّحَّدْ نَ اللهُ حذف المتعلق مشعر بالتعميم أي في جميع الأوامر والنواهي (فَإِنْ تَوَلَّوْا) كُدْ سَكِّمَيَنْ فَلَادِي يحتمل أن يكون من تمام مقول القول فيكون مضارعاً أي تتولوا ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى فيكون ماضياً من باب الالتفات (فَإِنَّ اللَّهَ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ (لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) وَرِيرَ

اِكُوفَارْ دِيمُوصَنْ اَدّي أي لا يرضى بفعلهم ولا يغفر لهم ونفي المحبة كناية عن البغض والسخط ووجه الإظهار في قوله "فإن الله الخ" مع كون المقام مقام إضمار لقصد التعظيم أو التعميم (32) ولما فرغ سبحانه من أن الدين المرضي هو الإسلام وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الرسول الذي لا يصح لأحد أن يحب الله إلا باتباعه وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو لمجرد البغي عليه والحسد له شرع في تقرير رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أنه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة فقال (إِنَّ اللَّهَ) اِلّكَنَاسْ اللهُ (اصْطَفَى آدَمَ) اِفْرَنْ ءَادَمْ (وَنُوحًا) اَدْ نُوحْ الإصطفاء الإختيار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء قال الزجاج اختارهم بالنبوة على عالمي زمانهم وقيل إن الكلام على حذف مضاف أي اصطفى دين آدم وتخصيص آدم بالذكر لأنه أبو البشر وكذلك نوح فإنه آدم الثاني وعمر نوح ألف سنة وخمسون ونوح اسم أعجمي لا اشتقاق له عند محققي النحاة وهو شيخ المرسلين وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات وسائر القرابات ومن قال إن إدريس كان قبله من المؤرخين فقد وهم على ما يأتي بيانه في الأعراف إن شاء الله تعالى (وَآلَ إِبْرَاهِيمَ) دِإبْرَاهِيمْ قيل يعني نفسه وقيل اسمعيل وإسحق ويعقوب وقيل من كان على دينه والثاني أولى وذلك أن الله جعل إبراهيم أصلاً لشعبتين فجعل إسمعيل أصلاً للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في الاصطفاء وجعل إسحق أصلاً لبني إسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك إلى زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم جعل له ولأمته النبوة والملك إلى يوم القيامة وعمر إبراهيم مائة وسبعون سنة (وَآلَ عِمْرَانَ) اَدْ

عِمْرَانْ

عِمْرَانْ قيل هو والد موسى وهارون وقيل هو من ولد سليمان وهو والد مريم والظاهر الثاني بدليل القصة الآتية في عيسى ومريم وحكى السهيلي عمران ابن ماتان وامرأته حنة بالنون وخص هؤلاء بالذكر من بين الأنبياء لأن الأنبياء والرسل بقضهم وقضيضهم من نسلهم وبين العمرانين من الزمن ألف وثمانمائة سنة وعمران اسم أعجمي وقيل عربي مشتق من العمر وعلى كلا القولين ممنوع من الصرف إما للعلمية والعجمة أو لزيادة الألف والنون قاله السمين فلما كان عيسى عليه السلام منهم كان لتخصيصهم بالذكر وجه يعني خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل من نسلهم (عَلَى الْعَالَمِينَ) فَلْ تَخَلَّاكْ قد تقدم الكلام على تفسيره أي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم به من النبوة والرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية وقيل "على العالمين" على جميع الخلق كلهم إلى يوم الصور وذلك أن هؤلاء رسل وأنبياء فهم صفوة الخلق فأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنه حبيب ورحمة قال الله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (33) (ذُرِّيَّةً) الذُّرِّيَّا ءَادِيقيل مشتق من الذرء وهو الخلق فعلى هذا يطلق على الأصول حتى على آدم كما يطلق على الفروع والنصب على البدل من آدم أو من نوح وإليه نحا أبو البقاء أو من الآلين وإليه نحا الزمخشري أو النصب على الحال (بَعْضُهَا) سَديسْنَسَنْ (مِنْ بَعْضٍ) إِكْمَاضُو ايديسْ معناه متناسلة متشعبة أو متناصرة متعاضدة في الدين قال الأخفش أي في حال كون بعضهم من بعض أي ذرية بعضها من ولد بعض الزجاج بدل أي اصطفى ذرية بعضها من بعض ومعنى بعضها من بعض يعني في التناصر في الدين كما قال "المنافقون والمنافقات بعضهم

من بعض" يعني في الضلالة (وَاللَّهُ) اللهُ (سَمِيعٌ) اِسَالُو يَوَاكَانْ (عَلِيمٌ) اِصَّانْ ضَغْ اَوَاتَاكِّنْ إنما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولاً وفعلاً (34) (إِذْ قَالَتِ) طَكْطَا تَمَلَا اَدِّي اَطَنَّاوقال محمد بن زيد تقديره اذكر إذ قالت وقال الزجاج متعلق بقوله "اصطفى" وقيل بقوله سميع عليم (امْرَأَتُ عِمْرَانَ) طَنْطُوطْ اَنْ عِمْرَانْ اَصَّغَا اَتُوشَّرْ طَرَ اَتَّيلُو بَرَارْ طُونْصَيْ اللهُ تَفْرَيْ يَ اَلْحَمَلْ طَنَّا اسمها حنة بالحاء المهملة والنون المشددة بنت فاقوذ أم مريم فهي جدة عيسى وعمران هو ابن ماثان جد عيسى وليس نبياً (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (إِنِّي) اِلّكَنَاسْ نَكْ (نَذَرْتُ لَكَ) اَضْوَالَا اَدَاكَكَّا هذا النذر كان جائزاً في شريعتهم وتقديم الجار والمجرور لكمال العناية ومعنى لَكَ أي لعبادتك (مَا فِي بَطْنِي) اَوَتِّلَّنْ ضَغْ تَدِيسْتِينْ (مُحَرَّرًا) اِمُوصْ اَرَطْ اِيتِيوَسَلَلِّينْ ضَغْ اَشَّغَلَنْ وِنْ اَلدَّنيتْ اِصْكَاطْ سَشَّغَلْ يَهَنَّكْ بَيْتَ اَلْمَقْدِسْ أي عتيقاً خالصاً لله خادماً للكنيسة والمراد هنا الحرية التي هي ضد العبودية وقيل المراد بالمحرر هنا الخالص لله سبحانه الذي لا يشوبه شيء من أمر الدنيا ورجح هذا بأنه لا خلاف أن عمران وامرأته حران وهلك عمران وهي حامل (فَتَقَبَّلْ مِنِّي) تَقْبَالَا ضَغِي اَضَّوَالِينْدِي التقبل أخذ الشيء على وجه الرضا أي تقبل مني نذري بما في بطني عن ابن عباس قال كانت نذرت أن تجعله في الكنيسة يتعبد بها وقال مجاهد خادماً للبيعة (إِنَّكَ) اِلّكَنَاسْ كَيْ (أَنْتَ السَّمِيعُ) كَيْ اَيْسَالَّنْ اِطَوَاطِرْوِينِينْ لتضرعي ودعائي (الْعَلِيمُ) طَصَّانَا ضَغْ اَتَيطِينْ اَفَاتَ عِمْرَانْ اَبَاتُو اَنْتَ تَحْمَالْ بنيتي وما في ضميري (35) (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا) اَسْتَدُّوتَسَّهَا تَمُوصْ تَبَرَارْتْ اَنْتَ تَغِيلْ اَدِيقَّلْ بَرَارْ فَلَاس وَرِيتُوَسَلَلِّيتْ يَشَّغَلْ نَهَنْ ءَارْ بَرَارْ التأنيث باعتبار ما علم من المقام أن الذي في بطنها أنثى أو لكونه أنثى في علم الله أو

بتأويل ما في بطنها بالنفس أو النسمة أو نحو ذلك (قَالَتْ) طَنَّا يعني حنة (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (إِنِّي) اِلْكَنَاسْ نَكْ (وَضَعْتُهَا) اَسَّهَقَّدُو (أُنْثَى) تَمُوصْ تَنْتَيْ إنما قالت هذه المقالة لأنه لم يكن يقبل في النذر إلا الذكر دون الأنثى فكأنها تحسرت وتحزنت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتقدره (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) اللهُ أُوكَرْتَتْ مَصْنَطْ نَوَاتَسَّهَا وقرأ الجمهور وضعت بسكون التاء فيكون من كلام الله سبحانه على جهة التعظيم لما وضعته والتفخيم لشأنه والتجهيل لها حيث وقع منها التحسر والتحزن مع أن هذه الأنثى التي وضعتها سيجعلها الله وابنها آية للعالمين وعبرة للمعتبرين ويختصها بما لم يختص به أحداً (وَلَيْسَ الذَّكَرُ) وَرْتِلَّا يَيْ وَاكْمَيَا (كَالْأُنْثَى) أُولَا اَتَّنْتَيْ تَاكْرَوَا فَلَاسْ يَيْ اَنْتَ اَيْتَاوَاطَاصَنْ يَ اَلْخِدْمَةْ أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وضعت فإن غاية ما أرادت من كونه ذكراً أن يكون نذراً خادماً للكنيسة وأمر هذه الأنثى عظيم وشأنها فخيم فهي خير منه وإن لم تصلح للسدانة فإن فيها مزايا أخر لا توجد في الذكر وعلى هذا: الكلام على ظاهره ولا قلب فيه وهذه الجملة اعتراضية مبينة لما في الجملة الأولى من تعظيم الموضوع ورفع شأنه وعلو منزلته وأما على قراءة أبي بكر وابن عامر فيكون قوله "وليس الذكر كالأنثى" من جملة كلامها ومن تمام تحسرها وتحزنها أي ليس الذكر الذي أردت أن يكون خادماً ويصلح للنذر كالأنثى التي لا تصلح لذلك بل هو خير منها لأنه يصلح لمقصودي دونها وكأنها اعتذرت إلى ربها من وجودها لها على خلاف ما قصدت وعلى هذا في الكلام قلب وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن في وقتها (وَإِنِّي) اِلْكَنَاسْ نَكْ (سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) اَكِيغَاسْ ايصَمْ مَرْيَمَ تعني العابدة مقصودها من هذا الإخبار بالتسمية

التقرب إلى الله سبحانه وأن يكون فعلها مطابقاً لمعنى اسمها فإن معنى مريم خادم الرب بلغتهم فهي وإن لم تكن صالحة لخدمة الكنيسة فذلك لا يمنع أن تكون من العابدات (وَإِنِّي) اِلْكَنَاسْ نَكْ (أُعِيذُهَا بِكَ) اَكِمَايَاضَغَكْ اَتَتَّاكِظَا أي أمنعها وأجيرها بك (وَذُرِّيَّتَهَا) اَنْتَ دَذُّورِيَّانّيتْ (مِنَ الشَّيْطَانِ) ضَغْ الشَّيْطَانْ (الرَّجِيمِ) دِنَّمَتَّوَزَاكْ فَلْ اَلرَّحْمَةْ عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول "ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسه إياه إلا مريم وابنها متفق عليه(36) (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا) اِقْبَلْتَتْ اَمَلِينِّيتْ ضَغْ مَاصْ اِقْبَلْ اَضَّوَالْنيتْ (بِقَبُولٍ) سَ اَلْقَبُولْ (حَسَنٍ) اِهُوصَّيَنْ أي رضي بها في النذر وسلك بها مسلك السعداء وقال قوم معنى التقبل التكفل والتربية والقيام بشأنها وليست صيغة التفعل للتكلف كما هو أصلها بل بمعنى الفعل كتعجب بمعنى عجب وتبرأ بمعنى برىء والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق والباء زائدة أو هي على حالها (وَأَنْبَتَهَا) اِسَّدْوَلْتَتْ (نَبَاتًا) اَسَدْوَلْ (حَسَنًا) اِهُوصَّيَنْ تُوصَضُّودَرَسْ تَيْوَيْتَتْ اِمَشَّغَلَنْ اَنْ تَمَزْكَدًا اَمَظَغَنْ ضَغْ وَتَتْزِيسَّدْوَلَنْ فَلَاسْ اَنْتَ اَلّيسْ نَ اَلِامَامْ نَسَنْ هَارْ اَكِنْ شِيشَغيرينْ اَتَكَلْنَتْ زَكَرِيَّا المعنى أنه سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان(وَكَفَّلَهَا) اِسَّدْوَلْتَتْ أي ضمها إليه بالقرعة لا بالوحي (زَكَرِيَّا) زَكَرِيَّا بالمد والنصب وقرأ حفص وحمزة والكسائي "زكريا" بغير مد ولا همز ومدّه الباقون وهمزوه وكان من ذرية سليمان بن داود وروى عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وناس من الصحابة أن مريم كانت ابنة سيدهم وإمامهم فتشاح عليها أحبارهم فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها وكان زكريا زوج أختها فكفلها أي جعلها معه في محرابه وكانت عنده وحضنها (كُلَّمَا

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا) اَكُلُّ نِدِّيكِّزْ فَلَّاسْ زَكَرِيَّا (الْمِحْرَابَ) ايدَكِ وَاطَهَا اِتْكَلَنْ اَفَلَّا اَنْ تَمَزْكَدًا يعني الغرفة والمحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس قاله القرطبي وسميت محراباً لأنها محل محاربة الشيطان لأن المتعبد فيها يحاربه وكذلك هو في المسجد وكذلك يقال لكل من محال العبادة محراب وقيل إن زكريا جعل لها محراباً لا ترتقي إليه إلا بسلم وكان يغلق عليها حتى كبرت (وَجَدَ عِنْدَهَا) اَضَّاكَظْ غُورَسْ أي أصاب وصادف ولقي فيتعدى لواحد (رِزْقًا) طيطَّيْ أي نوعاً من أنواع الرزق أي كان إذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال ابن عباس عنباً في مكتل في غير حينه (قَالَ) اَنَّاصْ (يَا مَرْيَمُ) يَا مَرْيَمَ (أَنَّى لَكِ هَذَا) مَنِسْ كَمْدُوتَكَّزْ تَادَا طيطَّيْ أي من أين يجيء لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا ومعنى "أنى" من أين قاله أبو عبيدة و"كلما" منصوب ب"وجد" أي كل دخلة (قَالَتْ) طَنَّاصْ دَانْتَ تَمَضْرِي وَرْطيويضْ ايدَكِ نَاوَالْ (هُوَ) اَنْتَ طيطَّيْ دِي (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) اللهُ اَدُوتَفَلْ اِطَاصِيضْ دَرَسْ ضَغْ اَلْجَنَّةْ فليس ذلك بعجيب ولا مستنكر (إِنَّ اللَّهَ) اِلَّكَنَاسْ اللهُ (يَرْزُقُ) اِهَاكُّو الرَّزَغْ (مَنْ يَشَاءُ) اِيوَصِرَ (بِغَيْرِ حِسَابٍ) الرَّزَغْ ايلْوَانْ وَرْنَلَا دَدِّيقَّلْ وَرْنَلَا تَرْسَلْكَامَتْ جملة تعليلية لما قبلها وهو من تمام كلامها ومن قال إنه من كلام زكريا فتكون الجملة مستأنفة وهذا دليل على جواز الكرامة لأولياء الله تعالى (37) طَنْطَا اَلْقِصَّةْ اَنْ زَكَرِيَا دَاوَرْتَرِيزْ تَانْ مَرْيَمَ فَلْ اَصُّوصْ نَ اَلاِرْتِبَاطْ اَيْلَّنْ كَرِيسَّنَتْ (هُنَالِكَ) دينْدَازَ ظرف يستعمل للزمان والمكان وأصله للمكان وقيل إنه للزمان خاصة "وهناك" للمكان وقيل يجوز استعمال كل واحد منهما مكان الآخر واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب (دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ) اَدِيغْرَ زَكَرِيَّا اَمَلِينِّيتْ

اَنْتَ وَرِيلَا بَرَارْ يعني أنه دعا في ذلك المكان الذي هو قائم فيه عند مريم أو في ذلك الزمان أن يهب الله له ذرية طيبة والذي بعثه على ذلك ما رآه من ولادة حنة لمريم وقد كانت عاقراً فحصل له رجاء الولد وإن كان كبيراً وامرأته عاقراً أو بعثه على ذلك ما رآه من فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء عند مريم لأن من أوجد ذلك في غير وقته يقدر على إيجاد الولد من العاقر وكان أهل بيته انقرضوا وعلى هذا يكون هذا الكلام قصة مستأنفة سيقت في غضون قصة مريم لما بينهما من قوة الارتباط (قَالَ) اِنَّا (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (هَبْ لِي) تَكْفيغِي (مِنْ لَدُنْكَ) غُورَكْ (ذُرِّيَّةً) بَرَارْ (طَيِّبَةً) اِمُوصَنْ الصَّالِحْ الذرية النسل يكون للواحد ويكون للجمع ويدل على أنها هنا للواحد قوله "فهب لي من لدنك ولياً" ولم يقل "أولياء" وتأنيث طيبة لكون لفظ الذرية مؤنثاً والمعنى أعطني يا رب من عندك ولداً مباركاً تقياً صالحاً رضياً كهبتك لحنّة العجوز العاقر مريم (إِنَّكَ) اِلّكَنَاسْ كَيْ (سَمِيعُ الدُّعَاءِ) مَشّيسْ نَلْقَبُولْ اَنْ تُوَاطْرِوينْ أي سامعه ومجيبه دلت هذه الآية على طلب الولد وهي سنة المرسلين والصديقين قال الله تعالى "ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية" وقد ترجم البخاري على هذا "باب طلب الولد" وقال صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة حين مات ابنه "أعرستم الليلة" قال نعم قال "بارك الله لكما في غابر ليلتكما" قال فحملت في البخاري قال سفيان فقال رجل من الأنصار فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن (38) (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ) اَغْرَنْتُو اَنْكِلُوسَنْ جِبْرِيلْ غَاسْ قرأ حمزة والكسائي "فناداه" بالألف على التذكير ويميلانها لأن أصلها الياء ولأنها رابعة قيل المراد هنا جبريل والتعبير بلفظ الجمع عن الواحد جائز في العربية ومنه

"الذين قال لهم الناس" وقيل ناداه جميع الملائكة وهو الظاهر من إسناد الفعل إلى الجمع والمعنى الحقيقي مقدم فلا يصار إلى المجاز إلا لقرينة (وَهُوَ قَائِمٌ) ضَغْ اَلْحَالاَسْ اَنْتَ اِبْدَادْ زَكَرِيَّا (يُصَلِّي) اِيتِيمُودْ (فِي الْمِحْرَابِ) ضَغْ اَلْمِحْرَابْ ضَغْ تَمَزْگِّدَّا أي في المسجد قال السدى المحراب المصلى (أَنَّ اللَّهَ) ءَاسْ اللهُ (يُبَشِّرُكَ) اَبِّيشَّرَاكْ "وهو قائم" ابتداء وخبر "يصلي" في موضع رفع (بِيَحْيَى) اَسْ يَحْيَى هو ممتنع من الصرف لكونه أعجمياً أو لكون وزن الفعل فيه مع العلمية كيعمر ويعيش ويزيد ويشكر وتغلب وقيل أعجمي لا اشتقاق له وهذا هو الظاهر فامتناعه للعلمية والعجمة الشخصية كان اسمه في الكتاب الأول حيا وكان اسم سارة زوجة إبراهيم عليه السلام يسارة وتفسيره بالعربية لا تلد فلما بشرت بإسحاق قيل لها سارة سماها بذلك جبريل عليه السلام فقالت يا إبراهيم لم نقص من اسمي حرف فقال إبراهيم ذلك لجبريل عليهما السلام فقال "إن ذلك الحرف زيد في اسم ابن لها من أفضل الأنبياء اسمه حيي وسمي بيحيى" ذكره النقاش وقال بعضهم سمي بذلك لأن الله تعالى أحيا به الناس بالهدى (مُصَدِّقًا) سَ اَلْحَالْ اَنَّميلْنيتْ اِسِيدَتَّتْ (بِكَلِمَةٍ) اَسْ تَاوَالْتْ (مِنَ اللَّهِ) اَدُوتَفَالَتْ اللهُ ءَاسْ اَنْتَ رُوحُ اللهِ اَتَتِمُوصَنْ عِيسَى عليه السلام أي بعيسى عليه السلام وسمى كلمة الله لأنه كان بقوله سبحانه "كن" ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان أكبر من عيسى بثلاث سنين وقيل بستة أشهر قال ابن عباس كان يحيى وعيسى ابني الخالة وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى في بطن أمه وهو أول من صدق بعيسى وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى (وَسَيِّدًا) اِمُوصْ ءَاغْمَارْ نَيْتيدَنْ اَسَلْكَامَنْ السيد

الذي يسود قومه وينتهى إلى قوله وأصله سيود قال قتادة في قوله تعالى "وسيدا" قال في العلم والعبادة ابن جبير والضحاك في العلم والتقى (وَحَصُورًا) اِمُوصْ اَمَاكْدَالْ اَمَّانّيطْ إِيتَضُوضينْ اَسْ طَرَمَّانّيتْدَا والحصور أصله من الحصر وهو الحبس تقول حصرني الشيء وأحصرني إذا حبسك والحصور الذي لا يأتي النساء كأنه تحجم عنهن كما يقال رجل حصور وحصير إذا حبس رفده ولم يخرجه فيحيى عليه السلام كان حصورًا عن إتيان النساء أي محصوراً لا يأتيهن كغيره من الرجال إما لعدم القدرة على ذلك أو لكونه يكف عنهن منعاً لنفسه عن الشهوة مع القدرة وكان اسم أم يحيى اسيع (وَنَبِيًّا) اِمُوصْ النَّبِي (مِنَ الصَّالِحِينَ) اَتِّلَّانْ ضَغْ ايكْلَانْ نَ اللهُ وِنْ الصَّالِحَنْ أي ناشئاً من الصالحين لكونه من نسل الأنبياء وأصلابهم أو كائناً من جملة الصالحين (39) (قَالَ) اِنَّا (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ) مَانَمَّكْ نَسْدِيتُوزِيمَلْ بَرَارْ (وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ) نَكْ اِكَّاسْ دِيطيوَاضْ تُوشَرَيْ اَكِي طيميضَيْ نَوَطَيْ اَدْ سَنَاطَطْ طَمَرْوِينْ (وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) طَاغْرِي ضغينْ تَكِّيكْرَ طيوَاضْ طَظَايَطْ تَمَرْوِينْ نَوَطَيْ دَطَّامْ ظاهر هذا أن الخطاب منه لله سبحانه وإن كان الخطاب الواصل إليه هو بواسطة الملائكة وذلك لمزيد التضرع والجهد في طلب الجواب عن سؤاله وقيل إنه أراد بالرب جبريل أي يا سيدي والحاصل أنه استبعد حدوث الولد منهما مع كون العادة قاضية بأنه لا يحدث من مثلهما لأنه كان يوم التبشير كبيراً قيل في تسعين سنة وقيل في عشرين ومائة سنة وكانت امرأته في ثمان وتسعين سنة وإنما وقع منه هذا الاستفهام بعد دعائه بأن يهب الله له ذرية طيبة ومشاهدته لتلك الآية الكبرى في مريم استعظاماً لقدرة الله سبحانه لا لمحض الاستبعاد وقيل إنه قد مر

بعد دعائه إلى وقت بشارتها أربعون سنة وقيل عشرون سنة فكان الاستبعاد من هذه الحيثية (قَالَ) اِنَّاصْ اللهُ (كَذَلِكَ) طَالْغاَ اَنْتَدِّيدَا اَدِّخْلَكْ اللهُ بَرَارْضَغْوَنْ (اللَّهُ) اللهُ (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) اِتَامَزَالْ اَوَصِرَ من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو إيجاد الولد من الشيخ الكبير والمرأة العاقر والكاف في قوله "كذلك" في موضع نصب أي يفعل الله ما يشاء مثل ذلك (40) (قَالَ) اِنَّاصْ (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (اجْعَلْ لِي آيَةً) اَكِي اَلْعَلَامَةْ فَلْ اَلْحَمَلْ اَنْ طَاغُورِي أي علامة أعرف بها صحة الحبل فأتلقى هذه النعمة بالشكر والجعل هنا بمعنى التصييروإنما سأل الآية لأن العلوق أمر خفي فأراد أن يطلع عليه ليتلقى تلك النعمة بالشكر من حين حصولها ولا يؤخره إلى ظهورها المعتاد (قَالَ) اِنَّاصْ (آيَتُكَ) اَلْعَلَامَةْ نَكْ فَلَّاسْ (أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ) ءَاسْ اَدَاكَارْنُو اَوَالْ سَيْتِيدَنْ اَنْدَبَا الذَّكَرْ غَاسْ أي علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام لا عن غيره من الأذكار وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله سبحانه شكراً على ما أنعم به عليه وقيل كان ذلك عقوبة من الله سبحانه له بسبب سؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه حكاه القرطبي عن أكثر المفسرين وقيل أن لا تقدر على تكليمهم وتمنع من كلامهم قهراً بحيث لو حاولت الكلام لم تقدر عليه (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) هَارْ كَرَاضْ جِلَانْ بلياليها لقوله تعالى في سورة مريم "ثلاث ليال سوياً" (إِلَّا رَمْزًا) اَنْدَبَا شِدُوكَانْ أي إشارة والرمز في اللغة الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليدين وأصله الحركة وهو استثناء منقطع لكون الرمز من غير جنس الكلام ورجحه القاضي وقيل هو متصل على معنى أن الكلام ما حصل به الإفهام من لفظ أو إشارة أو كتابة وهو بعيد والصواب الأول وبه قال الأخفش والكسائي (وَاذْكُرْ رَبَّكَ) تَطَّفَا الذَّكَرْ

نَمَلِينَّكْ أي باللسان والقلب في مدة الحبسة عن كلامهم شكراً لهذه النعمة (كَثِيرًا) الذَّكَرْ اَكِّينْ وقال محمد ابن كعب القرظي لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا بقول الله عز وجل "ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا" ولرخص للرجل يكون في الحرب بقول الله عز وجل "إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا" (وَسَبِّحْ) اَتّـِيمُودَ (بِالْعَشِيِّ) ضَغْ تَدْوِيتْ هو جمع عشية وهي آخر النهار قاله الواحدي وقيل هو واحد وهو المشهور وهو من حين زوال الشمس إلى أن تغيب (وَالْإِبْكَارِ) دَغُورَا بالكسر مصدر استعمل اسماً للوقت الذي هو البكرة وهو من طلوع الفجر إلى وقت الضحى، وقيل المراد بالتسبيح الصلاة

ثمن (41) (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ) طَكْطَا تَمَلَا اَدِّي اَضِنَّا جِبْرِيلْ اِي مَرْيَمَ عطف على إذ قالت امرأة عمران عطفاً لقصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة وقصة زكريا وقعت فاصلة بينهما لمناسبة والمعنى إذ قالت الملائكة مشافهة لها بالكلام (يَا مَرْيَمُ) يَا مَرْيَمَ (إِنَّ اللَّهَ) اِلْكَنَاسْ اللهُ (اصْطَفَاكِ) اِفْرَنْكَمْ اختارك أولاً حيث قبلك من أمك وقبل تحريرك ولم يسبق ذلك لغيرك من الإناث ورباك في حجر زكريا ورزقك من الجنة (وَطَهَّرَكِ) اِزَّزْدَكَّمْ ضَغْ اَضيصْ اَمّيدّنْ يَامْ من مسيس الرجال أو الكفر أو من الذنوب أو من الأدناس على عمومها وكانت مريم لا تحيض أي خلقك مطهرة مما للنساء وبه جزم القاضي كالكشاف وسيأتي في سورة مريم حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (وَاصْطَفَاكِ) اِفْرَنْكَمْ قيل هذا الاصطفاء الأخير غير الاصطفاء الاول فالأول هو حيث تقبلها بقبول حسن والأخير لولادة عيسى من غير أب واصطفاها أيضاً بأن أسمعها كلام الملائكة مشافهة ولم يقع لغيرها ذلك وقيل الاصطفاء الآخر تأكيد للاصطفاء الأول

والمراء

والمراد بهما جميعاً واحد (عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) فَلْ تَضُوضِينْ اَنْ تَخَلَّاكْ المراد بهن هنا قيل نساء عالم زمانهم وهو الحق وقيل نساء جميع العالم إلى يوم القيامة واختاره الزجاج (42) (يَا مَرْيَمُ) يَا مَرْيَمَ (اقْنُتِي لِرَبِّكِ) اِلَالْ اَمَلِينَّمْ أي أطيلي القيام في الصلاة أو ادعيه ودومي على طاعته بأنواع الطاعات (وَاسْجُدِي) اَتَّسَاجَادَا (وَارْكَعِي) تَرَاكَّعَا (مَعَ الرَّاكِعِينَ) دَرْ وِنْ رَاكَّعْنِينْ المعنى اَتَّتِيمُودَا دَرْ وِنْ تِيمُودْنِينْ ي صلي مع المصلين أطلق الجزء وأراد الكل وقدم السجود على الركوع لكونه أفضل أو لكون صلاتهم لا ترتيب فيها مع كون الواو لمجرد الجمع بلا ترتيب والظاهر أن ركوعها مع ركوعهم فيدل على مشروعية صلاة الجماعة وقيل المعنى أنها تفعل كفعلهم وإن لم تصل معهم قال الأوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك شفاها قامت حتى تورمت قدماها وسالت دماً وقيحاً وحكي عن مجاهد نحوه وفي المعنى أحاديث كثيرة تفيد أن مريم عليها السلام سيدة نساء عالمها لا نساء العالم ويؤيده ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أربع نسوة سادات نساء عالمهن مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهن عالما فاطمة (43) (ذَلِكَ) وَدِيدَا اَرَطْ اَدِّيتَّمَلَنْ اَدِّي ضَغْ اَلْقِصَّةْ تَانْ زَكَرِيَّا اَدْ تَامَّرْيَمَ (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) اِلَّيْ ضَغْ سَلَانْ وِنَكَّنْتَلْنِينْ فَلَّاكْ أي أخبار ما غاب عنك، فالإشارة إلى ما سبق من الأمور التي أخبره الله بها (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) سَكَّنْتَلَقَّنْدُو سَرَكْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم هو أي الأمر والشأن أنا نوحي إليك الغيب ونعلمك به ونظهرك على قصص من تقدم مع عدم مدارستك لأهل العلم والأخبار ولذلك أتى بالمضارع في "نوحيه"(وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) وَرْتُوتَلِّي

غُورْ سَنْ أي بحضرتهم يعني المتنازعين في تربية مريم وإنما نفى حضوره عندهم مع كونه معلوماً لأنهم أنكروا الوحي فلو كان ذلك الإنكار صحيحاً لم يبق طريق للعلم به إلا المشاهدة والحضور وهم لا يدعون ذلك فثبت كونه وحياً مع تسليمهم أنه ليس ممن يقرأ التوراة ولا من يلابس أهلها (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) اَدِّي اَدكَّارَنْ اِغُونَابْ نَسَنْ ضَغْ ءَامَانْ تَاكَّنْ شِيشَغِيرِينْ فَلْ اَدَاسَنِينَفَيلَلْ في الماء يقترعون والأقلام جمع قلم من قلمه إذا قطعه وهو فعل بمعنى مفعول أي مقلوم والقلم القطع ومنه قلمت ظفري أي قطعته وسويته ومثله القبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض أي أقلامهم التي يكتبون بها وقيل قداحهم ليعلموا (أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) وَازِّيسَّدْوَلَنْ ضَغْسَنْ مَرْيَمَ أي يربي وذلك عند اختصامهم في كفالتها كما قال تعالى (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) وَرْتُوتَلِّي غُورْ سَنْ (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) اَدِّي اَدمَّظَغَنْ ضَغْ وَتَزِّيسَّدْوَلَنْ اَنْكَمْ تَمَكَّرْدَا سَرَسْ بَاتَّارْ تَصَّانَقُّو ضَغْ تَسَدَكْ تَانْ اَلْوَحِي كفالتها فقال زكريا هو أحق بها لكون خالتها عنده فاقترعوا وجعلوا أقلامهم في الماء الجاري على أن من وقف قلمه ولم يجر مع الماء فهو صاحبها فجرت أقلامهم ووقف قلم زكريا وقد استدل بهذا من أثبت القرعة والخلاف في ذلك معروف وقد ثبتت أحاديث صحيحة في اعتبارها (44) (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ) طَكْطَا تَمَلَا اَدِّي اَضَنَّنْ اَنْكَلُوسَنْ اِي مَرْيَمَ اَتَنِمُوصَنْ جِبْرِيلْ (يَا مَرْيَمُ) يَا مَرْيَمَ (إِنَّ اللَّهَ) اِلّكَنَاسْ اللهُ (يُبَشِّرُكِ) اِبِيشَّرَامْ (بِكَلِمَةٍ) سَ اَلْكَلِمَةْ (مِنْهُ) اَتِيتَّفَالَتْ اَتَتِمُوصَنْ ءَارْ أي كائنة من عنده وناشئة منه من غير واسطة الأسباب العادية وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وسمى كلمة لأنه وجد بكلمة "كن" فهو من باب إطلاق السبب على المسبب وفي أبي السعود في سورة النساء

محكي..

يحكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً جاء للرشيد فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية أي قوله "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما فى الأرض جميعا منه فقال إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه سبحانه فانقطع النصراني وأسلم وفرح الرشيد فرحاً شديداً وأعطى للواقدي صلة فاخرة. وذلك الولد (اسْمُهُ) سيصَمْنيطْ (الْمَسِيحُ) اَلْمَسِيحْ (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) عِيسَى اَكٍْ مَرْيَمَ المسيح اختلف فيه من ماذا أخذ فقيل من المسح لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها فلم يستكن بكنّ وقيل إنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برىء فسمي مسيحاً فهو على هذين فعيل بمعنى فاعل وقيل لأنه كان يمسح بالدهن الذي كانت الأنبياء تمسح به وقيل إنه كان ممسوح الأخمصين وقيل لأن الجمال مسحه وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب وهو على هذه الأربعة الأقوال فعيل بمعنى مفعول وأما الدجال فسمى مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين وقيل لأنه يمسح الأرض أي يطوف بلدانها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس وعيسى هو اسم أعجمي مأخوذ من العيس وهو بياض تعلوه حمرةوقال في الكشاف هو معرب من ايشوع انتهى فإن قلت هذه ثلاثة أشياء الاسم والكنية واللقب قلت المراد اسمه الذي يتميز به عن غيره وهو لا يتميز إلا بمجموع الثلاثة وبهذا تعلم أن الخبر عن اسمه إنما هو مجموع الثلاثة من حيث المعنى لا كل واحد منهما على حياله فهذا على حد الرمان حلو حامض وقال "ابن مريم" ولم يقل ابنك كما هو الظاهر إشارة إلى أنه يكنى بهذه الكنية المشتملة على الإضافة للظاهر وخاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب إذ عادة الناس

نسبتهم إلى آبائهم فأعلمت من نسبته إليها أنه لا ينسب إلا إلى أمه (وَجِيهًا) اَلْحَالْ اَنَّميلْنيتْ اِيمُوصْ اَمَصَّرْهَيْ (فِي الدُّنْيَا) ضَغْ اَلدَّنيتْ اَسْ تَنَّبُوَا اَدْ تَلْمُعْجِيزَاتينْ (وَالْآخِرَةِ) دَ اَلاخِرَةْ اَسْ تَنَاغينْ دَدَّرَاجَتينْ شِينْ اَتْكَلْنينْ الوجيه ذو الوجاهة وهي القوة والمنعة ووجاهته في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) اِلَّيْ ضيغينْ ضَغْ وِنْ تَوَظَهَظْنينْ غُورْ اللهُ عند الله يوم القيامة وفيه تنبيه على علو منزلته وأنه رفعه إلى السماء (45) (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ) اِشَاوَالْ سَيْتيدَنْ (فِي الْمَهْدِ) دَدِيهَا اَصَكَنْصَكَوْ (وَكَهْلًا) اَدَّدِيمُوصْ اَلْكَهَلْ المهد مضجع الصبي في رضاعه قاله ابن عباس ومهدت الأمر هيأته ووطأته والكهل هو من كان بين سن الشباب والشيخوخة أي يكلم الناس حال كونه رضيعاً في المهد قبل وقت الكلام وحال كونه كهلاً بالوحي والرسالة قاله الزجاج وعن ابن عباس قال تكلم عيسى ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق والذي تكلم به هو قوله "إني عبد الله آتاني الكتاب" الآية وتكلم ببراءة أمه عما رماها به أهل القرية من القذف قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله وقال وهب مكث ثلاث سنين وقال الحسن ابن الفضل يكلم الناس كهلاً بعد نزوله من السماء وفيه نص على أنه سينزل من السماء إلى الأرض (وَمِنَ الصَّالِحِينَ) اِلَّيْ ضيغينْ ضَغْ ايكْلَانْ نَ اللهُ وِنْ اَكْمَلْنينْ ضَغْ تَهُوصَّايْ مثل إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الأنبياء (46) (قَالَتْ) طَنَّا مَرْيَمَ على طريقة الاستبعاد العادي (رَبِّ) اَمَلِينِينْ (أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ) مَانَمَّكْ نَسْدِيتُوزِيمَلْ بَرَارْ كيف يكون لي ولد (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) نَكْ وَرِيضِيصْ ءَالَسْ أي والحال أنه على حالة منافية للحالة المعتادة ولم

يصبني رجل بتزوج ولا غيره (قَالَ) اِنَّاصْ اللهُ (كَذَلِكِ) ءَادِي اَدكُو سَادِيدَا (اللَّهُ) اللهُ (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) اِخَالَّكْدُو اَوَصِرَ يعني هكذا يخلق الله منك ولداً من غير أن يمسك بشر وعبر هنا بالخلق وفي قصة يحيى بالفعل لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ، فكان الخلق المنبىء عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل (إِذَا قَضَى أَمْرًا) ءَامَرْ أُوطَصْ اَصَوَّقَّعْ اَنْ طَالْغَا هو من كلام الله سبحانه وأصل القضاء الأحكام وقد تقدم وهو هنا الإرادة أي إذا أراد أمراً من الأمور (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اَضَاصَنُّو (كُنْ) اَمَلْتُو (فَيَكُونُ) تَمَلْتُو اَدِّيدَا من غير عمل ولا مزاولة وهو تمثيل لكمال قدرته (47) (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ) اِصَّوصَنْطُ اللهُ اَكَتَابْ بالنون والياء وعلى كلتا القراءتين هو كلام مستأنف لأن النحاة وأهل البيان نصوا على أن الواو تكون للاستئناف أو عطف على يبشرك أو وجيهاً قال ابن عباس: الكتاب الخط بالقلم وكان أحسن الناس خطاً (وَالْحِكْمَةَ) دَ اَلْحِكْمَةْ اَتَتِمُوصَنْ مَصْنَطْ تَاتَهَا طَنْفَا الحكمة العمل وقيل تهذيب الأخلاق (وَالتَّوْرَاةَ) اِصَّوصَونْطُو ضيغينْ التَّوْرِيةْ (وَالْإِنْجِيلَ) دَ اَلانْجِيلْ (48) (وَرَسُولًا) اِيكِّيْ اَنَّمَازُولْ (إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) اَسْ بَنُو اِسْرَائِيلْ اِيصَّوَضْ جِبْرِيلْ ضَغْ شِنْوِيرِ نَ اَلدَّرَعْ نيتْ تَحْمَلْتُو اَدِّيدَا دَفْرَادِي اِزُّوْزَلْتِيدْ اللهُ اَسْ بَنُو اِسْرَائِيلْ اِنَّاصَنْ اِلّكَنَاسْ نَكْ اَنَمَّازُولْ سَرْوَنْ أي ويجعله رسولاً أو يكلمهم رسولاً أو أرسلت رسولاً إليهم في الصبا أو بعد البلوغ (أَنِّي) ءَاسْ نَكْ (قَدْ جِئْتُكُمْ) اِكَّاسْ كَوَنْضُوصي (بِآيَةٍ) اَدْ تَجَاجَبْتْ فَلْ الدَّتُّونِينْ (مِنْ رَبِّكُمْ) اَدُوتَفَالَتْ اَمَلِينَّوَنْ يعني بعلامة على صدق قولي ولما قال ذلك لهم قالوا وما هذه الآية قال (أَنِّي) اَتَتِمُوصَنْ تَجَاجَبْتْ دِي ءَاسْ نَكْ (أَخْلُقُ لَكُمْ)

اَدَاوَنْ سَنَّغْرَفَا أي أصور وأقدر لكم خلقاً أو شيئاً (مِنَ الطِّينِ) ضَغْ طَلَاقْ (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) اَيْكَانْ تَمَوِيتْ تَانْ اَكِضِيضْ (فَأَنْفُخُ فِيهِ) اَصَوَضَا ضَغَسْ إِمَانْ أي في ذلك الخلق أو ذلك الشيء أو في الطين قيل إنه لم يخلق غير الخفاش لما فيه من عجائب الصنعة فإن له ناباً وأسناناً وأذناً والأنثى منه له ثدي وتحيض وتطهر وتطير قيل إنهم طلبوا خلق الخفاش لما فيه من العجائب المذكورة ولكونه يطير بغير ريش ويلد كما يلد سائر الحيوان مع كونه من الطير ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة وهو يضحك كما يضحك الإنسان وقيل إن سؤالهم له كان على وجه التعنت قيل كان يطير ما دام الناس ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليتميز فعل الله من فعل غيره قال ابن عباس "إنما خلق عيسى طائراً واحداً وهو الخفاش" (فَيَكُونُ طَيْرًا) اِقَّلْ اَكِضِيضْ اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقرىء طائراً على التوحيد (بِإِذْنِ اللَّهِ) اَسْتُورَاكِتْ نَ اللهُ فيه دليل على أنه لولا الإذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك، وإن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه أجراه على يد عيسى عليه السلام (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ) زُوزِيَا وَدِّيهُوَنْ وَرِيهَنِّي اَنْكِمِينْ وَاوَرْنَهَنِّي دَفَّرْ اَيْكَنْ (وَالْأَبْرَصَ) اَدْوَيْكِرْوْ اَلْبَرَصْ الأكمه هو الذي يولد أعمى كذا قال أبو عبيدة وقال ابن فارس الكمه العمى يولد به الإنسان وقد يعرض يقال كمه يكمه كمهاً إذا عمي والبرص معروف وهو بياض يظهر في الجلد ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح وفي الحديث "وكان بها وضح" والوضاح من ملوك العرب هابوا أن يقولوا له الأبرص وقد كان عيسى عليه السلام يبريء

مرأمراض

من أمراض عدة وإنما خص الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبرآن في الغالب بالمداواة وقال السيوطي لأنهما داءان أعْيَا الأطباء وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان (وَأُحْيِ الْمَوْتَى) سِيدُورَا اِنَمَّطَّانْقال ابن عباس قد أحيى أربعة أنفس عازر وابن العجوز وابنه العاشر وسام ابن نوح وكلهم بقي وولد له إلا سام قيل وكان دعاؤه بإحيائهم يا حي يا قيوم (بِإِذْنِ اللَّهِ) اَسْتُورَاكِّتْ نَ اللهُ كرره لنفي توهم الألوهية فيه لأن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية فهو رد على النصارى (وَأُنَبِّئُكُمْ) دَاوَنْ تَامَكِّرَادَا (بِمَا تَأْكُلُونَ) سَوَاتَطَاطِّيمْ (وَمَا تَدَّخِرُونَ) دَوَاتَغَابَّرَمْ (فِي بُيُوتِكُمْ) ضَغْ نَانَّوَنْ أي بما أكلتم البارحة من طعام وما خبأتم منه وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى معجزة عظيمة له وهذا إخبار من المغيَّبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات وإخباره عن الغيوب بإعلام الله إياه بذلك وهذا مما لا سبيل لأحد من البشر إليه إلا الأنبياء عليهم السلام وأما أخبار المنجم والكاهن فلا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع إليها ويعتمد في اخباره عليها وقد يخطىء في كثير مما يخبر به (إِنَّ فِي ذَلِكَ) اِلّكَنَاسْ اِلَّيْ ضَغَادِي اَدِيتَّمَلَنْ اَدِّي (لَآيَةً) تَجَاجَبْتْ (لَكُمْ) يَاوَنْ تَصِّينَرَطْ فَلْ اَدَّتُونِينْ أي عبرة ودلالة على صدقي (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) كُتُوتَلَّامْ تَظِّيكْظَنَمْ يعني مصدقين بذلك انتفعتم بهذه الآية (49) (وَمُصَدِّقًا) أُوصيقَوَنْدُو ضيغينْ اَلْحَالْ اَنَّمِيلِينْ سِيدَتّي أي وجئتكم مصدقاً (لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) اَوَادَاتِي (مِنَ التَّوْرَاةِ) اَتِّمُوصَنْ التّوْرِيةْ وذلك لأن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة وخمس وسبعون سنة (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ) اَدْ فَلْ اَدَاوَنَسَّحْلَلَ (بَعْضَ الَّذِي) ايديسْ نَادِي (حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)

اِتَوَسَحْرَمَنْ فَلَّاوَّنْ ضَغْ التَّوْرِيةْ اَتِّمُوصَنْ ءَاسْ اِسَّحْلَلَاسَنْ ضَغْ كِيفِيتَنْ اَدْ يَضَاضْ وَاوَرْنَلَا ايشْكَرْ أي لأجل أحل لكم بعض الذي حرم عليكم من الأطعمة في التوراة كالشحوم وكل ذي ظفر كما في قوله تعالى "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر" الآية وقوله "فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم" (وَجِئْتُكُمْ) أُوصيقَوَنْدُو (بِآيَةٍ) اَتَّجَاجَبْتْ (مِنْ رَبِّكُمْ) اَدُوتَفَالَتْ اَمَلِينَّوَنْ هي قوله "إن الله ربي وربكم" وإنما كان ذلك آية لأن من قبله من الرسل كانوا يقولون ذلك فمجيئه بما جاءت به الرسل يكون علامة على نبوته ويحتمل أن تكون هذه الآية هي الآية المتقدمة فيكون تكريراً لقوله "أني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير" الآية وقيل هذه الجملة تأكيد للأولى وقيل تأسيس لا توكيد (فَاتَّقُوا اللَّهَ) اِكْصَاضَطْ اللهُ يا معشر بني إسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَأَطِيعُونِ) تِلَالَمِي ضَغْ اَوَسْكَوَنُومَرَ اَتِّمُوصَّنْ اَسَوَّحَّدْ نَ اللهُ فيما أدعوكم إليه لأن طاعة الرسول من توابع تقوى الله (50) (إِنَّ اللَّهَ) اِلْكَنَاسْ اللهُ (رَبِّي) اَنْتَ اَيْمُوصَنْ اَمَلِينِينْ (وَرَبُّكُمْ) اِمُوصْ اَمَلِينَّوَنْ (فَاعْبُدُوهُ) سَوَّحَّدَتُّو وجميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله وفيه حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم (هَذَا) وَادَ اَرَطْ اَسْكَوَنُمَرَ دَا (صِرَاطٌ) اَنْتَ اَيْمُوصَنْ طَارِّيتْ (مُسْتَقِيمٌ) تَاتَظَلَالَغَتْ يعني التوحيد، فكذبوه ولم يؤمنوا به (51) (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ) اَصَّغَا اَضِيصَّنْ ضَغْسَنْ عِيسَى (الْكُفْرَ) اَلْكَفَرْ أُوطَصَنْ طِينَغَيْنِيتْ أحس علم ووجد قاله الزجاج وقال الفراء أرادوا قتله وعلى هذا فمعنى الآية فلما أدرك منهم عيسى إرادة قتله التي هي كفر والذين أرادوا قتله هم اليهود وذلك أنهم كانوا عارفين من التوراة بأنه

نصف الحزب

المسيح

المسيح المبشر به في التوراة وأنه ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم وأخذوا في أذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عنه بقوله (قَالَ) اِنَّا (مَنْ أَنْصَارِي) مَنِي وِنْدِيزَ اَنْصَرْنينْ الأنصار جمع نصير (إِلَى اللَّهِ) اَدَكَّا اَدّينْ نَ اللهُ اَتَّنْصَرَ أي متوجهاً إلى الله وملتجئاً إليه وقال الحسن المعنى من أنصاري في السبيل إلى الله وقيل لما بعث الله عيسى وأمره بإظهار رسالته والدعاء إليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وأمه يسيحان في الأرض يقول من أنصاري إلى الله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) اَتَّنْ اَلْحَوَارِيُّونْ جمع حواري وحواري الرجل صفوته وخلاصته وهو مأخوذ من الحور وهو البياض عند أهل اللغة والحواريّ الناصر ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لكل نبي حواريّ وحواريّي الزبير وهو في البخاري وغيره قال ابن عباس كانوا صيادين وقال الضحاك هم قصارون مر بهم عيسى فآمنوا به وقد اختلف في سبب تسميتهم بذلك فقيل لبياض ثيابهم وقيل لخلوص نياتهم وقيل لأنهم خاصة الأنبياء وكانوا اثني عشر رجلاً وهم أول من آمن به (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) نَكَّنَيْ اِمَانْصَارَنْ نَ الدِّينْ نَ اللهُ أي أنصار دينه ورسله (آمَنَّا بِاللَّهِ) نَظِّيكْظَنْ سَ اللهُ استئناف جار مجرى العلة لما قبله فإن الإيمان يبعث على النصرة (وَاشْهَدْ) كِّيَتْ يَا عِيسَى أنت يا عيسى لنا يوم القيامة (بِأَنَّا) ءَاسْ نَكَّنَيْ (مُسْلِمُونَ) اِينَسْلَمَنْ نَكَّارْ اَسَالْوَايْ يَ الدِّينْ نَ اللهُ أي مخلصون لإيماننا منقادون لما تريد منا إيذاناً بأن غرضهم السعادة الأخروية (52) (رَبَّنَا) اَمَلِينَّنَا (آمَنَّا) نَظِّيكْظَنْ (بِمَا أَنْزَلْتَ) سَوَدُوتَزَزَّبّي ضَغْ اَلاِنْجِيلْ في كتبك تضرع إلى الله سبحانه وعرض لحالهم عليه بعد عرضها على الرسول مبالغة في إظهار أمرهم (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) نَلَيِّلْ

اَنَمَّازُولْ نَكْ عِيسَى أي عيسى وحذف المتعلق مشعر بالتعميم أي اتبعناه في كل ما يأتي به (فَاكْتُبْنَا) اَكْتَبَانَا (مَعَ الشَّاهِدِينَ) دَرْ وِنَكِّيتْنينْ يَاكْ اَسْ تِيشِيتْ نَكْ غَاسْنَكْ اَكِّيينْ يَنَمَّازُولْ نَكْ سِيكِي اَنْتِيدَتْ لك بالوحدانية ولرسولك بالرسالة فأثبت أسماءنا بأسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به أو اكتبنا مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم وقيل مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته أنهم شهدوا له أنه قد بلغ وشهدوا للرسل أنهم قد بلغوا (53) (وَمَكَرُوا) اَكِّمَيَنْ كُوفَارْ ءَانْ بَنُو اِسْرَئِيلْ تَكَارْصَيْ تَظَنْقِينْ سَرَسْ عِيسَى أي الذين أحس عيسى منهم الكفر وهم كفار بني إسرائيل إذ وكلوا به من يقتله غيلة أي خفية (وَمَكَرَ اللَّهُ) اِرزَاسَنْ اللهُ فَلْ اَلْمَكْرُ نَسَنْ اِيكِرْ شَشّيلَانْ اَنْ عِيسَى فَلْ اِيَّنْ ضَغْسَنْ اَنْقَنْتُو اَغِيلَنْ عِيسَى وقال الزجاج مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم الإبتداء كقوله تعالى "الله يستهزيء بهم" وهو خادعهم وأصل المكر في اللغة الاغتيال والخدع حكاه ابن فارس وعلى هذا فلا يسند إلى الله سبحانه إلا على طريق المشاكلة وقيل مكر الله هنا إلقاء شبه عيسى على غيره ورفع عيسى إليه أخرج ابن جرير عن السدى قال إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت فقال عيسى لأصحابه من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى إلى السماء فذلك قوله "ومكروا ومكر الله" (وَاللَّهُ) اللهُ (خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) اَنْتَ طُوفُوطْ اَنْ وِينْ اَرَّازْنِينْ يِمَكَّرْصَا اَسْ مَارُوزَتْ تَرْظَامَطْ شِكَارْصِوِينْ نَسَنْ أي أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على إيصال الضرر بمن يريد إيصاله من حيث لا يحتسب (54) (إِذْ قَالَ اللَّهُ) طَكْطَا تَمَلَا اَدِّي اَضِنَّا اللهُ (يَا عِيسَى) يَا عِيسَى (إِنِّي) اِلْكَنَاسْ نَكْ

(مُتَوَفِّيكَ) اَكَيْضَابَطَا اَسْ مَانِينْ (وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) اَتَكَلَقَيْدُو اَسْ مَانِينْ ضَعْ الدَّنيتْ شِيوَرْ طَمَطَّانْتْ العامل في "إذ" مكروا أو فعل مضمر وقال جماعة من أهل المعاني منهم الضحاك والفراء في قوله تعالى "إني متوفيك ورافعك إلي" على التقديم والتأخير لأن الواو لا توجب الرتبة والمعنى إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء كقوله "ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى" والتقدير ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما وقال الحسن وابن جريج معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته وقيل الكلام على حاله من غير ادعاء تقديم وتأخير فيه والمعنى كما قال في الكشاف: مستوفى أجلك ومعناه أني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخر أجلك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم عن مطر الوراق قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وإنما احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة كما رجحه كثير من المفسرين واختاره ابن جرير الطبرى ووجه ذلك أنه قد صح في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزوله وقتله الدجال وقيل المراد بالوفاة هنا النوم ومثله "هو الذي يتوفاكم بالليل" أي ينيمكم وبه قال كثيرون وعن سعيد بن المسيب قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وحملت به أمه ولها ثلاث عشرة سنة وولدته بمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل وعاشت بعد رفعه ست سنين وأورد على هذا عبارة المواهب مع شرحها للزرقاني وإنما يكون الوصف بالنبوة بعد

بلوغ الموصوف بها أربعين سنة إذ هو سن الكمال ولها تبعث الرسل، ومفاد هذا الحصر الشامل لجميع الأنبياء حتى يحيى وعيسى هو الصحيح والمصرح به في الأحاديث النبوية أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم قال الزرقاني وقع للحافظ الجلال السيوطي في تكملة تفسير المحلى وشرح النقاية وغيرهما من كتبه الجزم بأن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ويمكث بعد نزوله سبع سنين وما زلت أتعجب منه مع مزيد حفظه وإتقانه وجمعه للمعقول والمنقول حتى رأيته في "مرقاة الصعود" رجع عن ذلك انتهى وأورد على قوله "ليلة القدر" أنها من خصائص هذه الأمة وربما يقال في الجواب لعل الخصوصية على الوجه الذي هي عليه الآن من كون العمل فيها خيراً من العمل في ألف شهر ومن كون الدعاء فيها مجاباً حالاً بعين المطلوب وغير ذلك فلا ينافي أنها كانت موجودة في الأمم السابقة لكن على مزية وفضل أقل مما هي عليه الآن (وَمُطَهِّرُكَ) اَسَّكِّكِقَّيْ أي مبعدك ومخرجك (مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ضَغْ وِنْدِي اَكْفَرْنينْ أي من خبث جوارهم وسوء صحبتهم ودنس معاشرتهم برفعك إلى السماء وبعدك عنهم (وَجَاعِلُ الَّذِينَ) اَكِّا وِنْدِي (اتَّبَعُوكَ) اَدَاكَلْكَمْنينْ سِيدَتّينْ تَنَّبُوَانَّكْ ضَغْ نَسْلَمَنْ دَ النَّصَارَى (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) دَنَّكْ وِنْدِي اَكْفَرْنينْ اَسْ تَنَّبُوَانَّكْ اَتَنِمُوصَنْ اَلْيَهُودَنْ أي الذين اتبعوا ما جئت به وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلها ومنهم المسلمون فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو فلم يفرطوا في وصفه كما فرطت اليهود ولا أفرطوا كما أفرطت النصارى وقد ذهب إلى هذا كثير من أهل العلم وقيل المراد بالآية أن النصارى الذين هم أتباع عيسى لا يزالون

ظاهرين علي اليهود غالبين لهم قاهرين لمن وجد منهم فيكون المراد بالذين كفروا هم اليهود خاصة وقيل هم الروم لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من الكافرين وقيل هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح وقيل هم المسلمون والنصارى وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لكل طوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين لطوائف المسلمين كما يفيده الآيات الكثيرة بأن هذه الملة الإسلامية ظاهرة على كل الملل قاهرة لها مستعلية عليها وقيل إن الوقف التام عند قوله "ومطهرك من الذين كفروا" قال النحاس وهو قول حسن "وجاعل الذين اتبعوك" يا محمد" فوق الذين كفروا" أي بالحجة وإقامة البرهان وقيل بالعز والغلبة وقال الضحاك ومحمد ابن أبان المراد الحواريون والله تعالى أعلم (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هَارْ اَزَلْ ءَانْ تَبَدَّيْ غاية للجعل أو للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى أن ذلهم ينتهي يوم القيامة بل على معنى أن المسلمين يعلونهم إلى تلك الغاية فأما بعدها فيفعل الله بهم ما يريد كما ذكره بقوله "فأما الذين كفروا" الخ عن ابن زيد قال النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة ليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود في شرق ولا غرب وهم في البلدان كلها مستذلون (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) دَفَّرَادِي نَكْ اَزَّاتَكُو تَوَغْلَيْ نَوَنْ أي مرجع الفريقين الذين اتبعوا عيسى والذين كفروا به والمرجع الرجوع وتقديم الظرف للقصر (فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) اَحْكَمَا كَرِيوَّنْ (فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) ضَغْ اَوَسْتُوتَلَّمْ تَمِّيزْرَيَمْ ضَغَسْ ضَغْ طَالْغَا نَ الدِّينْ أي من أمور الدين (55) (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) اَتِّمُوصَنْزَ اَلْحَكُومْ دِي اَمَّازَ وِنْدِي اَكْفَرْنِينْ (فَأُعَذِّبُهُمْ) وِنْدِيزَ اَتَنَعَّذَّبَا (عَذَابًا شَدِيدًا) اَلْعَذَابْ اِيصَصَنْ (فِي الدُّنْيَا) ضَغْ اَدَّنيتَادَا

سَتَونْغَا دَتَوكْفَالْ (وَالْآخِرَةِ) دَ اَلَاخِرَةْ اَسْ تَمْسَيْ تفسير للحكم الواقع بين الفريقين إلى آخر الآية وتعذيبهم في الدنيا بالقتل والسبي والجزية والصغار وأما في الآخرة فبعذاب النار (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) وَرَاسَنْتَلّينْ مَاكِاظَنْ اَتَنُوكِظْنينْ ضَغْ اَلْعَذَابْ نَ اللهُ يمنعونهم من عذابنا من مقابلة الجمع بالجمع (56) (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) اَمَّا وِنْدِي اَظَّكِظَنّينْ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) اَمّوزَلَنْ اِمَازَالَنْ وِنْ هُوصّينينْ (فَنُوَفِّيهِمْ) وِنْدِي اَدَاسَنْ اَسَّنْدَا بالياء والنون (أُجُورَهُمْ) مَارُوزَتْ اَمَّازَالَنْ نَسَنْ أي يعطيهم إياها كاملة موفرة (وَاللَّهُ) اللهُ (لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) وَرِيرَ اِيكُوفَارْ اَلْعَذَابْ اَتِنتَاكِ نفي الحب كناية عن بغضهم وهي جملة تذييلية مقررة لما قبلها (57) (ذَلِكَ) وَدِيدَا اَرَطْ اَدّيتَّمَلَنْ اَدّي ضَغْ طَالْغَا اَنْ عِيسَى إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى وغيره (نَتْلُوهُ عَلَيْكَ) غَارَّقُو فَلَّاكْ يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم (مِنَ الْآيَاتِ) اَلْحَالْ اَنّميلْنيتْ اِلّيْ ضَغْ اَلَايَتينْ شِنْ دَزّبَّتْنينْ فَلَّاكْ (وَالذِّكْرِ) اِيمُوصْ ضيغينْ الذّكَرْ اَلْقُرَانْ (الْحَكِيمِ) دِيَوْغَدَنْ وَرْتِيهَا خَانِي المشتمل على الحكم أو المحكم الذي لا خلل فيه (58) (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى) اِلّكَنَاسْ اَلْمِتَالْ اَنْطَالْغَا اَنْ عِيسَى ضَغْ اَجُوجَبْ (عِنْدَ اللَّهِ) غُورْ اللهُ أي شأنه الغريب والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها تعلقاً صناعياً بل تعلقاً معنوياً (كَمَثَلِ آدَمَ) زُونْ اَلْمِتَالَ نَجُوجَبْ ءَاتكِا تَخْلَكْ نَادَمْ في الخلق والإنشاء تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً بغير أب كآدم ولا يقدح في التشبيه اشتمال المشبه به على زيادة وهو كونه لا أم له كما أنه لا أب له فذلك أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه وأعظم عجباً وأغرب أسلوباً وعبارة الكرخي هو تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس وبه قال السيوطي

خلقه

(خَلَقَهُ) اِخْلَكْدُو اَزَّاتْ نَادَمْ (مِنْ تُرَابٍ) ضَغْ اَمَضَالْ جملة مفسرة لما أبهم في المثل وخبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم أي أن آدم لم يكن له أب ولا أم بل خلقه الله من تراب وقدره جسداً من طين وفي ذلك دفع لإنكار من أنكر خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بأن آدم خلق من غير أب وأم (ثُمَّ قَالَ لَهُ) دَفْرَادِي اِنَّاصْ (كُنْ) اَمَلْتُو بشراً أي أنشأه خلقاً بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقاً بالكلمة (فَيَكُونُ) اَيمَلْتُ اَدّيدَا اَمَّكَدّيزَ عِيسَى اِنَّاصْ اَمَلْتُو شِيوَرَابَّا اِيمَلْتُ اَدّيدَا أي فكان بشراً أريد بالمستقبل الماضي أي حكاية حال ماضية عن ابن عباس أن رهطاً من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله قالوا فهل رأيت مثل عيسى وأنبئت به فخرجوا من عنده فجاء جبريل فقال قل لهم إذا أتوك "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم" الآية (59) (الْحَقُّ) وَادَ اَرَطْ اَدَّزَارَنْدَا ضَغْ طَالْغَا اَنْ عِيسَى اَنْتَ اَيْمُوصَنْ اَلْحَقْ (مِنْ رَبِّكَ) وَدِّيفَلَنْ اَمَلِينَّكْ أي جاءك الحق من ربك يعني الذي أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق والجملة على هذا خبر مبتدأ محذوف وقيل مستأنفة برأسها والمعنى أن الحق الثابت الذي لا يضمحل هو من ربك ومن جملة ما جاء من ربك قصة عيسى وأمه فهو حق ثابت (فَلَا تَكُنْ) اَتُورْتَمَلَا (مِنَ الْمُمْتَرِينَ) ضَغْ وِينَكِّنينْ اَلشَّكْ ضَغَسْ الخطاب إما لكل من يصلح له من الناس أي لا يكن أحد منهم ممترياً أو للرسول صلى الله عليه وسلم ويكون النهي له لزيادة التثبيت لأنه لا يكون منه شك في ذلك (60) (فَمَنْ حَاجَّكَ) اِيكَيْظَمَّظَغَنْ (فِيهِ) ضَغْ عِيسَى "فمن" شرطية وهو الظاهر أو موصولة "حاجّك فيه" أي في عيسى وهو الأظهر وقيل في

الحق وهو الأقرب (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ) دَفْرْ اَوَكَيْضُوصَنْ (مِنَ الْعِلْمِ) ضَغْ مَصْنَطْ اَنْ طَالْغَانّيتْ بأن عيسى عبد الله ورسوله ومن للتبعيض أو لبيان الجنس (فَقُلْ) ءَادِيزَ طَنَّغَاسَنْ (تَعَالَوْا) اَيّيوَتْ العامة على فتح اللام لأنه أمر من تعالى يتعالى كترامى يترامى وأصل ألفه ياء وأصل هذه الياء واو لأنه مشتق من العلو وهو الإرتفاع تقول في الواحد تعال يا زيد وفي الجمع المذكور تعالوا وتقول يا زيدان تعاليا ويا هندان تعاليا ويا نسوة تعالين قال تعالى "فتعالين أمتّعكن" (نَدْعُ) اَنَّغْرُو (أَبْنَاءَنَا) مَدَّانَنَا (وَأَبْنَاءَكُمْ) اَدْمَدَّانُوَنْ (وَنِسَاءَنَا) اَتَّضُوضينْ نَنَا (وَنِسَاءَكُمْ) اَطَّضُوضينْ نُوَنْ (وَأَنْفُسَنَا) اَدْ مَانَّنَا (وَأَنْفُسَكُمْ) اَدْ مَانَّوَنْ هذا وإن كان عاماً فالمراد الخاص وهم النصارى الذين وفدوا إليه صلى الله عليه وسلم من نجران كما أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام فقالا أسلمنا يا محمد صلى الله عليه وسلم فقال كذبتما إن شئتما أخبرتكما ما يمنعكما من الإسلام قالا فهات قال حب الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير قال جابر فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على ذلك الغد فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه وأقرا له فقال "والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً" قال جابر فيهم نزلت "قل تعالوا ندع أبناءنا" الآية قال جابر "أنفسنا وأنفسكم" رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وأبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة ورواه الحاكم من وجه آخر عن جابر وصححهوالمراد بمجيء العلم هنا مجيء سببه وهو الآيات البينات والمحاجة المخاصمة

والمجادلة

والمجادلة وتعالوا أي هلموا وأقبلواواكتفى بذكر البنين عن البنات إما لدخولهن في النساء أو لكونهم الذين يحضرون مواقف الخصام دونهن ومعنى الآية ليدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة وفيه دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناء لكونه صلى الله عليه وآله وسلم أراد بالأبناء الحسنين كما تقدم وإنما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل (ثُمَّ نَبْتَهِلْ) دَفَّرَادِي نَكَلُولَضْ سَ اللهُ ضَغْ طَوَاطْرِوينْ نتضرع إلى الله وأصل الإبتهال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره يقال بهله الله أي لعنه والبهل اللعن قال أبو عبيد والكسائي نبتهل نلتعن قال في الجمل وقع البحث عند شيخنا العلامة الدواني قدس الله سره في جواز المباهلة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكتب رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار وكلام الأئمة وحاصل كلامه فيها أنها لا تجوز إلا في أمر مهمّ شرعاً وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعه إلا بالمباهلة فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ومساس الضرورة إليها انتهى من تفسير الكازروني انتهى (فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ) نَكُو اَللَّعْنَةْ نَ اللهُ (عَلَى الْكَاذِبِينَ) فَلْ وِينَكِنينْ بَاهُو سَتَنُّو اَللَّهُمَّ تَلْعَانَ وِينَكِنينْ بَاهُو ضَغْ طَالْغَا اَنْ عِيسَى يعني منا ومنكم بأن نقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى أي الذي يقول إنه ابن الله ويقول إنه إله هذه جملة مبينة لمعناه وفي الآية دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ومخالف أنهم أجابوا إلى المباهلة لأنهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم (61) (إِنَّ هَذَا) اِلّكَنَاسْ وَادَ اَرَطْ اَدِيتَّمَلَنْدَا أي الذي قصه الله على رسوله من نبأ عيسى (لَهُوَ الْقَصَصُ) اَنْتَ

اَيْمُوصَنْ اِسَلَانْ (الْحَقُّ) وينَمُوصَنْنينْ اَلْحَقْ وَاوَرِيهَا الشَّكْ القصص التتابع يقال فلان يقص أثر فلان أي يتبعه فأطلق على الكلام الذي يتبع بعضه بعضاً وضمير الفصل للحصر ودخول اللام عليه لزيادة تأكيده وزيادة من في قوله (وَمَا مِنْ إِلَهٍ) وَرْتِلَّا اَيْمُوصَنْ اَمَلِي لتأكيد العموم والاستغراق (إِلَّا اللَّهُ) ءَارْ اللهُ وهو رد على من "قال" بالتثليث من النصارى (وَإِنَّ اللَّهَ) اِلّكَنَاسْ اللهُ (لَهُوَ الْعَزِيزُ) اَنْتَ اَيْمُوصَنْ اَمَصَّرْنَيْ ضَغْ تَغْمَرْنيتْ أي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه إلهاً آخر (الْحَكِيمُ) نَمَظَّلِيلَغْ ضَغْ اَوَيْتَاكْ أي في تدبيره (62) (فَإِنْ تَوَلَّوْا) كُدْ سَكَّامَيَنْ فَلْ اَظَكْظَانْ أي أعرضوا عن الإيمان ولم يقبلوه (فَإِنَّ اللَّهَ) ءَادِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ (عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) اِصَّانْ ضَغْ اَلْمُفْسِدَنْ دِيِيَمُوصَنْ دَاسَنِرَزْ أي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم شديد (63) (قُلْ) اَنَّاصَنْ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) يَا كَلَ اَلْكَتَّابْ (تَعَالَوْا) اَيِيوَّتْ (إِلَى كَلِمَةٍ) اَسْتَاوَالْتْ (سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) تَصِّيصَوْطْ كِرِينَا دَرْوَنْ قيل الخطاب لأهل نجران بدليل ما تقدم قبل هذه الآية وقيل ليهود المدينة وقيل لليهود والنصارى جميعاً وهو ظاهر النظم القرآني ولا وجه لتخصيصه بالبعض لأن هذه دعوة عامة لا تختص بأولئك الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواء العدل وقد فسرها بقوله (أَلَّا نَعْبُدَ) اَتَتِمُوصَنْ اَسْ وَرْزَانَعْبَدْ (إِلَّا اللَّهَ) ءَارْ اللهُ أي هي أن لا نعبد (وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) وَرَازَّانَسَّدْرُو ءَاتِّلَانْ ضَغْ اَلْعِبَادَ وذلك أن النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة وقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه

وآله

وآله وسلم فقرىء فإذا فيه "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم (وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا) دَذْوَرِيكَا اَديسْنَنَا ايديسْ (أَرْبَابًا) اِيمَلَانْ تِيوَعْبَدْنينْ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) صَاضَغْدُو يَ اللهُ اَمَّكْ اَسْتَكِمْ اَلْفَقِّيتَنْ نَّوْنْ اَدْ نَاعْبِيدَنْ نَّوَنْ اِيمَلَانْ تَنَاسَّبَمْ تَحَلَّيْ اَدْ تَحَّرَمْتْ سَرْسَنْ تبكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير وإشارة إلى أن هؤلاء من جنس البشر وبعض منهم قال ابن جريج لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله (فَإِنْ تَوَلَّوْا) كُدْ سَكَّامَيَنْ فَلْ اَسوَّحَّدْ نَ اللهُ وَرْكِيرَنْ اَسَالْوَايْ يَلَمَرْنيتْ اَلِّيلَنْ اَلْفَقِّيتَنْ نَسَنْ ضَغْ اَوَسْتَنْ تَامَرَنْ سَرَسْ أعرضوا عن التوحيد قال أبو البقاء هو ماض (فَقُولُوا) ءَادِيزَ اَنِّيوَطَاصَنْ أي أنت والمؤمنون (اشْهَدُوا) كِيتَتْ (بِأَنَّا) ءَاسْ نَكَّنَيْ (مُسْلِمُونَ) اِنَسْلَمَنْ نَكَّارْ اَسَالْوَايْ يَ اللهُ موحدون لما لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم (64) (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) يَاكَلَ اَلْكَتَّابْ (لِمَ تُحَاجُّونَ) مَافَلْ تَظَامَظَاغَمْ (فِي إِبْرَاهِيمَ) ضَغْ اِبْرَاهِيمْ تَكَانِّيمْ اِلَّيْ فَلْ الدِّينْ نَّوَنْ (وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ) اَنْتَ وَرْدِيتَوَزَزَبَّتْ التَّوْريةْ (وَالْإِنْجِيلُ) دَ اَلِانْجِيلْ (إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ) ءَارْ دَفَّرْ اِبْرَاهِيمْ سَ الزَّمَانْ زَكْرُوتْنينْ لما ادعت كل طائفة من طائفتي اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام كان على دينهم رد الله سبحانه ذلك عليهم وأبان بأن الملة اليهودية والملة النصرانية إنما كانتا من بعده وقد اختلف في قدر المدة التي بين إبراهيم وموسى والمدة التي بين موسى وعيسى قال القرطبي يقال كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة وكذا في الكشاف عن ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنازعوا عنده

فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً فنزل فيهم "يا أهل الكتاب لم تحاجون" الآية وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ءَاكْ وَرِينْزَ تَكْرِيمْ اَلْبُطْلَا اَنْ طَنَّانَوَنْ أي تتفكرون في دحوض حجتكم وبطلان قولكم حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (65) (هَا أَنْتُمْ) كَوَنَيْدَا يا (هَؤُلَاءِ) وِنْدَغْدَا الرجال الحمقى (حَاجَجْتُمْ) تَظَامَظَاغَمْ ها للتنبيه وهو موضع النداء والمراد بهم أهل الكتابين والمعنى جادلتم وخاصمتم وفي "هؤلاء" لغتان المد والقصر (فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) ضَغْ اَرَطْ وَزْدَاوَنْتُوتَلَّا مَصْنَطْ ضَغَسْ ضَغْ طَالْغَا تَانْ مُوسَى اَدْ عِيسَى اَطَّنَّانَّوَنْ تَهَامْ اَدِّينَّسَنْ المراد هو ما كان في التوراة وإن خالفوا مقتضاه وجادلوا فيه بالباطل (فَلِمَ تُحَاجُّونَ) مَفيلْ طَظَامَظَاغَمْ (فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) ضَغْ اَرَطْ وَزْدَاوَنْتُووَرْتَلَّا ضَغَسْ مَصْنَطْ اَتِّمُوصَنْ طاَلْغَا تَانْ اِبْرَاهِيمْ وهو زعمهم أن إبراهيم كان على دينهم بجهلهم بالزمن الذي كان فيه وفي الآية دليل على منع الجدال بالباطل بل ورد الترغيب في ترك الجدال من المحق كما في حديث "من ترك المراء ولو محقاً فأنا ضمينه على الله ببيت في ربض الجنة" (وَاللَّهُ) اللهُ (يَعْلَمُ) اَنْتَ اَيْصَنَّنْ طَالْغَا تَانْ اِبْرَاهِيمْ أي كل شيء فيدخل في ذلك ما حاججتم به دخولاً أولياً (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) كَوَني وَرْتَتَصّينَمْ أي محل النزاع أو شيئاً من الأشياء التي من جملتها ذلك (66) (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ) اِنَّا اللهُ ضَغْ اَسَبَّرِي نِي اِبْرَاهِيمْ وَرْتِلَّا اِبْرَاهِيمْ (يَهُودِيًّا) اِمُوصْ اَكَّ اَلْيَهُودْ (وَلَا نَصْرَانِيًّا) وَلَادَ اَكَّ اَلنَّصَارَي (وَلَكِنْ كَانَ) مِشَانْ اِلَّيْ (حَنِيفًا) اِفْرَاغْ فَلْ الدِّينَنْ وِنْ بَاطِّيلْ اَسْ وَيْظَلَالَغَنْ (مُسْلِمًا) اِمُوصْ اَنَسْلَمْ اِسِيوَحَّدَنْ اللهُ يعني مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم وهو الإسلام قال الشعبي أكذبهم الله وأدحض

حجتهم

حجتهم في هذه الآية (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وَرْتِلَّا ضَغْ اَلْمُشْرِكَنْ دِيتَمُوصَمْ اَدِّي فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بأن المسيح ابن الله وكذلك اليهود حيث قالوا عزيز ابن الله (67) (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ) اِلْكَنَاسْ وُوكِرَنْ ءَارَّايْ اَيْتيدَنْ (بِإِبْرَاهِيمَ) سِي اِبْرَاهِيمْ (لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) وِنْدِي اَتَّلِيلْنينْ ضَغْ تَمَتّيْ نّيتْ أي أحقهم به وأخصهم الذين اتبعوا ملته واقتدوا بدينه (وَهَذَا النَّبِيُّ) اَدْوَادَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم يعني محمداً صلى الله عليه وسلم أفرده بالذكر تعظيماً له وتشريفاً وأولويته صلى الله عليه وسلم بإبراهيم من جهة كونه من ذريته ومن جهة موافقته لدينه في كثير من الشريعة المحمدية (وَالَّذِينَ آمَنُوا) اَدْوِنْدِي اَظَّكِظَنّينْ ضَغْ تَمَتَّيْ اَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم معه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وَاللَّهُ) اللهُ (وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) اَمَانْصَارْ اَمُّومَنَنْ نَنَاحْفِظْ نَسَنْ بالنصر والمعونةوأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن ميناء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش إن أولى الناس بالنبي المتقون فكونوا أنتم سبيل ذلك فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال وتلقوني بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهي ثم قرأ إن أولى الناس بإبراهيم الآية وقال الحسن كل مؤمن ولي إبراهيم ممن مضى وممن بقى (68) (وَدَّتْ طَائِفَةٌ) تَسَدَّارَنْ اَلْجَمَاعَةْ اِيَّتْ (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) ضَغْ كَلْ اَلْكَتَّابْ (لَوْ يُضِلُّونَكُمْ) اَكَوَنَسَّخْرَكَنْ الطائفة هم يهود بني النضير وقريظة وبني قينقاع حين دعوا جماعة من المسلمين إلى دينهم وقيل هم جميع أهل الكتاب فتكون "من" لبيان الجنس ولو مصدرية أي تمنت وأحبت إضلالكم أو حرف امتناع لامتناع والجواب محذوف أي لسروا بذلك وفرحوا قاله السمين (وَمَا يُضِلُّونَ) اَنْتَ وَرْسَخْرِيكَنْ (إِلَّا

أَنْفُسَهُمْ) ءَارْ إِمَانْ نَّسَنْ فَلَاسْ اَبَكَّاضْ نَصَخْرَكْ نَسَنْ إِقَّالْتَنْدُو إِيمُومَنَنْ وَرَاسَنْ ظَرْضِينْ سَ اَلْكَفَرْ جملة حالية للدلالة على ثبوت قدم المسلمين في الإيمان فلا يعود وبال من أراد فتنتهم إلا عليه (وَمَا يَشْعُرُونَ) وَرَصّينَنْ ضَغَادِي أن وبال الإضلال يعود عليهم (69) (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) يَا كَلَ اَلْكَتَّابْ (لِمَ تَكْفُرُونَ) مَفَلْ تَكَافَّرَمْ (بِآيَاتِ اللَّهِ) سَ اَلَايَتِينْ نَ اللهُ اَتَنَتِمُوصَنْ اَلْقُرَانْ المراد بآيات الله ما في كتبهم من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) كَوَنِي تَكِّيِيمْ تَصَّانَمْ ءَاسْ اَلْحَقْ اَيْمُوصْ ما في كتبكم من ذلك ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل النبي الأميوعن ابن جريج قال وأنتم تشهدون على أن الدين عند الله الإسلام ليس لله دين غيره (70) (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) يَا كَلْ اَلْكَتَّابْ (لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ) مَفَلْ تَصَارْطَايَمْ اَلْحَقْ (بِالْبَاطِلِ) اَدْبَاطِّيلْ سَ التَّحْرِيفْ دَ التَّزْوِيرْ لبس الحق بالباطل خلطه بما يتعمدونه من التحريف (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ) تَغَابَّرَمْ اَلْحَقْ اَتِّمُوصَنْ اَلصَّيْفَةْ اَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم شأن محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز "تكتموا" على جواب الاستفهام (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) كَوَنَيْ طَصَّانَمْ ءَاسْ النَّبِي وَانْ اَلْحَقْ اَيْمُوصْ جملة في موضع الحال أي تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل (71) (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ) طَنَّا اَلْجَمَاعَةْ اِيَّتْ (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) ضَغْ كَلْ اَلْكَتَّابْ يَديسْ نَسَنْ أُوطَاصَنْ سَادِي التَّلْبِيسْ فَلْ نَسْلَمَنْ (آمِنُوا) ظَكِّطْنَطْ (بِالَّذِي) سَادِي (أُنْزِلَ) اَدِّيتَوَزَرْبِّينْ (عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) فَلْ وِنْدِي اَظَّكِّطْنّينْ اَتِّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ (وَجْهَ النَّهَارِ) ضَغْ تِزَارَتْ نَزَلْ (وَاكْفُرُوا) تَكْفَرَمْ سَرَسْ (آخِرَهُ) ضَغْ لَكُّومَتْ نَزَلْ (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) اَنْكِّمَاكْ اَنْتَنَيْ اِيمُومَنَنْ اَدَّقَّلَنْ فَلْ الدِّينْ نَسَنْ فَلَاسْ اَضَنِّينْ

وَرْدَقّيلَنْ وِينْدَا دَفَّرْ اِيكُوزْ نَسَنْ ضَغَسْ اَنْتَنَيْ اَمُوصَنْ كَلْ مَصْنَطْ ءَارْ فَلْ اَصَصَّنَنْ ضَغْ اَلْبُطْلاَنّيتْ هم رؤساؤهم وأشرافهم قالوا للسفلة من قومهم هذه المقالة ووجه النهار أوله وسمي وجهاً لأنه أحسنه أمروهم بذلك لإدخال الشك على المؤمنين لكونهم يعتقدون أن أهل الكتاب لديهم علم فإذا كفروا بعد الإيمان وقع الريب لغيرهم واعتراه الشك وهم لا يعلمون أن الله قد ثبّت قلوب المؤمنين ومكّن أقدامهم فلا تزلزلهم أراجيف أعداء الله ولا تحركهم ريح المعاندينعن ابن عباس قال قال عبد الله ابن الصيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم فأنزل الله عليهم هذه الآية إلى قوله "واسع عليم" (72) (وَلَا تُؤْمِنُوا) اَنَّنْ تُولَسْ اَدْوَرْ تَظَاكِظَانَمْ ءَاسْ اَدِيتُوَكْفُو وَلِيَّنْ تُولاَتْ نَوَاتَتَوَكْفَمْ هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض أي ما قال الرؤساء للسفلة (إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ) اَنْدَبَازَ اِيلّيلَنْ الدِّينْ نَّوَنْ اَنْتَ غَاسْ اَزِيتُوَكْفِينْ تُولاَتْ نَوَاتَتَوَكْفَمْ (قُلْ) اَنَّاصَنْ (إِنَّ الْهُدَى) اِلّكَنَاسْ طَانُورَيْ (هُدَى اللَّهِ) طَانُورَيْ تَانْ اللهُ اَتِمُوصَنْ اَلاِسْلاَمْ ءَاوَرْطَمُوصْ كُولْ ءَاخْرُوكْ (أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ) ءَاسْ اَدِيتُوَكْفُو وَلِيَّنْ (مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ) تُولاَتْ نَوَاتَتَوَكْفَمْ (أَوْ يُحَاجُّوكُمْ) اَدْوَرْ طَظَّكِظَنَمْ ضيغينْ ءَاسْ اَكَوَنْ ظَمَّظَغَنْ مُومَنَنْ (عِنْدَ رَبِّكُمْ) غُورْ اَمَلِينَّوَنْ اَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ فَلاَسْ كَوَنـي تُوكِّرَمْتَنْ اَصَّاهَطْ ضَغْ الدِّينْ قال الواحدي وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيراً وإعراباً ولقد تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم انتهى وقد لخصه من كلام الناس

الشيخ سليمان الجمل مع اختلافه فمن شاء فليرجع إليه وقال القرطبي وهذه الآية أشكل ما في السورة فروي عن الحسن ومجاهد أن معنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنهم لا حجة لهم فإنكم أصح منهم دينا و"أن" و"يحاجوكم" في موضع خفض أي بأن يحاجوكم أي باحتجاجهم أي لا تصدقوهم في ذلك فإنهم لا حجة لهم (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) من التوراة والمن والسلوى وفرق البحر وغيرها من الآيات والفضائل. فيكون" أن يؤتى " مؤخرا بعد" أو يحاجوكم"، وقوله "إن الهدى هدى الله" اعتراض بين كلامين (قُلْ) اَنَّاصَنْ (إِنَّ الْفَضْلَ) اِلّكَنَاسْ مَكَّتْ يعني التوفيق للإيمان والهداية للإسلام (بِيَدِ اللَّهِ) تَلَّيْ ضَغْ اَفُوصْ نَ اللهُ (يُؤْتِيهِ) اِهَاكّيتْ (مَنْ يَشَاءُ) اِيوَصِرَ مِنِيسْ كَوَنْ دِيكّزْ ءَاسْ وَرْزِيتَوَكْفُو وَلِيَّنْ تُولَاتْ نَوَاتَتَوَكْفَمْ أي من أراده من خلقه وفيه تكذيب اليهود في قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (وَاللَّهُ) سِكّادِي اللهُ (وَاسِعٌ) مَشّيسْ اَمَّكّتْ تيلْوَاتْ أي ذو سعة يتفضل على من يشاء (عَلِيمٌ) اِصَّانْ ضَغْ وَيْمُوصَنْ اَمَهُورْ دَرَسْ بمن هو أهله (73) (يَخْتَصُّ) اِصْاكَطْ (بِرَحْمَتِهِ) سَ اَلرَّحْمَةْ نيتْ (مَنْ يَشَاءُ) وَصِرَ تَنَّبُوَ دَاوَرْطَمُوصْ قيل هي الإسلام وقيل هي القرآن وقيل هي النبوة وقيل أعم منها وهو رد عليهم ودفع لما قالوه ودبروه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل إلا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق (وَاللَّهُ) اللهُ (ذُو الْفَضْلِ) مَشّيسْ اَنْ مَكّتْ (الْعَظِيمِ) مَقّرَتْ اِهَاكّيطْ اِيوَصِرَ أصل الفضل في اللغة الزيادة والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير (74) (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) اِلَّيْ ضَغْ كَلْ اَلْكَتَّابْ (مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ) وَاسْ كُوتُوتَفْلَسَا (بِقِنْطَارٍ) فَلْ اَظْرَفْ اَكّينْ (يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) دَاكَّكْفُو اَسْتَغْرَانّيتْ فَلْ تَافْلَسْتْ نيتْ (وَمِنْهُمْ) اِلَّيْ ربع

ضقسق

ضَغْسَنْ (مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ) وَاسْ كُتُوتَفْلَسَا (بِدِينَارٍ) فَلْ اَدِينَارْ اِيَّنْدَا (لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) وَرَاكُوزَكْفُو هذا شروع في بيان خيانة اليهود في المال بعد بيان خيانتهم في الدين ومعنى الآية أن أهل الكتاب فيهم الأمين الذي يؤدي أمانته وإن كانت كثيرة وفيهم الخائن الذي لا يؤدي أمانته وإن كانت حقيرة ومن كان أمينا في الكثير فهو في القليل أمين بالأولى ومن كان خائناً في القليل فهو في الكثير خائن بالأولى وقال عكرمة المؤدي النصارى والذي لا يؤدي اليهود (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) ءَارْ سَتَّغْلَالَ تَبْدَادَ فَلَّاسْ اَسْ وَرْتَكِي ءَادِي اَكَيِنْكَرْ استثناء مفرغ أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال إلا ما دمت مطالباً له مضيقاً عليه متقاضياً لرده (ذَلِكَ) ءَادِيزَ اَتِّمُوصَنْ شِيَّتْ اَنْطَهَكِّيْ نيتْ اَلَامَانَةْ اِيكَّا أي ترك الأداء المدلول عليه بقوله لا يؤده (بِأَنَّهُمْ) سَسَّبَابْ نَاسْ اَنْتَنَيْ (قَالُوا) اَنَّنْ (لَيْسَ عَلَيْنَا) وَرْتِلَّا فَلَّانَّا (فِي الْأُمِّيِّينَ) ضَغْ اَيْتَّ اَلَامْ اَنَّارَابَنْ دَكُّلَّ نِيوَرْنَهَا الدِّينْ وَنَّنَا (سَبِيلٌ) طَارِّيطْ سَنِيبَظْ اَبَكَّاضْ ضَغْ طَطِّيْ نَرِيصَّنْ فَلَاسْ حَلَالَ يَانَا الأميون هم العرب الذين ليسوا بأهل كتاب أي ليس علينا فيما أصبنا من مال العرب سبيل قاله قتادة أو ليس علينا في ظلمهم حرج لمخالفتهم لنا في ديننا وادعوا لعنهم الله أن ذلك في كتابهم فرد الله سبحانه عليهم بقوله (وَيَقُولُونَ) كَانَّنْ (عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فَلْ اللهُ بَاهُو ضَغْ النِّسْبَةْ نَادِي سَرَسْ (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) اَنْتَنَيْ اَصَّانَنْ ءَاسْ بَاهُو ءَاكِّنْ عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر أخرجه الطبراني وغيره مرسلاً (75) (بَلَى) اَوَلَّا اَنَّاصَنْ تَلِّيْ فَلَّاوَنْ طَارِّيْطْ سَنِيبَظْ ضَغْسَنْ عليهم سبيل بكذبهم واستحلالهم أموال

العرب فقوله "بلى" إثبات لما نفوه من السبيل قال الزجاج تم الكلام بقوله بلى ثم قال (مَنْ أَوْفَى) اِيسَّنْدَنْ "من" رفع بالابتداء وهو شرط و"أوفى" في موضع جزم و"اتقى" معطوف عليه أي واتقى الله (بِعَهْدِهِ) سَرْكَوَالْ وَيْكِّا يَ اللهُ زُونْ اَضَّوَالْ مَدي وَتِيزَّلْزَمْ اللهُ زُونْ اَمُودْ الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وبأداء الأمانة إلى من ائتمنه وقيل الضمير راجع إلى الموفي (وَاتَّقَى) اِكْصُوضْ اللهُ اَسْ شِيَّتْ اَنْتَمَازْرِيتْ دَمَازَالْ اَنْتَلِيلْتْ الشرك أي فليس هو من الكاذبين (فَإِنَّ اللَّهَ) ءَادِيزَ اِلْكَنَاسْ اللهُ (يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) اِيرَيْ فَلَاسْ اللهُ اِيرَ وِنْطَكْصُوضْ نينْ الذين يتقون الشرك وعموم المتقين قائم مقام العائد إلى "من" أي فإن الله يحبه وفيه وضع الظاهر موضع المضمر للإعتناء بشأنهم وإشارة إلى عمومه لكل متق (76) (إِنَّ الَّذِينَ) اِلْكَنَاسْ وِنْدِي (يَشْتَرُونَ) اَدُوسَامَسْكَالْ نينْ أي يستبدلون كما تقدم تحقيقه غير مرة (بِعَهْدِ اللَّهِ) ضَغْ اَدَكِّ نَرْكَوَالْ نَ اللهُ وَتَنِيزَّلْزَمْ اَتِّمُوصَنْ اَطْكِّطَانْ سَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم اَطَّهَكَّيْ نَ اَلامَانَةْ هو ما عاهدوه عليه من الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم (وَأَيْمَانِهِمْ) اَتَّهُوضْ نَسَنْ سَ اللهُ فَلْ بَاهُو سَمَّسْكَلَنْ ءَادِي هي التي كانوا يحلفون إنهم يؤمنون به وينصرونه (ثَمَنًا قَلِيلًا) اَلثَّمَنْ دَرُوسَنْ اَتِّمُوصَنْ الدّنيتْ اَدَرْتُوكِّدَا أي شيئاً يسيراً من حطام الدنيا وذلك أن المشتري يأخذ شيئاً ويعطي شيئاً فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء قال عكرمة نزلت في أحبار اليهود ورؤسائهم وقيل الأقرب حمل الآية على الكل ويدخل فيه جميع ما أمر الله به وجميع العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل وما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك يجب الوفاء به وهو الأولى

<أولئك>

(أُولَئِكَ) ونْدِيزَ الموصوفون بهذه الصفة (لَا خَلَاقَ لَهُمْ) وَلَا تَدَكِّرْتْ يَاسَنْ لا نصيب لهم (فِي الْآخِرَةِ) ضَغْ اَلَاخِرَةْ في نعيم الآخرة (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) وَرْسَرْسَنْ زِيشْيَوَلْ اللهُ فَلْ أُوكْيَاضْ نَسَنْ بشيء أصلاً كما يفيده حذف المتعلق من التعميم أو لا يكلمهم الله بما يسرهم وقيل هو بمعنى الغضب (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) وَرْسَرْسَنْ زِيصْوَضْ اَصوَاضْ وَانْ طَهَانِينْتْ نظر رحمة (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) اَزَلْ ءَانْتَبَدَّيْ (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) وَرْتَنْ زِيزّزْدَكْ يطهرهم من دنس الذنوب بالعذاب المنقطع ولا يثني عليهم بجميل بل يسخط عليهم ويعذبهم بذنوبهم كما يفيده قوله (وَلَهُمْ) اَلَّاسَنْتُو (عَذَابٌ أَلِيمٌ) اَلْعَذَابْ وَانْ اَمَصّيصْنَنْ مؤلم (77) (وَإِنَّ مِنْهُمْ) اِلّكَنَاسْ اِلّيْ ضَغْ كَلْ اَلْكَتَّابْ (لَفَرِيقًا) اَلْجَمَاعَةْ اِيّتْ أي طائفة من اليهود (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ) تِيكُورُوطْنِينْ اِلَسَاوَنَّسَنْ (بِالْكِتَابِ) دَ اَلْكَتَّابْ وَدّيفَلَنْ اللهُ سِيبَرْكُوِيلَنْتُو سَرَطْ وَارَنْ أصل اللّيّ الميل والفتل تقول لَوَى برأسه إذا أماله أي يميلون ويحرفون ويعدلون به عن القصد ويعطفون وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه والألسنة جمع لسان وهذا على لغة من يذكره وأما على لغة من يؤنثه فيقول هذه لسان فإنه يجمع على ألسن وقال الفراء لم نسمعه من العرب إلا مذكراً (لِتَحْسَبُوهُ) فَلْ اَتُوتَارْدِيمْ اَرَطْ وَضَكُّورِينْ اَدّي أي لتظنوا أن المحرف الذي جاؤوا به (مِنَ الْكِتَابِ) اِلّيْ ضَغْ اَلْكَتَّابْ وَدّيفَلَنْ اللهُ الذي أنزله الله على أنبيائه (وَمَا هُوَ) اَنْتَ بَاهُو ءَادِي وَرْتِلّا أي الذي حرفوه وبدلوه (مِنَ الْكِتَابِ) ضَغْ اَلْكَتَّابْ وَدِيزَزَّبَّتْ اللهُ في الواقع وفي اعتقادهم أيضاً والجملة حالية (وَيَقُولُونَ) كَانَّنْ على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض مع ما ذكر من الليّ والتحريف (هُوَ) اَنْتَ أي المحرف (مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ) اللهُ اَدّيفَلْ (وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) بَاهُنَّسَنْ وَرْدِيفيلْ اللهُ والحال أنه ما هو من عند الله (وَيَقُولُونَ) كَاتِينْ (عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فَلْ اللهُ بَاهُو أي الأعم مما ذكر من التحريف واللي (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سِكَادِي اَصَّانَنْ ءَاسْ بَاهُو ءَاكَنْ أنهم كاذبون مفترون قال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس منه (78) (مَا كَانَ) وَرِيمَّكَّنْ أي ما ينبغي ولا يستقيم (لِبَشَرٍ) يَوَيْدَنْ أي جميع بني آدم ولا واحد للفظ بشر كالقوم والرهط بيان لافترائهم على الأنبياء إثر بيان افترائهم على الله (أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ) اَتَّكْفُ اللهُ اَلْكَتَّابْ الناطق بالحق (وَالْحُكْمَ) دَكَرّي نَ الشَّرِيعَ يعني الفهم والعلم (وَالنُّبُوَّةَ) اَتَّنْبُوَ يعني المنزلة الرفيعة (ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ) دَفَّرَادِي اَدِكَانُّو يَيْتيدَنْ (كُونُوا) اَقَّلَتْ (عِبَادًا لِي) ايكْلَانِينْ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) صَاضَّغْدُو يَ اللهُ أي هذه المقالة وهو متصف بتلك الصفة وفيه بيان من الله سبحانه لعباده أن النصارى افتروا على عيسى ما لا يصح عنه ولا ينبغي أن يقوله (وَلَكِنْ) مِشَانْ اَدَاسَنِكَانُّو يقول (كُونُوا) اَقَّلَتْ (رَبَّانِيِّينَ) إِيمُوصَنَنْ اَمُّوزَلْنينْ اَسْ مَصْنَطْ نَسَنْ قال سيبويه الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة كما يقال لعظيم اللحية لحياني ولعظيم الجمة جماني ولغليظ الرقبة رقباني وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كبارهوقيل العالم الحكيم أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين فإن حصول العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما الربانية التي هي التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة اللهوقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي (بِمَا كُنْتُمْ) سَسَّبَابْ نَميلْنَوَنْ (تعْلَمُونَ الْكِتَابَ) تَصَّانَمْ اَلْكَتَّابْ مَدي سَسَّبَابْ نَميلْنَوَنْ

تَسِيصُونَمْ اَلْكَتَّابْ ضَغِيَّتْ تيغَرَيْ بالتخفيف والتشديد قال مكي التشديد أبلغ لأن العالم قد يكون عالماً غير معلّم فالتشديد يدل على العلم والتعليم والتخفيف إنما يدل على العلم فقط ويؤيد الأولى (وَبِمَا كُنْتُمْ) اَدْ سَسَّبَابْ نَميلْنَوَنْ (تَدْرُسُونَ) تَغَارِمْتُو اَنْتَ اَلْفَيْدَةْ اَنْ تَغَرَيْ اَتَّمَّازَالَ سَرَسْ بالتخفيف والحاصل أن من قرأ بالتشديد لزمه أن يحمل الرباني على أمر زائد على العلم والتعليم هو أن يكون مع ذلك مخلصاً أو حكيما أو حليماً حتى تظهر السببية ومن قرأ بالتخفيف جاز له أن يحمل الرباني على العالم الذي يعلّم الناس فيكون المعنى كونوا معلمين بسبب كونكم علماء وبسبب كونكم تدرسون العلم وفي هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل وإن من أعظم العمل بالعلم تعليمه والإخلاص لله سبحانه والدراسة مذاكرة العلم والفقه فدلت الآية على أنّ العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه (79) (وَلَا يَأْمُرُكُمْ) وَرْكَوَنُوميرْ اللهُ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفا على"أن يؤتيه" (أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ) اَتَّكِيمْ اَنْ كَِلُوسَنْ (وَالنَّبِيِّينَ) دَ النَّبِيتَنْ (أَرْبَابًا) إِمَلَانْ تَعْبَادَمْ أي ليس له أن يأمر بعبادة نفسه ولا أن يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً بل ينهى عنه والمعنى يقول ويأمر وقيل ولا أن يأمركم وقرأ الباقون على الاستئناف برفع الراء أي لا يأمركم الله أو محمد أو عيسى أو الأنبياء (أَيَأْمُرُكُمْ) تُورْدَامَاسْ اللهُ اَكَوَنَامَرْ (بِالْكُفْرِ) سَ اَلْكَفَرْ (بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ) دَقَّرْ اَسْتُوتَلَّامْ (مُسْلِمُونَ) تَمُوصَمْ اِينَسْلَمَنْ قاله على طريق التعجب والإنكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله وقد استدل من قال إن سبب نزول الآية استئذان من استأذن النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين في أن

يسجدوا له (80) (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ) طَكْطَا تَمَلَا اَدِّي اَضُوبَظْ اللهُ (مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) اَرْكَوَالْ اِظِيظَوِينْ فَلْ اَلنَّبِيتَنْ (لَمَا آتَيْنَاكُمْ) ءَارْ ءَادِي اَكَوَنكَفي بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وبكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أي للذي آتيتكم (مِنْ كِتَابٍ) اِمُوصَنْ اَلْكَتَّابْ (وَحِكْمَةٍ) دَ اَلْحِكْمَةْ (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ) دَفَّرَادِي أُوصِيوَنْضُو اَنَمَّازُولْ (مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) اِيسِيدَتِّينْ اَوَتِّيلَّنْ دَرْوَنْ ضَغْ اَلْكَتَّابْ دَ اَلْحِكْمَةْ اَتِّمُوصَنْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم وجواب القسم لتؤمنن به ولتنصرنه قد اختلف في تفسير هذه الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة وطاوس والحسن والسدى إنه أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً بالإيمان ويأمر بعضهم بعضاً بذلك فهذا معنى النصرة له والإيمان به وهو ظاهر الآية فحاصله أن الله أخذ ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخر وينصره إن أدركه وإن لم يدركه يأمر قومه بنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قيل إنما أخذ الميثاق في أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وبه قال علي وابن عباس وقتادة والسدى وقيل أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم جميعاً في أمره صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد مع المتبوع عهد مع الأتباع وبه قال علي بن أبي طالب والأول أولى وبه قال كثير من المفسرين والرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي ذكر في التوراة والإنجيل وصفه وشرح فيهما أحواله قال البغوي أخذ الله هذا الميثاق منهم حين استخرج الذرية من صلب آدم وقال الرازي هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد لله واجب والأول أولى وهو

الظاهر من الآية (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ) ءَارْ اَتَّظَّكِّظَنَمْ سَرَسْ (وَلَتَنْصُرُنَّهُ) وَلَارْ اَتُوتَنْصَرَمْ اَسْتِيطُّوكِظَمْ (قَالَ) اِنَّاصَنْ اللهُ دِيتْكَلَنْ الله تعالى للنبيين تمس (أَأَقْرَرْتُمْ) ءَاكْ طَرْصَامْ تَقِّيرَّمْ سَادِي بالإيمان به والنصر له (وَأَخَذْتُمْ) تَبَاظَمْ (عَلَى ذَلِكُمْ) فَلْ ءَادِي (إِصْرِي) اَرْكَوَالِنْ اِظِيظَوِينْ طَطَّافَمْ اَزَلْزَمْ وَدَاوَنْتَكِي أي عهدي والإصر في اللغة الثقل سمي العهد إصراً لما فيه من التشديد (قَالُوا) اَنَّنْ (أَقْرَرْنَا) نَقِّيرَّ نَرْصَا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك (قَالَ) اِنَّاصَنْ اللهُ دِيتْكَلَنْ الله تعالى (فَاشْهَدُوا) كِيَّتَتْ فَلْ مَاتَّوَنْ دَ اَلاتْبَاعْ نَوَنْ ءَاسْ طَرْصَامْ أي أنتم على أنفسكم أو ليشهد بعضكم على بعض (وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) نَكْ اَلّيقُّو دَرْوَنْ ضَغْ وِينَكِّيتْنِينْ فَلَّاوَّنْ اَدْ فَلَّاسَّنْ أي على إقراركم وشهادة بعضكم على بعض من الشاهدين هذا هو الخبر لأنه محط الفائدة (81) (فَمَنْ تَوَلَّى) اِيسَكَّامَيَنْ أي أعرض عما ذكر (بَعْدَ ذَلِكَ) دَقَّرْ وَدِيدَا اَلْمِيثَاقْ اِظَظَّوِينْ اَدِّي الميثاق (فَأُولَئِكَ) وِنْدِي (هُمُ الْفَاسِقُونَ) اَنْتَنْيَ اَلْفَاسِيقَنْ وِنْتِيدَتْ أي الخارجون عن الطاعة والغائصون في الكفر وأعاد الضمير في "تولى" مفرداً على لفظ "من" وجمع أولئك حملاً على المعنى (82) (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ) اَوَاكْ ءَاوَرْنَمُوصْ الدِّينْ وَانْ اللهُ (تَبْغُونَ) ءَاتَكَامَّيَمْ اَتُوتَكِّيمْ الدِّينْ عطف على مقدر أي تتولون فتبغون غير دين الله وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار (وَلَهُ أَسْلَمَ) سِكَّادِي اللهُ اَنْتَ اَسِيكَّرْ اَسَالْوَايْ والحال أنّ له أسلم أي خضع وانقاد (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ) وِنْتَلَّنِينْ ضَغْ جَنَّاوَنْ (وَالْأَرْضِ) اَدْ وِنْتَلَّنِينْ ضَغْ اَمَضَالْ (طَوْعًا) اِيَّاضْ اَصْطَرَامَّانْ ضَغْ كَلْ جَنَّاوَنْ كُولْ دَدِيسْ اَنْ كَلْ اَمَضَالْ (وَكَرْهًا) اِيَّاضْ اَسْ تَدَانْكِيتْ ضَغْ اَدِيسْ اَنْ كَلْ اَمَضَالْ أي طائعين ومكرهين والطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما فيه مشقة وهو من

أسلم مخافة القتل وعن قتادة قال أما المؤمن فأسلم طائعاً فنفعه ذلك وقبل منه وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله فلم ينفعه ولم يقبل منه فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فاقرؤا في أذنه أفغير دين الله يبغون وأخرج ابن السني في "عمل يوم وليلة" عن يونس بن عبيد قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقرأ في أذنها أفغير دين الله يبغون الآية إلا ذلت بإذن الله عز وجل (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) اَنْتَ اَزَّتَقَّلَمْ ضَغْ اَلاخِرَةْ اِرزَاوَنْ اَسْ مَازَالَنْ نَوَنْ أي مرجع الخلق كلهم إلى الله يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا (83) (قُلْ) اَتُّو يَا مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم (آمَنَّا) نَكَّنَيْ نَظِّيكْظَنْ (بِاللَّهِ) سَ اللهُ (وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) دَوَدِّي تَوَزَرَبّينْ فَلّانَا اَتّمُوصَنْ اَلْقُرَانْ (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) دَوَدِّي تَوَزَرَبّينْ فَلْ اِبْرَاهِيمْ (وَإِسْمَاعِيلَ) دِاِسْمَاعِيلْ (وَإِسْحَاقَ) دِاِسْحَاقْ (وَيَعْقُوبَ) اَدْ يَعْقُوبْ وَالْأَسْبَاطِ) اَدْ مَدَّانَسْ اَنْ يَعْقُوبْ مَدي اَوَتِيضِيكْمَضَنْ ضَغْ اَلنَّبِيتَنْ (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى) دَوَيْتَوَكْفَا مُوسَى (وَعِيسَى) اَدْ عِيسَى (وَالنَّبِيُّونَ) دَوَاتَوَكْفَنْ اَلنَّبِيتَنْ (مِنْ رَبِّهِمْ) غُورْ اَمَلِينَّسَنْ إخبار منه صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه وعن أمته وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم وعدّى الإنزال هنا بعلى وفي البقرة بإلى لأنه يصح تعديته بكل والأسباط كانوا اثني عشر وهم أولاد يعقوب وهم بالنسبة لإبراهيم أحفاده لأنهم أولاد ولده فالمراد بالأسباط هنا الأحفاد لا المعنى اللغوي وهم أولاد البنات (لَا نُفَرِّقُ) وَرْنَزَمَزِّي (بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) كِرْ وَلِيَّنْ ضَغْسَنْ اَدْ وَاهَضَنْ كما فرقت اليهود والنصارى فآمنوا

ببعض وكفروا ببعض وقد تقدم تفسير هذه الآية (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) نَكَّنَيْ نَكَّارْ اَسَالْوَايْ يَ اللهُ نَزِّيزْدَكَّاسْ ضَغْ اَلْعِبَادَة أي منقادون مخلصون موحدون (84) ونزل في من ارتد ولحق بالكفار وهم اثنا عشر أسلمو بالمدينة ولحقو بأهل الكفر في مكة (وَمَنْ يَبْتَغِ) اِيكَّمَيَنْ (غَيْرَ الإِسْلَامِ) ءَاوَرْنَمُوصْ اَلِاسْلَامْ العامة على إظهار هذين المثلين لأن بينهما فاصلاً وهو الياء فلم يلتقيا في الحقيقة وروي الإدغام مراعاة للفظ (دِينًا) اَتَّكْ اَلدِّينْ (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) ءَادِيزَ وَرْزِيتُوَقْبَلْ ضَغَسْ يعني أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وأن كل دين سواه غير مقبول لأن الدين الصحيح ما يرضي الله عن فاعله ويثيبه عليه (وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ) اَنْتَ ضَغْ اَلاَخِرَةْ (مِنَ الْخَاسِرِينَ) اَتِيمَلْ ضَغْ وِينَكْمَلْنينْ ضَغْ تَغَاسِّيرْتْ فَلْ تُوكَّارْتْ نيتْ اَسْ تَمْسَيْ اَطِّيغْلَلْ ضَغَسْ أي الواقعين في الخسران يوم القيامة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب(85) (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ) مَانَمَّكْ نَطِّيصَّنَرْ اللهُ هذا الاستفهام معناه الجحد أي لا يهدي الله ونظيره قوله تعالى "كيف يكون للمشركين عهد عند الله" أي لا عهد لهم ويجوز أن يكون الاستفهام للتعجب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان أو للاستبعاد والتوبيخ فإن الجاحد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد (قَوْمًا) ميدَّنْ إلى الحق (كَفَرُوا) اَكْفَرْنينْ (بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) دَفَّرْ اَطَكَّظَانَّسَنْ (وَشَهِدُوا) اَدَّفَّرْ تَكِيَّانَسَنْ وبعد ما شهدوا (أَنَّ الرَّسُولَ) ءَاسْ اَنَمَّازُولْ (حَقٌّ) اَلْحَقْ (وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) اَدَّفْرْ اَسْتَنْضُوصَانْ اَلْهِيكَّاتَنْ نِفَالَلْنينْ فَلْ اَدَّتُّونيتْ وبعدما جاءهم البينات من كتاب الله سبحانه ومعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَاللَّهُ) اللهُ (لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وَرْزِيصَّنَرْ ميدَّنْ اَمُوصْنينْ اِكُوفَارْ ضَغْ مَصْنَطْنيتْ أي كيف

يهدى المرتدين والحال أنه لا يهدي من حصل منهم مجرد الظلم لأنفسهم ومنهم الباقون على الكفر ولا ريب أن ذنب المرتد أشد من ذنب من هو باق على الكفر لأن المرتد قد عرف الحق ثم أعرض عنه عناداً وتمرداً (86) (أُولَئِكَ) وِنْدِي أي المتصفون بتلك الصفات السابقة (جَزَاؤُهُمْ) مَارُوزَتْ نَسَنْ (أَنَّ عَلَيْهِمْ) ءَاسْ اِلَّيْ فَلَّاسَّنْ (لَعْنَةَ اللَّهِ) اَللَّعْنَةْ نَ اللهُ (وَالْمَلَائِكَةِ) دَنْ كِلُوسَنْ (وَالنَّاسِ) دَيْتِيدَنْ (أَجْمَعِينَ) كيتْنَسَنْ (87) (خَالِدِينَ فِيهَا) اَلْحَالْ اَنَّميلْ نَسَنْ اَضَغْلَلَنْ ضَغَسْ اَللَّعْنَةْ دِي مَدي تيمْسَيْ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ) وَرِيتَوَصَفْصيصْ فَلَّاسَّنْ اَلْعَذَابْ (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) وَرْتَلِّينْ اَدَاسَنِيتَوَصَوَخَّرْ اِيتَتُوبْتْ وَلَ اِيكِي نَصَارُو يؤخرون ويمهلون (88) ثم استثنى التائبين فقال (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) اَنْدَبَازَ وِنْدِي اَتُوبْنينْ (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) دَفَّرَادِي الارتداد (وَأَصْلَحُوا) اَكْنَنْ اَمَازَالْ نَسَنْ بالإسلام ما كان قد أفسدوه من دينهم بالردة وفيه دليل على قبول توبة المرتد إذا رجع إلى الإسلام مخلصاً ولا خلاف في ذلك فيما أحفظ وقيل ضمّوا إلى التوبة الأعمال الصالحة لأن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح وقيل أصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات والأول ألصق بظاهر الآية (فَإِنَّ اللَّهَ) وِنْدِيزَ اِلّكَنَاسْ اللهُ (غَفُورٌ) اَنْصّيرَفْ يَاسَنْ لقبائحهم في الدنيا بالستر وقيل بإزالة العذاب (رَحِيمٌ) نَمَهّينَنْ يَاسَنْ في الآخرة بالعفو، وقيل بإعطاء الثواب (89) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) اِلّكَنَاسْ وِنْدِي اَكْفَرْنينْ اَسْ عِيسَى بعيسى (بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) دَفَّرْ اَظَكّظَاتَّسَنْ اَسْ مُوسَى بموسى (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) دَفَّرَادِي اَشُّوتَنْ اَلْكَفَرْ اَسْ مُحَمَّدْ صلى الله عليه وسلم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قال قتادة وعطاء

الخراساني

الخراساني والحسن نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد إيمانهم بنعته وصفته ثم ازدادوا بإقامتهم على كفرهم كفراً بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ازدادوا كفراً بالذنوب التي اكتسبوها ورجحه ابن جرير الطبري وجعلها في اليهود خاصة وقيل نزلت في جميع الكفاروقيل نزلت في أحد عشر رجلاً من أصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحارث أقاموا على كفرهم بمكة وقد استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) وَرْزَاتَتَوَقْبَلْ تَتُوبْتْ نَسَنْ غُورْ اَلْغَرْغَرَة اِيكُوزْ نَ اَلْحَالْ مع كون التوبة مقبولة كما في الآية الأولى وكما في قوله تعالى "هو الذي يقبل التوبة عن عباده" وغير ذلك فقيل المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت قال النحاس وهذا قول حسن كما قال تعالى "وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن" وبه قال الحسن وقتادة وعطاء والسدي ومنه حديث "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"وقال مجاهد لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره (وَأُولَئِكَ) وِنْدِي (هُمُ الضَّالُّونَ) اَنْتَنَيْ اِمَاخْرَاكَنْ اَسْتِيدَتْ أي هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطئوا منهاجه والمراد هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً والأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة (90) ويكون قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) اِلّكَنَاسْ وِنْدِي اَكْفَرْنينْ (وَمَاتُوا) اَمّينْ (وَهُمْ كُفَّارٌ) ضَغْ اَلْحَالَاسْ اَمُوصَنْ اِكُوفَارْ في حكم البيان لهاوقيل نزلت فيمن مات كافراً من جميع أصناف الكفار من أهل الكتاب

وعبدة الأصنام فالآية عامة فيهم (فَلَنْ يُقْبَلَ) ونْدِي وَرْزِتَوَقْبَلْ (مِنْ أَحَدِهِمْ) ضَغْ اِيَّنْ ضَغْسَنْ (مِلْءُ الْأَرْضِ) اِيَّتْ نَمَضَالْ (ذَهَبًا) نُورَغْ اَصِكَاطْ سَرَسْ الملء بالكسر مقدار ما يملأ الشيء والملء بالفتح مصدر ملأت الشيء والمعنى مقدار ما يملأ الأرض مشرقها ومغربها ذهباً مع أنه أعز الأشياء وقيمة كل شيء (وَلَوِ افْتَدَى بِهِ) وَلَاغَاسْ اِفْدَيْدُو سَرَسْ اَغْلَاكْنيتْ دَفَّرَسْ قيل الواو زائدة مقحمة وقيل الواو للعطف والمعنى وكذلك لو افتدى من العذاب في الآخرة بملء الأرض ذهباً لن يقبل منه وهذا آكد في التغليظ لأنه تصريح بنفي القبول في جميع الوجوه أو المراد بالواو التعميم في الأحوال كأنه قيل لن يقبل منهم في جميع الأحوال ولو في حال افتدائه نفسه في الآخرة (أُولَئِكَ) ونْدِي إشارة إلى من مات على الكفر (لَهُمْ) اِلَّاسَنْتُو أي استقر لهم (عَذَابٌ) اَلْعَذَابْ (أَلِيمٌ) نَمَصّيصْنَنْ مؤلم (وَمَا لَهُمْ) وَرَاسَنْتَلّينْ أي ما استقر لهم (مِنْ نَاصِرِينَ) مَاكَاظَنْ ضَغْ اَلْعَذَابْ يمنعونهم من العذاب، وأتى بناصرين جمعاً لتوافق الفواصل (91)

تم بعون الله تعالى

الجزء الأول

من تفسير القرآن الكريم "بلغة تماجق"

يتلوه إن شاء الله تعالى

الجزء الثاني

وأوله قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

الفهرس

المقدمة ―――― ٢

سورة الفاتحة ―――― ٣

سورة البقرة ―――― ٦

الم ذلك ―――― ٧

الكلام على المتشابه ―――― ٢٦

وإذا لقوا ―――― ٥٧

تعريف البدعة ―――― ٩٣

سيقول ―――― ١١٥

مذاهب الأئمة في تقديم الصلاة أول الوقت وتأخيرها ―――― ١٢٣

الكلام على التقليد ―――― ١٤٢

واذكروا الله ―――― ١٩٥

الكلام على المتشابه ―――― ٢٠٣

الكلام على الصلاة الوسطى ―――― ٢٥٥

الكلام على الأبدال ―――― ٢٧١

تلك الرسل ―――― ٢٧٢

الكلام على معنى الحكمة ―――― ٣٠٠

سورة آل عمران ―――― ٣٢٩

الكلام على المتشابه ―――― ٣٣٤

قل أؤنبئكم ―――― ٣٤٧

فضل الاستغفار ―――― ٣٤٨

فائدة لقضاء الدين ―――― ٣٥٧

الكلام على جواز المباهلة وعدمها ―――― ٣٩١

قال ابن عطية وهذه أفضل جهاد مجاهدين ―――― ٢٧٩